لا وجوه ولا نظائر
في
كتب الوجوه والنظائر

الدكتور

عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني

أستاذ اللغة والنحو القرآني

الطبعة الثانية

الموصل

١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

مقدمة

بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به الباحثين والدارسين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منِّي عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

وقد سميت هذا الكتاب قبل أن أشرع فيه : وجوه كتب الوجوه بين الاشتراك والاختلاق ، ظنًّا مني أنَّ كتب الوجوه فيها من الوجوه القائمة على أساس اللفظ المشترك بقدر ما فيها من الوجوه المختلقة ، لكن بعد دراسة كثير من الألفاظ التي اشتمل عليها كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان لم أجد من بينها لفظًا واحدًا تتمثل فيه حقيقة الاشتراك والوجوه ، فغيرت عنوان الكتاب إلى ما هو عليه الآن .

ولكون أصحاب كتب الوجوه بعضهم ينقل من بعض ، ومنهجهم واحد ، اكتفيت بالرجوع إلى خمسة منها هي :

١-الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) بتحقيق عبد الله محمود شحاتة ، وباسم : الوجوه والنظائر ، بتحقيق أحمد فريد المزيدي .

٢-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهرون بن موسى القارئ (ت : ١٧٠هـ) .

٣-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للعسكري (ت : ٣٩٥هـ) .

٤-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني (ت : ٤٧٨) .

٥–نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧) ومنتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لابن الجوزي أيضًا

التمهيد

قيام كتب الوجوه على شبهة :

احتج أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، بشيوع هذه الظاهرة في القرآن الكريم بأحاديث منكرة لا تصحّ ، قال الزركشي : ((ذكر مقاتل في صدر كتابه حديثًا مرفوعًا : لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه ، حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة)) (١) وقال السيوطي : ((وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أنَّ علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج ، فقال له : اذهب إليهم فخاصمهم ، ولا تحاجّهم بالقرآن ؛ فإنَّه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة ، وأخرج من وجه آخر أنَّ ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل ، قال : صدقتَ ، ولكنَّ القرآن حمَّال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن خاصِمْهم بالسنن ، فإنَّهم لم يجدوا عنها محيصًا ، فخرج فخاصمهم بالسنن ، فلم تبق بأيديهم حجة)) (٢)

وما نُسِب إلى ابن عباس ، رضي الله عنهما ، لا يصح ، لأنَّه كلام باطل ، وفيه طعن بالقرآن الكريم ، وهو الادعاء بعدم صلاحه للاحتجاج به ؛ وهل أنزِل القرآن إلّا من أجل أن يحتج به في الأمور كلها ، ولا سيما في المسائل الخلافية ؟! قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٧٣ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ص ٢١٤ .

تَأْوِيلاً){النساء : ٥٩} ولو كان القرآن حمَّالًا ذا وجوه ؛ لحصل فيه اللبس والإشكال ، وعسر على الناس فهمه ، وقد نفى الله عنه ذلك ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ){القمر : ١٧} ولو كان القرآن حمَّالًا ذا وجوه لحصل فيه الاختلاف ، وقد نفى الله عنه ذلك ، قال الله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا) النساء : ٨٢}

فما قاله الزركشي والسيوطي قول باطل ، اختلقه من اختلقه ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، من أجل أن يفسر القرآن حسب هواه ، كما أنَّه قول يردُّه الواقع والتاريخ ، إذ العكس هو الصحيح ، إذ كيف يُحتجُّ وقتئذٍ بالسنة من دون القرآن ، والسنة لم تكن بعد مدوَّنة ، والقرآن الكريم مُدَوَّن في المصاحف ، وفي قلوب الحفاظ وما كان أكثرهم ؟! ، يضاف إلى ذلك كله أنَّه في خلافة علي ، رضي الله عنه ، ظهرت الفرق المذهبية والسياسية المختلفة والمتناحرة ، وكانت كل فرقة من الفرق الضالة تضع أحاديث ملفقة ، تصوغها من تلقاء نفسها ، لتؤيِّد بها مذهبها ، حتى إنَّه في هذه الفترة بدأ وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مما اقتضى في تلك الفترة ترك الاحتجاج بالحديث ، والاقتصار على الاحتجاج بالقرآن ؛ لأنَّ الله قد تكفل بحفظه من كل تحريف ، قال الله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ){الحجر : ٩}

كما أنَّه ليس صحيحًا أنّ ابن عباس ، رضي الله عنهما خاصم الخوارج بالسنن ، بل خاصمهم بكتاب الله ، عز وجل ، روى النسائي في الخصائص بسند حسن عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : لمَّا خرجت الحرورية (يعني الخوارج) اعتزلوا في دارهم ، وكانوا ستة آلاف ، فقلتُ لعلي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ، أبرد بالصلاة ؛ لعلي أكلم هؤلاء القوم ، قال : إني أخافهم عليك ، قلتُ : كلّا ، فلبستُ وترجلتُ ودخلتُ

عليهم نصف النهار ، وهم قائلون (من القيلولة أي : نائمون وقت الظيهرة) فسلَّمتُ عليهم ... قلتُ : أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابن عمِّه ؟ قالوا: ثلاث ، قلتُ : ما هنّ ؟ ، قالوا : أمَّا إحداهنَّ ، فإنّه حكّم الرجال في أمر الله ، والله تعالى يقول : (إِنِ الْحُكْمُ إِلّا لِلّهِ){يوسف : ٤٠} ما شأن الرجال والحكم ؟ قلتُ هذه واحدة ، قالوا : وأمَّا الثانية ، فإنَّه قاتل ، ولم يسب سباهم ، ولم يغنم ، فإن كانوا كفارًا فقد حلَّ سبيهم ، وإن كانوا مؤمنين ، ما أحلَّ سبيهم ولا قتالهم ، قلتُ : فما الثالثة ، قالوا : محا نفسه عن أمير المؤمنين ؛ فهو أمير الكافرين ، قلتُ : هل عندكم شيء غير هذا ؟ قالوا حسبنا هذا ، قلتُ : أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله – جل ثناؤه– ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما يردُّ قولكم ، أترضون أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قلتُ : أمَّا قولكم حكَّم الرجال في أمر الله ، فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أنَّه قد صيَّر الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر الرجال أن يَحْكموا ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام){المائدة : ٩٥}

فأنشدتُكم بالله تعالى ، أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل ، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم ، وأنتم تعلمون أنَّ الله تعالى لو شاء حكم ولم يُصَيِّر ذلك إلى الرجال ؟ قالوا : بل هذا أفضل ، وفي المرأة وزوجها ؛ قال الله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا){النساء : ٣٥}

فأنشدتُكم بالله ، حُكْمُ الرجال في صلاح ذات بينهم ، وحقن دمائهم أفضل ، أم حكمهم في بضْع امرأة ؟ أخرجتُ من هذه ؟ قالوا نعم ، قلتُ : وأمَّا قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أفتسْبون أُمَّكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أُمُّكم ؟ فإن قلتم : إنَّا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، ولئن قلتم : ليست بأُمِّنا فقد كفرتم ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا){الأحزاب : ٦} فأنتم تدورون بين ضلالتين ، فأتوا منهما بمخرج ، قلتُ : أفخرجتُ من هذه ؟ قالوا نعم ، وأمَّا قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون ، وأراكم قد سمعتم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي رضي الله عنه : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون ، لا والله ما نعلم أنَّك رسول الله ، ولو نعلم أنَّك رسول الله ما قاتلناك ، ولأطعناك ، فاكتب محمد بن عبد الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امح يا علي ، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فوالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن يمحوه من النبوة ، أخرجتُ من هذه ؟ قالوا نعم وعاد عدد كبير من الخوارج بعد هذه المناظرة من ابن عباس إلى علي رضي الله عنهما (١)

وذكر هذه الرواية نفسها أستاذ الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي الدكتور أحمد عوض الشباب ، في كتابه الخوارج ، تحت عنوان : مناظرة عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما للخوارج ، نقلاً من المصادر

(١) ينظر : البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٨/٧-٣٠١ ، والفتنة بين الصحابة للشيخ محمد حسان ص ٢٩٣-٢٩٦ ..

التاريخية : تلبيس إبليس لابن الجوزي ، والكامل للمبرد ، والعقد الفريد لابن عبد ربَّه ، والبدء والتاريخ للمقدسي [١]

فتأمَّل أنَّ الخوارج خاصموا ابن عباس بالقرآن الكريم ، وخاصمهم هو أيضًا بالقرآن الكريم ، إلّا القضية الثالثة لم يجئ بها نص قرآني ، فخاصمهم بها بحادثة تاريخية .

الوجوه والترادف والتطابق :

عُرِّف الترادف بأنَّه ((عبارة عن الاتحاد في المفهوم ٠٠٠لم يفرق بينهما)) [٢] فقد قصد من الترادف : التطابق في المعنى ، لذلك قال الزركشي : ((القسم السابع : عطف أحد المترادفين على الآخر، أو ما هو قريب منه في المعنى ، والقصد منه التأكيد٠٠٠ويكثر في المفردات كقوله تعالى : (فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ){آل عمران : ١٤٦} وقوله : (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا){طه : ١١٢} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى){طه : ٧٧}٠٠٠وقوله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه){يوسف : ٨٦} وقوله تعالى : (لا تُبْقِي وَلا تَذَر){المدثر : ٢٧-٢٨}٠٠٠وقوله تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ){الزخرف : ٨٠} وقوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا){المائدة : ٤٨} وقوله تعالى : (إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء){البقرة : ١٧١}٠٠٠وقوله تعالى : (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ){فاطر : ٣٥} فإنَّ (نَصَبٌ) مثل (لَغَبٌ) وزنًا

---

(١) ينظر : الخوارج / تاريخهم وفرقهم وعقائدهم ص ١٠٣-١٠٤ ..

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني ص ٣٧.

ومعنى ومصدرًا ، وقوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ){البقرة : ١٥٧} على قول من فسَّر الصلاة بالرحمة ، والأحسن خلافه ، وأنَّ الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف، كما قال الغزالي وغيره)) [١]

قول الزركشي ((عطف أحد المترادفين على الآخر)) يدل على أنَّه أراد من الترادف التطابق في المعنى ؛ لأنَّه قال بعد ذلك ((أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد)) فهو بكلامه هذا أجاز عطف أحد اللفظين المتطابقين في المعنى على الآخر ، وكذلك أجاز عطف أحد المتقاربين في المعنى على الآخر في القرآن الكريم مستشهدًا بالآيات المذكورة وغيرها .

والشطر الأول من قول الزركشي باطل ، لأنَّه لا وجود للألفاظ المتطابقة في معانيها في كتاب الله ، حتى في المواضع المتفرقة ، وإن وجد أو شاع هذا في كلام العرب ، إنَّه يصح الادعاء بوجود العطف بين لفظين متقاربين في المعنى في القرآن الكريم ، لكن كيف يصح وجوده بين اللفظين المتطابقين معنىً ، لذلك قال في الصفحة التالية : ((تنبيهات : أنكر المبرد هذا النوع ، ومنع عطف الشيء على مثله ، وأوَّل ما سبق على اختلاف المعنيين ، ولعله ممن ينكر أصل الترادف في اللغة كالعسكري وغيره))[٢]

وجاء في الكليات للكفوي : ((الترادف : الاتحاد في المفهوم لا الاتحاد في الذات ، كالإنسان : البشر ، وحق المترادفين صحة حلول كل منهما محل الآخر ، هذا مختار ابن الحاجب في أصوله ، وهو أنَّه يجب ذلك مطلقًا٠٠٠والمترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ٠٠٠والمترادفان مثل : (بَثِّي وَحُزْنِي) في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٤٧٧ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٤٧٨ .

وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){يوسف : ٨٦} و(سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) في قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ){التوبة : ٧٨} و(شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) في قوله تعالى : (وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا){المائدة : ٤٨} و(لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ) في قوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ {٢٧} لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ){المدثر : ٢٧-٢٨} و(إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) في قوله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٧١} و(أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا) في قوله تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا){الأحزاب : ٦٧} و(صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) في قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ {١٥٦} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ){البقرة : ١٥٥-١٥٧}))[(١)]

فقد ادعوا كما تقدم بمجيء البث والحزن بمعنى واحد في قوله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه) وليس القول ما ادعوا ، فالبث : يفيد أنَّه ينبث ولا ينكتم من قولك : أبثثته ماعندي ، وبثثته : أعلنته إياه ، فحقيقته في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها ، فالبث : ما أبداه الإنسان ، والحزن : ما أخفاه ؛ لذلك يكون البث أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه ويشكوه ؛ لذا عطف البث على الحزن لما بينهما من الفرق في المعنى ، وهو ما ذكرناه[(٢)]

---

(١) ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ص ٢٩٨ والجامع لأحكام القرآن ١٨١/٥ وفروق اللغات ص ٦٥ .

وادعوا بمجيء (تبقي) و(تذر) بمعنى واحد في قوله تعالى : (لا تُبْقِي وَلا تَذَر) وليس القول ما ادعوا ، إذ المعنى كما قال الزمخشري : ((لا تبقي شيئًا يُلقى فيها إلاَّ أهلكته ، وإذا هلك لم تذره هالكًا حتى يعاد)) [١] أي : يعود كما كان[٢] و((قال مجاهد : لا تبقي من فيها حيًّا ، ولا تذره ميتًا ، تحرقهم كلما جُددوا)) [٣] والدليل على صحة هذا التفسير قوله تعالى : (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيى){طه : ٧٤} أي : لا يموت فينجو من العذاب ، ولا يحيى حياة طيبة .

وادّعوا بمجيء السر والنجوى بمعنى واحد في قوله تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم) و((النجوى : اسم للكلام الخفي الذي تناجي به صاحبك ، كأنَّك ترفعه عن غيره٠٠٠والسر : إخفاء الشيء في النفس))[٤] وقال الراغب : ((وناجيته ، أي : ساررته ، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض)) [٥] و((السر : هو الحديث المُكتَم في النفس))[٦]

وادعوا بمجيء الشرع والمنهاج بمعنى واحد في قوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) والشرعة : ما يُبتَدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ، أي : ابتدأ فيه ، كذا الشريعة : هي ما يُشرع منها إلى الماء ، أمَّا المنهاج فهو الطريق السهل المستمر ، فالشرعة إذن هي الدين بأصوله الثابتة التي تتساوى فيها الملل التي لا يصح النسخ عليها ، كمعرفة الله

---

(١) الكشاف ٦٣٧/٤.

(٢) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٢٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٠.

(٤) الفروق اللغوية ص ٧٥ .

(٥) المفردات ص ٥٠٦ .

(٦) المفردات ص ٢٣٥.

والتوحيد والإخلاص ، والمنهاج : الدليل أو الطريقة التي تُطَبَّق بها هذه الأصول الثابتة ؛ لذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الشرعة : ما ورد به القرآن ، والمنهاج : ما وردت به السنة(١)

وادّعوا بمجيء الدعاء والنداء بمعنى واحد في قوله تعالى : (إلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) و((النداء هو رفع الصوت بما له معنى ، والعربي يقول لصاحبه : ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا ، أي : أبعد له ، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه ، يقال : دعوته من بعيد ، ودعوت الله في نفسي ، ولا يقال : ناديته في نفسي)) (٢) والدعاء ((قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ، ولكن بإشارة تنبئ عن معنى : تعال ، ولا يكون النداء إلّا برفع الصوت وامتداده ؛ لذا لا يُسنَد النداء إلى الله سبحانه ، بخلاف الدعاء ، قال تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ){البقرة : ٢٢١})) (٣) وجاء في التفسير : ((أنَّ النداء للبعيد ، والدعاء للقريب ؛ لذلك قيل للأذان بالصلاة نداء ؛ لأنَّه للأباعد))(٤)

وادّعوا بمجيء الصلاة بمعنى الرحمة في قوله تعالى : (صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) قال الزمخشري : ((الصلاة : الحنو والتعطف))(٥) وقال الإمام الغزالي : الصلاة ((الاعتناء بالشأن ، ومعناها الذي يناسب : الثناء والمغفرة ؛ لأنَّ إرادة الرحمة يستلزم التكرار ، ويخالف ما روي : نعم العدلان

---

(١) ينظر : المفردات ص ٢٦٨ والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٣/٣ والكليات ص ٤٤٠ وفروق اللغات ص ١٥٤.

(٢) الفروق اللغوية ص ٤٩.

(٣) فروق اللغات ص ١٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٦٢/٢ .

(٥) الكشاف ٢٠٦/١.

للصابرين : الصلاة والرحمة)) [١] ومرَّ قول الزركشي : ((على قول من فسَّر الصلاة بالرحمة ، والأحسن خلافه ، وأنَّ الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف، كما قال الغزالي وغيره)) [٢]

وقالوا بمجيء السادة والكبراء بمعنى واحد في قوله تعالى : (أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا) و((السادة : هم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم))[٣] (((وَكُبَرَاءنَا) ذوي الأسنان منَّا ، أو علماءنا)) [٤] وقال ابن عاشور : ((والكبراء : جمع كبير وهو عظيم العشيرة ، وهم دون السادة ، فإنَّ كبيرًا يُطلق على رأس العائلة ، فيقول المرء لأبيه : كبيري ؛ ولذلك قوبل قولهم : (أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا) بقولهم : (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا){الأحزاب : ٦٦}))[٥]

وقالوا بمجيء الضعف والوهن بمعنى واحد في قوله تعالى : (فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) والضعف : ضد القوة ، والضعيف من خلقه الله ضعيفًا ، والقوي : من خلقه الله قويًّا ، ويقال : ضعُف فلان : فَعَلَ فِعْلَ الضعيف خِلْقَةً ، والوهن : انكسار الجد لخوف ونحوه ، والاستكانة : الذل والخشوع [٦] لذلك لذلك جاء في التفسير : (فَمَا وَهَنُواْ) فما فتروا ، وما انهارت عزائمهم ، ولم

---

(١) روح المعاني ٤٢١/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٤٧٧ .

(٣) الكشاف ٥٤٥/٣.

(٤) مدارك التنزيل ص ٩٥٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٣٨/٢١ .

(٦) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١١٣ والفروق اللغوية ص ١٣٢والجامع لأحكام القرآنى١٧٢/٤ وفروق اللغات ص ١٦٣ .

يصبهم الوهن باستيلاء الخوف عليهم ، ولم يضعف إيمانهم وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم عندما شاع بينهم مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم (وَمَا ضَعُفُواْ) عن الجهاد بعده (وَمَا اسْتَكَانُواْ) أي : وما خضعوا لعدوهم وخشعوا وذلوا لهم[١]

وقالوا بمجيء الظلم والهضم بمعنى واحد في قوله تعالى : (فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا) قال العسكري في ((الفرق بين الظلم والهضم أنَّ الهضم نقصان بعض الحق٠٠٠والظلم يكون في البعض والكل ، وفي القرآن (فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا) أي : لا يمنع حقه ولا بعض حقه ، وأصل الهضم في العربية : النقصان)) [٢] وقال الزمخشري : ((الظلم : أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ، والهضم : أن يكسر من حق أخيه ، فلا يوفيه له ، كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ، أي : فلا يخافون جزاء ظلم ولا هضم))[٣]

فالظلم يكون بمحاسبة الإنسان على إساءة عملها بعقوبة أكثر مما تستحقه ، والهضم يكون بمجازاة الإنسان على إحسان عمله بأجر أقل مما يستحقه ، والمعنى فلا يخاف هذه الزيادة في العقوبة ، ولا يخاف هذا النقصان في الأجر والثواب .

وقالو بمجي النصب واللغوب بمعنى واحد في قوله تعالى : (لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) قال ابن فارس : ((النصب : العناء ، ومعناه : أنَّ الإنسان لا يزال منتصبًا حتى يُعيي))[٤] وقال : ((واللغوب :

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٨٩ واللباب في علوم الكتاب ٥/٥٩٠.

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٦٠.

(٣) الكشاف ٣/٨٦ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٠١.

التعب والإعياء والمشقة)) [1]وقال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلتُ : النصب : التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له ، وأمَّا اللغوب : فما يلحقه من الفتور بسبب النصب ، فالنصب : نفس المشقة والكلفة ، واللغوب : نتيجته ، وما يحدث منه من الكلال والفترة)) [2]

فكيف تسنى للزركشي والكفوي وغيرهما أن يدعوا بجواز عطف اللفظ على مرادفه المطابق له في المعنى ، وكيف أجازوا هذا النوع من العطف في كتاب الله ؟! كيف يرمونه بما يقدح في بلاغته ، وبعيب هو منزه عنه؟! قال التهانوي : ((اعلم أنَّ الترادف عند البلغاء على نوعين ، أحدهما جيد ، وهو أن يؤتى بكلمتين لهما معنى واحد ، ولكن ثمة فرق بينهما في الاستعمال ، أو أن يكون للكلمة الثانية معنى ثانٍ خاص ، أو أن توصف بصفة خاصة مثل : أرجو وآمل في العربية ، وهما مترادفتان وجيدتان أيضًا ؛ لأنَّ كلمة آمل ، وإن كانت بمعنى الرجاء إلّا أنَّها مخصوصة بكونها لا تستعمل إلّا في مكان محمود ، والنوع الثاني معيب ، وهو الإتيان بلفظتين لهما معنى واحد دون أن يكون لإحداهما أي فرق عن الأخرى ، ويسمي بعضهم هذا النوع الحشو القبيح ، كذا في جامع الصنائع ، ويُعد عند بعضهم من باب الإطالة)) [3]

فعطف لفظ على لفظ مطابق له في المعنى لا يمكن أن يكون في القرآن الكريم ، ومن قال بوجوده في كتاب الله يجب ثم يجب أن يُضرب قوله هذاعرض الحائط كائنًا من كان قائله ، لأنَّ بلاغة القرآن الكريم قامت في

---

(١) مقاييس اللغة ص٨٣٧.

(٢) الكشاف ٥٩٦/٣ .

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٤٠٨/١-٤٠٩.

الأساس على حسن اختيار اللفظ المرادف من دون سواه ، للتعبير عن أدق المعاني الخاصة ، والزركشي نفسه الذي أدخل عطف الخشية على الخوف في قوله تعالى : (ولا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى){طه : ٧٧} في باب عطف أحد المترادفين على الآخر لقصد التوكيد كما تقدم ، قال في باب : قاعدة في ألفاظ يُظنُّ بها الترادف وليست منه : ((فمن ذلك الخوف والخشية ، لا يكاد اللغوي يفرق بينهما ، ولا شك أنَّ الخشية أعلى من الخوف ، وهي أشد الخوف ، فإنَّها مأخوذة من قولهم : شجرة خشْيَة إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية ، والخوف من قولهم : ناقة خوفاء : إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ، ومن ثم خُصَّت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ){الرعد : ٢١} وفُرِّق بينهما أيضًا بأنَّ الخشية تكون من عظم المخشي ، وإن كان الخاشي قويًّا ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا ، ويدل على ذلك أنَّ الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة ، قالوا : شيخ للسيد الكبير، والخيش : لما عظم من الكتان ، والخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف ، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ، وقال تعالى : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) فإنَّ الخوف من الله لعظمته ، يخشاه كل أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالمًا بالحساب ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، وقال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء){الرعد : ٢٨} وقال لموسى : (يَا مُوسَى لا تَخَفْ){النمل : ١٠} أي : لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون ، فإن قيل : ورد قوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){النحل : ٥٠} قيل الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف فيصح أن يقول : يخشى ربه لعظمته ، ويخاف ربه لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى ، وفيه نكتة ، وهي : أنَّ الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر

صفتهم بين يديه فقال : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) فبيَّن أنَّهم عند الله ضعفاء ، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ، ذكر ما يدل على عظمة الله فقال : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) ولمَّا ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال : (رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) والمراد فوقيَّة بالعظمة)) [١]

ومثل هذا الفرق الذي ذُكِر بين الخشية والخوف في القرآن الكريم موجود حتمًا بين كل لفظين قرآنيين قيل بأنَّهما مترادفان لا فرق بينهما في المعنى ، إلّا أنَّ عدم البحث والتحقيق عجزًا وتكاسلاً ، هو الذي دفع عددًا من اللغوين إلى القول بوجوده في كتاب الله ، وهم مع ذلك قد خلطوا بين الترادف والتطابق ؛ لذلك شاع الجدل حوله ، أفي اللغة ألفاظ مترادفة أم لا؟ ويبدو أنَّ هذا ناجم من أنَّ المصطلح لم يُحدد مفهومه ؛ وكأنَّهم لم يعودوا إلى ما ذكره أهل اللغة عن دلالته ، قال ابن فارس : ((الراء والدال والفاء أصل واحد مطّرد يدل على اتباع الشيء ، فالترادف التتابع ، والرديف الذي يرادفك ... وبقال : نزل بهم أمر فردف لهم أعظم منه ، أي : تبع الأول ما كان أعظم منه)) [٢] وجاء في اللسان : ((والرِّدفان الليل والنهار ؛ لأنَّ كل واحد منهما رِدْفُ صاحبه ، وردف الرجلَ وأردفه ركب خلفه والرِّدْفُ الراكب خلفك))[٣] وكذلك الألفاظ المترادفة سُمَيتْ كذلك ؛ لأنَّ معانيها تكون بعضها خلف بعض ، وجاء في المزهر : ((والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ ، لمعان متقاربة ، يجمعها معنى واحد))[٤] أي : هي مختلفة فيما بينها في

---

(١) البرهان ص ٧٥١-٧٥٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٧٧ .

(٣) لسان العرب ١٣٦/٦-١٣٧ ،

(٤) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٧/١ .

معانيها الخاصة وإن جمعها معنى عام واحد ، فإذا قُصِد بالألفاظ المترادفة المتطابقة في معانيها فهذا ما لا وجود له البتة في القرآن الكريم ، وإن قُصِد بها المتقاربة في معانيها ، فوجود هذه الألفاظ في القرآن الكريم حقيقة لا مراء فيها ؛ إذ اللغة ، ولا سيما لغة القرآن الكريم ، تُعَدُّ كصرح عظيم ، لبناته المتراصة ألفاظها ، ومن البديهي أن تلامس كل لبنة لبنة تجاورها ، أو تفصل بينهما واحدة أو اثنتان ، ومن المعلوم أنَّ المعاجم اللغوية تذكر معنى اللفظ بما يرادفه بالمعنى ، لا بما يطابقه ؛ لأنَّ اللفظَ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، ولو أرادت أن تعرف اللفظ بعين المعنى الذي يعنيه لوجب أن تعرفه باللفظ نفسه ، فالعلم مثلًا معناه العلم ، والمعرفة معناها المعرفة ، والظلم معناه الظلم ، وإذا قلنا الظلم معناه الجور والحيف فإننا لم نعرف الظلم بمعناه ، وإنَّما عرفناه بما يرادفه ، أي : بالمعنى القريب منه ؛ لذلك سلك ابن فارس في الأغلب طريق شرح اللفظ بدلاً من أن يعرفه بمرادفه ، فلم يقل الظلم هو الجور مثلًا بل قال : ((هو وضع الشيء في غير موضعه))[١] ولما عرف الجور قال : ((هو الميل عن الطريق)) [٢] لذا يجب أن نعلم أنَّ المعاجم وكتب اللغة عندما تعرف اللفظ بما يرادفه ، فإنَّ هذا المرادف لا يمثل أبدًا معنى اللفظ ، بل المعنى القريب منه ، فقد قال الخليل مثلًا : ((والخبر : النبأ)) [٣] لكن هذا لا يعني أنَّ النبأ هو الخبر نفسه ، بل هو لفظ مرادف ، أي : قريب من معناه ؛ لذلك جاء في ((الفرق بين النبأ والخبر ، أنَّ النبأ لا يكون إلّا للإخبار بما لا يعلمه المُخبَر ، ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه ؛ ولهذا يقال : تخبرني عن نفسي ، ولا يقال :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٥٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٨٠ .

(٣) العين ص ٢٢٨ .

تنبئني عن نفسي ؛ وكذلك تقول تخبرني عما عندي ، ولا تقول : تنبئني عما عندي··· والإنباء عن الشيء أيضًا يكون بغير حمل النبأ ، تقول : هذا الأمر يُنبئ بكذا ، ولا تقول : يخبر بكذا ؛ لأنَّ الإخبار لا يكون إلّا بحمل الخبر)) [١]

ومن ذلك قوله : ((الريب : الشك))[٢]ولكن هذا لا يعني أيضًا أنَّ الريب هو الشك نفسه ، بل هو معنى قريب منه ، أي : لفظ مرادف له؛ لذلك جاء في ((الفرق بين الريب والشك أنَّ الارتياب شك مع تهمة ، والشاهد أنَّك تقول : إني شاك في المطر اليوم ، ولا يجوز أن تقول : إني مرتاب اليوم بالمطر ، وتقول : إني مرتاب بفلان : إذا شككت في أمره واتهمته)) [٣]

ومن ذلك قوله أيضًا : ((نفد الشيء نفادًا ، أي : فني)) [٤]وكذلك لا يعني هذا أنَّ الفناء هو النفاد بعينه ، بل هو لفظ مرادف له ؛ لذلك جاء في : ((الفرق بين الفناء والنفاد ، أنَّ النفاد هو فناء آخر الشيء بعد فناء أوله ، ولا يستعمل النفاد فيما يفنى جملة ، ألا ترى أنَّك تقول : فناء العالم ، ولا يقال : نفاد العالم ، ويقال : نفاد الزاد ونفاد الطعام ؛ لأنَّ ذلك يفنى شيئًا فشيئًا)) [٥]

وقال ابن فارس : ((الغين والفاء والراء ··· بابه الستر··· فالغَفْرُ : السَّتْرُ والغفران والغفر بمعنى ، يقال غفر الله ذنبه غَفْرًا ومغفرة

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٣.

(٢) العين ص ٣٧٩ .

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ١١٤

(٤) العين ص ٩٧٦ .

(٥) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٢٠

وغفرانًا)) [١] وهذا لا يعني أيضًا أنَّ الستر هو الغفر والغفران نفسه ، بل هو لفظ مرادف له ؛ لذلك جاء في : ((الفرق بين الغفران والستر ، أنَّ الغفران أخص ، وهو يقتضي إيجاب الثواب ... والستر سترك الشيء بستر... وستر الله عليه خلاف فضحه ، ولا يقال لمن ستر عليه في الدنيا ، إنَّه غفر له ؛ لأنَّ الغفران ينبئ عن استحقاق الثواب ... ويجوز أن يستر في الدنيا على الكافر والفاسق)) [٢]

نخلص مما سبق ذكره أنَّه ينبغي أن يكون المراد من الترادف تقارب المعاني ، وإذا قصدنا اتحادها في المفهوم ، وجب التعبير عنه بلفظ التطابق ؛ لئلا يحصل الخلط بينهما ، فلكل لفظ إذن معناه الخاص به لا يعبِّر عنه إلّا لفظه ، وألفاظ مرادفة له ، والجدير بالذكر أنَّ كثيرًا من الألفاظ التي اشتملت عليها كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل ، وكتب الوجوه التي صُنِّفت بعده ، قامت وجوهها على الترادف ، أي : اتخذوا من مرادفات اللفظ وجوهًا له ، ولما كان من المعلوم أنَّه ما من لفظ إلّا له ألفاظ ترادفه ، فهذا يعني أنَّ كل لفظ في القرآن الكريم يمكن أن تُتَّخذ له وجوهًا ، فيكون كله لفظًا مشتركًا ، هذه هي الطامَّة الكبرى الأولى التي ستحل بلغة القرآن الكريم ، والثانية أنَّها ستلغي فيه الألفاظ المترادفة ؛ لأنَّها ستحولها جميعها إلى وجوه مختلقة لألفاظ مشتركة مختلقة ، ولا يصح أن نعدَّ المعاني التي تذكرها كتب اللغة للفظ وجوهًا للفظ ، إلّا إذا كانت معاني متباعدة ، لا تربط بينها صلة ترادف

العلاقة بين دلالة اللفظ والسياق :

شاع لدى أصحاب الدراسات الدلالية أنَّ السياق هو الذي يحدد دلالة اللفظ ، وهو الذي أمدَّ كل لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها كتب

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٩٦ .

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٦٤-٢٦٥ .

الوجوه بالأوجه المتعددة ، وهذا وهم وفكر خطر ؛ لأنَّه يؤدي إلى إلغاء الدلالة الموضوعة للألفاظ التي أثبتتها كتب المعاجم اللغوية ، وفي ذلك هدم للغة العربية ؛ لأنَّ هذه اللغة قد حُفظت ودُوِّنت في هذه المعاجم ، وأنَّه لا بد من أن تكون هناك للمفردات ثوابت دلالية حاسمة ، لا يصح بحجة السياق التجاوز عليها ؛ وإلا حدثت الفوضى وضاعت المعايير ؛ لأنَّ السياق واد فسيح مفتوح لا حدود له ، لا يمكن ضبطه إلّا بالرجوع إلى هذه الثوابت ؛ فإذا ربطنا دلالة اللفظ به فحسب ، تعددت دلالات كل لفظ بما لا يمكن التحكم على حصرها في عدد معين ، ولاختلفت معانيها بين سياق وسياق ، كما حصل هذا في كتب الوجوه ، وفي كتب حروف المعاني .

لذلك أقول إنَّ الدلالة الموضوعة للألفاظ كما أثبتتها المعاجم لا يصح التخلي عنها في أي سياق كان وردت فيه ؛ لأنَّ السياق لا يمنح أيَّ لفظ كان أية دلالة كانت ، بل دوره مقصور فقط على تعيين دلالة موجودة أصلاً في اللفظ ، وضعًا واستعمالًا ، وهذا لا يكون في كل لفظ ، بل لا يكون إلّا في اللفظ المشترك ، حتى إنَّ معانيه معروفة مسبَقًا قبل التعرف إليها من خلال السياق .

اللفظ المشترك :

قال ابن فارس في معنى الأرض : ((الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول ، أصل يتفرع وتكثر مسائله ، وأصلان لا ينقاسان ، بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب ، فأمَّا هذان الأصلان ، فالأرض الزكمة ٠٠٠والآخر الرعدة٠٠٠وأمَّا الأصل الأول ، فكل شيء يسفل ويقابل السماء)) (١) فقد ذكر ابن فارس للفظ الأرض ثلاثة معان متباينة ، تُعدُّ أوجهًا حقيقية لها ، وهذه هي حقيقة اللفظ المشترك ، أو المشترك اللفظي وقد عرَّفه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٤.

السيوطي بقوله : هو ((أن تُسمَّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد٠٠٠وقد حدَّه أهل الأصول بأنَّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))[١] أي : أن لا تكون معاني اللفظ المشترك مترادفة ، بل مختلفة ومتباينة ، فـ((المشترك اللفظي : هو كل كلمة لها عدة معان حقيقية غير مجازية))[٢] وقد ذكر السيوطي أمثلة لمعاني اللفظ المشترك فقال : ((وللنوى مواضع ، النوى : الدار ، والنوى : النية ، والنوى : البعد ، وفي الصحاح : الأرض : المعروفة ٠٠٠ والأرض : أسفل قوائم الدابة ، والأرض : النفْضة والرَّعْدة ٠٠٠ والأرض : الزكام ، والأرض : مصدر أرضت الخشبة تُؤرَض فهي مأروضة : إذا أكلتها الأَرَضَة٠٠٠))[٣] ومن أمثلته أيضًا ((لفظ الحوب : الذي يُطلَق على أكثر من ثلاثين معنى : الإثم ، الأخت ، البنت ، الحاجة ، المسكنة ، الهلاك ، الحزن ، الضرب ، الضخم من الجبال ، رقة فؤاد الأم ، زجر الجمل٠٠٠الخ ، وكلفظ الخال الذي يُطلَق على أخي الأم ، وعلى الشامة في الوجه ، والسحاب ، والبعير الضخم ، والأكمة٠٠٠الخ)) [٤]

وعوامل وقوع اللفظ المشترك في العربية : اللهجات ، واقتراض الألفاظ من اللغات الأخرى ، والتطور اللغوي ، والعوارض التصريفية [٥] ومن أهم أسباب نشأته : ((انتقال بعض الألفاظ من معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى ؛ لعلاقة ما ، ثم الإكثار من استعمالها حتى يصبح إطلاق

---

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٦٩/١

(٢) موسوعة علوم اللغة العربية ٤٦٨/٨ .

(٣) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٦٩/١-٣٧٥

(٤) موسوعة علوم اللغة العربية ٤٦٩/٨ .

(٥) ينظر : فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ص ٣٢٦-٣٣٤ ، وموسوعة علوم اللغة العربية ٤٦٩/٨-٤٧٠ .

اللفظ مجازًا في قوة استعماله حقيقة ، ومن ذلك لفظ العين مثلًا ، فإنَّه يُطلَق على العين الباصرة وعلى العين الجارية ، وعلى أفضل الأشياء وأحسنها ، وعلى النقد من الذهب والفضة)) [١]((غير أنَّ أصحاب المعاجم العربية لم يفرقوا بين الحقيقي والمجازي٠٠٠ولم يهتم أصحاب المعاجم بهذه الناحية ، وفي التفرقة بين المعاني الحقيقة والمجازية للكلمات)) [٢]

كتب الوجوه واللفظ المشترك :

كتب ابن قتيبة في هذا الموضوع تحت عنوان : باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة [٣] وقال ابن الجوزي : ((واعلم أنَّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذُكِرتْ في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة ، وأُريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذُكِرتْ في موضع نظير للفظة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه ، فإذن النظائر اسم للألفاظ ، والوجوه اسم للمعاني))[٤] وقال : ((وقد نُسِب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة (ت : ١٠٥هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وممن ألَّف كتب الوجوه والنظائر الكلبي (ت : ١٤٦هـ) ومقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ)٠٠٠والدامغاني (ت : ٤٧٨هـ)٠٠٠وشيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني))[٥] وقال الزركشي في باب الوجوه والنظائر : ((وقد صنَّف فيه قديمًا مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغوني ، وأبو الفرج بن الجوزي ،

---

(١) موسوعة علوم اللغة العربية ٤٧٠/٨ .

(٢) فصول في فقه العربية ص ٣٢٨ .

(٣) ينظر : تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٧.

(٤) نزهة الأعين النواظر ص ١٢ ..

(٥) نزهة الأعين النواظر ص ١١ ..

والدامغاني ۰۰۰ فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدة معانٍ۰۰۰ وقيل : النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني)) (١)

فلا وجوه ولا نظائر إذا تعددت المعاني لاختلاف اللفظ ، أو لاختلاف الحركة ، فهذه هي ظاهرة اللفظ المشترك ، وكتب الوجوه والنظائر قامت على أساس هذه الظاهرة ، أي : على أساس أنَّ هذه الوجوه التي يشترك فيها لفظ واحد ، تمثل :

١-معاني حقيقية غير مجازية ، أي : أن لا تحتمل الوجوه غير معنى واحد ، وأن لا يُختَلَف فيها ؛ وأن لا تربط بينها صلة مجاز .

٢-ودالة ((على معنيين مختلفين فأكثر)) أي : أن لا تربط بينها صلة ترادف ، ولا أصل ، ولا قياس ، ولا وصف ، أي : أن لا ترتبط الوجوه فيما بينها بأية صلة كانت من هذه الصلات المذكورة ، أو غيرها سوى صلة اللفظ المشترك .

٣- وأنَّ تكون علاقة كل وجه منها بهذا اللفظ واحدة ، أي : أن لا يكون للفظ المشترك معنى مستقل يميزه من بين الأوجه المنسوبة إليه .

٤-وأن لا يكون لهذه الوجوه ألفاظ أُخَر تعبر عنها غير اللفظ المشترك .

٥-وأن لا تكون العلاقة بين اللفظ ووجوهه علاقة الشيء بطرقه وأنواعه ، أو علاقة الشيء بأمثلته .

٦-وأن يكون الوجه هو المعنى المراد ؛ لأني قد وجدتُ مقاتل وأتباعه لا يختلقون الوجوه عن طريق الترادف فحسب بل يتبعون طرقًا أُخَر ، كذكر ما أفاد ولو خالف المراد .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٧٣

هذه هي حقيقة الوجوه التي لم أجدها تنطبق إلا على بضعة ألفاظ من بين مئات الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، ومن الضروري أن ننتبه على أنَّ الوجوه التي ذكرها مقاتل ومقلدوه لألفاظ القرآن الكريم ، لا تدخل في باب الشرح والتفسير ، ولم يعدوها من المعاني المرادفة ، بل عدُّوها معاني حقيقية كمعاني اللفظ المشترك ، وهنا يكمن خطرها إذا كانت خلاف ماعناه القرآن الكريم ؛ لأنَّها تُعدُّ حينئذ تحريفًا لمعانيه ، وهو لا يقل خطرًا عن تحريف ألفاظه ؛ من أجل ذلك أَلَّفْتُ كتابي : لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر ؛ لأبين ما فيها من تحريف دلالي نال من اللغة نفسها واللفظ القرآني .

دراسة نموذجية :

أفردتُ لفظ الذكر بالدراسة في رسالة صغيرة تحت عنوان : الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر/لفظ الذكر نموذجًا ، ورأيتُ أنَّه من الملائم والمفيد أن أنقل نص هذه الدراسة هنا لعلاقتها بعنوان الكتاب .

المحور الأول : وجوه لفظ الذكر في كتب الوجوه :

لم يتطرق مقاتل بن سليمان في كتابه : الوجوه والنظائر ، إلى لفظ (الذكر) ووجوهه ، وقد تناولها الذين ساروا على نهجه من بعده

قال هارون بن موسى : ((تفسير (الذكر) على خمسة عشر وجهآ : ١- الطاعة ٢- الذكر باللسان ٣- الذكر بالقلب ٤-الذكر ، يعني : اذكرني عند فلان ٥- الحفظ ٦- العظة ٧-الشرف ٨- الخبر ٩- الوحي ١٠- القرآن ١١- التوراة ١٢- اللوح المحفوظ ١٣- البيان ١٤-التفكر ١٥- الصلوات الخمس)) [1]

([1]) الوجوه والنظائر ص ٥٠-٥١

وقال العسكري : ((الذكر وهو في القرآن على خمسة عشر وجهآ : ١- الطاعة ٢- الذكر باللسان ٣- الذكر في القلب خاصة ٤- ذكر الصفة والأمر ٥- الحفظ ٦- الوعظ ٧- الشرف والنباهة ٨- الخبر ٩- الوحي ١٠- القرآن ١١- التوراة ١٢- اللوح المحفوظ ١٣- البيان ١٤- الدليل ١٥- الصلوات الخمس)) (١)

وقال الدامغاني : ((تفسير (الذكر) على ثمانية عشر وجهآ ١- العمل الصالح ٢- الذكر باللسان ٣- الذكر بالقلب ٤- ذكر الأمر ٥- الحفظ ٦- العظة ٧-الشرف ٨- الخبر ٩- الوحي ١٠- القرآن ١١- التوراة ١٢- اللوح المحفوظ ١٣- البيان ١٤- التفكر ١٥- الصلوات الخمس ١٦- صلاة واحدة ١٧- التوحيد ١٨- الرسول)) (٢)

وقال الأصفهاني : ((الذكر ... ذكر بالقلب .. وذكر باللسان ... والحفظ .. والقرآن ... وصف النبي ... الكتاب المتقدم ... والقرآن)) (٣) وقال ابن الجوزي : ((الذكر في القرآن على عشرين وجهآ : ١- الذكر باللسان ٢- الذكر بالقلب ٣- الحديث ٤- الخبر ٥- العظة ٦- التوحيد ٧- الوحي ٨- القرآن ٩- التوراة ١٠- الشرف ١١- الطاعة ١٢- الحفظ ١٣- البيان ١٤- الصلوات الخمس ١٥- صلاة الجمعة ١٦- صلاة العصر ١٧- الغيث ١٨- اللوح المحفوظ ١٩- الثناء على الله ٢٠- الرسول)) (٤) وقال الفيروزآبادي : (الذكر في القرآن على عشرين وجهًا : ١-ذكر اللسان ٢-ذكر القلب ٣-الوعظ ٤- التوراة ٥-القرآن ٦-اللوح المحفوظ ٧-رسالة الرسول ٨-العبرة ٩-الخبر ١٠-الرسول ١١-الشرف

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦١-١٦٤

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢١٧ ـ ٢٢٠

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٨٥-١٨٦

(٤) نزهة الأعين النواظر ص ١٢٧-١٣٠ ومنتخب قرة العيون النواظر ص ١١٧-١٢٢

١٢–التوبة ١٣–الصلوات الخمس ١٤–صلاة العصر ١٥–صلاة الجمعة ١٦–العذر من التقصير ١٧–الشفاعة ١٨–التوحيد ١٩–ذكر المنة ٢٠–الطاعة والخدمة)) (١)

وبعد الاطلاع على هذه الوجوه ، وشواهدها في القرآن الكريم ، تبيَّن لي أنَّها في الحقيقة على ثلالة أنواع : أحدها ما يمثل الدلالة الأصلية ، أي : الدلالة الموضوعة في اللغة للفظ ، والثاني : دلالات وهمية مختلقة لا وجود لها ، بل هي من صنع أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، والثالث : دلالات لها ورود في القرآن الكريم ، إلّا أنَّ أصحاب الوجوه تطرقوا إليها بطريقة معكوسة .

المحور الثاني : الدلالة الموضوعة للفظ (الذكر) :

قال الخليل : ((الذكر : جري الشيء على لسانك)) (٢) وقال الأزهري : ((الذكر : ما ذكرته بلسانك ··· والذكر بالقلب)) (٣) وقال ابن فارس : ((ذكرتُ الشيءَ : خلاف نسيتُه ، ثم حُمِل عليه الذكر باللسان ، ويقولون : اجعله منك على ذكر (بضم الذال وكسرها) أي : لا تنسه)) (٤) وقال الجوهري : ((ذكرتُ الشيء بعد النسيان ، وذكرتُه بلساني وقلبي ، وتذكَّرْته ، وأذكرتُه غيري ، وذكَّرتُه بمعنى ، قال الله تعالى : {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}{يوسف : ٤٥} أي : ذكره بعد نسيان)) (٥) وقال ابن الجوزي : ((الذكر يقال على وجهين ، أحدهما : الذكر بالقلب ، والثاني : الذكر باللسان وهو

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١٣/٣-١٥ .

(٢) العين ص ٣٢٠ ..

(٣) تهذيب اللغة ١٢٨٦/٢ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٢١ ، وينظر : الصحاح ص ٣٧٤ ..

(٥) الصحاح ص ٣٧٤ .

في الموضعين حقيقي ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة)) [١] وقال الفيومي : ((يقال : أذكرتُه وذكَّرتُه ما كان فتذكَّر)) [٢] وقال الفيروزآبادي : ((الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان٠٠٠ وكل منها ضربان : ذكر عن نسيان ، وذكر لا عن نسيان ، بل إدامة الحفظ)) [٣] وقال : ((والذكرى : اسم أُقيم مقام التذكير ٠٠٠ والتذكر : ما يتذكر به الشيء)) [٤]

وكتب الوجوه والنظائر نفسها قد استشهدت لهذه الدلالة الموضوعة للفظ (الذكر) بآيات قرآنية ، فقد ذكروا أنَّ من أوجه الذكر : الذكر باللسان كقوله تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ){النساء : ١٠٣} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا){الأحزاب : ٤١} وقوله تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا){البقرة : ٢٠٠} وقوله تعالى : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) {يوسف : ٤٢} وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ){آل عمران : ١٩١} وقوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا){مريم : ٤١} أي : اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم ، وكذلك ما كان على نحوها ، وقوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ){الكهف : ٦٣} وقوله تعالى : (أَوَلا يَذْكُرُ الأنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

---

(١) نزهة الأعين ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) المصباح المنير ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٣) بصائر ذوي التمييز : ٩/٣ ..

(٤) بصائر ذوي التمييز : ١٢/٣ .

شَـيْئًا){مـريم : ٦٧} وقولـه تعـالى : (وَلَـذِكْرُ اللَّـهِ أَكْبَـرُ وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ مَـا تَصْنَعُونَ){العنكبوت : ٤٥} أي : ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد له

وقد جاء الذكر بالقلب ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران : ١٣٥} يعني ذكروه بأنفسهم (١)

وفي تفسير قوله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا){البقرة : ٢٠٠} قال الزجاج : ((كانت العرب إذا قضت مناسكها ، وقفت بين المسجد بمنى ، وبين الجبل ؛ فتعدد فضائل آبائها ، وتذكر محاسن أيامها ؛ فأمرهم الله أن يجعلوا ذلك لله تعالى ، وأن يزيدوا على ذلك الذكر ، فيذكروا الله بتوحيده ، وتعديد نعمه ؛ لأنَّه إذا كانت لآبائهم نِعَمُ ؛ فهي من الله عز وجل ، وهو المشكور عليها)) (٢)

فهذه هي دلالة لفظ (الذكر) أينما وردت في القرآن الكريم ، وما أُلصِق به من دلالات غيرها تحت اسم الوجوه ، فجميعها وجوه مختلقة ما أنزل بها من سلطان ، وفيما يأتي نذكر أشهر هذه الوجوه التي ذكرها أصحاب كتب الوجوه والنظائر للفظ (الذكر) لنقرأها قراءة جديدة ، ومن الله الهدى والسداد .

المحور الثالث : الوجوه المعكوسة للفظ (الذكر)

١-**الوحي** : زعم أصحاب الوجوه والنظائر ، أنَّ لفظ (الذكر) جاء في القرآن الكريم بمعنى الوحي ، مستشهدين على ذلك بقول الله تعالى :

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص ٥٠-٥١ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦١-١٦٤ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٧-٢٢٠ ، ونزهة الأعين ص ١٢٨ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١١٧-١١٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/١ .

(فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا){الصافات : ٣} وقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا){المرسلات : ٥} وقوله تعالى : (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ){ص : ٨} وقوله تعالى : (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ){الحجر : ٦}

قالوا بمجيء لفظ (الذكر) هنا بمعنى الوحي ، ولِمَ لا يكون بمعنى القرآن ؟! أو بمعنى اللوح المحفوظ ؟! ، هذا ما لم يتساءلوا عنه ، فضلًا عن ذكر الجواب ، كأنَّما ما ألصقوه على لفظ (الذكر) دلالات منَزَّلة من السماء لا نقاش فيها .

٢-**التوراة** : وقالوا بمجيئه بمعنى التوراة ، أو الكتب المتقدمة ، كما في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {٤٣} بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)النحل : ٤٣-٤٤} وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ){الأنبياء : ٧}

٣- **القرآن** : وقالوا بمجيئه بمعنى القرآن ، كقول الله تعالى : ((أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ){ص : ٨} وقوله تعالى : (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ){الأنبياء : ٢} وقوله تعالى : (وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ){الأنبياء : ٥٠}

٤- **اللوح المحفوظ** : وقالوا أيضًا بمجيئه بمعنى اللوح المحفوظ أو الكتاب المتقدِّم ، كقول الله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ){الأنبياء : ١٠٥}[1].

([1]) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٥٠ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٣، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٨٦ ، والوجوه والنظائر

والوحي والتوراة والكتب المتقدمة ، والقرآن ، واللوح المحفوظ ، أسماء أو دلالات معانيها متقاربة ، بل تنطبق دلالة بعضها على بعض ، فالوحي في اللغة : ((يدل على إلقاء علم في إخفاء ، أو غيره إلى غيرك ، فالوحي : إشارة ، والوحي : الكتاب والرسالة ، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، حتى علمه فهو وحي كيف كان ، وأوحى الله تعالى ، ووحى)) [١].

فيدخل في معنى الوحي : التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والقرآن ، واللوح المحفوظ ، وكل ما أنزله الله تعالى على الأنبياء والرسل .

والحقيقة أنَّ المراد من أهل الذكر أهل القرآن أيضًا في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ){الأنبياء : ٧} وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {٤٣} بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)النحل : ٤٣-٤٤} أي : العالمين به ، وليس المراد : أهل التوراة ، أو الكتب المتقدمة ؛ لأنَّ القرآن أخبرنا بما احتوته تلك الكتب من أحكام وشرائع ، وكيف كان حال الرسل والأنبياء وأقوامهم ؛ فمن كان عالمًا بالقرآن ، كان عالمًا بذلك كلِّه .

وأصحاب كتب الوجوه والنظائر حين جعلوا لفظ (الذكر) بهذه المعاني ، وغيرها مما تقدَّم ذكره ، لم يشيروا إلى العلاقة بينهما ، ولم أجد أحدًا منهم ذكر السبب أو العلة التي سوَّغت مثلًا مجيء الذكر بمعنى القرآن ، ولم يسألوا أنفسهم : ما الجسر الذي أوصله إلى أن يكون قرآنًا ، وما العلاقة بين الدلالتين؟ ولم يحصل منهم ذلك ، ذلك أنَّهم عاملوا لفظ (الذكر) معاملة اللفظ المشترك ، وهذا هو منهج أصحاب كتب الوجوه والنظائر الذي

للدامغاني ص ٢١٨ ـ٢١٩ ، ونزهة الأعين ص ١٣٠ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص١٢٠، وبصائر ذوي التمييز ١٣/٣،

(١) مقاييس اللغة ص ٩٤٩ـ٩٥٠ .

صرَّحوا به ، أي : عاملوه استنادًا إلى أنَّ دلالة الذكر على القرآن معادلة ومساوية لدلالته على الذكر بالقلب واللسان ، سواء بسواء .

فقد سمَّى الله كتابه بأسماء كثيرة على سبيل الوصف ، بلغت مئة كما أحصاها الفيروزآبادي وقد ساق هذه الأسماء جميعها ، والمراد فيما يبدو من الاسم الصفة ، واستشهد بالآيات التي تضمنت أسماء القرآن التي من بينها ، تسمية القرآن بأنَّه عظيم ، أو عزيز ، أو علي ، أو النور ، أو الهدى ، أو الرحمة ، أو الفرقان ، أو البرهان ، أو الصدق ، أو الذكرى ، أو الذكر ، أو التذكرة ، أو الموعظة ، أو البينة ، أو الوحي ، أو الرسالة ، أو النبأ ، أو القيِّم ، أو الروح ، أو الكلام ، أو الحديث ، أو وصل الله ، أو البلاغ ، أو الصراط المستقيم ، أو العروة الوثقى ، أو الحجة البالغة[(١)]

ومن ذلك وصفه بالمجيد كقوله تعالى : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ){البروج : ٢١} وكثيرًا ما يحذف الموصوف الذي هو القرآن ، ويُكتفى بصفته كقوله تعالى : (قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ){الهف : ٢} أي : قرآنًا قيِّمًا ، وقد يوصف الاسم بالمصدر كقوله تعالى : (فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ){الأعراف : ٣٨} فـ(ضِعْفًا) مصدر وقع صفة للعذاب ، وقد يُحذَف الموصوف ويقوم المصدر الصفة مقامه ، ولا سيما إذا كان الموصوف مشمولاً بالمعنى العام الذي تدل عليه الصفة كقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ){الحجر : ٩} فقد وُصِف القرآن بالذكر وجاز أن تقوم صفة الذكر مقامه ، فالذكر من صفات القرآن ، وليس اسمًا له ؛ إذ ليس للقرآن إلاّ اسم واحد وهو القرآن ؛ والدليل على ذلك وصف غير القرآن به ، فقد وُصِف به اللوح المحفوظ أو الكتب المتقدمة في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ){الأنبياء :

---

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز ص ٨٨-٩٦ .

١٠٥} والدليل على ذلك ذكره مع صفته أو ذكرها مع موصوفها في قوله تعالى : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ){ص : ١}

وصفوة القول أنَّ الله سبحانه وتعالى ، لم يسمِّ الذكر قرآنًا ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، ومن قلَّدهم من المفسرين ، وإنَّما سمَّى القرآن ذكراً ، فقلبوا هذه القضية رأسًا على عقب واختلَّت النتيجة ؛ والمسوغ والسر في ذلك ، أنَّ ما يدل عليه الذكر يتضمنه القرآن ، ففي القرآن الكريم ألفاظ التهليل والتسبيح والتكبير ، وألفاظ الحمد لله ، والشكر له ، والثناء عليه ، وفيه تذكير للإنسان بنعم الله عليه ، وتذكيره بأيام الآخرة ، وبيوم الحساب ، وبالجنة والنار ، وتذكيره بأوامر الله ، ونواهيه ، فالدلالة الموضوعة للفظ (الذكر) تتمثل في كل سورة من سور القرآن الكريم ، بل في كل آية من آياته ، وكذلك يقال الكلام نفسه في الوجوه الأُخَر : الوحي ، واللوح المحفوظ ، والتوراة ، والزبور ، وكل الكتب السماوية المنزلة ؛ لأنَّها جميعًا تمثل ناموسًا واحدًا .

لذلك استحق أن يسمَّى القرآن بالذكر[1]، لأنَّ الغاية الأساسية من نزوله على الناس ، هو تذكيرهم بالله وبدين الحق ، وهذا الحق لا يحتاج إلى شرح وبيان ؛ لأنَّ الله سبحانه ، قد فطر الناس عليه ، فهو لا يحتاج إلى أكثر من تذكيرهم به .

وقد عبَّر عن القرآن هنا بالذكر ، وعبَّر عنه بلفظه في قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا){الإنسان : ٢٣}لأنَّه أريد القرآن بعينه ، بلفظه ومعناه ، وهو بهذه الصفة لم يَنَزَّل إلاَّ على قلب رجل واحد ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لهذا قال هنا(عَلَيْكَ) ولم يقلها في قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فلم يقل (عَلَيْكَ) لأنَّه أراد القرآن بصفة

(١) جاز في اللغة تعدي سمَّى إلى مفعوله الثاني بنفسه أو بالباء .

الذكر الذي فيه ، فهو بهذه الصفة سيكون في قلوب كل المؤمنين والمسلمين في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة ، لذا اقتضى أن يحفظه الله حتى قيام الساعة .

فلو أنّ أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، درسوا العلاقة بين لفظ (الذكر) وبين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة وبينه وبين معنى الوحي واللوح المحفوظ ، دراسة مستقيمة ، ودخلوا البيوت من أبوابها ، لانتهت دراستهم هذه ، إلى إثبات الدلالة الموضوعة للفظ (الذكر) ، التي هي الذكر باللسان والقلب والتذكر والتذكير ، بدلاً من إلغاء هذه الدلالة التي انتهت إليها دراستهم المقلوبة .

٥-**الصلوات الخمس** : وكذلك زعموا مجيء الذكر بمعنى الصلوات الخمس ، كقول الله تعالى : (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ){النور : ٣٧} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ){المنافقون : ٩} وقوله تعالى : (فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٢٣٩}

٦-**صلاة العصر خاصة** : كقوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ){ص : ٣٢}

٧-**صلاة الجمعة** : كقوله تعالى : (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ){الجمعة : ٩}[1].

مما يدل على أنَّ قول أصحاب كتب الوجوه بهذه الوجوه ، كان مبنيًّا كله على الارتجال ، وعلى التقليد ، وليس على دراسة علمية وموضوعية ،

([1]) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٥١ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٤ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٩ ، ونزهة الأعين ص ٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٢١، وبصائر ذوي التمييز ١٤/٣،

هو أنَّ كتبهم هذه ، تكاد تكون الوجوه فيها واحدة ، والشواهد فيها نفسها مكررة .

وما يدل على ذلك أيضًا ادعاؤهم كما تقدَّم بمجيء الذكر بمعنى الصلوات الخمس ، في قوله تعالى : (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ)){النور : ٣٧} ويبدو أنَّهم لم يقرؤوا ، أو ينقلوا الآية كاملة ؛ بل اكتفى كل منهم بتقليد من سبقه ، والنقل عنه ؛ فالآية كما هي : (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ){النور : ٣٧}

فالذكر هنا قطعًا ليس بمعنى الصلوات الخمس ، ذلك أنَّه عطف قوله (وَإِقَامِ الصَّلاةِ) على قوله (ذِكْرِ اللَّهِ) مما يدل على أنَّه أراد من الذكر غير الصلوات الخمس ، لأنّ العطف يقتضي المغايرة ؛ إذ لا يصح عطف الشيء على نفسه ، والدليل على ذلك أيضًا سياق الآية (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) ، فالمراد ذكر الله باللسان في الأسواق ، وقد خُصِّص لهذا النوع من الذكر باب تحت عنوان : الترغيب في ذكر الله تعالى في الأسواق ومواطن الغفلة ، وتحت هذا العنوان ذُكِرتْ أحاديث تبيِّن فضل ذكر الله في هذه المواطن بين الناس ، والناس مشغولون عن تسبيح الله وحمده ، بقضايا التجارة والبيع والشراء منها : ((عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : من دخل السوق ، فقال : لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة رواه الترمذي ، والحديث حسن لغيره . [1]).

([1]) ينظر :: الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ٦١١/٣ .

وأقول هنا ما قلتُه في الوجوه السابقة ، أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل الذكر بمعنى الصلاة ، وإنَّما استعمل الصلاة بمعنى الذكر ؛ لأنَّ الدلالة الموضوعة للذكر تتمثل بكل وضوح في الصلاة ، فالمرء في صلاته ، يتلفظ بألفاظ التكبير ، والتسبيح ، والتهليل ، وفيها يقرأ سورة الفاتحة وآيات من القرآن بعدها ، ففي الصلاة إذن ما في القرآن الكريم من معاني الذكر والتذكر والتذكير ؛ من أجل ذلك سمَّى الله الصلاة بالذكر .

المحور الرابع : الوجوه المختلقة للفظ (الذكر)

١- **البيان** : زعم أصحاب الوجوه والنظائر بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى البيان ، واستشهدوا على ذلك بقول الله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){الأعراف : ٦٣} **أي** : بيان من ربكم على رجل منكم ، وقوله تعالى : (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ){ص : ٤٩} يعني : هذا بيان ، وقوله تعالى : (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين){يوسف : ١٠٤} **أي** : إن هو إلّا بيان ، وقوله تعالى : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ){ص : ١}[1]

من أقوى الأدلة على بطلان قولهم هذا أنَّ الله سبحانه لو أراد من الذكر في هذه الآيات معنى البيان لاستعمل لفظه ، وقد وصف الله قرآنه بالبيان بلفظه ، كما قال تعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١٣٨} ألم تضع لغة العرب ، ولغة القرآن الكريم لفظ (البيان) للتعبير عن معنى البيان ، فلِمَ إذن تستعمل لفظ (الذكر) بدلاً منه للتعبير عن هذا المعنى ؟! لو رأيتَ رجلًا يمسك الأشياء بقدمه ، ويأكل ويكتب بها ، وقد ترك كفَّه السليمة التي خلقها الله للإنسان ؛ ليستخدمها لمثل هذه الأعمال ، ماذا تقول عنه ؟ ، فأصحاب الوجوه والنظائر ، ومن حذا

([1]) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص ٥٠، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٣-١٦٤، ونزهة الأعين ص ١٢٩ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٢١ .

حذوهم من المفسرين ، يكونون في هذا الموضع ، قد اتهموا القرآن من حيث لم يشعروا بأنَّه دخل البيوت من غير أبوابها ، فللفظ (الذكر) دلالته التي يجب أن يُفَسَّر بها الشاهد القرآني ، فقوله تعالى : (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين){يوسف : ١٠٤} تفسيره كما قال الطبري ((يقول تعالى ذكره : ما هذا الذي أرسلك به يا محمد من النبوة والرسالة إلاَّ ذكر وعظة وتذكير للعالمين ، ليتعظوا ويتذكروا به)) [١] وقال الواحدي (((إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين) تذكرة لهم بما هو صلاح لهم ونجاتهم من النار)) [٢] وبهذه الدلالة أيضًا جاء تفسير قوله تعالى : (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ){ص : ٤٩} قال الطبري في تفسير هذه الآية : (((هذا ذكر) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك ، يا محمد ذكر لك ولقومك ، ذكَّرناك وإياهم به)) [٣] وقال الزجاج : ((معناه والله أعلم : هذا شرف وذكر جميل ، يُذكرون به أبدًا ، يُذكرون في الدنيا بالجميل ، ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله)) [٤] وكذلك كان تفسير قوله تعالى : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ){ص : ١} قال الطبري : ((وأولى القولين عندي في الصواب من قال معناه : ذي التذكير لكم)) [٥]

أليس للفظ (الذكر) دلالة ؟ فلِمَ الاختلاف في تفسيره ، والالتجاء إلى الترجيح ؟!

٢-**التوحيد** : وقالوا أيضًا بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى التوحيد ، كقول الله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

([١]) جامع البيان ٩٢/١٣ .

([٢]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦٣٧/٢ ..

([٣]) جامع البيان ٢٠٢/٢٣ .

([٤]) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٤ ، وينظر : الوسيط للواحدي ٥٦٢/٣ .

([٥]) جامع البيان ١٤٠/٢٣ ، وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ١٩١/٤ .

الْقِيَامَةِ أَعْمَى){طه : ١٢٤} وقالوا المعنى : ومن أعرض عن توحيد الله ، وقوله تعالى : (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ){الزخرف : ٣٦} والمعنى عندهم : ومن يعش عن توحيد الله [١].

لم يذكر أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، ما المسوغ الذي حملهم على جعل لفظ (الذكر) في هذه الآيات بمعنى التوحيد ؟ ولو أراد ما ادعوه لقال : ومن أعرض عن توحيدي ، بل قال : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) لأنَّه أراد المعنى الذي ذكره الطبري : ((الذي أُذكِّره به فتولَّى عنه ، ولم يقبله ، فينزجر عما هو عليه ... فإنَّه له معيشة ضنكا)) [٢].

٣- **العظة** : وزعموا أيضًا أنَّ لفظ (الذكر) جاء بمعنى العظة ، كقول الله عز وجل : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ){الانعام : ١٤٤} يعني : ما وُعظوا به ، وقوله تعالى : (أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ){يس : ١٩} وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ){ق : ٤٥} يعني : عظ بالقرآن ، وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ){الغاشية : ٢١} يعني : عظ إنَّما أنت واعظ ، وقوله تعالى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ){الذاريات : ٥٥} وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى){الاعلى : ٩} [٣].

جاء في اللسان : ((التذكُّر : تذكُّر ما أُنسيته ، وذكرتُ الشيءَ بعد النسيان ، وذكْرته بلساني وقلبي ، وتذكَّرَ به ، وأذكَرْتُه غيري وذكَّرتُه

---

(١) ينظر :: الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٢٠ ، ونزهة الأعين ص ١٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١١٩وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٥/٣ .

(٢) جامع البيان ٢٦٢/١٦ .

(٣) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٤٩ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٢ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٨ ، ونزهة الأعين ص ١٢٨-١٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١١٩ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٣/٣ .

بمعنى))[١] فهذا هو معنى التذكُّر والتذكير ، وقال الأزهري : ((والرجل يتعظ : إذا قبل الموعظة حين يُذكَّرُ الخيرَ ونحوه)) [٢] ، فجعل الأزهري دلالة الموعظة بقبول ما يُذكَّرُ به ، بمعنى أنَّ الإنسان إذا ذُكِّرَ فتذكَّر ، يقال له قد تذكَّرَ ، ولا يقال بأنَّه قد اتَّعظ ، إلّا بعد أن يؤثِّرَ فيه التذكير في تغيير سلوكه ، فالعظة والاتعاظ ، يجيئان بعد الذكر والتذكير ، وهذا يدل على أنَّ العظة غير الذكر ، والعلاقة بينهما هي أنَّ من الوسائل التي تجعل الإنسان يتعظ ، تذكيره بما نسيه من أُمور الخير ، وتذكيره بما غفل عنه من العواقب ، وأقول هنا ما قلتُه هناك في معنى البيان : أنَّه لو كانت صيغة التذكير في الآيات المذكورة ونحوها بدلالة العظة أو الوعظ ، فلِمَ إذن لم يستعمل القرآن الكريم لفظ (الوعظ) بدلاً من لفظ (الذكر)؟! فالقول بأنَّ الذكر يعني العظة ، يعني القول بتطابقهما التام في الدلالة في القرآن الكريم ، ولا وجود لمثل هذا التطابق في كتاب الله ؛ لأنَّه لو صح ذلك لتخلّى القرآن الكريم عن استعمال أحد هذين اللفظين ، فاستعمالهما معًا يدل قطعًا على اختلاف معنيهما .

٤- **الحفظ** : وزعموا أيضًا أنَّ لفظ (الذكر) جاء بمعنى الحفظ ، كقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ٦٣} يعني : احفظوا ما في التوراة من الأمر والنهي ، وقوله تعالى : (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ){آل عمران :١٠٣}[٣].

---

(١) ٣٦/٦ .

(٢) تهذيب اللغة : ٣٩١٧/٤ .

(٣) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٤٩ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٢، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٨ ، ونزهة الأعين ص ١٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٢٠ ،

ومن المعلوم أنَّ حفظ ما في كتب الله ، أو حفظ أوامره ونواهيه لا يعني وضعها في صندوق ، أو خزانة ، وإنما المراد حفظها بالقلب ، ولا يتأتى هذا إلّا باستمرار ذكرها باللسان ، أو الحديث عنها بالقلب ، أو تذكرها في الذهن بين حين وآخر ، وقد عُرِّف الحفظ بأنَّه نقيض النسيان [١].

وكذلك حفظ نعم الله ، يكون بذكر المنعِم باستمرار وعدم نسيان فضائله ؛ مما يدفع إلى ترجمة هذا الذكر باللسان إلى عمل ، وهذا هو الغرض من أنَّ الله سبحانه حثنا كثيرًا على أن نذكره ونذكر نعمه علينا ، أي : أنَّ حفظها بالقلب لا يكون إلّا بذكرها وتذكُّرها بين أوان وآخر

٥-**الخبر** : وزعموا أيضًا أنَّ لفظ (الذكر) جاء بدلالة الخبر ، مستشهدين على ذلك بقول الله تعالى : (هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي){الأنبياء ٢٤} والمعنى عندهم : هذا خبر من معي ، وخبر من قبلي ، وقوله تعالى : (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنْ الأَوَّلِينَ){الصافات : ١٦٨} والمعنى : لو أنَّ عندنا خبرًا من الأولين ، وقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا){الكهف : ٨٣} [٢].

والخبر في اللغة : العلم بالشيء [٣]

أُعيد ما قلته : ألم تضع لغة العرب ، ولغة القرآن الكريم لفظ (الخبر) للتعبير عن معنى الخبر؟! ، فلِمَ إذن تستعمل لفظ (الذكر) بدلاً منه للتعبير عن هذا المعنى ؟!

---

(١) ينظر العين للفراهيدي ص ٢٠٠

(٢) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٥٠ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٣، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٨ ، ونزهة الأعين ص ١٢٨ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١١٨-١١٩ ، وبصائر ذوي التمييز ١٤/٣،

(٣) ينظر :: مقاييس اللغة ص ٢٧٨،

السمة الغالبة في القرآن الكريم ، أنَّه إذا قص لنا شيئًا من أخبار السابقين ، فإنَّه لا يقصه لنا ، لمجرد إخبارنا وتزويدنا بمعلومات نجهلها ؛ وإنما يذكر لنا من قصصهم عبرًا لنتعظ بها ونعتبر ؛ ونستفيد من معانيها في تعديل سلوكنا ؛ وزيادة إيماننا ؛ أو التأسي بها ؛ فالقرآن الكريم لا ينقل لنا أخبار السابقين بتفاصيلها ؛ إذ ليس القرآن الكريم كتابًا في التاريخ ؛ بل هو كتاب للتذكير والوعظ والإرشاد ؛ فاختار من هذه القصص ما يحقق هذا الغرض ؛ لذلك عبَّر عنها بلفظ الذكر ، الذي يعني التذكير ، والخبر يعني العلم ، فلكل من الذكر والخبر ، سياقه الذي يلائمه ولا يلائم الآخر ، وأقرب دليل على ذلك ، قوله تعالى في سورة الكهف : (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا {٦٦} قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {٦٧} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا {٦٨})

فهذا هو موضع الخبر وسياقه ، الذي يعني العلم بالشيء والإحاطة به ؛ لأنَّ موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يزوده بالعلم لا بالذكر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ الخضر عليه السلام قام بأعمال منكرة في الظاهر ، يحتاج للصبر عليها إلى العلم بأسرارها ومقاصدها ، لذلك خاطبه (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) وما أريدت هذه الدلالة في قوله تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا){الكهف : ٨٣} وإنَّما أريد ما دلَّ عليه لفظ (الذكر) وفي ذلك قال ابن عاشور : ((والذكر : التذكر والتفكر ، أي : سأتلوا عليكم منه ما به التذكر ، فجعل المتلو نفسه ذكرًا مبالغة بالوصف بالمصدر)) (١)

فالسياق هنا سياق تذكُّر والتذكير بالعبر مما تتضمنه قصة ذي القرنين ، فالفرق بين الذكر والخبر ظاهر ، حتى لو تقاربا في المعنى ،

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٢/١٥،

فالقرآن الكريم يتميز من بين سائر كتب البشر ، أنَّه يُعنى بهذا الفرق المعنوي مهما خفي ودقَّ ؛ فيختار لفظًا من دون لفظ آخر قريب من معناه ؛ لأنَّه أدق وأقرب منه في التعبير عن المعنى المراد الذي يتطلبه المقام ، وبلاغة القرآن الكريم تكمن في هذا الاختيار الذي قد يخفى لدقته على كثير من الباحثين .

فاستعمل لفظ (الذكر) ؛ لأنَّه أراد من ذكر قصة ذي القرنين ، أن يُذَكِّرَ السائلين بما فيها من عبر وعظات .

٦- **الطاعة** : وزعموا أيضًا بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى الطاعة في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ){البقرة : ١٥٢} [١].

قال مقاتل بن سليمان في تفسيره : ((يقول : فاذكروني بالطاعة ، أذكركم بخير)) [٢] هذا قول مقاتل ، وكما تابعه أصحاب الوجوه ، تابعه الطبري والمفسرون من بعده ، وذكروا أنَّ المعنى والتقدير : أطيعوني أثبكم ، أو أطيعوني أغفر لكم [٣]

وهذا تفسير لا يطابق السياق ، وإني لأشم رائحة تأثر الطبري (ت : ٣١٠هـ) والمفسرين من بعده بتفسير مقاتل (ت : ١٥٠هـ) وكذلك تأثرهم بكتب الوجوه والنظائر تأثرًا تتفاوت درجاته ، بين مفسر ومفسر ، وبين لفظ وآخر ؛ وإلاَّ فكيف غفل الطبري ، وأساطين التفسير من ورائه عن حقيقة دلالة الذكر في هذه الآية ، فقد أُريد من لفظ (اذكروني) ولفظ (أذكركم)

---

(١) ينظر :: الوجوه والنظائر ، لهرون بن موسى ص ٤٤٤٨ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦١، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٧ ونزهة الأعين ص ١٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٢٠، وبصائر ذوي التمييز ١٥/٣،

(٢) تفسير مقاتل ٨٧/١

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٦/٢ ، والكشاف ٢٠٤/١ ، والمحرر الوجيز ٢٢٦/١ ، وزاد المسير ١٣٨/١-١٣٩ ، والبحر المحيط ٦٣٤/١-٦٣٥ .

الدلالة الموضوعة لهذا اللفظ ، وفي تفسير الذكر في هذه الآية بمعنى الطاعة مآخذ ، نبيِّنها فيما ياتي :

ا–تبيَّن في المحور الثالث أنَّ معاني الذكر باللسان والقلب ، والتذكر ، والتذكير ، تمثل الدلالة الموضوعة في اللغة للفظ (الذكر) وأنَّ هذه هي دلالته في كل مواضعه في القرآن الكريم ؛ فيكون جعله بمعنى الطاعة ، أو العمل الصالح في هذا الشاهد القرآني تحريفًا لدلالته .

ب–عند جعل لفظ (الذكر) بمعنى الطاعة يجعل المفسر والباحث ، يقف عند هذا الحد من البحث والتفسير ؛ وكأنَّ غاية ما توصل إليه في هذا المجال هو تفسير قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢} بمعنى : أطيعوني أغفر لكم ؛ بينما هناك مجال فسيح ، يمكن أن يجول فيه فكر المفسر ، واللغوي الدلالي ، ليتعرف إلى أسرار هذا الاسلوب من التعبير ؛ من ذلك مثلًا أنَّ المفسر يسأل نفسه : لِمَ حثنا الله على ذكره في الآية في هذا المقام ؟ لِمَ قال ، سبحانه : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢} ولم يقل : فأطيعوني أغفر لكم ؟ فإذا أنعمنا النظر في هذه المسألة ، وصلنا حتمًا إلى أنّ لفظ (اذكروني) أبلغ من لفظ (أطيعوني) وأكثر ملاءمة للسياق وللمعنى المقصود ، إلّا أنَّ أصحاب الوجوه ، والمفسرين لم يطرحوا على أنفسهم مثل هذا التساؤل ؛ لأنَّهم عاملوا لفظ (الذكر) بدلالة الطاعة معاملة اللفظ المشترك ، ولفظ (الذكر) ليس من مشترك الألفاظ .

ج– حين جعلوا الذكر بدلالة الطاعة استنادًا إلى منهج الوجوه والنظائر ، أي : منهج اللفظ المشترك ، صرفهم هذا المنهج عن قضية مهمة تتعلق بتفسير هذه الآية ، ما كان ينبغي للطبري وغيره من المفسرين أن يغفلوا عنها ، وهي أنَّهم لو فسروا لفظ (الذكر) بدلالته الموضوعة التي حددتُها في المحور الثالث ، لتوصلوا بكل يسر ، ومن دون كدٍّ للذهن إلى أنَّ دلالة الطلب في قوله (فَاذْكُرُونِي) ودلالة جوابه (أَذْكُرْكُمْ) واحدة وأنَّها مرادة

لفظًا ومعنىً ، كما أنَّها موافقة لقضية أساسية من قضايا العقيدة الإسلامية ، وهي أنَّ الجزاء يكون من جنس العمل ؛ فجزاء ذِكْرِنا اللهَ ، هو أن يذكُرَنا اللهُ ، وكما قال الله تعالى : (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ){العنكبوت : ٤٥} والمعنى : أنَّ ذكركَ اللهَ الحاصل ، من تلاوة القرآن ، ومن إقامة الصلاة ، جزاؤه أن يذكركَ اللهُ ، وجزاء الله لا يكون من جنس العمل فحسب ، بل أعظم ، وهذا ما صرَّح به الفيرزآبادي كما تقدَّم عند تفسير قوله تعالى : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقال : ((أي : ذكر الله لعبده ، أكبر من ذكر العبد له)) [1]

وهذه قاعدة مطردة ثبتت في الكتاب والسنة ، وفي مجال العقاب والثواب ، كقول الله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً){البقرة : ١٠} وقوله تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٤–١٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ){الأنفال : ٣٠} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ){محمد : ٧}

وفي الحديث النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرَّحِم متعلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله . رواه البخاري .

وروي عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : من نظر إلى مسلم نظرة ، يخيفه فيها بغير حق

([1]) بصائر ذوي التمييز ١٢/٣ ، وينظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي ٤٣/٢ .

، أخافه الله يوم القيامة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صلى علي صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشرًا . رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن حِبَّان في صحيحه .

ويجب علينا أن نؤمن بأنَّ معنى قوله تعالى : (أَذْكُرْكُمْ) هو : أذكركم ، ومن ادعى أنَّ المعنى : أثبكم ، أو أغفر لكم ، فقد أوَّل ، وصفات الله لا يصح أن تُؤَوَّلَ ، بل نؤمن بها كما جاءت ، هذه هي عقيدة السلف الصالح ، وعقيدة أهل التوحيد .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ المستهزئين بالناس يُفْتَحُ لأحدهم بابٌ من الجنة ، فيقال له : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيجيء بكربه وغمِّه ، فإذا جاءه أُغلِق دونه ، فما يزال كذلك ، حتى إنَّ أحدهم لَيُفْتَحُ له الباب من أبواب الجنة ، فيقال له : هَلُمَّ ، فما يأتيه من الإياس ، أي : أنَّ الله يستهزئ بهم يوم القيامة ، كما كانوا يستهزئون بالناس في الدنيا .

فالعقاب والثواب يكونان من جنس العمل والقول ؛ فإذا ذَكَرْنا اللهَ ، ذكَرَنا اللهُ ، كما قال تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢}

والجدير بالذكر أنَّ المفسرين ، قد استشهدوا لتفسير قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢} بنص الحديث الآتي : فقد قال الواحدي ((((فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢} يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذَكَرَني في نفسه ، ذَكَرْتُه في نفسي ، وإن ذَكَرَني في ملأٍ ذَكَرْتُه في ملأٍ خير منهم)) [1] وكذلك استشهد ابن عطية

([1]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٣٥/١ ، والحديث حديث قدسي ، رواه البخاري ومسلم .

الأندلسي ، وأبو حيان الأندلسي بنص هذا الحديث القدسي ؛ ليفسرا به دلالة قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢}[١]

وقد فسَّر أبو حيان هذا الشاهد القرآني نفسه بقوله : ((وقال عكرمة : يقول الله تعالى (يعني في الحديث القدسي) : يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الصبح ساعة ، وبعد صلاة العصر ساعة ، وأنا أكفيك ما بينهما ... وقد جاء هذا المعنى في الحديث الطويل ، في قوله ، صلى الله عليه وسلم : إنَّ لله ملائكة ، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، وفيه ما يقول عبادي ؟ قالوا : يسبحونك، ويحمدونك ، ويمجدونك)) [٢]

ومن المؤكد أنَّ المقصود بالذكر بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر ، الذكر باللسان ؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الصلاة بعد الصبح والعصر ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس . رواه البخاري ومسلم ، وفي حديث آخر : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس . رواه أيضًا البخاري ومسلم .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد فسَّر الذكر في قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ){البقرة : ١٥٢} بمعنى الذكر باللسان ، يبطل عندئذٍ كل تفسير غيره يصدر من سواه ، من أي وجوهيٍّ كان ، ومن أي مفسر كان .

٧-**الشرف** : في تفسير قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ){الزخرف :٤٤} قال مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠هـ :

([١]) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٢٦/١ ، والبحر المحيط ٦٣٤/١-٦٣٥ .

([٢]) البحر المحيط ٦٣٤/١-٦٣٥ .

((يقول : القرآن شرف لك ، ولقومك ، ولمن آمن منهم))(١) وقلَّده أصحاب الوجوه ، فزعموا مثله بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى الشرف ، مستشهدين على ذلك بقول الله تعالى : (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ){المؤمنون : ٧١} يعني بشرفهم ، وقوله تعالى : (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ){الأنبياء : ١٠} يعني شرفكم ، وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ){الزخرف : ٤٤} والتقدير : وإنَّه لشرف لك ولقومك (٢).

وكذلك ذهب المفسرون إلى ما ذهب إليه مقاتل وأصحاب الوجوه والنظائر ، واتفقوا مثلهم على جعل الشاهد الأخير بتقدير : ((وإنَّه لشرف لك ولقومك)) (٣).

إنَّه التقليد ؛ وإلاَّ فكيف تسنى لأساطين اللغة والتفسير بدءًا بالفراء والطبري ، وانتهاءً بالآلوسي وابن عاشور أن يتفقوا على مجيء الذكر هنا بدلالة الشرف ؛ مع أنَّ دلالة الذكر الموضوعة لهذا اللفظ واضحة جلية فيه ؟! ، وشيوع ما لا يصح القول به ناجم من أنَّ اللاحق ينقل ما قاله السابق ، من دون أن يمعن النظر فيما ينقل عن سلفه ، ولعل عظم ثقة الخلف بالسلف ، كان السبب في شيوع مثل هذه الأقوال الارتجالية .

---

(١) تفسير مقاتل ١٩١/٣.

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لابن موسى ص ٤٩-٥٠ ، وللعسكري ص ١٦٣ ، وللدامغاني ص ٢١٨ ، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٨٦ ، ونزهة الأعين ص ١٢٩ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٢٠ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤٣/٢ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٤/٣

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء ٣٢٧/٢ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٤ ، ٢٩٩ ، ٣٩٨ ، وجامع البيان للطبري ٩١/٢٥ ، والكشاف للزمخشري٢٤٨/٤ ، والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٥٧/٥ ، وزاد المسير لابن الجوزي ١٣٨/٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧/٨، وروح المعاني للآلوسي ٨٤/١٣ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦١/٢٥ .

ففي جعل لفظ (الذكر) بدلالة الشرف في قوله تعالى مثلًا (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ){الزخرف : ٤٤} خلل كبير ومآخذ ، أبيُّنها فيما يأتي :

١–تقدَّم في المحور الثالث أنَّ للفظ (الذكر) دلالة معروفة ، وهي الدلالة الموضوعة لهذا اللفظ ، بيَّنها اللغويون وأصحاب الوجوه والنظائر أنفسهم ؛ لذا ليست ثمة حاجة أو داع ، أو أي مسوغ كان لجعله بدلالة الشرف .

٢–جعل لفظ (الذكر) بدلالة الشرف ، يعني تحويله من دلالة مستقرة ، يتفق عليها أهل اللغة ، إلى دلالة غير مستقرة في الأذهان ، تضيع بين المترادفات ؛ لأنَّه إذا قالوا : إنَّه بدلالة الشرف ، والتقدير : وإنَّه لشرف لك ولقومك ، يمكن أن يقال بالقدر نفسه : إنَّه بدلالة الكرم والتقدير : وإنَّه لكرم لك ولقومك ، أو بدلالة المجد والتقدير : وإنَّه لمجد لك ولقومك ، أو بدلالة الحسب والتقدير : وإنَّه لحسب لك ولقومك ، أو بدلالة العلو والتقدير : وإنَّه لعلو لك ولقومك ، أو بدلالة الفخر والتقدير : وإنَّه لفخر لك ولقومك ، أو بدلالة المأثرة والمنقبة والتقدير : وإنَّه لمأثرة ومنقبة لك ولقومك ، فإذا جاز جعل لفظ (الذكر) هنا بدلالة الشرف ، جاز جعلها أيضًا بإحدى هذه الدلالات ؛ وعندها تضيع الدلالة الحقيقية والأصلية .

٣–إنَّ المفسرين وأصحاب الوجوه والنظائر حين ادعوا أنَّ لفظ (الذكر) بمعنى الشرف ، يعني أنَّهم جعلوا أنفسهم بمثابة المُقَوِّم اللغوي لكتاب الله العزيز ، ويعنى أنَّهم جعلوا تقديرهم : وإنَّه لشرف لك ولقومك ، أبلغ وأسمى مما جاء به تعبير القرآن الكريم .

٤– جعل لفظ (الذكر) بدلالة الشرف يثير تساؤلات كثيرة لا جواب لها منها :

ا–لماذا عيَّن أصحاب الوجوه والنظائر والمفسرون للفظ (الذكر) هذه الدلالة من دون الدلالات الأخرى المرادفة والقريبة من معناها ؟!

ب–إذا كان لفظ (الذكر) هنا بدلالة الشرف ؛ فَلِمَ إذن قال سبحانه (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) ولم يقل : وإنَّه لشرف لك ولقومك ؟!

ت–إذا كان لفظ (الذكر) في الآية بدلالة الشرف ، فهل هذا يعني أنَّهما مترادفان مئة في المئة ؟ فإذا كان الأمر كذلك ، فلِمَ إذن استعمل القرآن الكريم لفظ (الذكر) من دون لفظ (الشرف)؟ وإذا كان بينهما فرق ، فما هذا الفرق؟ وما الفرق بين معنى الآية وبين معنى التقدير؟!

ومما يدل على أنَّ لفظ (الذكر) في الآية ما أُريد أن يكون بدلالة الشرف ، هو أنَّ الوجوه والنظائر في كتب الوجوه ، قائمة على أساس اللفظ المشترك ، وألفاظ المشترك محددة ومعروفة في اللغة ، ولفظ (الذكر) ليس من بينها .

ومما يدل على ذلك أيضًا ، أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (الشرف) بأية صيغة من صيغه ، أي : لا وجود لهذا الجذر ولا لمشتقاته في كتاب الله ؛ مما يدل قطعًا على أنَّ هذه الدلالة لا تلائم تعابير القرآن الكريم ، ولا مضامينه ؛ ففي إقحام هذه الدلالة بلفظ (الذكر) في القرآن الكريم ، يعني إقحام دلالة غريبة على كتاب الله ، قد هجرها وما أرادها أن تكون في أيَّة آية من آياته ، فكأنّ القرآن قد تنزه ، أو استغنى عن هذه الدلالة ولفظها ، لحكمة ما ؛ من أجل ذلك فإني أعدُّ زعمهم بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى الشرف تحديًا لإرادة الله ، والادعاء بوجود دلالة فيه ، لم يكن القرآن الكريم راضيًا بأن تكون فيه .

وإني لأعجب أشدَّ العجب حين يتخلون عن معنى الذكر ويبحثون له عن معانٍ يختلسونها من ألفاظ أُخَر ؛ ليلبسوه واحدًا منها ، أليس للذكر دلالة ؟! أليست هي الذكر باللسان ؟! وهي دلالة أصلية وحقيقية ، لا يمكن التخلي

عنها ، بأي حال من الأحوال ؛ إذ تمثل روحه وجوهره ؛ ولهذا نجد ابن قتيبة الذي زعم ما زعمه أصحاب الوجوه والنظائر ، سوَّغ جعل لفظ (الذكر) بمعنى الشرف في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ){الزخرف : ٤٤} استنادًا إلى معنى الذكر باللسان ، فقال : ((ومن الذكر يوضع موضع الشرف ؛ لأنَّ الشريف يُذكَر ، قال الله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ){ازخرف : ٤٤} يريد أنَّ القرآن شرف لك)) [١].

وهذا مسوغ تافه ؛ فكما أنَّ الشريف يُذكر ، فكذلك الكريم يُذكر ، والماجد يُذكر ، والشجاع يُذكر ، والصادق يُذكر ، والعادل يُذكر ، وكل من اتصف بصفة حميدة يُذكر ، ولِمَ نقول بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى الشرف ، من أجل أن نثبت له الذكر الحسن ، يا سبحان الله ، ما الداعي إلى أن نذهب إلى المعنى الأبعد ، لنثبت به المعنى الأقرب؟!

والطبري نفسه ، وإن فسَّر الذكر في الآية المذكورة بمعنى الشرف ، إلّا أنَّه نقل عن مجاهد تفسيرها بمعنى الذكر باللسان ، وهو قوله : ((فيقول للرجل ، من أنت ؟ فيقول من العرب ، فيقال : من أيِّ العرب ؟ فيقول : من قريش)) [٢] يعني أنَّ العربي بعد نزول القرآن يفخر بأن يُعلن عن نسبه العربي والقريشي، إذا سُئل عن ذلك ، وبمعنى الذكر نقل تفسيرها عن آخرين ، فقال : ((حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمك){الزخرف : ٤٤} قال : أو لم تكن النبوة ، والقرآن الذي أُنزل على نبيه ، صلى الله عليه وسلم ذكرًا له ولقومه)) [٣] والمعنى : أنَّه لولا هذا القرآن ، لما كان الناس يُعنون بذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بذكر قومه ، فقد كانوا قبل ذلك منسيين أدهرًا طويلة .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٩٥ ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٣٨/٧ .

(٢) جامع البيان ٩١/٢٥ .

(٣) جامع البيان ٩١/٢٥ .

والحق الذي لا حق بعده إلّا الزيغ والضلال ، أنَّ الله سبحانه ، ما أراد أن يكون الذكر بمعنى الشرف ؛ لأنَّه لو أراده ، لعبَّر عنه بلفظه وقال : وإنَّه لشرف لك ولقومك ؛ ولأنَّه أراد ذكر الناس باللسان محمدًا وقومه ، بالذكر الحسن الجميل ، جيلاً بعد جيل ، قال ، تعالى ذكره : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمك){الزخرف : ٤٤}

ويبدو أنَّ المفسرين أنفسهم ، وإن قالوا بمجيء الذكر بمعنى الشرف ، تأثرًا بكتب الوجوه والنظائر ، إلّا أنَّهم لم يكونوا مقتنعين بها ، فهذا هو أبو حيان الاندلسي الذي تابع أصحاب الوجوه والنظائر ، وقال مثلهم بمجيء لفظ (الذكر) بمعنى الشرف في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمك) حتى جعلها بتقدير : وإنَّه لشرف لك ولقومك [1] فإنَّه أكّد أنَّ المراد من الآية الثناء الحسن الجميل ، وما أحسن الكلام الذي نقله ، فقد قال : ((قال الحسن : القوم هنا أمَّته ، والمعنى : وإنَّه لتذكرة وموعظة ، وهذه الآية تدل على أن يرغب في الثناء الحسن الجميل ؛ ولو لم يكن ذلك مرغوبًا فيه ، ما امتنَّ به تعالى على رسوله ، فقال : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمك) وقال إبراهيم عليه السلام : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأخِرِينَ){الشغراء : ٨٤} والذكر الجميل قائم مقام الحياة ، بل هو أفضل من الحياة ؛ لأنَّ أمر الحياة لا يحصل إلّا في الحي ، وأمر الذكر يحصل في كل مكان وفي كل زمان ، وقال ابن دريد :

وإنَّما المراد حديثٌ بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعا

وقال الآخر :

إنَّما الدنيا محاسنها طِيبُ ما يبقى من الخبر

وذكر أنَّ هلاون ، ملك التتر سأل أصحابه : من الملك ؟ فقالوا : أنت الذي دوَّخت البلاد ، وملكتَ الأرض ، وطاعت لكَ الملوك ، فقال : لا

([1]) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧/٨ .

، الملك هذا ، وكان المؤذن إذ ذاك يؤذِّن ، هذا الذي له أريد ، من ستمئة سنة ، قد مات ، وهو يُذكر على المآذن في كل يوم خمس مرات ، يريد محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [١]

فهذه هي دلالة الذكر في الآية ، وليس كما زعم الزاعمون .

تبيّن مما مرَّ تفصيله فساد المنهج الذي قامت على أساسه كتب الوجوه والنظائر ، ومن المفيد أن نعلم أنَّ ما يقابل هذه الكتب ، كتب متشابه القرآن ، وكتب متشابه القرآن ككتاب : البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ، ودرة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الإسكافي ، وملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لابن الزبير الغرناطي ، والدراسات الدلالية الحديثة القائمة على منهجها ، كتب تبني ؛ لأنَّها تُظهر بلاغة القرآن وتكشف عن سر إعجازه من خلال ذكر أدق الفروق الدلالية بين الالفاظ ، والتراكيب المتشابهة التي تبدو واحدة في معانيها ، أما كتب الوجوه والنظائر ، والدراسات الدلالية الحديثة القائمة على منهجها ، فهي على العكس من ذلك ، فإنّها كتب تهدم ما تبنيه تلك الكتب والدراسات ؛ فلكونها قائمة على منهج اللفظ المشترك ؛ لا تتطرق إلى ذكر الفروق الدلالية بين الالفاظ المترادفة ، بل تدعي أنّ جميعها بمعنى واحد ؛ فهي بهذا المنهج تُعَطِّل البحث عن بلاغة القرآن ، والكشف عن سر إعجازه .

الوجوه والنظائر في كتب الوجوه والنظائر

إنَّ ما كتبتُه في هذه الدراسة النموذجية عن لفظ (الذكر) في كتب الوجوه والنظائر ، ينطبق على كل لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها هذه الكتب ، فلكل لفظ منها دلالته التي وضعتْها له لغة العرب ولغة القرآن الكريم

([١]) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧/٨ ـ٢٨.

، وهذه الدلالة تمثل وجهه الحقيقي ، وما عداها من وجوه ، فجميعها وجوه دخيلة .

وأول من صنف في هذا الموضوع ممن وصلت إلينا مصنفاتهم في هذا الباب كما تقدم مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠هـ ، الذي يُعد أول من طلع علينا بهذه البدعة في كتابه المشهور : الأشباه والنظائر ، الذي اشتمل على ١٨٥ لفظًا ، بتحقيق شحاتة ، وعلى ١٨٦ لفظًا كما جاء باسم : الوجوه والنظائر ، بتحقيق المزيدي ، وحصلت هذه الزيادة في لفظ الرُّوح (بضم) الراء ورَوح (بفتح الراء) وقد جُعِل هذان اللفظان معًا تحت رقم٤٩ بتحقيق الأول ، بينما فصل بينهما الثاني ، فجعل الرُوح (بالضم) برقم٤٩ والرَوح (بالفتح) برقم ٥٠ واستمرَّ هذا الفرق بزيادة رقم واحد حتى اللفظ الأخير ، وقد جعل مقاتل لكل لفظ منها وجهين فأكثر ، وسأتطرق إلى هذه الألفاظ جميعها مع وجوهها ، وأضيف إليها ما أضافه هرون ، وسأذكرها وأرتبها كما ذكرها ورتبها المصنف ، لكن بقراءة جديدة ، وأوجز الكلام في وجوه الألفاظ التي اتضح اختلاقها ، ولا تحتاج إلى بيان ، ولا سيما إذا كانت على غرار وجوه الألفاظ التي تقدمتها ، وأبسط الشرح فيما أراه يحتاج إلى تعليق وتعقيب ، ومن الله العون والهدى والسداد .

١-**الهدى** : قال مقاتل : ((تفسير الهدى على سبعة عشر وجهًا ، فوجه منها الهدى : يعني البيان فذلك قوله عز وجل : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ){البقرة : ٤} يعني بيان ، تصديق ذلك في حم السجدة (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى){فصلت : ١٧} يعني وبيَّنا لهم ، وقال في : هل أتى على الإنسان (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا){الإنسان : ٣} يعني بيَّنا له ، كقوله في طه : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأوْلِي النُّهَى){طه : ١٢٨} أفلم يهد يعني ألم يبين لهم ٠٠٠

والوجه الثاني : الهدى يعني دين الإسلام فذلك قوله : (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ){الحج : ٦٧} يعني دين مستقيم ، وهو الإسلام ٠٠٠

والوجه الثالث : هدى : يعني الإيمان ، فذلك قوله : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى){الكهف : ١٣} يعني إيمانًا ٠٠٠

والوجه الرابع : هدى : يعني داعيًا ، فذلك قوله : (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧} يعني داعيًا يدعوهم وكقوله : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} ٠٠٠

والوجه الخامس : هدى : يعني معرفة فذلك قوله : (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٦} يعني يعرفون الطرق٠٠٠

الوجه السادس : هدى : يعني رسلاً وكتبًا ، فذلك قوله : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ){البقرة : ٣٨} يعني رسلاً وكتبًا ٠٠٠

والوجه السابع : هدى : يعني الرشاد فذلك قوله : (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ){القصص : ٢٢} يعني يرشدني ، وكقوله : (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى){طه : ١٠}٠٠٠

والوجه الثامن : هدى يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ){البقرة : ١٥٩}٠٠٠

والوجه التاسع : الهدى : يعني القرآن فذلك قوله : (وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)النجم : ٢٣}٠٠٠

والوجه العاشر : الهدى يعني التوراة فذلك قوله : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ){غافر : ٥٣} يعني التوراة وذلك قوله :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ){السجدة : ٢٣} يعني التوراة٠٠٠

والوجه الحادي عشر : هدى يعني هدى إلى الاسترجاع فذلك قوله : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ){البقرة : ١٥٧} يعني إلى الاسترجاع ، نظيرها : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){التغابن : ١١} ومن يؤمن بالله بالمصيبة أنَّها من الله يهد قلبه إلى الاسترجاع .

والوجه الثاني عشر : لا يهدي : يعني لا يهدي إلى الحجة ، ولا يهدي من الضلالة إلى دينه ، فذلك قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ) إلى قوله : (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ){البقرة : ٢٥٨} إلى الهدى ٠٠٠ أي : إلى الحجة٠٠٠ (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي) يعني من الضلالة إلى دينه٠٠٠

والوجه الثالث عشر : الهدى : يعني التوحيد ، فذلك قوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ){الصف : ٩} يعني بالتوحيد ودين الحق٠٠٠

والوجه الرابع عشر : الهدى : يعني سنة ، فذلك قوله : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ){الزخرف : ٢٢} يعني مستنون بسنتهم في الكفر ، كقوله للنبي : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ){الأنعام : ٩٠} يعني الأنبياء يعني : فبسنتهم في التوحيد اقتده .

والوجه الخامس عشر : لا يهدي ، يعني : لا يصلح ، فذلك قوله : (وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ){يوسف : ٥٢} يعني : لا يصلح عمل الزناة .

والوجه السادس عشر : الهدى : يعني إلهام البهائم ، فذلك قوله : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠}٠٠٠

والوجه السابع عشر : هدنا ، يعني تبنا ، فذلك قوله : (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ){الأعراف : ١٥٦} يعني : تبنا إليك)) [١]

وقد نقل الزركشي هذه الوجوه ، كما رتبها مقاتل وأجملها بقوله : ((فمنه الهدى سبعة عشر حرفًا

١-بمعنى البيان

٢-وبمعنى الدين

٣- وبمعنى الإيمان

٤- وبمعنى الداعي

٥- وبمعنى المعرفة

٦- وبمعنى الرسل والكتب

٧- وبمعنى الرشاد

٨- وبمعنى محمد

٩- وبمعنى القرآن

١٠- وبمعنى التوراة

١١- وبمعنى الاسترجاع

١٢-ا وبمعنى الحجة

١٣- وبمعنى التوحيد

١٤- وبمعنى السنة

١٥- وبمعنى الإصلاح

١٦- وبمعنى الإلهام

([١]) الأشباه والنظائر ص ٨٩ ـ ٩٥، وباسم الوجوه والنظائر ص١١-١٤ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص ٢١-٢٥ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٤٠-٣٤٢ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٥-٤٥٨ ، ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٢٤١-٢٤٤ .

١٧- وبمعنى التوبة)) [١]

وذكر ابن الجوزي في المنتخب أنَّ (الهدى في القرآن على أربعة عشر وجهًا)) من بينها الموت على الإسلام ، والثبات[٢] وذكر في النزهة : ((أنَّ الهدى في القرآن على أربعة وعشرين وجهًا)) من بينها : الاستبصار ، والدليل ، والفضل ، والتقديم ، والثواب ، والأذكار ، والصواب[٣]

هذه الوجوه جميعها وجوه دخيلة ومختلقة ، بل هي جميعها وجه واحد ، قد اختلقها مقاتل ومقلدوه بثلاث طرق رئيسة هي :

الأولى : الترادف :

فالبيان ، والداعي ، والمعرفة ، والرشاد ، والحجة ، والسنة ، والإصلاح ، والإلهام ، والموت على الإسلام ، والثبات ، والاستبصار ، والدليل ، والثواب ، والصواب ، ألفاظ مرادفة للهدى وليست أوجهًا له ، والألفاظ المترادفة يصح أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها من معناه ، لذلك جاز أن تكون معاني للشاهد القرآني نفسه : جاء في البصائر : ((قال تعالى : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ){الفاتحة : ٦} والمعنى : أرشدنا ، وقيل ، أي : قدمنا إليه ، وقيل : ثبتنا عليه ، وقيل : وفِّقنا ، وقيل : ارزقنا ، وكلها أقوال متقاربة)) [٤] وقال ابن قتيبة أنَّ أصل الهدى الرشاد وقال بعد أن عدد أوجه الهدى : ((وبعض هذا قريب من بعض)) [٥] وقال الفيروزابادي : ((قال ابن عطية : الهداية في اللغة : الإرشاد ، لكنها تتصرَّف على وجوه يعبِّر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد ، وكلها إذا

---

(١) البرهان ص ٧٤ .

(٢) ينظر ص٢٤١-٢٤٤.

(٣) ينظر ص ٣٠٦-٣٠٩ .

(٤) ٣١٢/٥ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٨ .

تُؤمِّلت رجعت إلى الإرشاد ، انتهى كلامه ، وهو صحيح٠٠٠والأصل عدم الاشتراك)) [١] وجعل أصل الهدى : الإرشاد يرجع إلى كون الإرشاد أقرب المعاني إليه ؛ لذلك لا يصح أن تُعد المرادفات من الوجوه لأنَّها ليست معاني حقيقية ، لأنَّ الجامع بينها وبين الهدى هو الترادف ، وليس اللفظ المشترك ، إذ ليس الهدى من الألفاظ المشتركة ، ولا أعني بالترادف هو التطابق في المعنى ، فهذا ما لا وجود له في كتاب الله ، فهي ألفاظ مترادفة ، بمعنى أنَّها متقاربة في معانيها ، وليست متطابقة ، وهذا يعنى أنَّ لكل منها معناه الخاص به ، فالبيان مثلًا من ((بان الشيء ، وأبان))[٢]((إذا اتضح وانكشف ، وفلان أبين من فلان ، أي : أوضح كلامًا منه)) [٣] والداعي : هو الذي يُميل الشيءَ إليه بصوت وكلام منه[٤] والمعرفة من ((عرف فلان فلانًا معرفة ٠٠٠ وهذا أمر معروف))[٥]والغي ((خلاف الرشد والجهل بالأمر ، والإنهماك في الباطل))[٦] وعُرِّف الرشد بأنَّه ((نقيض الغي٠٠٠ورشد فلان : فلان : إذا أصاب وجه الأمر والطريق)) [٧]والرشد ((استقامة الطريق)) [٨] ((والحجة وجه الظفر عند الخصومة)) [٩] ((وبها يُقصد الحق المطلوب ، يقال : حاججتُ فلانًا فحججتُه ، أي : غلبته بالحجة وذلك الظفر يكون عند

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٣١٢/٥ ، وينظر : المحرر الوجيز تفسير ابن عطية ٧٢/١ .

(٢) العين ص ٩٧ .

(٣) مقاييس اللغة ص ١٢١ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٩٢ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٥٩ .

(٦) مقاييس اللغة ص ٧٠١ .

(٧) العين ص ٣٥٠ .

(٨) مقاييس اللغة ص ٣٣٧ .

(٩) العين ص ١٧٢ .

الخصومة)) [١] ((والسنة: الطريقة المستقيمة المحمودة)) [٢] ((وهي السيرة ، وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سيرته)) [٣]والإصلاح ضد الإفساد[٤] والتهم الشيء : ابتلعه ((تقول العرب : التهم الشيء : التقمه ، ومن هذا الباب : الإلهام كأنَّه شيء أُلقِيَ في الرُّوع (أي : الروح) فالتهمه)) [٥]

فهذه الوجوه لا تمثل معاني عُبِّر عنها بلفظ واحد ، هو لفظ الهدى ، بل لكل منها لفظه الخاص به والدال عليه ، فمعنى البيان ، لفظه المعبر عنه هو لفظ البيان ، وليس الهدى ، وكذلك معنى الهدى ، لفظه المعبر عنه هو لفظ الهدى ، فأصحاب كتب الوجوه والنظائر ، لمَّا ادعت أنَّ لفظ الهدى جاء بدلالة البيان ، تكون قد ادعت بمجيء الهدى بغير دلالته ، وهي الدلالة المرادة في القرآن الكريم ؛ إذ لو أراد معنى البيان لجاء بلفظ البيان ، وهذا هو حال باقي الوجوه .

وصفوة القول فيما تقدم ذكره أنَّ البيان ، والداعي ، والمعرفة ، والرشاد ، والحجة ، والسنة ، والإصلاح ، والإلهام ، والموت على الإسلام ، والثبات ، والاستبصار ، والدليل ، والتقديم ، والثواب ، والصواب ألفاظ مترادفة فيما بينها ، ومرادفة للهدى ، لا تصح أن تكون أوجهًا له ؛ لأنَّها ليست معاني متباينة ، بل يجمعها معنى عام واحد ، وقد اختلقها أصحاب كتب الوجوه للهدى لجواز أن تقع موقعه لتقارب معانيها من معناه ، وهي وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٧.

(٢) تهذيب اللغة ١٢٧٦/٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٠١

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٩١.

(٥) مقاييس اللغة ص ٨٢٢ .

المعاني المقصودة في كتاب الله عز وجل ؛ لذا فإنَّ جعلها أوجهًا للهدى يُعدُّ تحريفًا لدلالته الذي لا يقل خطرًا عن تحريف لفظه .

الثانية : الدراسة المعكوسة :

فقد جعلوا الهدى بمعنى دين الإسلام ، كما جاء في الوجه الثاني في قوله تعالى : (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ){الحج : ٦٧} فإنَّه لو صح ذلك لما أراد الإسلام بمعناه اللغوي ، ولا بمعناه الاصطلاحي ، وإنما أراد دلالة الهدى التي تتمثل فيه ؛ إذ الإسلام يُعد الطريق الذي يوصل سالكيه إلى ما يبتغون ، من أجل ذلك وصف الله دينه بالهدى ، وألصق عليه هذه التسمية ، وكذلك ما قيل في الوجه التاسع ، وهو جعل الهدى من معانيه القرآن ، والعكس هو الصحيح ، وهو أنَّ القرآن من معانيه الهدى ، إذ قد سماه الله ، سبحانه ، بالهدى ، ووصفه بذلك في عدة مواضع ، منها قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم){الإسراء : ٩} وقوله تعالى : (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ){الأحقاف : ٣٠} وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ){الصف : ٩} وهذا شأن كل رسله الذين أرسلهم ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وسنته ، والتوحيد الذي دعوا إليه ، وكل كتبه التي أنزلها ، كالتوراة فقد وصفها بما وصف به القرآن ، قال تعالى : (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ){الإسراء : ٢}

ومع ذلك ، فلو صح ما زعمه أصحاب كتب الوجوه أنَّ هذه الأوجه الستة : الإسلام ، والرسل والكتب ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ، والتوراة ، والتوحيد ، عبَّر عنها القرآن الكريم بالهدى ، فهي أوجه قد اختلقوهاعن طريق دراستهم إياها دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ الهدى بهذا الأوجه المذكورة ، كما فعلوا ، بل سمَّى كلًّا منها بالهدى ؛ لأنَّ

كلًّا منها تتمثل فيه هذه الدلالة ، فهي جميعًا وجه واحد ، أي : لو صحت هذه الأوجه المختلقة ، فهي أوجه محذوفة ، وقع الهدى صفة لها ، وكثيرًا ما يُحذَف الموصوف في اللغة وتقوم الصفة مقامه ، والحقيقة أنَّه قد أريد من الهدى الهدى بعينه وجعله بالمعاني المذكورة يعدُّ تحريفًا لدلالته من معناه العام المراد إلى معان خاصة غير مرادة .

الثالثة : ذكر ما أفاد من الأوجه المخالفة للمعنى المراد :

طريقة الترادف والدراسة المعكوسة هما الشائعتان لاختلاق الوجوه ، وهناك طرق أخرى خاصة وخفية ، تدخل في باب : ذكر ما أفاد وإن خالف المعنى المراد ، والحقيقة أنَّ طريقة الترادف نفسها تدخل بصفة عامة ضمن هذا الباب ، من ذلك مثلًا أنَّ من الوجوه السابقة التي اختلقوها للهدى : التقديم ، والأذكار ، والفضل ، فقد استشهد ابن الجوزي للأول بقوله تعالى : (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ){الصافات : ٢٣}[١] لم يقل : فقدموهم إلى الجحيم ، بل قال : (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) تهكمًا بالكافرين وبمصيرهم ، فمعنى التقديم في هذا التركيب مفيد ، لكنه ليس هو المعنى المقصود ، كما أنَّ جعل الهدى هنا بمعنى التقديم ألغى قصد التهكم الذي يعد بلا شك من أسلوب القرآن الكريم البلاغي ، وهو إضافة معان مقصودة إلى المعنى الأصلي .

واستشهد للثاني بقوله تعالى : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى){الضحى : ٧} ((أي : ناسيًا فذكرك))[٢] فالله سبحانه ذكر الهدى ليقابل به الضلال ، فلمَّا أراد ابن الجوزي أن يختلق وجه الذكر حرَّف الضلال إلى النسيان ؛ لأنَّ النسيان يقابله الذكر ، واستشهد للفضل بقوله تعالى : (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) نزهة الأعين ص ٣٠٩ .

(٢) نزهة الأعين ص ٣٠٩ .

هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً){النساء : ٥١} ((أي : أفضل))[١] وهذا الوجه ، لم يأت من معنى الهدى بل من معنى الصيغة ، لأنَّ (أَهْدَى) على وزن أفعل ، أي : على صيغة اسم التفضيل ، فقد اتخذ من معنى الصيغة التي جاء عليها اللفظ وجهًا للفظ .

تعريف الهدى لغة واصطلاحًا :

الذي أريد أن أنوه به في هذا المقام أنَّ أصحاب الوجوه قد سلبوا من لفظ الهدى دلالته التي وضعتها له لغة العرب وجرت على لسانهم فتركوه سائبًا كاليتيم ، بل جعلوه كالذي فقد أصله ونسبه ؛ لذلك راحوا ينسبون إليه أية دلالة كانت جاز أن يحتملها السياق على وجه العموم ، وتركوا التحري عن دلالته الحقيقية على وجه الدقة والتحديد ، والتعرف إلى هذه الدلالة بين أيديهم ، وهو الرجوع إلى أمات المعاجم اللغوية ؛ لنجعل هذه الدلالة من الثوابت الأساسية التي نرتكز عليها لمعرفة أسرار التعبير القرآني من استعمال لفظ الهدى من دون سواه .

وأصحاب كتب الوجوه لم يتطرقوا إلى المعنى اللغوي للفظ الهدى ؛ لأنَّهم عدوه ووجوهه تمثل جميعها معاني حقيقية ، وأصلية ؛ إذ عاملوه معاملة اللفظ المشترك ، والهدى ليس من الألفاظ المشتركة ؛ بل له دلالته الخاصة به ؛ لذا اقتضى معرفة دلالته اللغوية ؛ لنعرف علاقة هذه الوجوه بدلالة هذا اللفظ ، قال الخليل : ((الهدى : نقيض الضلالة٠٠٠والهادي من كل شيء أوله ، أقبلت هوادي الخيل ، أي : أعناقها ، وقد هدت تهدي ؛ لأنَّها أول شيء من أجسادها ، وقد تكون الهوادي أول رعيل يطلع منها ، لأنَّها المتقدمة ، وسميتْ العصا هاديًا ؛ لأنَّ الرجل يمسكها فهي تهديه تتقدمه ، والدليل يُسمى هاديًا لتقدمه القوم بهدايته ، والهادي العنق والرأس

---

(١) نزهة الأعين ص ٣٠٨ .

٠٠٠والهادي والهادية كل ثور ، أو بقرة تهدي العانة ، أي : تتقدم يعني : تهدي الصَّوار ، وغرة كل شجرة هاديتها ، حتى النصل هادي الريش)) (١)

فكل ما تقدمك لتتخذه هاديًا إلى ما تصبو إليه يُسمى هاديًا أو هدى ؛ ولذلك جعل الله النار هدى بمعنى ((الهادي في قوله عز وجل : {إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}{طه . ١٠} أي : هاديًا ٠٠٠ والطريق يسمى هدى)) (٢)

ولذلك أيضًا جعل الهادي من يُعتَمد عليه للوصول إلى ما يريده ((وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه خرج في مرضه يُهادى بين اثنين ، قال أبو عبيد : معناه أنَّه كان يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله ، وكذلك كل من يفعل ذلك بأحد فهو يهاديه)) (٣) ((وهداه ، أي : تقدمه)) (٤) وقال الراغب : ((الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وهوادي الوحش ، أي : متقدماتها الهادية لغيرها)) (٥)

فهذه هي دلالة الهدى والهادي ، وهذا ما بيَّنه ابن فارس بقوله : ((الهاء والدال والحرف المعتل ، أصلان : أحدهما التقدم للإرشاد ، والآخر بعثة لطف ، فالأول قولهم : هديته الطريق هداية ، أي : تقدمته لأرشده ، وكل متقدم لذلك هاد٠٠٠ والأصل الآخر : الهدية ، ما أهديت من لطف إلى ذي مودة)) (٦) وجاء في كتاب الكليات للكفوي : ((الهداية عند أهل الحق : الدلالة على طريق من شأنه الإيصال ، سواء حصل الوصول بالفعل في

---

(١) العين ص ١٠٠٨ .

(٢) تهذيب اللغة ص ٣٧٣٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٧٣٨-٣٧٣٩ .

(٤) الصحاح ص ١٠٩٣ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣.

(٦) مقاييس اللغة ص ٩٣٣.

وقت الاهتداء ، أو لم يحصل ، وعند صاحب الكشاف لا بد من الإيصال البتة ... وقد أجاب الفخر الرازي بأنَّ الهداية لا تقابل إلّا الضلال الذي هو ترك الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب)) (١)

فالهادي إذن هو الذي يوصل المقتدي به إلى الأمر المنشود ، لتتحقق المعاني اللازمة له كالبيان والدعوة والإرشاد بالقول والعمل ، وبالإمامة والاقتداء ، وكذلك الهدى هو الطريق الذي يوصل سالكيه إلى أسمى الغايات المنشودة ، والمهتدي هو الذي يطلب الهدى ويتحراه ، أو هو الذي يقتدي بالهادي ، أو ما يقوم مقامه ، يقول الفيروزآبادي : ((ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم ، نحو قوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤} تنبيهًا أنَّهم لا يعلمون بأنفسهم ، ولا يقتدون بعالم ، وقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ){النمل : ٩٢} فالاهتداء هنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ، ومن الاقتداء ومن تحريها)) (٢)

أي : أن دلالة لفظ الهدى تتوافر فيها ثلاثة عناصر أساسية ، لا تتوافر في أي وجه كان من الوجوه المذكورة التي نسبها الوجوهيون إلى لفظ الهدى ، وهي : الإمامة والاقتداء والإيصال ، ولا يتم الإيصال إلّا بتوفيق من الله ، وبإذنه كما قال جل ذكره : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ){يونس : ١٠٠}

ولما كان عمل المقتدى والمقتدي لا فائدة منه ، ولا أثر له إلّا بالإيصال ، ولما كان الإيصال لا يتم إلّا بتوفيق من عند الله ؛ فقد نفاه الله سبحانه عن كل إنسان كائنًا من كان ، حتى نفاه عن محمد صلى الله عليه وسلَّم سيد بني آدم ، وسيد الرسل والأنبياء ، وخير خلقه ، وذلك في قوله

---

(١) ص ٨٠٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣١٨/٥.

تعالى : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){القصص : ٥٦} لذلك نسب الله الهدى إليه ، إلّا أنَّ الله سبحانه من أجل الاختبار ، ولجعل الجزاء مترتبًا عليه جعل هداه للناس متعلقًا بعمل المقتدى والمقتدي ؛ فإذا أريد في مواضع مراعاة عمل المقتدى ، نسب الله الهدى إليه ، فقد نسبه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} كما نسبه إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا){مريم : ٤٣} كما نسبه إلى الصالحين : (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٣٨} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧}

وإذا أريد مراعاة المقتدي نسب الهدى إليه ، كقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ){النمل : ٩٢}

وهدى الله للإنسان جاء في القرآن الكريم على ثلاث مراحل جميعها لا تخرج عن دلالة الهدى كما تقدم تعريفها لغة واصطلاحًا :

الأولى : وهو ما سُمِّي بالإلهام ، كما قال الله تعالى : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠} وقد استشهد مقاتل وأصحاب الوجوه بهذه الآية في الوجه السادس عشر ، على مجيء الهدى بمعنى إلهام البهائم ، والحق أنَّه هدى مشمول به الإنسان والحيوان على حد سواء ، فقد هداهم جميعًا كيف يعيشون وكيف يتناسلون .

الثانية : الهدى المقصود في قوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا){الإنسان : ٢-٣}

قال الفراء : ((عرفناه السبيل ، شكر أو كفر))[1]((وعن مجاهد... الشقاوة والسعادة ... وعن ابن زيد ، قال : ننظر ، أي شيء يصنع ، أي الطريقين يسلك ، وأي الأمرين يأخذ ، قال : وهذا الاختبار))[2] وقال الزجاج : ((وهديناه الطريق ، إمَّا لشقوة ، وإمَّا لسعادة))[3]

وفي قوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {٩} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ){البلد : ٨-١٠} والراجح من المراد من النجدين في كتب التفسير سبيلا الخير والشر [4]

وفي قوله تعالى : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ){ص : ١٧} وهذا هو هدى الله الثاني للإنسان والأمم في هذه الشواهد القرآنية الثلاثة ، وهو هدايتهم كيف يعرفون الخير ، وكيف يعرفون الشر ، وكيف يميزون بينهما ، ويكون ذلك بالفطرة ، والإلهام ، وبعث الرسل ، وهو ما خص به الإنسان من دون البهائم ؛ لأنَّه هو المكلَّف بطاعة الله من دونها .

وفي هذه المرحلة يمنح الله الإنسان والأمم حرية الاختيار ؛ من أجل اختبارهم ، فإذا اختاروا سبيل الخير وتحروه واجتهدوا في طلبه ؛ جزاهم الله على ذلك بأن يقذف في قلوبهم حب الخير ، والميل إلى ما يجب فعله ، وكره الشر وترك ما يجب تركه ، وهذا ما سُمِّي بالتوفيق الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل الهدى ، واستشهد له الراغب بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ){محمد : ١٧} وقوله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){التغابن : ١١}

---

(1) معاني القرآن ١٠٥/٣ ، وينظر : جامع البيان ٢٤٤،٢٤٥/٢٩.

(2) جامع البيان ٢٤٥/٢٩

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٣.

(4) ينظر : معاني القرآن للفراء ١٥٤/٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٩٠ ، وجامع البيان ٢٤١/٣٠-٢٤٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٣.

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ){يونس : ٩} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ){العنكبوت : ٦٩} وقوله تعالى : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى){مريم : ٧٦) وقوله تعالى : (فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){البقرة : ٢١٣}[1]

وإذا اختاروا سبيل الشر ، وتحروه ، واجتهدوا في طلبه ، أضلهم الله ؛ لذلك قال تعالى في ثمود : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى){ص : ١٧} فهو ليس بمعنى البيان كما قيل في الوجه الأول بل المعنى : وأمَّا ثمود فهديناهم كيف يعرفون طريق النور ، وكيف يعرفون طريق الظلام ، وكيف يميزون بينهما ، ومكناهم من اختيار طريق الحق وسلوكه وكان ذلك بالفطرة والإلهام وبعث النبي صالح إليهم ، وما كان من أمر الناقة ، فلوا أنَّهم اختاروا هذا الطريق ؛ لهداهم هدى التوفيق ، لكنهم لم يختاروه ولم يحرصوا على طلبه والسير فيه ، بل آثروا عليه ، ما هم عليه من عمى وظلام ، لذلك أضلهم الله ، ولم يهدهم هدى التوفيق ، بعد أن هداهم هدى الإلهام فقد علق الله هدى التوفيق باختيار سبيل الحق والاجتهاد في طلبه ، كقول الله تعالى : (إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ){النحل : ٣٧} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){النحل : ١٠٤} وقوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {١٠٧} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ){النحل : ١٠٧-١٠٨} وقوله الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣ .

مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ {٣} كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)الحج : ٣-٤} ونحو هذا كثير في القرآن الكريم

ولأنَّ الهدى يعني ما يُقتدى ؛ ليبلغ به المقتدي ما يبتغي ؛ فقد وصف الله الكعبة بالهدى ؛ لأنَّ الناس يستقبلونها في صلاتهم ، ويتوجهون إليها في حجهم ، لينالوا بذلك مغفرة الله ويظفروا برضاه ، قال الله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)آل عمران : ٩٦}

دلالة الهدى وعلاقتها بالوجوه :

الحقيقة التي توصلتُ إليها بعد الرجوع إلى معاجم اللغة ، والشواهد القرآنية ، أنَّ الهدى ليس هو بصفة محمودة ، أو مذمومة ، بل هو معنى مجرد ومحايد ؛ إذ يعني الطريق الموصل إلى ما يراد الوصول إليه ، أو هو طريقة الوصول إلى المبتغى ، وعلى أساس هذه الدلالة يجب أن يُفسَّر لفظ الهدى أينما ورد في القرآن الكريم ، فهو ليس بمعنى البيان كما قيل في الوجه الأول في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ){البقرة : ٤} إذ البيان هو الوضوح فلو أريد هذا المعنى لعبَّر عنه بلفظه وقيل : أولئك على بيان من ربهم ، ولكن لما أراد دلالة الهدى التي تقدم ذكرها استعمل اللفظ المعبر عنها ، لتكون بمعنى : أولئك على طريق من ربهم ، ومن سلك طريق الله أوصله إلى مبتغاه ، وإلى كل ما هو خير وأبقى ، بل هو هنا بمعنى التوفيق ، والدليل على أنَّ الهدى غير البيان عطف الهدى على البيان في قوله تعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ){البقرة : ١٣٨} والعطف يفيد المغايرة ؛ ولا يمكن أن يكونا بمعنى واحد ؛ إذ لا يجوز عطف الشيء على نفسه .

وكذلك قوله تعالى : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأوْلِي النُّهَى) فقد ((كانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود ، وفيها علامات الهلاك ، فذلك قوله (يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ))) (١)

إذن المعنى : ألم تكن هذه الآثار والعلامات هادية وموصلة لهم إلى معرفة ما حل بالأمم السابقة حين كذبت أنبياءها ، إذ الآثار تقوم مقام الهادي

وليس الهدى بمعنى الإيمان كما قيل في الوجه الثالث في قوله تعالى : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى){الكهف : ١٣} والدليل على ذلك هذه الآية نفسها ؛ لأنَّه لو أراد أن يكون بمعنى الإيمان ، لجاء بلفظه وقيل : وزدناهم إيمانًا ؛ ليكون مطابقًا لـ(آمنوا) في الجذر والدلالة ، لكن لمَّا استعمل لفظ (الهدى) دلَّ على أنَّه أراد غير معنى الإيمان .

وليس الهدى ، أو الهادي بمعنى الداعي ، كما قيل في الوجه الرابع في قوله تعالى : (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧} وإنما أراد من الهادي الذي تقدم تعريفه ، وهو الذي يوصل المقتدي به إلى الأمر المنشود

وليس الهدى بمعنى المعرفة ، كما قيل في الوجه الخامس في قوله تعالى : (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٦} فالمهتدي هو الذي يقتدي بالهادي(٢) فقال (يَهْتَدُونَ) لأنَّ العرب اتخذوا النجم هاديًا لهم إلى الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه .

وهنا تتضح الحقيقة التي توصلنا إليها من أنَّ الهدى معنى مجرد ؛ إذ يعنى الطريق الموصل إلى ما يراد الوصول إليه ، سواء أكان هذا المراد

---

(١) زاد المسير ٢٤٥/٥ .

(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٢١٨/٥ .

خيرًا أم شرًّا ، الجنة أم النار ، الرحمن أم الشيطان ، لكن غلب استعماله على الخير ، فهو ليس بمعنى السنة ، كما قيل في الوجه الرابع عشر في قوله تعالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ){الزخرف : ٢٢} فقال (مُّهْتَدُونَ) لأنهم جعلوا آثار آبائهم بمثابة الطريق الهادي لهم إلى أن يكونوا مثلهم ، يعبدون ما عبدوا ، وكقوله للنبي : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ){الأنعام : ٩٠}

أي : الهدى هنا ليس بمعنى السنة ، بل هو الطريق الموصل إلى السنة والدليل على ذلك قوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){النساء : ٢٦} الشاهد قوله تعالى : (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم) وفي هذه الآية دليل آخر على أنَّ الهدى غير البيان ؛ إذ عطف (يَهْدِيَكُمْ) على (لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)

وكذلك الهدى ليس هو الرشاد كما قيل في الوجه السابع في قوله تعالى : (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى){طه : ١٠} إذ الهدى غير الرشاد والفرق بينهما ((أنَّ الإرشاد إلى الشيء هو التطريق إليه والتبيين له ، والهداية هي التمكن من الوصول إليه ... ومثل ذلك مثل من يقف بين طريقين ، لا يدري أيهما يؤدي إلى الغرض المطلوب ، فإذا دله عليه فقد أرشده)) [1] فإذا سلك هذا الطريق حتى بلغ غايته فقد اهتدى ؛ لأنَّ الهداية هي ((الدلالة على طريق من شأنه الإيصال ... بل لا بد من الإيصال البتة))[2]

فالهدى هنا بمعنى الهادي وليس بمعنى الرشاد كما زعم مقاتل وأتباعه ، وهي كذلك في الآية الأخرى : ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ){القصص : ٢٢} فالمراد من الهدى في هذه

([1]) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٣٥ . .

([2]) الكليات للكفوي ص ٨٠٣.

الآية وغيرها ، هو السبيل الموصل إلى الصراط المستقيم ، وإلى سواء السبيل ، وإلى الرشاد ونحوها مما يرادفها ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٣٨} أو السبيل الموصل إلى ما يبتغيه الطواغيت كقوله تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٢٩}

أعود فأقول بإيجاز كما قلتُ في الوجه السابق : إنَّ الهدى هنا ليس بمعنى الرشاد ، بل هو الموصل إلى الرشاد ؛ والدليل على ذلك قوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا){الجن : ٢} والشاهد قوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)

وليس الهدى بمعنى الصلاح كما قيل في الوجه الخامس عشر في قوله تعالى : (وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ){يوسف : ٥٢} فليس المعنى : لا يصلح كيد الخائنين كما زعموا ، بل المعنى : لا يوفق كيدهم ، ولا يمكنه من أن يوصل أصحابه إلى ما يبتغون .

وليس الهدى بمعنى الحجة ، كما قيل في الوجه الثاني عشر ، في قوله تعالى : : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ) إلى قوله : (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ){البقرة : ٢٥٨} فقد قالوا : ((يعني لا يهدي إلى الحجة)) كما تقدم ، وكلامهم هذا حجة عليهم وليس حجة لهم ، أنَّ الهدى ليس هو الحجة ، بل هو ما يوصل إلى الحجة .

ونقول قياسًا على ذلك ، إنَّ الهدى ليس بمعنى البيان ، بل هو الموصل إلى البيان ، وليس هو الإيمان بل هو الموصل إلى الإيمان ، وليس هو المعرفة ، بل هو الموصل إلى المعرفة ، وليس هو الحجة ، بل هو الموصل إلى الحجة ، وليس هو التوحيد ، بل هو الموصل إلى التوحيد ، وليس هو الصلاح ، بل هو الموصل إلى الصلاح .

وليس الهدى بمعنى الاسترجاع كما قيل في الوجه الحادي عشر في قوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ){البقرة : ١٥٧} فقد أراد من قوله (الْمُهْتَدُونَ) معنى الهدى بصفة عامة أي : السالكون الطريق الذي رسمه الله لهم في هذه القضية وكل قضية : وكذلك قوله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){التغابن : ١١} فهذه هداية عامة ، والتي سماها الراغب وفي هذا الشاهد نفسه بالتوفيق[١] أي : يجعل قلبه لا يميل إلّا إلى ما فيه رضا الله وخير الدنيا والآخرة ، ويجعل الله سبحانه هذا الميل موافقًا لهوى صاحبه ، وهذا ما عبَّر عنه مقاتل في الوجه السادس عشر عندما جعل الهدى بمعنى إلهام البهائم

أمَّا ما قيل في الوجه السابع عشر : هدنا ، يعني تبنا ، فذلك قوله : (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ){الأعراف : ١٥٦} يعني : تبنا إليك)) فـ(هُدْنَا) هنا من الهود وليس من الهدى قال الخليل ((الهود : التوبة قال الله جل وعز : (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) أي : تبنا إليك ، والهود اليهود ، هادوا يهودون هودًا)) [٢]

علاقة الوجوه بالمعنى والتفسير :

الأمر الأساسي الذي يبطل فكرة الوجوه المنسوبة إلى الهدى جملة وتفصيلاً ، هو أنَّ الهدى ليس من الألفاظ المشتركة ؛ فقد تبين أنَّ له دلالته الخاصة به والمستقلة عن دلالات كل الوجوه التي نُسبت إليه ، وقد تبيَّن أيضًا أنّ لكلٍّ من هذه الوجوه معناه ولفظه المعبر عنه المختلف عن لفظ الهدى ومعناه

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣ .

(٢) العين ص ١٠٢٤ .

وبالارتكاز على هذه الحقبقة نصل إلى التفسير الصحيح المستوحى من استعمال لفظ الهدى بدلالته ، فقد زعم أصحاب الوجوه كما تقدم مجيء الهدى بمعنى الداعي في الوجه الرابع في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} والمعنى عندهم : وإنَّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ، والحقيقة أنَّه ليس المقصود دعوة الناس إلى الصراط المستقيم ، إذ هو عمل يقدر عليه كل إنسان ، وإنَّما المقصود إيصالهم إلى هذا الصراط بالأسوة الحسنة والاقتداء ، وهو جهد لا يستطيع القيام به إلّا الرسل والأنبياء ، ومن اصطفاهم الله للقيام بهذه المهمة الشاقة .

علاقة الوجوه بالبلاغة :

جاء في البرهان للزركشي : ((وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن الكريم ؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا ، أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)) [1] بل هو تشتيت وخوض ولعب بكلام الله ؛ فجعل الهدى مثلًا بمعاني الوجوه التي ذكرها مقاتل ومن تبعه يعني تفسير الهدى بغير دلالته ، كجعله بمعنى الداعي في الوجه الرابع في قوله : (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧} وقوله : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢}

جعل الهدى بمعنى الداعي في هاتين الآيتين ونحوهما يلغي البحث عن بلاغتهما ؛ فقد جاء هذا الفعل متعديًا إلى مفعوله بنفسه ، وباللام ، وبـ(إلى) في السياق نفسه ، قال المرادي : ((فقد جاء : هديتُ زيدًا إلى الطريقِ ، والطريقَ))[2] وقال الزمخشري : ((هدى : أصله أن يتعدَّى باللام

([1]) ص٧٣ .

(٢) شرح التسهيل ص ٤٣٩.

، أو بـ(إلى) كقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ){الإسراء : ٩} (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢}))[١]ومثل هذا قال أبو حيان الأندلسي [٢]، وتلميذه الحلبي : ((ثمَّ يتسع فيه ؛ فيحذف الحرف ؛ فيتعدَّى بنفسه ، فأصل : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ){الفاتحة : ٦} اهدنا للصراط ، أو : إلى الصراط ، ثم حُذِفَ))) [٣]

ولكون (إلى) أطول بناءً من اللام ؛ فإنَّ استعمالها في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} يدل على أنَّ طريق الهداية طويل ، كأنَّ الله ، سبحانه يخاطب حبيبه المصطفى : يا محمد إنَّك لتهدي الناس إلى الإسلام بتبليغ دؤوب ، وجهد طويل ، وباستعمال اللام في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ){الإسراء : ٩} يكون المعنى : أنَّ هذا القرآن يهدي الناس إلى ما هو أفضل وأقوم ، بأقصر الطرق ، وأيسر السبل ، والله ، سبحانه وتعالى ، كما ورد في الحديث النبوي ،، يعلمنا أنَّه إذا سألناه ، أن نسأله أعلى المنازل ؛ لأنَّه ، تعالى ذكره ، كريم ، فنحن لا نسأله أن يهدينا إلى الصراط ، ولا نسأله أن يهدينا للصراط ، بل نسأله وندعوه أن يمكننا من أن نتمثل صراطه المستقيم قولًا ، وعقيدة ، وعملًا ، بمعنى أن نستوعبه ونحتوي عليه ، ولا يتحقق هذا المعنى إلّا بنصب (الصراط) على معنى المفعولية ، ولهذا علمنا الله ، سبحانه ، أن ندعوه بقوله تعالى : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ){الفاتحة : ٦}

ولأنَّ لكل من اللام ، و (إلى) ، دلالتها الخاصة ، حتى إنَّه لا يمكن أن تعوض إحداهما عن الأخرى ، فقد جمع بينهما في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ

---

(١) الكشاف ٢٥/١

(٢) البحر المحيط ٤١/١ .

(٣) الدر المصون ٦٢/١ .

مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ){يونس : ٣٥}

وقد تطرق الدكتور عبد الحميد الهنداوي إلى الفرق الدلالي بين الاستعمالين فذكر أنَّه استعمل (إلى) في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ)((ليوحي بطول طريق الهداية ، لدى هؤلاء الشركاء لو هَدوا ٠٠٠ مع الدلالة المعجمية لكلمة (إلى) التي تفيد بعد المسافة ؛ فكأنَّ الله تعالى ، يقول لهم : هل من شركائكم مَن يهدي إلى الحق ، ولو بطريق طويل بعيد)) واستعمل اللام في قوله تعالى : (قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) ليوحي إلى ((قصر مسافة الهداية بالنسبة لله تعالى ؛ فهو يهدي إلى طريق مستقيم ؛ والطريق المستقيم ، هو أقصر الطرق المؤدية إلى الحق)) [(١)]

هذه هي دلالة المقطع الأول من الآية الكريمة ((ثمَّ يأتي (في المقطع الثاني) الاستفهام التوبيخي : (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)٠٠٠ ليصبح المعنى : أفمن يهدي إلى الحق ، ولو بطريق طويل ٠٠٠ أحق أن يتبع ، أم من لا تكون منه الهداية أصلاً ولو ببطءٍ شديد وتراخ إلى الأبد))[(٢)]

فجعل الهدى بمعنى الداعي يلغي ما في هذه الآيات من فصاحة وصور بلاغية وإعجاز لغوي ، وكذلك الحال فيما يتعلق بباقي الوجوه

الهدى بين معناه ولفظه :

عُرِّف الهدى ، أو الهادي ، كما مر في معاجم اللغة ، بأنَّه هو كل ما تقدمك لتتخذه هاديًا إلى ما تصبو إليه ، أو هو الطريق الذي به يتم

---

(١) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٢ .

الوصول إلى المطلوب ، أو ما يقوم مقام هذا الطريق ، فاستنادًا إلى هذه الدلالة الموضوعة للفظ الهدى تكون جميع الوجوه باطلة ، والدليل على بطلانها أنَّه ما من وجه من الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه للفظ الهدى ، إلاَّ وقد عبَّر عنه القرآن الكريم بلفظه الموضوع له والدال عليه ، فمعنى البيان مثلًا عبَّر عنه القرآن الكريم بلفظ البيان كقوله تعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١٣٨} وعبَّر عن معنى دين الإسلام بلفظ الدين والإسلام كقوله تعالى : إ(نَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَم){آل عمران : ١٩} وعبَّر عن معنى الإيمان بلفظ الإيمان كقوله تعالى : (وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ){البقرة :١٠٨} وعن معنى الداعي بلفظ الداعي ، كقوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا){طه : ١٠٨} وعن معنى المعرفة بلفظ المعرفة ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٤٦} وعن معنى الكتب والرسل بلفظ الكتب والرسل ، كقوله تعالى : (وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا){النساء : ١٣٦} وعن معنى الرشاد بلقظ الرشاد ، كقوله تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٢٩} وعن محمد بلفظ محمد ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ){محمد : ٢} وعن معنى الفرآن بلفظ القرآن ، كقوله تعالى : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا){محمد : ٢٤} وعن معنى التوراة بلفظ التوراة ، كقوله تعالى : (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ){آل عمران : ٥٠} أمَّا ما جاء في الوجه الحادي عشر والثاني عشر ، فإنَّ مقاتل لم يجعل الهدى بمعنى الاسترجاع ، ولا بمعنى الحجة ، بل جعل الهدى بمعنى الهادي إليهما ، أي : الطريق

الموصل إليهما ، وهذه هي دلالة لفظ الهدى في الحقيقة ، أينما ورد في القرآن الكريم ، لكن هذه الدلالة عامة ، إذ تعني الطريق الموصل إلى كل ما يراد الوصول إليه ، إلّا إذا صُرِّح بتخصيصه في مبتغى معين ، كقوله تعالى : (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٢٩} وهذا التخصيص غير مصرح به في الوجه الحادي عشر والثاني عشر ، فدلالة الهدى فيهما عامة ، أمَّا معنى التوحيد فلم يعبر عنه القرآن الكريم بلفظه ؛ لأنَّه يمثل أساس كل دين بعثه الله ، وأساس كل كتاب أنزله ، وهي دعوة كل نبي ورسول ، بل السمة الوحيدة التي تميز دين الله من دين البشر في كل زمان ومكان ، هي التوحيد ، فأي موضع في القرآن الكريم ورد فيه لفظ الدين المنسوب إلى الله ، وهو لا يعني التوحيد ؟! وأي شاهد قرآني ورد فيه لفظ الهدى المنسوب إلى الله ، سبحانه ، وهو لا يعني التوحيد ؟! فكيف تسنى لمقاتل ومن تبعه حصر الهدى على معنى التوحيد في شواهد قرآنية معينة ؟! فجعل الهدى بمعنى التوحيد في أي شاهد قرآني ، يُعد تحصيل حاصل ، لا معنى للتصريح به .

وعبَّر عن معنى السنة بلفظ السنة ، كقوله تعالى : (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا){الفتح : ٢٣} وعن معنى الإصلاح بلفظ الإصلاح ، كقوله : (إِنْ أُرِيدُ إِلّا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ){هود : ٨٨} وعبَّر عن معنى الإلهام بلفظ الإلهام ، كقوله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا){الشمس : ٧–٨} أمَّا الشاهد القرآني الذي استشهد به مقاتل لمعنى التوبة ، فهو مشتق من الهود لا من الهدى كما تقدم ، كما أنَّ القرآن عبَّر عن معنى التوبة بلفظ التوبة ، كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ){الشورى : ٢٥}

والدليل على بطلانها أيضًا ، أنَّ هذه الوجوه استنادًا إلى هذه الحقيقة تثير تساؤلات لا جواب لها ، من ذلك :

١–إذا تبين أنَّ لمعنى الهدى لفظه الموضوع له ، والدال عليه ؛ فلِمَاذا إذن استعمل القرآن الكريم لفظ الهدى بمعاني الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه بدلاً من معناه ؟!

٢–إذا تبين أنَّ لكل وجه من هذه الوجوه ، لفظه الموضوع له ، والدال عليه ؛ فلِمَاذا إذن عبَّر القرآن الكريم عن هذه الوجوه بلقظ الهدى ولم يعبر عنها بألفاظها ؟!

٣–ما الفرق في المعنى بين الهدى والوجه المنسوب إليه ، من ذلك مثلًا أنَّهم إذا قالوا بمجيء الهدى بمعنى الداعي في قوله تعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) والمعنى عندهم : ولكل قوم داع ، نقول لهم : ما الفرق في المعنى هنا بين الهادي والداعي ؟

٤–فإذا قالوا : إنَّ بينهما فرقًا في المعنى ، فما هذا الفرق ، ولِمَاذا لَمْ يشر إليه أصحاب كتب الوجوه ؟!

٥–وإذا قالوا لا فرق بينهما في المعنى ؛ فنقول من حيث اللفظ : فأيهما أحق وأفصح وأبلغ استعمالًا ، استعمال لفظ الداعي أم لفظ الهادي ؟ !

٦–فإذا قالوا لفظ الداعي ، فقد اتهموا كلام الله بعدم الفصاحة ، وجعلوا أنفسهم بمثابة المقوم اللغوي لكلام البارئ عز وجل .

٧–وإذا قالوا لفظ الهادي ، فليس إذن ثَمَّةَ أي مسوغ كان ، لجعل الهادي بتقدير الداعي من حيث اللفظ والمعنى ، وما قلناه في هذا الشاهد القرآني نقول الكلام نفسه في باقي الشواهد ؛ وتبطل عندئذ فكرة هذه الوجوه ، فيكون الكلام فيها عبثًا لا معنى له .

٢–الكفر : قال مقاتل : ((تفسير الكفر على أربعة وجوه : ، فوجه منها الكفر بتوحيد الله ، الإنكار له ، فذلك قوله في البقرة : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦}

والوجه الثاني : الكفر : كفر الحجة ، فذلك قوله في البقرة : (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ){البقرة : ٨٩}٠٠٠ وكقوله تعالى : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ){آل عمران : ٩٧}يعني من كفر بالحج ٠٠٠ ولم يقر بأنَّ الحج واجب ، وجحده

والوجه الثالث : الكفر : كفر النعمة ، فذلك قوله في البقرة : (وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ){البقرة : ١٥٢} يعني لا تكفروا النعمة ٠٠٠

والوجه الرابع : الكفر : يعني البراءة ٠٠٠كقوله في العنكبوت : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا){العنكبوت : ٢٥} يعني يتبرأ بعضكم من بعض ، وكقول إبليس في سورة إبراهيم : (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ){إبراهيم : ٢٢} يعني : تبرأتُ ونحوه كثير)) [١]

وسمّى هرون بن موسى[٢] والدامغاني[٣] وابن الجوزي[٤]الوجه الثاني ، كفر الجحود ، وجعله العسكري الوجه الأول وسماه الجحد وقال : ((أي : يجحدونه ، والجحد لا يكون إلاَّ مع العلم ، مثل جحد الرجل حق صاحبه ، فأمَّا من ينكر ما لا يعرف صحته فليس بجاحد))[٥]

وأضاف ابن الجوزي وجهًا خامسًا ، وهو التغطية ، واستشهد له بقول الله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠}[٦]

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٥–٩٧، وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥–١٦.

(٢) الوجوه والنظائر ص٢٦ .

(٣) الوجوه والنظائر ص٤٠٣.

(٤) نزهة النواظر ص ٢٤٥.

(٥) الوجوه والنظائر ص ص٢٨٣

(٦) نزهة النواظر ص ٢٤٥.

تعريف الكفر : لو اطلعنا على ما يدل عليه الكفر ، لما وجدنا من حاجة إلى أن نذكر له وجوهًا ، فالكفر ليس من الألفاظ المشتركة ؛ إذ له معناه الخاص به ، قال ابن فارس : ((الكاف والفاء والراء ، أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الستر والتغطية ، يقال لمن غطى درعه بثوب ، قد كفر درعه ، والرجل المُكَفِّر : الرجل المتغطي بسلاحه ، ويقال للزارع كافر ؛ لأنَّه يغطي الحبَّ بتراب الأرض ، قال الله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠} ورماد مكفور : سَفَت الريح التراب عليه حتى غطته ٠٠٠ والكفر : ضد الإيمان ؛ سُمِّي لأنَّه تغطية الحق ، وكذلك كفران النعمة : جحودها وسترها ، والكافور : كِمُّ العنب قبل أن يُنَوِّر ؛ وسُمِّي كافورًا ؛ لأنَّه كفَرَ الوليع ، أي : غطاه)) [١] والوليع : الطلع وقال العسكري : ((الكفر : أصله التغطية ، ويقال لليل كافر ؛ لأنَّه يغطي كل شيء بظلمته ، وكفَرَ الغمام النجوم ، أي : سترها ٠٠٠ وكفَرَ النعمة ، إذا لم يشكرها ، كأنَّه سترها ، ويقال لوعاء كل ثمرة : كافور ؛ لأنَّه يغطيها٠٠٠ ويكفِّر الذنوب : يسترها ، ومعنى ذلك: أنَّ الله سبحانه لا يفضح أصحابها))[٢] وقال ابن الجوزي : ((الكفر : التغطية والستر ، وأنشدوا من الكامل للبيد :

يعلو طريقة متنها متواترًا في ليلة كفرَ النجومَ غمامُها)) [٣]

وقال الفيروزآبادي : ((وكفَرَ الشيءَ ، وكفَّره : غطَّاه٠٠٠ وغابت الشمس في الكافر، أي : البحر٠٠٠ وفي الحديث : أهل الكفور : أهل القبور ٠٠٠ وعُنِي بالكافر : الساتر للحق ٠٠٠ والكفارة : ما يغطي الإثم ، ومنه كفارة اليمين والقتل والظهار ، والتكفير : ستر الذنوب وتغطيتها ، قال تعالى :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٨.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٨٢-٢٨٣ .

(٣) نزهة النواظر ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ){المائدة : ٦٥} أي : سترناها حتى تصير كأن لم تكن)) [١]

فهذه هي دلالة الكفر ، لا تفارق لفظ الكفر أينما ورد في القرآن الكريم ، ولهذا وجدنا أصحاب الوجوه استندوا إلى هذه الدلالة في كل وجه نسبوه إليه ، فدلالة الكفر في هذه الوجوه الأربعة واحدة ، وهي التغطية والستر ، فقد سمى مقاتل الوجه الأول كفر التوحيد ، أي : تغطية توحيد الله بإنكاره ، وسمَّى الوجه الثاني كفر الحجة ، وهي معرفة المشركين بأنَّ الرسول حق ، أي : تغطية هذه الحجة ، أو المعرفة بجحودها ، وكذلك تغطية وجوب الحج بجحوده ، وسمَّى الوجه الثالث ، كفر النعمة ، وقد مر قول ابن فارس ((وكذلك كفران النعمة : جحودها وسترها)) [٢] وقول العسكري : ((وكَفَرَ النعمةَ ، إذا لم يشكرها ، كأنَّه سترها)) [٣] وسمَّى الوجه الرابع البراءة ، أي : تغطية العلاقة والصداقة التي كانت بين المشركين في الدنيا بالبراءة منها ، وكفر إبليس بإشراك من أشرك به كانت بتغطيتها بتبرئته منها .

ويبدو من تعريف الكفر في اللغة الذي يعني الستر والتغطية ، أنَّه كان في الأصل في الأمور المادية ، ويكون الستر بأشياء محسوسة ، كالتراب ، أو الوعاء ، أو ماء البحر ، أو ظلمة الليل ، ثم انتقل إلى الأمور المعنوية ، وهو الغالب في القرآن الكريم ، ويبدو أنَّ هذه الدلالة للفظ الكفر عامة ، فكل ما دل على التغطية والستر يمكن أن يُعبَّر عنه بلفظ الكفر ، كما تبين ذلك من تعريف الكفر في معاجم اللغة ، كما أنَّه لا يكون إلاَّ مقيَّدا بالشيء الذي يكفره ، أي : بالشيء الذي يغطيه ويستره حقًّا كان أم باطلاً ،

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤/٣٦١-٣٦٥ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٦٨.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٢٨٢-٢٨٣ .

وهذا القيد لا يمكن حصره في عدد معين ، ولا ضبطه في أمور معينة ، ويُعرف من نية المتكلم ؛ فالمؤمن بالله مثلًا يستطيع أن يقول : إني كافر ؛ لأنَّه يعني أنَّه كافر بالشيطان ، أو بالمبادئ الوضعية غير الإسلامية ، وللكفر بالله صور عديدة ، كالكفر بربوبيته ، والكفر بألوهيته ، أو بصفاته ، أو بتوحيده ، وهناك من هو مؤمن بنبوة عيسى عليه السلام ، لكنَّه كافر برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ومن لا يؤمن بأنَّ الصلاة حق يجب تأديتها ، يُعَد كافرًا بها ، وإذا أطلق لفظ الكفر من غير تقييده يُعرف هذا القيد بقرينة من السياق .

فالوجوه التي ذكرها مقاتل كانت استنادًا إلى معاني هذه القيود ؛ لذلك قسمها على كفر التوحيد بالله ، وكفر الحجة ، أي : الكفر بالحجة التي عرفوا بها بأنَّ رسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حق ، وكفر النعمة ، أي : الكفر بنعمة الله ، وخرج في الوجه الرابع عن تقسيم الكفر استنادًا إلى معنى القيد ، إلى معنى التغطية ، فسماه البراءة ، وقد مر أنَّ أصحاب الوجوه بعد مقاتل سموا وجه الحجة ، وجه الجحود ، أو الجحد استنادًا إلى معنى التغطية ، لا استنادًا إلى معنى القيد كما فعل مقاتل .

فالوجوه التي ذكرها مقاتل ومن تبعه كانت وجوهًا لمعاني القيد ، أو التغطية ، ولم تكن في الحقيقة وجوهًا للكفر ؛ إذ للكفر وجه واحد وهو التغطية والستر، لا يفارق هذه الدلالة أينما ورد في القرآن الكريم ، وقد قال الخليل : ((وكفر النفاق : ، وهو أن يؤمن بلسانه ، والقلب كافر)) [1] فاستنادًا إلى هذه الدلالة صح أن يُسمَّى المنافق كافرًا ؛ لأنَّه يغطي كفره الباطني بإيمانه الظاهري ، وما صح أن بُسمَّى الكافر منافقًا ؛ لأنَّ الكافر يظهر كفره ، ولا يغطيه بإخفائه ، كما يفعل المنافق .

---

(١) العين ص ٨٤٨ .

ولما كان المقصود بالكفر الكفر بأمور معنوية ؛ كان من المعتاد أن يُعبَّر عن تغطيتها وسترها بإنكارها ، أو جحودها ، أو البراءة منها ، أو ما كان دائرًا حول هذا المعنى كعدم الاعتراف والإقرار بها ، أو أي لفظ آخر يناسب السياق ، من ذلك مثلًا أنَّه يمكن أن نسمي المعلِّم كافرًا ؛ لأنَّه يغطي جهل المتعلِّم بالعلم ، كما سُمِّي الفلاح كافرًا ؛ لأنَّه يغطي الحب بالتراب .

والأصل في الفعل (كفر) أنَّه يتعدى إلى مفعول واحد كقول الشاعر الذي تقدم ذكره :

يعلو طريقة متنها متواترًا   في ليلة كفرَ النجومَ غمامُها

والفاعل هنا الغمام ، أي : كفر الغمامُ النجومَ ، وجاز إسناد الفعل إلى الله ، وأن نقول : كفرَ اللهُ النجومَ بالغمام ، وقد قلَّ وروده متعديًا إلى مفعوله بنفسه في القرآن الكريم ، ومع ذلك جاء بعدة صيغ ، فقد قام مقام الفاعل في قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ){القمر : ١٤} فـ(كُفِرَ) فعل ماض مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على نوح عليه السلام [1] والمعنى ثوابًا لنوح عليه السلام ، الذي كفروه ، وقد كان نعمة لهم ، وجاء ضميرًا في قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ){البقرة : ١٥٢} والتقدير : ولا تكفروني ، فالياء : ضمير متصل محذوف في خط القرآن في محل نصب مفعول به ، وأكثر ما جاء في القرآن الكريم غير متعدٍّ ؛ ليفيد الكفر المطلق من غير تقييده بمفعول معيَّن ، كقوله تعالى : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ){البقرة : ١٠٢} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦} وجاء كثيرًا متعديًا إلى مفعوله بالباء كقوله تعالى : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ){لبقرة : ٩٠} وقوله تعالى :

---

(١) ينظر : الدر المصون ١٣٥/١٠.

(إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ بِآيَـاتِ اللّـهِ لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَاللّـهُ عَزِيـزٌ ذُو انتِقَـامٍ){آل عمران : ٤} وقوله تعالى : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّـهِ وَبِرَسُـولِهِ){التوبـة : ٥٤} وقولـه تعـالى : (ثُـمَّ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ بِـرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} وقوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ){الرعد : ٥} وقوله تعالى : (مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ){إبراهيم : ١٨} وكما أفاد الكفر معنى الستر والتغطية في نحو قولنا : كفر الفلاحُ الحبَّ بالتراب ، فكذلك قولـه تعـالى : (أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ بِـرَبِّهِمْ) إذ المعنـى : كفـروا بـربهم بجحودهم إياه ، أي : غطوا وستروا حقه بهذا الجحود ،

وقـد يـدعي مـدع أنَّ المتعـدي إلـى مفعولـه بنفسـه ، هـو بمعنـى المتعدي إليه بحرف الجار الباء ، وهذا ما حصل في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـواْ إِذَا قُمْـتُمْ إِلَـى الصَّـلاةِ فاغْسِـلُواْ وُجُـوهَكُمْ وَأَيْـدِيَكُمْ إِلَـى الْمَرَافِـقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ){المائدة : ٦}

((قال أبو حيان الأندلسي : ((واختلفوا في مدلول الباء هنا ، فقيل : إنَّها للإلصاق ··· وقيل الباء للتبعيض ··· وقيل الباء زائدة ··· وحكى سـيبويه ··· مسـحتُ رأسـه وبرأسـه فـي معنـى واحـد)) [(١)] ذهـب النحـاة والمفسرون إلى القول بأنَّ الجر والنصب معنييهما واحد ، وقد كثر ما أكدوا هذا المذهب ، وصرحوا به والصحيح ، كما هو ظاهر من سياق الآية ، أنَّ الباء للإلصاق ، حتى إنَّه يترتب عليه حكم ، وهو أن يمس هذا المسح الرأس ، لا أن يكون مجرد لمس لشعره ، فالباء حددتْ فقط غرض إلصاق المسح بالرأس ، ولا علاقة لها بمساحة الممسوح منه ، لذا جاز أن يكون المسح لجميع الرأس ، أو لجزء منه ، إلّا أنَّه يتعيَّن أن يكون المسح لجميع الرأس عند حذف الباء ، وقولنا في الكلام : وامسحوا رؤوسكم ؛ لأنَّ (رؤوسكم) ،

---

(١) البحر المحيط ٦٠٩/٣ ، وينظر : الدر المصون ٦٩٣/٣ .

تكون عندئذ منصوبة على المفعولية ، ويكون المعنى بها أن يستوعب المسح (رؤوسكم) ، مما يقتضي شمول الرأس جميعه بفعل المسح ، فالفرق بين الجر والنصب جلي وكبير ، ما كان ينبغي للنحاة والمفسرين أن يساووا بينهما)) [١]

وما قلتُه هناك أقوله هنا ، فاستعمال الباء في قوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) يفيد مجرد إلصاق الكفر بالرب تبارك وتعالى ، وعند حذف الباء ينتصب الرب تبارك وتعالى على معنى المفعولية ، ويفيد عندئذٍ أنَّ كفر الكافرين اشتمل عليه واستوعبه ، فيكون النصب أشد وأوسع كفرًا من الجر ؛ لذلك استحق أصحابه أن يكون عقابهم عند الله أشد وأوسع ، وهذا ما حصل ، فقد كان عقاب من كفروا ربَّهم ، هو استئصالهم من الوجود ، وهو العقاب الذي حل بعاد وثمود ، قال الله تعالى : (أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ){هود : ٦٠} وقال تعالى : (أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ){هود : ٦٨} والجدير بالذكر أنَّ الفعل (كفر) لم يتعدَّ بنفسه إلى الرب تبارك وتعالى إلّا في هذين الموضعين ، وفي حق هذين القومين ، ولو أنَّهم كفروا بربهم لعوقبوا مثل ما عوقب غيرهم ، لكنهم لمَّا كفروا ربهم محاهم عقاب الله ومحا نسلهم حتى سُموا العرب البائدة .

وقد ورد قوله تعالى : (وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١١٥} والمعنى : أنَّه أيّ خير يفعله الناس فلن يُكفَّرَ فعلهم هذا ، ولن يُكْفَرَ أصحابه ، فلما أراد القرآن الكريم الجمع بين عدم التكفيرين في تركيب واحد قال سبحانه (فَلَن يُكْفَرُوْهُ) وهذا من الإيجاز البليغ الذي امتاز به القرآن الكريم ، قال الزمخشري : (((فَلَن يُكْفَرُوْهُ) لمَّا جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله : (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

---

(١) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ص ٦٠.

يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ){التغابن : ١٧} في معنى توفية الثواب ، نفى عنه نقيض ذلك ، فإن قلتَ : لِمَ عدَّى إلى مفعولين ، وشكر وكفر لا يتعديان إلّا لواحد ، تقول : شكرَ النعمةَ وكفرَها ؟ قلتُ : ضمّنَ معنى الحرمان ، فكأنَّه قيل : فلن تُحرَموه ، بمعنى : فلن تُحرموا جزاءه)) [١]

فقد تعدى (كفر) إلى اثنين : ((أولهما : قام مقام الفاعل ، والثاني الهاء في (يُكْفَرُوْهُ)٠٠٠فكأنَّه قيل : فلن يُحرموه ، و(حَرمَ) يتعدى لاثنين)) [٢]

ولا داعي إلى هذا التضمين ، فلو أراده لجاء بلفظه كما قدره الزمخشري ، وقد صرَّح بقوله ((لمَّا جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك)) ونقيض الشكر هو الكفر إذ ((الشكر : عرفان الإحسان ونشره)) [٣] ((وشكرَ : عرفَ الإحسان فأظهره)) [٤] و((الشكرُ : تصور النعمة بالجنان ، وذكرها باللسان)) [٥] فقابل شكر النعمة الذي يكون بنشرها والحديث عنها ، بعدم كفرها الذي يكون بعدم سترها وتغطيتها ، لذا أعد هذا التضمين تحريفًا لدلالة اللفظ القرآني ومقاصده .

٣-**الشرك** : قال مقاتل : ((تفسير الشرك على ثلاثة وجوه ، فوجه منها الشرك ، يعني الإشراك بالله الذي يعدل به غيره ، وذلك قوله في النساء : (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا){النساء : ٣٦} يعني لا تعدلوا به غيره ٠٠٠ والوجه الثاني : الشرك في الطاعة من غير عبادة ٠٠٠ كقول إبليس في سورة إبراهيم للكفار : (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ){إبراهيم : ٢٢}

---

(١) الكشاف ٣٩٥/١.

(٢) الدر المصون ٣٥٨/٣.

(٣) العين للخليل ص ٤٨٩ وتهذيب اللغة ١٩١١/٢.

(٤) الأفعال لابن القوطية ص ٢٨١.

(٥) عمدة الحفاظ ٢٨٣/٢.

أي : مع الله في الطاعة ··· والوجه الثالث : الشرك في الأعمال ··· فذلك قوله في الكهف : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا){الكهف : ١١٠} أي : من خلقه ، لا يريد بذلك أحدًا غير الله)) [١]

وسمَّى ابن الجوزي الوجه الثالث : ((الرياء في الأعمال))

ما ذكره مقاتل لا تُعد وجوهًا للشرك ، بل هو تقسيم للشرك نفسه ، فدلالة الشرك واحدة في هذه الأوجه الثلاثة ، وقد عرَّفه بقوله : ((يعني الإشراك بالله الذي يعدل به غيره ، وذلك قوله في النساء : (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا){النساء : ٣٦} يعني لا تعدلوا به غيره)) ولفظ (شَيْئًا) في الآية تفيد العموم ، يدخل ضمنه الوجه الثاني والثالث ، والرابع والعاشر والعشرون ، وكل ما يدل على إشراك غير الله مع الله ، كإشراك غير الله مع الله في الربوبية والملك والخلق ، أو في الألوهية والعبودية ، أو في الطاعة ، أي : الطاعة التي تكون في معصية الخالق ، أو في العمل عندما يكون لغير وجه الله ، كمن يعمل رياءً

٤–سواء : قال مقاتل : ((تفسير سواء على ستة وجوه : فوجه منها ، سواء يعني عدلاً ، فذلك قوله في آل عمران : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ){آل عمران : ٦٤} يعني : عدلاً بيننا وبينكم ، وقوله في حم السجدة : (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ){فصلت : ١٠} يعني لمن يسأل الرزق···

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٧–٩٩ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ١٦٠١٧ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص ٢٧ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٩٠–١٩١ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٨٢ ونزهة الأعين ص ١٦٧ .

والوجه الثاني ، سواء : يعني وسطًا ، فذلك قوله في الصافات : (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ){الصافات : ٥٥}

والوجه الثالث : سواء يعني أمرًا بيِّنًا ، فذلك قوله في الأنفال : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء){الأنفال : ٥٥} يعني على أمر بيِّن ٠٠٠

والوجه الرابع : سواء يعني شرعًا سواء ، فذلك قوله : (سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ){الحج : ٢٥}٠٠٠

والوجه الخامس : سواء يعني قصدًا ، فذلك قول موسى عليه السلام في القصص : (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ){القصص : ٢٢}يعني قصد السبيل ٠٠٠

والوجه السادس : سواء ، تفسيره قرأته أم لم تقرأه فذلك قوله في القران : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦}))(١) وسمَّى ابن الجوزي الوجه الأخير : ((المعادلة والمماثلة))

قال الخليل : ((والسواء ممدود : وسط كل شيء٠٠٠ والسوي : الذي سوَّى الله خلقه ، لا دمامة فيه ولا داء)) (٢) وقال ابن فارس : ((السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين ، يقال : هذا لا يساوي كذا ، أي : لا يعادله ، وفلان وفلان على سوية من هذا الأمر ، أي : سواء ، ومكان سُوى ، أي : مَعْلَم ، قد علم القوم الدخول فيه والخروج منه ،

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٩-١٠٠ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ١٧-١٨ ، وينظر: الوجوه والنظائر لهرون ص ٢٧-٢٨ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٧-٢٥٨ ونزهة الأعين ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) العين ص ٤٥٧ .

ويقال : أسوى الرجل : إذا كان خَلَقُه وولده سَوِيًّا)) [١]وقال ابن الجوزي : ((السواء في الأصل الاعتدال والمماثلة ، ويقال السَّواء ، ويراد به الوسط ؛ لاعتدال نواحيه في المقادير إليه)) [٢]

ويبدو أنَّ الوجوه المذكورة جميعها لا تخرج عن هذا المعنى بصفة عامة ، والجدير بالذكر أن العسكري أثبت هذه الحقيقة ، فقد أرجع جميع الوجوه المذكورة إلى معنى إجمالي واحد ، فقد قال عن الوجه الأول : ((الأول : العدل٠٠٠ومعنى ذلك أنَّه خلق الأرض والماء ، وجعل فيها قوت الخلق بالعدل ؛ لأنَّه رزق كلًّا منهم على قدر ما عُلِم أنَّه صلاح له ، وقيل (سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ) أي : لمن سأل : في كم خُلِقتِ الأرض وما فيها ؟ فقيل : خُلقتِ الأرض في أربعة أيام سواء ، لا زيادة ولا نقصان))

وقال عن الوجه الثاني : ((الثاني : الوسط قال : (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ){الصافات : ٥٥} وقال : (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ){ص : ٢٢} أي : إلى أحكم البين ، فشبهه بوسط الطريق، وقيل : السواه ها هنا العدل))

وقال عن الوجه الثالث : ((الثالث : الأمر البين قال: (فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء) يعني على أمر بيِّن ، قال أبو عبيد : قال الكسائي وغيره : السواء : العدل ، وقال غير واحد من أهل العلم (فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء) أي : أعلمهم أنَّك محاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم بذلك ، فذلك هو السواء))

وقال عن الوجه الرابع : ((الرابع : الاستواء ، قال :(سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) ٠٠٠ أي : مستوون ، ومثله (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){يس : ١٠} أي : مستو عندهم إنذارك وخلافه))

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٢٠-٤٢١ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٦٠-١٦١.

وقال عن الوجه الخامس : ((الخامس : القصد ، قال الله تعالى : (أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ) ... وقيل : معناه ها هنا العدل ، والمراد عندي الحكم البيِّن ، فشبهه بوسط الطريق ، ووسط الطريق بينه ، فخصه بالذكر)) [١] ولم يذكر الوجه السادس ؛ لأنَّه جعله ضمن الوجه الرابع ،

لقد تبيَّن كما تقدم أنَّ منهج الوجوه قائم على أساس اللفظ المشترك ، وتبيَّن أنَّ وجوه اللفظ المشترك تمثل معاني حقيقية ، بمعنى أنّه لا تربط بينها صلة مجاز ، أو ترادف ، أو وصف ، فإذا ارتبطت فيما بينها بإحدى هذه الصلات دل على أنَّها ليست من الوجوه ، وصلة الترادف بين الوجوه التي ذكرها مقاتل وأصحاب الوجوه ظاهرة جلية ؛ فهي جميعها لا تخرج عن المعنى العام لسواء ، كما عرفها ابن فارس ، فهي إذن ليست معاني حقيقية ، حتى إنَّه يمكن أن يُفسَّر بعضها ببعض.

٥-**المرض** : ((المرض : إحساس بالمنافي ، والصحة : إحساس بالملائم ، وقال بعضهم : المرض : فساد يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال والصحة ، ويستعار في مواضع ، فيقال : أرض مريضة ، ويقال : قلب مريض : إذا خرج عن الصحة في الدين ، مثل أن يحصل الشك ، أو نحو ذلك)) [٢]

قال مقاتل : ((تفسير المرض على أربعة وجوه : فوجه منها : المرض : الشك ، فذلك قوله : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً){البقرة : ١٠} يعني شكًّا ...

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٧٧-١٧٨ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢٦١-٢٦٢.

والوجه الثاني : المرض يعني الفجور ، فذلك قوله في الأحزاب : (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ){الأحزاب : ٣٢} يعني الفجور ٠٠٠

والوجه الثالث : المرض يعني الجراحة ، فذلك قوله في النساء : (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى){النساء : ٤٣}{المائدة : ٦} يعني إن كنتم جرحى ، أو على سفر ٠٠٠

والوجه الرابع : يعني به جميع الأمراض ، فذلك قوله في البقرة : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا){البقرة :١٨٤} يعني من جميع الأمراض)) [(١)]

وقال ابن الجوزي عن الوجه الثالث : ((وألحقه بعضهم بالقسم الأول ، وقال : الجراح من جملة الأمراض)) [(٢)]

يبدو أنَّ مقاتل وأصحاب الوجوه صنفوا كتب الوجوه رغبة منهم في إظهار مقددرتهم على اختلاق الوجوه ، لذلك لم يتركوا سبيلاً إلاَّ اتبعوه من أجل تحقيق هذه الغاية ، كاتباع سبيل المجاز ، أو الترادف ، أو الوصف ، أو تقسيم المعنى العام إلى معان فرعية ، أو أخص منه ، بل لم يتورعوا من أن يعتمدوا على القول المرجوح الذي لم يؤخذ به ، وسكتوا عن القول الراجح الذي أُخِذ به ، كما فعلوا في سورة النساء ، عندما جعلوا في الوجه الثالث المرض بمعنى الجراحة في قوله تعالى : (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى) والتقدير : وإن

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠١-١٠٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٨ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٢٩ ، والوجوه والنظائر للعسكري ٣٠٧-٣٠٨ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٥ ، ونزهة الأعين ص ٢٦١-٢٦٢ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٢١٤ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢٦٢.

كنتم جرحى ، وقد قال مقاتل بهذا الوجه استنادًا إلى أنَّ الآية ((نزلت في عبد الرحمن بن عوف أصابته جنابة ، وهو جريح ، فشق عليه الغسل)) (١)

ولا يصح أن نجعل المرضى بمعنى الجرحى استنادًا إلى هذه الرواية ؛ لأنَّ المريض غير الجريح ، فـ((الجيم والراء والحاء : أصلان ، أحدهما : الكسب ، والثاني : شق الجلد)) (٢) و((الميم والراء والضاد : أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان٠٠٠وجمع المريض مرضى)) (٣)ولو أراد الجرحى لعبَّر عنهم بلفظهم وقال : وإن كنتم جرحى ؛ لأنَّ التعبير عنهم بلفظ المرضى يحدث غموضًا وإلباسًا ، كما أنَّه لا يمكن قصر التيمم على الجرحى ؛ لأنَّ المريض غير الجريح ، ماذا يفعل إذا كان كالجريح يضره استعمال الماء؟ مما يجعل فقه التيمم ناقصًا ، لذلك استندت كتب الفقه في باب التيمم إلى جعل المرض في الآية يعني المرض نفسه(٤) كما أنَّ سبب نزول الآية غير مقتصر على الرواية التي اعتمد عليها مقاتل ، بل في سبب نزولها قول آخر هو : ((أنَّ رجلًا من الأنصار كان مريضًا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ، ولم يكن له خادم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت هذه الآية : (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا){النساء : ٤٣} قاله مجاهد)) (٥)

---

(١) تفسير مقاتل ٢٣١/١ ، ٢٨٣

(٢) مقاييس اللغة ص١٦٤.

(٣) مقاييس اللغة ص٨٥٧ .

(٤) ينظر : الفقه الواضح من الكتاب والسنة ٩٣/١ ، وصحيح فقه السنة ١٨٣/١-١٩٤.

(٥) زاد المسير ٥٦/٢ .

فقصر التيمم على الجرحى غير معقول ؛ لذلك لم يأخذ به المفسرون ، قال الطبري : ((قال ابن يزيد في قوله تعالى : (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى) قال المريض الذي لم يجد أحدًا يأتيه بالماء ، ولا يقدر عليه ، وليس له خادم ، ولا عون ، فإذا لم يستطع أن يتناول الماء ، وليس عنده من يأتيه به ، ولا يحبو إليه ، تيمم وصلى ، قال : هذا كله قول أبي ، إذا كان لا يستطيع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به ، لا يترك الصلاة وهو أعذر من السفر ، فتأويل الآية إذن : وإن كنتم جرحى ، أو بكم قروح ، أو كسر ، أو علة لا تقدرون معها على الاغتسال من الجنابة ، وأنتم مقيمون غير مسافرين فتيمموا صعيدًا طيبًا))[١] وقال الواحدي : ((وقوله : (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى) جمع مريض ، وعُنِي به المريض الذي يضره مس الماء))[٢] وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية : ((وأنَّ المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم ، وعجزهم عن الوصول إليه ، فلهم أن يتيمموا)) [٣] وقال ابن عطية : ((والمريض المقصود في هذه الآية ، هو الحضري ، والذي يصح له التيمم ، هو الذي يخاف الموت لبرد الماء ، وللعلة به))[٤]وقال ابن الجوزي : ((قال القاضي أبو يعلى : وظاهر الآية جواز التيمم مع حصول المرض الذي يستضر معه باستعمال الماء ، سواء كان يخاف التلف ، أو لا يخاف)) [٥] وقال القرطبي : ((قال القاضي أبو الحسن مثل أن يخاف الصحيح نزلة ، أو

---

(١) جامع البيان ١٢٢/٥ .

(٢) الوسيط ٥٧/٢ .

(٣) الكشاف ٥٠٤/١ .

(٤) المحرر ٥٨/٢ .

(٥) زاد المسير ٥٦/٢ .

حُمَّى))[١] وقال البيضاوي : (((وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مرضًا يخاف معه من استعمال الماء ، فإنَّ الواجد كالفاقد ، أو مرضًا يمنعه من الوصول إليه)) [٢] وقال النسفي : ((فالمرضى إذا عُدِموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه٠٠٠فلهم أن يتيمموا))[٣] وقال الشوكاني : ((أو كان ضعيفًا في بدنه لا يقدر على الوصول إلى موضع الماء)) [٤]

فجعل المرض إذن بمعنى الجراحة فحسب في الوجه الثالث ، الذي قال به مقاتل ، ومن تبعه كهرون بن موسى ، والدامغاني ، وابن الجوزي ، قول لا يصح وإنما أراد المرض بعينه وبمعناه العام ، لأنَّ المقصود أي مرض كان يضر معه الاغتسال ، ويدخل ضمنه من به جراحة ، فهو كمعنى المرض في الوجه الرابع

أمَّا وجه الشك في الوجه الأول في قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً) فهناك من نسب هذا المرض إلى القلب مجازًا [٥] وقال الطبري : ((أصل المرض : السقم ، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان)) [٦] وقال الزجاج : ((وقد يقال السقم والمرض في البدن وفي الدين ، كما يقال الصحة في البدن والدين جميعًا)) [٧] وجعله العسكري بمعنى الغم ، وقال :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦١/٣.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٧٦/٢ .

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ص ٢٢٩ .

(٤) فتح القدير ٥٩٣/١.

(٥) ينظر :الكشاف ٦٧/١ ، والمحرر لابن عطية ٩٢/١ ، والتحرير والتنوير ٢٧٥/١ .

(٦) جامع البيان ١٣٩/١.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٨٣/١.

((وسُمِّي الغم في القلب مرضًا تشبيهًا بمرض الجسد)) [1]وقيل بمعنى الظلمة [2]

فالمرض في الآية ما قصد به الشك ؛ لأنَّه لو أراده لعبَّر عنه بلفظه ، وقال : في قلوبهم شك ، وإنَّما قصد به المرض الروحي ، وهو ما يقابل المرض الجسدي ، فكما أنَّ الأجسام تمرض بأمراض مختلفة ، فكذلك النفوس والقلوب ، تمرض بأمراض مختلفة كالشك في دين الله ، أو النفاق ، أو سوء الاعتقاد ، أو الكفر ، أو الغل والحسد والبغضاء ، أو الغم بظهور أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك أنَّ هذا ما قيل به في تفسير المرض في قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)[3]

والمرض الذي جعله مقاتل ومن تبعه في الوجه الثاني في قوله تعالى (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) بمعنى الفجور ، جعله العسكري بمعنى الشك والنفاق[4] وجعله الفيروزآبادي بمعنى الفتور عما أُمِر به ونُهِي عنه [5]

وهذه الأقوال تدخل جميعها إمَّا في باب المجاز ، أو ضمن أنواع المرض الروحي أو القلبي ، فلا يصح أن يجعل أحدها وجها ؛ لأنَّها لا تمثل معاني حقيقية ؛ لذلك اختُلِف فيها ، بين مفسر ومفسر آخر ، وبين وجوهي ووجوهي آخر .

---

(١) الوجوه والنظائر ص٣٠٧-٣٠٨ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩٣ .

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ١/١٤٠ ، والكشاف للزمخشري ١/٦٧ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/٩٢ .

(٤) الوجوه والنظائر ٣٠٨.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩٣ .

فقد أريد من المرض المرض بعينه في هذه الوجوه الأربعة ، وقد عُني به مرض القلب في الوجهين الأولين ، ومرض الجسد في الوجهين الأخيرين .

٦-**الفساد** : قال مقاتل : ((تفسير الفساد على ستة وجوه : فوجه منها : الفساد يعني المعاصي ، فذلك قوله في البقرة : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}{البقرة : ١١}، يقول : لا تعملوا فيها بالمعاصي ، نظيرها في الأعراف : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا}{الأعراف : ٥٦} يقول لا تعملوا فيها بالمعاصي ، ونحوه كثير

والوجه الثاني : الفساد هو الهلاك ، فذلك قوله في بني إسرائيل : {لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}{الإسراء : ٤} ٠٠٠

والوجه الثالث : الفساد يعني قحط المطر ، وقلة النبات ، فذلك قوله في الروم : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}{الروم : ٤١} يعني قحط المطر ، وقلة النبات ٠٠٠

والوجه الرابع : الفساد يعني القتل ٠٠٠ كقوله في الكهف : {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ}{الكهف : ٩٤} يعني يقتلون الناس

والوجه الخامس : الفساد بعينه : ٠٠٠كقوله في النمل : {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا}{النمل : ٣٤} يعني خربوها

والوجه السادس : الفساد يعني السحر ، فذلك قوله في يونس : {إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}{يونس : ٨١} يعني السحرة))[١]وأضاف ابن الجوزي وجهين : الخراب ، والكفر[٢]

---

(١) الأشباه والتظائر ص ١٠٢-١٠٤ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ١٩-٢٠ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ٣٠-٣١ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ٣٦١-٣٦٢ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٢١٩-٢٢٠ .

الدليل على بطلان هذه الوجوه قول مقاتل ومن تبعه في الوجه الخامس : ((الفساد بعينه)) وهذا يعني أنَّ للفساد معنى مستقلاً ، يميزه من معاني الوجوه المنسوبة إليه ، أي : لا يُعد باعترافهم من الألفاظ المشتركة ، بل كل وجه هو مستقل عن الفساد من حيث اللفظ والمعنى ، لا يجمع بينها لفظ مشترك واحد ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ جعلهم الوجه الخامس : يعني الفساد بعينه ، يتطلب أن يعرِّفوا لنا ما أصل معنى الفساد ، إلّا أنَّهم لم يفعلوا ، مما يدل على أنَّ ما يقولونه من الوجوه كله قائم على الارتجال ، ومن غير دراسة ، ومن غير تحري الدقة في معانيها ، فقد عرِّف الفساد بأنَّه نقيض الصلاح [١] ((والاستفساد خلاف الاستصلاح ، والمفسدة خلاف المصلحة)) [٢] وقال الراغب : ((الفساد خروج الشيء عن الاعتدال ، قليلاً كان الخروج عنه ، أو كثيرًا ، ويضاده الصلاح ، ويستعمل ذلك في النفس والبدن ، والأشياء الخارجة عن الاستقامة)) [٣] والخراب من المعاني المرادفة للفساد ، ولا يعني الفساد بعينه ؛ لأنَّ ((الخاء والراء والباء أصل يدل على التثلم والتثقب٠٠٠والخراب ضد العمارة)) [٤] وقال ابن الجوزي : ((الفساد : تغير الشيء عمَّا كان عليه من الصلاح٠٠٠ويذكر الفساد في الدين كما يذكر في الذات ، فتارة يكون بالعصيان٠٠٠ويقال في العقود إنَّها فاسدة إذا لم تستوف شروطها الشرعية ، وفي الشهادة إذا لم يجب الحكم بها

---

(١) ينظر : العين ص ٧٤٣ ، وتهذيب اللغة ٢٧٨٧/٣

(٢) الصحاح ص٨١٢

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٥٣ .

، وفي الدعاوى إذا لم تسمع ويلزم الجواب عنها ، وفي الأقوال إذا كانت غير منتظمة ، وفي الأفعال إذا لم يعتد بها)) [١]

وقد جعلوا الفساد في الوجه الأول بمعنى المعاصي في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) وقوله تعالى : (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا) بل الفساد هنا ، يعني الفساد بعينه ، وأكبر دليل على ذلك ، أنَّه جاء بقوله (مُصْلِحُونَ) بعد قوله : (لاَ تُفْسِدُواْ) وجاء بقوله : (بَعْدَ إِصْلاَحِهَا) بعد قوله : (وَلاَ تُفْسِدُواْ) فقابل الفساد بالصلاح ، وقد أجمع أهل اللغة ، كما تقدم ، على تعريف الفساد بأنَّه ما كان خلاف الصلاح .

والفساد من الألفاظ العامة ، وهذا يعني أنَّه لا بد من أن تكون هناك ألفاظ مرادفة له، أي : قريبة من معناه ، كالهلاك ، والخراب ، اللذين قيل بهما في الوجه الثاني والخامس ، وقد تبيَّن أنَّ من علامات وجوه اللفظ المشترك أن لا ترتبط فيما بينها بصلة الترادف ، كما أنَّه لا بد أيضًا من أن تكون هناك ألفاظ ترتبط بالفساد بمعناه العام ، فلا شك في أن في اقتراف المعاصي ، وحصول القحط ، وجريمة القتل ، والعمل بالسحر ، فسادًا لحياة الناس ، وهي التي قيل بها في الوجه الأول ، والثالث ، والرابع ، والسادس ، وهذه الحقيقة أكدها العسكري ، فقد قال في وجه القتل : ((وعندنا أنَّ الفساد في هذا الموضع : ضد الصلاح ، والقتل داخل في ذلك)) [٢] فكما أنَّ وجه القتل داخل في الفساد ، فكذلك باقي الأوجه جميعها داخلة فيه ، وهي كما قلنا ترتبط به بمعناه العام .

---

(١) نزهة الأعين ص ٢١٩.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٥٥.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإنَّ من حق أي باحث كان أن يسأل أصحاب كتب الوجوه ، أنَّه لِمَاذا عبَّر القرآن الكريم عن هذه الأوجه بلفظ الفساد ولم يعبِّر عنها بألفاظها ؟ ما المسوغ وما الداعي إلى ذلك؟ وأي إجابة عن هذا السؤال ، لا بدَّ أن تستند إلى المعنى ، ولا بدَّ من أن يكون الجواب ، أنَّه عبَّر عنها بلفظ الفساد ، لأنَّه أراد معنى الفساد ، ولم يعبِّر عنها بألفاظها ، لأنَّه ما أراد معاني تلك الأوجه ، وإذا أصروا أنَّه أرادها وسُئلوا السؤال نفسه ، فإنَّهم لن يستطيعوا الإجابة عنه ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ؛ لأنَّ الإجابة عن هذا السؤال في هذا الحال لا تكون إلّا بالادعاء بأنَّ القرآن الكريم وضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يدعيه ؛ لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وعندئذ تبطل فكرة هذه الوجوه ؛ لذلك فإنَّ أصحاب هذه الكتب غير مستعدين لأن يُوجَّه إليهم مثل هذا السؤال .

وصفوة ما تقدم ذكره أنَّ المعاصي ، والهلاك ، وقحط المطر ، وقلة النبات ، والقتل ، والخراب ، والسحر ، إمَّا أن تكون ألفاظًا مرادفة للفساد ، فلا يصح أن تكون أوجهًا له ؛ لأنَّها ليست معاني متباينة ، بل يجمعها معنى عام واحد ، وقد اختلقها أصحاب كتب الوجوه للفساد ؛ لجواز أن تقع موقعه لتقارب معانيها من معناه ، وهي وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ؛ فجعلها أوجهًا للفساد يُعدُّ تحريفًا لدلالته الذي لا يقل خطرًا عن تحريف لفظه ، وإمَّا أن تكون موصوفة بالفساد ، أي : إذا صح ما ادعوه من أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن هذه الأوجه السبعة بلفظ الفساد ، فإنَّهم قد اختلقوها أيضًا عن طريق دراستهم إياها دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ الفساد بهذه الأوجه المذكورة كما فعلوا ، بل سمَّى كلًّا منها فسادًا ؛ لأنَّ كلًّا منها تتمثل فيه هذه الدلالة ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ لفظ الفساد

أينما ورد في القرآن الكريم أريد به الفساد بعينه وبمعناه العام ، ولا وجوه له فيه ؛ لذلك فإنَّ الراغب لم يذكر للفساد غير هذا الوجه[1] ؛ لذا جعله بالمعاني الخاصة يُعدُّ أيضًا تحريفًا لدلالته ، وما قلتُه هنا عن وجوه لفظ الفساد ينطبق على وجوه كل لفظ قامت على أساس الترادف ، أو الدراسة المعكوسة .

٧-**المشي** : قال مقاتل : ((تفسير المشي على أربعة وجوه : فوجه منها : المشي يعني المضي ، فذلك قوله في البقرة : (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ){البقرة : ٢٠} يعني مضوا فيه ، كقوله في تبارك : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ){الملك : ١٥}

والوجه الثاني : المشي يعني هدى ، فذلك قوله في الأنعام : (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ){الأنعام :١٢٢} يقول إيمانًا يهتدي به ، كقوله في الحديد : (وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ){الحديد : ٢٨} يقول إيمانًا تهتدون به .

والوجه الثالث : المشي يعني الممر ، فذلك قوله في تنزيل السجدة : (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ){السجدة : ٢٦} يقول : يمر أهل مكة على قراهم ، نظيرها في طه : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأوْلِي النُّهَى){طه : ١٢٨} يقول : يمر أهل مكة على قراهم .

والوجه الرابع : المشي بعينه ، فذلك ... كقوله في الفرقان : (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ){الفرقان : ٧} يعني

---

(١) ينظر : المفردات ص ٩٣٥ .

المشي ، وكقوله : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا){الفرقان : ٦٣} يعني المشي بعينه)) (١)

وجعل العسكري من أوجه المشي الأخرى : السير في قوله تعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) والنماء في قوله تعالى : (وَانطَلَقَ الْمَلا مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ){ص : ٦} إلّا أنَّه قال : ((أي : لا تتموا ، وقيل : أراد أنَّ بعضهم قال لبعض : امشوا ، أي : امضوا)) (٢) ومعنى النماء وجه بعيد ، والذي قيل هو الصواب كما جاء في كتب التفسير (٣)

هذه الأوجه التي قال بها مقاتل ومن قلَّده مردودة بما يأتي

١-مما يدل على بطلان هذه الأوجه قول مقاتل ومن تبعه عن المشي في الوجه الرابع ، بأنَّه يعني المشي بعينه ، وهذا يعني أنَّ للمشي معنى مستقلاًّ يميزه من معاني الأوجه المنسوبة إليه التي عبَّروا عنها بألفاظ المضي ، والممر ، والهدى ، والسير ، وقد تقدم أنَّ كتب الوجوه والنظائر قامت على أساس ظاهرة اللفظ المشترك ، أي : على أساس أنَّ الوجوه التي يشترك فيها لفظ واحد ، تمثل معاني حقيقية غير مجازية ، والأوجه المذكورة هي في الحقيقة ليست أوجهًا للفظ المشي ، بل هي من مرادفاته ، فهي كما

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠٤-١٠٦ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٠ وينظر الوجوه والنظائر لهرون ص ٣١ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠٧ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤١٤-٤١٥.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٠٧

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء ٢٨١/٢، وجامع البيان ١٤٨/٢٣ ، ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤١/٤ ، وزاد المسير ٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٦/٥ ، ومدارك التنزيل ص ١٠١٥ .

قال العسكري : ((وهذه المعاني كلها متقاربة ، يجوز أن يقع بعضها مقام بعض)) [١]

٢- ذكرتُ غير مرة أنَّ الترادف إذا قصد به التطابق في المعنى ، فلا وجود له في القرآن الكريم ، وإذا قصد به التقارب في المعنى ، فهو موجود في القرآن الكريم ، وفي كلام العرب ، وفي كل لغة من لغات العالم ، لأنَّ المعاني التي يحتاج الإنسان إلى التعبير عنها ، لا بد من أن تكون متفاوتة في القرب والبعد عن بعضها ، وكتاب الله يتميز بالدقة في اختيار المعنى المراد التعبير عنه ، من دون الخلط بينه وبين المعاني الأُخر ، مهما بلغت شدة قربها منه ، وهذا الخلط كثيرًا ما يحصل في كلام الناس وكتب البشر ، إلّا أنَّه غير حاصل البتة في كتاب الله .

٣-ثمة سؤال لا بد من ذكره ، وهو : ما المسوغ اللغوي ، أو الدلالي الذي استند إليه مقاتل ومقلدوه في جعل المشي بمعنى المضي في الوجه الأول ، وبمعنى الهدى في الوجه الثاني ، وبمعنى الممر في الوجه الثالث أو بمعنى السير ؟! لا مسوغ البتة ، وإنما هو الولع في اختلاق الوجوه ، والذي يسَّر لهم ذلك اتباع سبيل الترادف ، ومن المعلوم أنَّه ما من لفظ في اللغة والقرآن الكريم إلّا له مرادفات ، أي : ألفاظ قريبة من معناه ؛ لذلك أصبح بمقدرة كل وجوهي أن يختلق أوجهًا لأي لفظ كان ؛ ليجعلها بمعاني مرادفاته .

وثمة سؤال آخر ، وهو أنَّه لِمَاذا عبَّر القرآن الكريم عن معنى المشي بلفظه في الوجه الرابع ، ولم يعبِّر عن معاني المضي والهدى والممر والسير بألفاظها ؟!

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٠٧.

٤- مما يجب أن نؤمن به أنَّه ما من لفظ في القرآن الكريم يمكن استبداله بلفظ مرادف له أدق منه في التعبير عن المعنى المراد ، فالقرآن الكريم لم يستعمل لفظ المضي في الوجه الأول ؛ لأنَّ المضي : ((يدل على نفاذ ومرور))[(١)] وله سياقاته ، كقوله تعالى : (قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ){الأنفال : ٣٨} وقوله تعالى : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ){ص : ٦٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا){الكهف : ٦٠}

فاستعمل المضي في هذه الآيات ، لأنَّه لم يرد المشي ، أو المرور فحسب ، بل أراد مع المشي أو المرور ، النفاذ والعبور والقرآن الكريم ما أراد هذا المعنى في شواهد الوجه الأول ، بل أراد من المشي معناه الذي يدل على الحركة والتجوال[(٢)] ففي قوله تعالى : (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ) لم يقل مضوا فيه ؛ لأنَّه ما أريد المشي في المكان الذي يضاء وعبوره ، بل الحركة فيه ، أي : يتبعون النور والتجوال فيه وعدم الخروج منه .

وقد مرَّ تعريف المشي ، وعُرِّف السير بأنَّه ((أصل يدل على مضي وجريان ، يقال : سار يسير سيرًا ، وذلك يكون ليلاً ونهارًا ، والسيرة : الطريقة في الشيء والسُّنة ؛ لأنَّها تسير وتجري))[(٣)] فأرى أنَّ الفرق بين المشي والسير ، أنَّ سرعة المشي محددة ، فهو أقل سرعة من الهرولة ، والهرولة أقل سرعة من العدْو ، مما يدل على أنَّ الأصل في المشي ما يكون على الأقدام ، لذلك استعمل المشي من دون السير في قوله تعالى :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٦٤.

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٦٢ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٢٤.

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير){النور : ٤٥} أمَّا السير فهو غير مقيَّد بهذين القيدين ، لذلك يُستعمَل في قطع المسافات الطويلة وفي الأسفار وبوسائط السير المختلفة ؛ لذلك استعمل السير من دون المشي في قوله تعالى : (فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ){آل عمران : ١٣٧} وقوله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){يوسف : ١٠٩} وقوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){النمل : ٦٩} ولأنَّه غير مقيَّد بالسرعة والأقدام استعمله من دون المشي في قوله تعالى : (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ){التكوير : ٣}

والمرور غير السير ، وقد جعل المفسرون القدامى والمتأخرون مرَّ الجبال بمعنى سيرها يوم القيامة في قوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٨٦} وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ{٨٧} وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ){النمل :٨٦-٨٨} قالوا ذلك لأنَّهم كانوا يعيشون في زمان لم يكن أهله يعلمون ما نعلمه اليوم بعد تقدم الإنسان في مجالات العلم كافة ، فقد تبين اليوم لعلماء الفلك أنَّ الأرض التي نحسبها جامدة ساكنة لا تتحرك ، تتحرك، ومعها الجبال بسرعة ١٦٦٩كم في الساعة حول نفسها ، وبسرعة ٥٣٦٢٤كم في الساعة حول الشمس .

والدليل على أن المقصود بقوله تعالى: (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) حركة الجبال حاليًّا وليس يوم القيامة ما يأتي :

١-إنَّ القرآن الكريم قال: (تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُر مَرَّ السَّحَابِ) والجبال يوم القيامة نحس بسيرها بكل جوارحنا ، فالمقصود إذن حركتها حاليًّا ؛ لأنَّنا لا نشعر بحركتها ومرورها مع أنَّها تتحرك وتمرُّ.

٢-إنَّ سير الجبال يوم القيامة يكون شديدًا ومذهلاً حتى لشدة سرعتها تتناثر صخورها وتتفتت ؛ فتكون خفيفة الوزن كالصوف ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، قال الله تعالى عن سير الجبال يوم القيامة: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) [القارعة: ٥] أي: الصوف المنفوش ؛ بل لشدة سرعتها تتلاشى ، كما قال تعالى: (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) [النبأ: ٢٠] والسراب: الخيال في حين أنَّ قوله تعالى : (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) يعني سيرها بهدوء حتى شبهها القرآن الكريم بسير الغمام ، وهذا ما ينطبق على سيرها حاليا ، وهذا ما صرَّح به المفسورون ، فقد جاء في التفسير : ((قيل شبَّه مرورها بمرِّ السحاب في كونها تسير سيرًا وسطًا كما قال الأعشى :

كأنَّ مشيتها من بيت جارتها مرَّ السحاب لا ريثٌ ولا عجلَ)) [(١)]

٣-انتهاء الآية بقوله تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) الإتقان في اللغة : إحكام الشيء ، يعني أنَّه ، سبحانه ، جعل الجبال تسير حاليًّا بانتظام ، بسرعة ثابتة لا تزيد ولا تنقص ، وفي فلك محدد معين ، وهنا يتجلى إتقان الصنعة ، أمَّا سيرها يوم القيامة فقد أخبر القرآن الكريم بأنَّها تسير سيرًا جنونيًّا ، لا ضبط فيه ولا نظام ، حتى لشدة سرعتها وهول حركتها وانتقالها من سرعة تكون فيها كالصوف المنفوش إلى سرعة تتحول فيها إلى سراب ، يصبح الناس الذين يرونها في حالة من الفزع الرهيب ، ففي يوم القيامة يختل النظام ولاختلاله يحدث ما يحدث مما يجعل الناس سكارى وما

---

(١) البحر المحيط / تفسير أبي حيان ١٢٩/٧ ، وينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٤٤/١٠ .

هم بسكارى ، فلا ينطبق على هذه الحالة وصف حركة الجبال المضطربة هذا الاضطراب بالإتقان ، بل القيامة لا تقوم إلّا بعد أن ينزع الله من نظام الكون هذا الإتقان ، فانتهاء الآية بقوله تعالى ، (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يناسب مرَّ الجبال حاليًّا لانتظام حركتها ومرورها ، وليس سيرها يوم القيامة الذي يختل فيه التوازن ، وقوله تعالى : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) معطوف على قوله تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) وقوله تعالى : (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ) جملة معترضة [١]

واستعمل المشي من دون السير في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ){الملك : ١٥} لأنَّ الكسب اليومي وطلب الرزق في مناكب الأرض يتطلب استمرار المشي والتجوال فيها على الأقدام .

ولما شبه القرآن الكريم في الوجه الثاني دين الله بالنور ، والنور أمر حسي ، كان من المناسب أن يرتبط به فعل يحمل دلالة حسية ، وهو الفعل يمشي ؛ ليتألف من الجمع بين النور والمشي صورة حسية متحركة ، فالمسلم حين يقرأ قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) ترتسم في ذهنه صورة إنسان يمشي ، وبين يديه مصباح ينير به طريقه ، ولا يتحقق هذا المشهد ، باستعمال الهدى ؛ لأنه دلالة معنوية ؛ فتناسبه الأمور المعنويه لا الحسية ، ولذلك استعمل مفاتل الهدى مع الإيمان في التقدير ، فقال : ((يقول إيمانًا يهتدي به)) وقال : ((يقول إيمانًا تهتدون به))

وقد مر تعريف المهتدي ، بانَّه هو المقتدي ، فـ(يهتدي) هو الذي يقتدي بغيره ، ليصل به إلى ما يبتغي [٢] وهذا هو معنى التقديرين المذكورين

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٣١٨/١٩.

([٢]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٣١٨/٥.

، فيكون قولنا : يهتدي بالنور ، يعني : يقتدي بالنور ، أمَّا إذا قلنا : يمشي بالنور ، فلا يكون المعنى : ، يمشي مقتديًا به ، بل : يمشي مستصحبًا إياه ، أي : يُمَشِّيه معه ؛ لينير له ما بين يديه أينما مشى ، فتكاد تكون دلالة المشي بالنور ضد دلالة الاهتداء بالنور

أمَّا جعل المشي بمعنى الممر في الوجه الثالث فهو قول اعتباطي ، ليس له أي مسوغ كان من مسوغات اللغة ، أو الدلالة ؛ لأنَّ المشي والمرور معروفان ، ولكل منهما معناه ، والفرق بينهما واضح ، حتى إنَّهما لم يستعمل أحدهما بمعنى الثاني ، ولم يرد أحدهما في موضع الآخر ، كما أنَّ الفعل مر لا يتعدى إلى مفعوله بـ(في) كحال الفعل مشى ، بل يتعدى إليه بالباء ، أو بـ(على) .

فقد كان من الطرق التي يسلكها العرب في أسفارهم ، ما تطل على القرى التي دمرها الله لظلم أهلها ، فلمَّا أراد القرآن الكريم أن يعبِّر عن هذا المعنى قال سبحانه : (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ){الصافات : ١٣٧} قال ابن الجوزي : ((هذا خطاب لأهل مكة كانوا إذا ذهبوا إلى الشام وجاؤوا ، مروا على قرى قوم لوط صباحًا ومساءً)) [1] وقد يُراد من استعمال (عليه) العلو المعنوي ، كقوله تعالى : (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ){هود : ٣٨} كأنَّهم ينظرون إليه من مقام أعلى من مقامه ، لذلك كانوا يسخرون به كلما مروا عليه .

وكان من هذه الطرق ما يخترق مثل هذه القرى ، فتمشي قوافلهم بين أطلال منازلها ، فلمَّا أراد القرآن الكريم التعبير عن هذا المعنى ، قال سبحانه : ((أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ){السجدة : ٢٦}

---

(1) ينظر : زاد المسير ٣٢١/٦ .

وكان الذين آمنوا في مكة يمشون قريبين من مجالس المشركين ، ومواطن لهوهم ؛ لأنَّها على طريق ممشاهم ، فيلقون منهم أذى الغمز ، فلمَّا أراد القرآن الكريم أيضًا أن يعبِّر عن هذا المعنى قال سبحانه (وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ){المطففين : ٣٠}

فهذه ثلاث حالات حاصلة وجائزة جميعها على حد سواء ، وقد عبَّر القرآن الكريم عن كل حالة منها باللفظ والتركيب المطابق للمعنى المراد ، فلا أدري إلى أي مسوغ لغوي ، أو دلالي استند إليه مقاتل والوجوهيون من بعده في جعل المشي بين المنازل بمعنى المرور عليها ؟! فليس لهم أي مسوغ سوى اللعب بألفاظ القرآن الكريم ومقاصده ، وسوى إظهار مقدرتهم على اختلاق الوجوه ، ولو كان على حساب الحقيقة .

والألفاظ المترادفة مهما بلغت شدة اقتراب معنى بعضها من بعض ، فإنَّ استعمالها جميعًا في القرآن الكريم ، لا بد أن يكون مستندًا إلى وجود فرق بينهما في الدلالة ، وإن لم يتضح هذا الفرق عند أهل اللغة ، فقد قال ابن فارس عن الجذر مرَّ : ((الميم والراء أصلان صحيحان يدل أحدهما على مضي شيء ، والآخر على خلاف الحلاوة والطيب ، فالأول : مرَّ الشيء يمُرُّ : إذا مضى ، ومر السحاب : انسحابه ومضيُّه)) [1] وقال عن الجذر مضى : ((الميم والضاد والحرف المعتل ، أصل صحيح يدل على نفاذ ومرور))[2]

فأنت تلحظ بوضوح تداخل معنيي مرَّ ومضى ، ومع هذا التداخل الكيبير بينهما فإنَّ القرآن الكريم فرَّق بينهما في المعنى والاستعمال ، فاستعمل (مضى) في قوله تعالى : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٤٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٦٤.

أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ){ص : ٦٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا){الكهف : ٦٠} ولم يستعمل فيهما (مرَّ) لأنَّ هناك فرقًا بين المضي والمرور على الأقل في الأمور الآتية :

١-أنَّ في المضي معنى النفاذ ، مما يدل على أنَّه يكون بخطى أسرع ، أي : أنَّ القصد من المضي ليس مجرد المرور ، بل اختراق الشيء وعبوره .

٢-أنَّ الماضي يعلم مسبقًا ما الشيء الذي سيمضيه ، وأنَّه هو المقصود في بدء الانطلاق ، أمَّا المرور بالشيء فإنَّه لم يكن هو المقصود بل قد يحصل من دون نية مسبقة ، أو علم بالشيء الذي سيمر به ؛ لذلك استعمل المضي ، من دون المرور في الشاهدين المذكورين .

٣- أنَّ في المرور معنى التكرار والرجوع ؛ وليس كذلك المضي والمشي ، لذلك لم يستعمل القرآن الكريم ، مضى ولا مشى ، بل استعمل مر في قوله تعالى : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ){النمل : ٨٨} والمراد سرعة حركتها ، وهي تدور حول نفسها ، ومن المعلوم أنَّ الكرة الأرضية تكمل دورتها حول نفسها مرة في كل ٢٤ ساعة وبسرعة اعتيادية .

وصفوة ما تقدم تفصيله أنَّ القرآن الكريم أراد من المشي في الأوجه الأربعة المشي بعينه ؛ لأنَّه لو أراد معاني الأوجه التي ذكرها مقاتل ومن تبعه ، لعبَّر عنها بألفاظها ؛ كما أنَّ هذا الادعاء بهذه الأوجه يلغي فكرة البحث عن بلاغة القرآن الكريم ؛ لأنَّ بلاغته في مثل هذه المواضع تستوجب معرفة الفرق في الدلالة بين يمشي ومعاني هذه الأوجه ، أي : التعرف إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١- لِمَ قال في الوجه الأول مشوا ولم يقل مضوا ؟

٢–ولِمَ قال في الوجه الثاني يمشون ولم يقل يمرون ؟

٣–ولِمَ قال في الوجه الثالث يمشي ولم يقل يهتدي ؟

ولا يمكن معرفة بلاغة القرآن الكريم في هذه المواضع ، والكشف عن سر إعجازه فيها ، إلّا في ذكر هذه الأسئلة والإجابة عنها ، إلّا أني لم أجد أحدًا من أصحاب كتب الوجوه من سأل نفسه مثل هذه الأسئلة ؛ لأنَّهم يعلمون علم اليقين أنَّ الإجابة عنها تبطل فكرة الوجوه جملة وتفصيلاً

٨–**اللبس–اللباس** : قال مقاتل : ((تفسير اللبس على أربعة وجوه ، فوجه منها : يلبسون يعني يخلطون ، فذلك قوله في البقرة : (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٤٢} يعني : لا تخلطوا٠٠٠

والوجه الثاني : اللباس يعني سكن ، فذلك قوله في البقرة : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ) يقول : نساؤكم سكن لكم (وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) {البقرة : ١٨٧} يعني سكن لهن ، كقوله في الفرقان : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا){الفرقان : ٤٧} يعني سكنًا ، نظيرها في عم يتساءلون (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا){النبأ : ١٠} يعني سكنًا .

والوجه الثالث : اللباس يعني الثياب التي تُلبَس ، فذلك قوله في الأعراف : (قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا){الأعراف : ٢٦} يعني الثياب٠٠٠

والوجه الرابع : يعني العمل الصالح ، كذلك قوله في الأعراف : (وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ){الأعراف : ٢٦} يعني العمل الصالح)) [١]

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٠–٢١ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص٣٢ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٢–٢٩٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠٧ ونزهة الأعين ص ٢٥٢ .

لا يزال مقاتل ومقلدوه يثبتون لي مرة تلو أخرى ، أنَّ منهجهم في هذه الوجوه قائم على الارتجال ، ليس في كلامهم ما يدل على إنعامهم النظر في أصل الألفاظ ، وتحري الدقة في دلالاتها ، فقد عُرِّف اللَبْس ، بفتح اللام : ((خلط الأمور بعضها ببعض إذا التبست)) [1] وقال ابن فارس : ((اللام والباء والسين : أصل صحيح واحد ، يدل على مخالطة ومداخلة ، من ذلك : لبَستُ الثوبَ ألبَسُه ، وهو الأصل ومنه تتفرَّع الفروع ، واللَّبسُ : اختلاط الأمر، يقال : لبَستُ عليه الأمرَ ألبِسُه ، بكسرها ٠٠٠ وفي الأمر لَبْسَة ، أي : ليس بواضح ٠٠٠ ومن الباب : اللباس ، وهي امرأة الرجل ، والزوجُ لباسها)) [2]

فإذا كان يلبسون معناه في اللغة يخلطون ، فكيف يصح جعله وجهًا ، كما فعل مقاتل ومقلدوه في الوجه الأول ؛ إذ كيف نجعل من معنى اللفظ وجهًا له ؟!

كما أنَّهم ذكروا لفظ اللبس من دون تحريك اللام ، ولم ينبهوا على أنَّ اللَّبس بالفتح يعني ما أشكل أمره ولم يتضح ، وهو المعنى الذي تقدَّم ذكره ، وشاهده : (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) ، و((اللُّبْسُ بالضم ، مصدر قولك : لبِسْتُ الثوبَ ألْبَسُه ولبِستُ امرأة : تمتعْتُ بها زمانًا ، ولَبِسْتُها عُمُري : أي : كانت معي شبابه كله ٠٠٠ واللباس ٠٠٠ ما يُلْبَس ٠٠٠ قال الله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) {البقرة : ١٨٧} أي : بمنزلة اللباس ، وقوله تعالى : (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) أي : يستر الناس بظلمته)) [3]، وفي قوله تعالى : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ

---

(١) العين للخليل ص٨٦٥

(٢) مقاييس اللغة ٨٢٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤/٤١٧-٤١٨ .

يَصْنَعُونَ){النحل : ١١٢} قال الزجاج ((وقد جاعوا حتى بلغوا إلى أن أكلوا الوبر بالدم ، وبلغ منهم الجوع الحال التي لا غاية بعدها))[١]((فضُرِبَ اللباس لما نالهم من ذلك مثلًا لاشتماله على لابسه)) [٢]

فاللباس في قوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) أريد به ما يعنيه اللباس ، ولم يُرد به السكن ، كما قيل به في الوجه الثاني ؛ لأنَّه لو أراده لعبَّر عنه بلفظه وقال : هنَّ سكن لكم وأنتم سكن لهنَّ ، وهذا الوجه ، وإن قال به مفسرون ، فإنَّ الأغلبية رجحت المعنى الأول ، وقدمته على الوجه الثاني ،

قال أبو عبيدة : ((يقال لامرأة الرجل : هي فراشه ولباسه وإزاره)) [٣] وقال الطبري : ((فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباسًا لنا ، ونحن لهنَّ لباسًا ، واللباس إنما هو ما يُلبَس ، قيل لذلك وجهان من المعاني ، أحدهما أن يكون كل واحد منهما جُعل لصاحبه لباسًا ، لتخرجهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما هو لباس لصاحبه٠٠٠ والوجه الآخر أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه لباسًا ، لأنَّه سكن له)) [٤] وقال الزجاج : ((قد قيل فيه غير قول ، قيل المعنى : فتعانقوهنَّ ويعانقنكم وقيل كل فريق منكم يسكن إلى صاحبه ويلابسه)) [٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣.

(٢) تهذيب اللغة ٣٢٢٩/٤ ، وبصائر ذوي التمييز ٤١٨/٤.

(٣) مجاز القرآن ص ٣٩.

(٤) جامع البيان ١٩٥/٢-١٩٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/١.

لكن القرآن الكريم صرح بـ(اللباس) الموافق لـ(يلابسه) ولم يصرح بـ(السكن) الموافق لـ(يسكن)

وقال الراغب : ((وجُعِل اللِّباس لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح ؛ فجُعِل الزوج لزوجه لِباسًا من حيث إنَّه يمنعها ويصدها عن تعاطي قبيح ، قال الله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) فسماهنَ لباسًا ، كما سمَّاها الشاعر إزارًا : فدًى لكَ من أخي ثقة إزاري)) [١]

وقال الزمخشري : ((لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه ، شُبِّه باللباس المشتمل عليه)) [٢] وقال ابن عطية : ((واللِّباس أصله في الثياب ، ثم شُبِّه التباس الرجل بالمرأة وامتزاجهما وتلازمهما بذلك)) [٣]وابن الجوزي الذي عبَّن جعل اللباس بمعنى السكن في النزهة تقليدًا لمقاتل[٤] قال في تفسيره : ((إنَّهنَّ بمنزلة اللباس ؛ لإفضاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه ، فكنى عن اجتماعهما متجردين بمنزلة اللباس)) [٥] ومثل هذا قال أبو حيان [٦]

وقال السمين الحلبي : ((في قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا){النبأ : ١٠} ((أي : ساترًا بظلمته الأشياء ، وكل شيء ستر شيئًا ، فهو لباس، وقوله تعالى (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) الآية نبَّه على شدة المخالطة ، وإنَّ كلًّا من الزوجين للآخر بمنزلة اللِّباس٠٠٠ وإليه أشار رسول

---

(١) المفردات ص ٤٦٦

(٢) الكشاف ٢٢٨/١.

(٣) المحرر الوجيز ٢٥٦/١ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٥٢ .

(٥) زاد المسير ١٦٦/١ .

(٦) البحر المحيط ٨١/٢ .

الله ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : من تزوَّج فقد ستر شطر دينه ؛ فليتق الله في الشطر الآخر)) [١] وقال ابن عاشور : ((استعارة بجامع شدة الاتصال)) [٢]

فالعرب سمَّتِ الزوج لباسًا ، قال الجعدي (المتقارب)

إذا ما الضجيع ثَنَى جِيدَها تثَنَّتْ عليه فكانت لباسًا [٣]

وكما سمَّتِ العرب الزوج لباسًا سمَّتْه إزارًا كما تقدم في قول الراغب ، وجاء في النهاية : ((وفي حديث بيعة العقبة (بايع الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم) لَنَمْنَعَنَّكَ مما نمنع منه أُزُرَنا ، أي : نساءنا وأهلنا ؛ كنَّى عنهنَّ بالأُزُرِ ، وقيل : أراد أنفسنا ، وقد يُكَنَّى عن النفس بالإزار ، ومنه حديث عمر كُتِب إليه من بعض البُعوث أبيات في صحيفة منها :

ألا أبْلِغ أبا حفصٍ رسولاً فدًى لكَ من أخي ثقة إزاري

أي : أهلي ونفسي)) [٤]

فالمراد إذن من اللِّباس في قوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) وقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا){النبأ : ١٠} اللِّباس بعينه ؛ لِما تقدَّم ذكره ، على سبيل الكناية ، أو المجاز ، أو التوسع في الكلام ، وما حُمِل على أحد هذه الأمور الثلاثة ، لا يصح أن يُعَد وجهًا .

---

(١) عمدة الحفاظ في تقسير أشرف الألفاظ ٩/٤ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨٩/٢ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٣٢٢٩/٤ ، والصحاح للجوهري ص ٩٣٥. والمصباح المنير ص ٥٤٨

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٧/١-٥٨ .

أمَّا جعل لباس التقوى بمعنى العمل الصالح في الوجه الرابع في قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأعراف : ٢٦}

فقد ذكر الطبري أنَّ أهل التأويل اختلفوا في تفسير لباس التقوى في هذه الآية ، فذهب بعضهم إلى أنَّ لباس التقوى ، هو الإيمان ، وهو قول قتادة والسُدِّي وابن جريج ، وقال آخرون هو الحياء ، وهو قول معبد الجهني ، وقال آخرون ، هو العمل الصالح ، وهو قول ابن عباس ، وقال آخرون ، هو خشية الله ، وهو قول عروة بن الزبير ، وقال آخرون ، هو ستر العورة ، وهو قول ابن زيد[١]

والأقوال الاربعة الأولى التي ذكرها الطبري تعني ما يقي الإنسان من الوقوع في ما حرَّم الله ، أي : ما يقيه من عذاب الله يوم القيامة ، أمَّا القول الخامس الاخير ، فيعني اللِّباس بعينه ، فقد قال الواحدي : ((قُرِئَ بالنصب والرفع ، فمن قرأ بالنصب حمل على أنزل من قوله والمعنى على هذه القراءة هو أن يتقي الله ؛ فيستر عورته ، فلا يطوف عاريًا كفعل أهل الجاهية قال ابن الانباري : ولباس التقوى هو اللباس الاول ؛ وإنما أعاده لمَّا أخبر عنه بأنَّه خير من التعري ؛ إذ كان جماعة من أهل الجاهلية يتعبدون بالتعري في الطواف بالبيت)) [٢] وقال الزمخشري : ((لباس الورع والخشية

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٧٦/٨-١٧٨ ، والوسيط للواحدي ٣٥٩/٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٨٩/٢ .

(٢) الوسيط في تفسير الكتاب المجيد ٣٥٨/٢-٣٥٩ ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر بالنصب ، والباقون بالرفع ، ينظر : كتاب معاني القراءات للأزهري ص ١٧٧-١٧٨ ، والحجة في علل القراءات السبعة لأبي علي النحوي ٧/٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ص ١١٣، وغيث النفع في القراءات السبع للسفاقسي ٢٧٣.

من الله تعالى)) [١] ((وكان زيد بن علي يقول : : لباس التقوى : السلاح وآلة الجهاد)) [٢] وقال أبو حيان : ((والظاهر حمله على اللباس حقيقة ؛ فقال ابن زيد : هو ستر العورة ، وهذا فيه تكرار ؛ لأنَّه قد قال : (لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ) وقال زيد بن علي : : الدرع والمغفر والساعدان ؛ لأنَّه يُتقى بها في الحرب، وقيل الصوف واللبس الخشن ، وروي : اخشوشنوا ، وكلوا الطعام الخشن ، وقيل ما يقي من الحر والبرد ... وقيل لباس التقوى مجاز ... وقال يحيى بن يحيى الخشوع ، والأحسن أن يُجعل عامًّا فكل ما يحصل به الاتقاء المشروع ، فهو من لباس التقوى)) [٣]وقال ابن الجوزي : ((فعلى هذا سُمِّي لباس التقوى ، لأنَّه يقي العذاب))[٤]وقال السمين الحلبي : ((استعار للتقوى لباسًا توسعًا)) [٥]

وجاء في كتاب اللباب في علوم الكتاب بأنَّ المفسرين اختلفوا في تأويل لباس التقوى على قولين عامين :

القول الأول : أنَّه أريد به اللباس بعينه ، وهو ما يستر العورة ، وقد تقدم تسويغ تكراره ، أو ما يُتقى به في الحرب كالدروع والمغافر والجواشن ، أو ما يُلبَس لأجل إقامة الصلاة ، أو هو الصوف ، والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع .

---

(١) الكشاف ٩٣/٢ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٩٢/٢ .

(٣) البحر المحيط ٣٦٥/٤.

(٤) زاد المسير ٤٠/٣ .

(٥)عمدة الحفاظ ٩/٤.

القول الثاني : حمل لباس التقوى على المجاز ، وأريد به الإيمان ، أو العمل الصالح ، أو العفاف والتوحيد ، أو خشية الله ، أو الحياء ، ونحوها مما تقدم ذكره ، مما يدل على تقوى الله .

((وإنما حمل لفظ اللباس على هذه المجازات ؛ لأنَّ اللباس الذي يفيد التقوى ليس إلاَّ هذه الأشياء)) (١)

ونقل الآلوسي توجيهات هذين القولين ، ثم قال : ((فاللفظ إمَّا مشاكلة ، وإمَّا مجاز ، وإمّا حقيقة)) (٢)

وكذلك أجاز ابن عاشور هذين القولين ، وقال عن الوجه الثاني : ((ويجوز أن يكون المراد بالتقوى ، تقوى الله ، وخشيته ؛ وأُطلِق عليها اللباس ، إمّاَ بتخييل التقوى بلباس يُلبَس ، وإمَّا بتشبيه ملازمة تقوى الله بملازمة اللابس لباسه)) (٣)

يتبيَّن مما سبق ذكره أنَّ الأوجه التي ذكرها مقاتل والوجوهيون من بعده جميعها مختلقة ؛ لأنَّ اللباس في جميعها يعني اللباس بعينه ، إمَّا حقيقة ، أو على سبيل الكناية ، أو المجاز ، أو التوسع في الكلام ؛ فالوجوه يجب أن تمثل معاني حقيقية ، لا ترتبط فيما بينها بصلة المجاز ، أو غيره إلاَّ صلة اللفظ المشترك ، وأكبر دليل على ذلك قولهم عن أنَّ اللباس في الوجه الأول يعني اللباس بعينه ، مما يدل باعترافهم على أنَّ اللبس ليس من الألفاظ المشتركة ، إذ جعلوا له معنى مستقلاً يميزه من معاني الوجوه المنسوبة إليه ، وقد تبيَّن من قبل أنَّ معاني الوجوه جميعها يجب أن تكون علاقتها باللفظ المشترك واحدة .

---

(١) ٩/٧١-٧٢.

(٢) روح المعاني ٤/٣٤٤.

(٣) التحرير والتنوير ٨/٥٨-٥٩ .

كما أنَّ الاختلاف في هذه الأوجه يُعَد أيضًا من الأدلة على أنَّها لا تمثل أوجهًا للفظ المشترك ؛ لأنَّ وجوه اللفظ المشترك لا يُختَلَف فيها ، لكونها تمثل معاني حقيقية ، وإنَّما الاختلاف يحصل في الوجوه المرتبطة فيما بينها بصلة الترادف ؛ لأنَّ المترادفات يصح أن يقع بعضها موقع بعض ، والتي ترتبط في ما بينها بصلة الوصف ؛ لأنَّ الوصف شبيه بالترادف ، والتي ترتبط في ما بينها بصلة المجاز ؛ لأنَّ المجاز يُقَدَّر حسب اجتهاد الدارس ، والمعاني الخاصة التي ترتبط في ما بينها بالمعنى العام ؛ فيُختَلَف فيها لأنَّ جميعها تدخل ضمن المعنى العام على حد سواء .

٩-السوء : ذكر مقاتل وأصحاب كتب الوجوه من بعده أنَّ للسوء في القرآن الكريم أحد عشر وجهًا هي :

١-الشدة : كقوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩}

٢-العقر: كقوله تعالى : (هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الأعراف : ٧٣}

٣-الزنا : كقوله تعالى : (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ){يوسف : ٥١}

٤-البرص : كقوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء){النمل : ١٢}

٥-العذاب : كقوله تعالى : (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ){النحل : ٢٧}

٦-الشرك : كقوله تعالى : (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ){النحل : ٢٨}

٧–الشتم : كقوله تعالى : (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ){الممتحنة : ٢} وقوله تعالى : (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ){النساء : ١٤٨}

٨–بئس : كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ){الرعد : ٢٥}

٩–الذنب من المؤمن : كقوله تعالى : (} إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ){النساء : ١٧}

١٠–الضرر : كقوله تعالى : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ){الأعراف : ١٨٨}

١١–القتل والهزيمة : كقوله تعالى:(إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا){الأحزاب : ١٧}[١]

لم يتضح لي بعد دراسة ما تقدم من وجوه مقاتل والوجوهيين من بعده ، ما المنهج الذي اتبعوه ، أهو السياق ، أم الدلالة الموضوعة للفظ ؟ أمَّا الثاني ، فلم يكن له أي ظل كان على منهج أصحاب كتب الوجوه ؛ بل تعمدوا إبعاده عن الدراسة ؛ لأنَّه يعطل مقدرتهم على اختلاق الوجوه ، أمَّا فيما يتعلق بالمنهج الأول ، فإنِّي لا أنكر أنَّ تحديد المعنى المراد يتم من خلال السياق ، ولكن هذا محصور في الألفاظ المشتركة ، ولم أجد من بين

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١٠٦ –١٠٨، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢١–٢٣ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٣٣٠٣٤ ، والوجوه وانظائر للعسكري ص ١٧٨–١٧٩ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٥–٢٥٦ ونزهة الأعين ص ١٦٤–١٦٥ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٤٧ –١٤٩ ، والكليات للكفوي ص ٤٢٢

الالفاظ التي تقدم ذكرها لفظًا مشتركًا ؛ وعليه فإنَّه لا يصح فيها اتباع منهج السياق ، فعلام إذن اعتمد مقاتل ومقلدوه ، على ما زعموه ؟ !

تبيَّن لي ، كما قلتُ غير مرة ، أنَّ منهجهم هو الارتجال وإظهار مقدرتهم على اختلاق الوجوه بطرق مختلفة ، ولو كان ذلك على حساب لغة القرآن الكريم وتشتيتها وتشويهها منها :

الطريقة الأولى : السياق : سعى مقاتل جاهدًا ومقلدوه أن يظهروا أنفسهم بأنَّهم قد استندوا إلى السياق في هذه الوجوه ؛ ذلك بالاعتماد على أية إشارة مهما بعدت ، قد يكون لها ارتباط غير مقصود بالوجه المختَلَق ، من ذلك مثلًا ادعاؤهم بمجيء السوء في الوجه الثاني بمعنى العقر في قوله تعالى : (هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الأعراف : ٧٣}

وهذا ما ادعاه الطبري[١] وابن الجوزي في تفسيره [٢] متأثرين بمقاتل وارتجاله في التوجيه والتفسير ، والسياق الذي اعتمدوا عليه ، هو أنَّ قصة الناقة انتهت بعقر قوم صالح لها ، وما اعتمدوا عليه لا يصح لما يأتي :

١-أنَّ السوء من المعاني العامة ، والعقر من المعاني الخاصة ، فلا يصح جعل العام بمعنى الخاص ؛ لأنَّ في ذلك خلطًا بينهما في التعبير .

قال الخليل : ((والسوء نعت لكل شيء رديء٠٠٠والسوء اسم جامع للآفات والداء ، وتقول : ساء ما فعل فلان صنيعًا ، أي : قبح صنيعه صنيعًا)) [٣] فالسوء من المعاني العامة ؛ أي : هو اسم جنس معنوي ؛ لذلك يُفَسَّر يما يرادفه من المعاني العامة ، فقد قال الراغب : ((السوء : كل ما يغم

(١) ينظر : جامع البيان ٢٧٠/٨ .

(٢) ينظر : زاد المسير ١٧٢/٢ .

(٣) كتاب العين ص ٤٥٣-٤٥٤.

الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وجاه وفقد حبيب ٠٠٠ ولذلك قوبل بالحسنى)) (١) وقال السمين الحلبي : ((والسوء أيضًا كل ما يقبح)) (٢) فالسوء من المعاني العامة ؛ لذلك وجدنا العسكري في كتابه الوجوه والنظائر جعله بمعنى ((المكروه من كل شيء)) ففسَّره بما يرادفه من المعاني العامة (٣)

٢–أنَّ النهي عن مسِّها كان قبل حصول عقرها ، وليس بعده ؛ فلو كان الكلام بعده ، لجاز استعمال هذا المعنى الخاص ؛ لأنَّه سيكون تعبيرًا عما وقع ، وقد عبَّر عنه بلفظه بعد وقوعه في قوله تعالى : (فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِم){الأعراف : ٧٧}

٣–أنَّ القرآن الكريم لو أراد المعنى الخاص لعبَّر عنه بلفظه ، ولما كان يعجزه سبحانه أن يقول : فلا تعقروها ؛ فلما قال سبحانه : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) أراد معنى المس بالسوء ، وجاء السوء نكرة لتدل على أي سوء كان ، وبهذه الدلالة جاء تفسيرها الصحيح المطابق للمعنى المراد ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) : ((لا تضربوها ، ولا تطردوها ، ولا تريبوها بشيء من الأذى إكرامًا لآية الله)) (٤) وقال البيضاوي : ((نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى ؛ مبالغة في الأمر ، وإزاحة للعذر)) (٥) وقال أبو حيان : ((نهاهم عن مسها بشيء من الاذى ، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهاهم عن مسها بسوء

---

(١) المفردات ص ٢٦١ .

(٢) عمدة الحفاظ ٢/٢٣٠ .

(٣) ص ١٧٨ .

(٤) الكشاف ٢/١١٧.

(٥) أنوار التنزيل ٣/٢٠ .

إكرامًا لآية الله ؛ فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها من الماء والكلأ أولى وأحرى))[1] وقال الآلوسي : : ((أي:لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً كالطرد والعقر٠٠٠والمعنى : لا تمسوها مع قصد السوء ، فضلًا عن الإصابة ، فهو كقوله تعالى : (لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) {النساء : ٤٣}[2]

٤–لو قال سبحانه : فلا تعقروها لكان النهي يخص العقر فحسب ، أي : لجاز أذيتها بكل أنواع الأذى الأخرى سوى العقر ، وليس هذا هو المراد ، كما هو واضح .

٥–لو قال سبحانه : فلا تعقروها ، لكان النهي مقتصرًا على عقرها ، ولكان عقرهم لها مساويًا لما نُهُوا عنه ، ولكانت حالة العقاب تختلف ، والله أعلم ، ولكن لما قال : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) شمل النهي كل حالات المس حتى أدناه ، فلما عقروها أمسوا قد ارتكبوا أعلى درجات النهي ؛ فاستحقوا أعلى درجات العقاب ، الذي تمثل في قوله تعالى : (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {١٣} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا {١٤} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا {الشمس : ١٣–١٥}

ومن ذلك أيضًا ادعاؤهم بمجيء السوء بمعنى الزنا في الوجه الثالث ، في قوله تعالى : (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ){يوسف : ٥١} نقول هنا ما قلناه في الوجه السابق : إنَّه وإن كان في السياق ما يدل على اتهام يوسف عليه السلام بالزنا ، فإنَّه ما أراد من السوء معنى الزنا ؛ لأنَّه لو أراده لصرح به بلفظه ،

---

(١) البحر المحيط ٤٢١/٤ .

(٢) روح المعاني ٤٠١/٤.

وقال : وما علمنا عليه من زنا ؛ وإنَّما أراد السوء الذي هو من المعاني العامَّة ، ويمكن عده من أسماء الجنس المعنوي ؛ لذلك صرَّح بلفظه ؛ وورد أيضًا نكرة مجرورًا لفظًا بـ(من) التي تفيد استغراق النفي ؛ لتكون الآية بمعنى : ما علمنا عليه أي سوء كان ، في ما يتعلق بالزنا ، من أدنى حالاته المتمثلة بالنظرة السيئة مثلًا ، إلى أعلاها المتمثلة بارتكاب الفاحشة ؛ فلو قال : ما علمنا عليه من زنًا ، لكانت شهادة النسوة له مقتصرة على تنزيهه من الزنا فحسب ؛ ولكن لما كان قصدهنَّ تنزيهه من الزنا ، ومقدماته ، وما أدنى منه اقتضى هذا المقام أن يُعبَّر عنه بقوله تعالى : (قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) لذلك وجدنا العسكري في كتابه الوجوه والنظائر يفسر السوء هنا بالمكروه وفسَّره البيضاوي بالذنب ؛ ففسراه ، بما يرادفه من المعاني العامة [1] وبهذا المعنى فسرها الآلوسي فقال : (((قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ) هل وجدتُنَّ فيه ميلاً إليكنَّ (قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ) تنزيهًا له وتعجيبًا من نزاهته ، عليه السلام ، وعفته (مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة (مِن))) [2]

والسياق الذي استتندوا إليه في جعل السوء بممعنى البرص في الوجه الرابع ، في قوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء){النمل : ١٢} خروج ((اليد بيضاء بغير لون موسى)) [3]

أجيب عما زعموه بما يأتي :

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٧٨ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٦٧/٣ .

(٢) روح المعاني ٤٤٦/٦.

(٣) جامع البيان للطبري ١٥٩/١٩.

١–لو أريد ما ادعوه لعبَّر عن البرص بلفظه وقيل : من غير برص ، إذ ليس من مسوغ لغوي أو دلالي يدعو التعبير عن المعنى الخاص بلفظ العام ، بل في ذلك خلط بين الدلالات وتحريف لها .

٢–ولو قال من غير برص ؛ لاحتمل أنَّها بيضاء لآفة أخرى غير البرص .

٣–ولكن لما أراد سبحانه أن يخبرنا أنَّها تخرج بيضاء من دون أية آفة من آفات اليد ، قال سبحانه : (مِنْ غَيْرِ سُوء) لأنَّ السوء ، كما تقدم ، اسم جنس ، فهو من المعاني العامة ؛ ولهذا فسَّرها الراغب بقوله : ((أي : من غير آفة بها)) (١) وفسَّرها ابن عطية بقوله : ((أي : من غير برص ولا علة)) (٢) والبيضاوي بقوله : ((آفة كبرص)) (٣) والحلبي بقوله : ((وقيل : سالمة من كل آفة)) (٤)

والسياق الذي استندوا إليه في جعل السوء بمعنى الشرك ، في الوجه السادس ، في قوله تعالى : (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ){النحل : ٢٨}(٥) كون الآية التي ورد فيها الشاهد مسبوقة بآية فيها كلام على الشرك والشركاء ، وهي قوله تعالى : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ

---

(١) المفردات ص ٢٦٠ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٨٨/٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٢/٤ .

(٣) أنوار التنزيل ١٥٦/٤.

(٤) عمدة الحفاظ ٢٣٠/٢ .

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١٠٧ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٢ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٣٣ ، والوجوه والنظائر للعسكري ١٧٩، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٦ ونزهة الأعين ص ١٦٥ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٤٨ ، وزاد المسير ٣٣٦/٤.

تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ){النحل : ٢٧}

لمَّا كان السوء كما تقدَّم تعريفه اسم جنس من المعاني العامة ، فهو لا يعني الشرك بخاصة ؛ لذلك فسَّر الطبري السوء هنا بمعصية الله[١]وفسَّره الزجاج بالسوء عينه [٢] وفسَّره الزمخشري بالكفر والعدوان [٣] وقال الآلوسي : ((وقيل المراد بالسوء الفعل السيِّئ ، أعم من الشرك وغيره ، ويدخل فيه الشرك دخولاً أوليًّا ، أي : ما كنَّا نعمل سوءًا فضلًا عن الشرك)) [٤]

والسياق الذي استندوا إليه في جعل السوء بمعنى الشتم في الوجه السابع ، في قوله تعالى : (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ){الممتحنة : ٢} وقوله تعالى : (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ){النساء : ١٤٨} هو أنَّ الشتم يكون باللسان .

لا يصح حصر السوء بالشتم ؛ لأنَّه عائد على الأيدي والالسن على حد سواء ، والسوء المنسوب إلى الأيدي حالات متتنوعة ، كالضرب والقتل والرمي بما يؤذي والضرر والدفع ، وكذلك المنسوب إلى الالسن ، كالشتم والغيبة والنميمة والهمز واللمز والنفاق والخداع والتحريض على العدوان باللسان ، وقد جُعل القتل مثلًا على سوء الأيدي ، والشتم مثلًا على سوء اللسان ؛ لذلك فُسِّر السوء بـ((ما يسوؤوكم كالقتل والشتم)) [٥]

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٢٠/١٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣.

(٣) ينظر : الكشاف ٥٧٩/٢.

(٤) روح المعاني ٣٧٠/٧.

(٥) أنوار التنزيل ٢٠٤/٥.

وكذلك قوله تعالى : ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ لم يكن في الأصل السبب في استعمال لفظ السوء هنا هو الشتم ، بل الدعاء على الظالم ، قال الطبري : ((معنى ذلك لا يحب الله تعالى ذكره أن يجهر أحدنا بالدعاء على أحد ، وذلك عندهم هو الجهر بالسوء ... يدعو على من ظلمه ؛ لأنَّه قد رُخِّص في ذلك))[1]

وقد ذكرت كتب التفسير حالات هذا الدعاء ، بالدعاء على الظالم كقوله : اللهم أعني عليه ، اللهم استخرج حقي منه ، اللهم خلِّ بيني وبين ما يريد ، ونحوه من الدعاء ، وكذلك جواز التظلم من الظالم والشكوى منه ، أي : يذكر للناس بما ظلمه ، وكذلك إن شتمه الظالم جاز أن يشتمه بمثله ولا يزيد[2] وقال الآلوسي بعد نقل هذه الأقوال : ((وأنت تعلم أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)) [3] فهذه الحالات وغيرها تدخل جميعها ضمن معنى السوء ؛ فليس واحدٌ من بينها مقصودًا من دون الآخر ، وهذا مما امتاز به القرآن ، وهو أن يتخذ من الحالة الخاصة حالة عامة ؛ ليعم الحكم .

والسياق الذي استندوا إليه في جعل السوء بمعنى القتل والهزيمة في الوجه الحدي عشر في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾{الأحزاب : ١٧} هو أنَّ الآية التي ورد فيها الشاهد مسبوقة بقوله تعالى : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إلا قَلِيلًا {١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ

---

(١) جامع البيان ٦/٥ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٦/٥ –٧، والوسيط للواحدي ٢/١٣٤ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/١٠٥ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٧/٩٩–١٠٠

(٣) روح المعاني ٣/١٧٧ .

اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا)}[الأحزاب : ١٦-١٧} إلّا أنَّ موضع السياق معنى خاص عُبِّر عنه بلفظه ، والسوء اسم جنس من المعاني العامة ؛ فلا يصح الخلط بينهما ، وإلباسهما لباسًا واحدًا ؛ لأنَّ هذا اللباس ؛ إمَّا أن يكون ضيِّقًا لا يسع معنى السوء ؛ أو فضفاضًا يضيع به معنى اللفظ الخاص ؛ فيكون مقاتل ومقلدوه بما زعموه قد شوَّهوا المشهد القرآني في الحالين ، وهو ليس كذلك في الحقيقة والتفسير؛ قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إنَّ بيوتنا عورة هربًا من القتل ؛ من ذا الذي يمنعكم من الله ؛ إن هو أراد بكم سوءًا في أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؛ وهل يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلاَّمن قبله)) (١)

فتأمَّل كيف أنَّ الطبري فسَّر السوء بالسوء ، وعدَّ القتل وغير القتل من أمثلته ، أو أنواعه ، وفسره بالبلاء ، وهو من المعاني العامة المرادفة لمعنى السوء ، فالقرآن لم يقل : لو أراد بكم قتلاً وهزيمة ؛ وإنما استعمل المعنى العام المتمثل بالسوء ؛ ليشمل العذر الذي نزلت بسببه الآية ونحوه ، من الأعذار الأخرى التي لا يمكن حصرها ، مما قد يعتذرون بها في مقام آخر ، أو يعتذر بها غيرهم في جيل آخر ، وقد تميز القرآن الكريم بهذه السمة ؛ لأنَّه أُنزل تشريعًا شاملاً للناس كافة في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة .

الطريقة الثانية : الترادف : ويُعَدُّ الترادف من الطرق التي اتبعها مقاتل في اختلاق الوجوه ؛ ذلك أنَّه ما من لفظ في اللغة والقرآن الكريم ، إلّا له ما يرادفه من المعاني ، وقد نبهتُ من قبل أنَّه يجب أن يكون المقصود من الترادف تقارب المعاني لا تطابقها ، لأنَّه لا يوجد لفظان متطابقان في

---

(١) جامع البيان ١٥٧/٢١ .

المعنى البتة في كتاب الله المجيد ، وقد اتبع مقاتل ومقلدوه سبيل الترادف ؛ ليتخذ من مرادفات اللفظ وجوهًا . من ذلك ادعاؤهم في الوجه الأول أنَّ سوء العذاب يعني شديد العذاب في قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩} ومثل هذا جاء في التفسير أنَّ سوء العذاب يعني شديد العذاب أو أشقَّه وأصعبه أو أشدَّه وأفظعه [١]

ومن المعلوم أنَّ المعاجم اللغوية تذكر معنى اللفظ بما يرادفه بالمعنى ، لا بما يطابقه ؛ إذ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، ولا سيما في القرآن الكريم ، أي : تعرِّفه بأقرب المعاني إليه وأوضحها ، ولم تشر إلى أنَّ هذا المرادف يُعَد وجهًا له ، إلّا إذا كان وجهًا له حقيقة ، أمَّا المفسرون فيجدر بهم أن لا يسلكوا سلوك الوجوهيين ؛ فيعينوا معنى اللفظ القرآني بلفظ مرادف له ويكتفوا بذلك ؛ فيقعوا بمثل ما وقع به مقاتل ومقلدوه ، بل عليهم أن يشرحوا اللفظ القرآني بما يوضح عين معناه ، ويبدو أنَّ المفسرين بعامة قد أدركوا هذه الحقيقة ، فكثيرًا ما يشرحون اللفظ القرآني بكلام يدور حول معنى اللفظ بعينه ، فهو أولى من تعريفه بلفظ أو لفظين ؛ من ذلك أنَّ الطبري فسَّر (سُوَءَ الْعَذَابِ) بقوله ((إنَّه يعني ما ساءهم من العذاب)) [٢] وفسَّره الزجاج بقوله : ((أي : ما يبلغ في الإساءة ما لا غاية بعده)) [٣]

فيجب إذن أن يكون من المعلوم ، أنَّه إذا قيل بأنَّ الشدة مرادفة للسوء ، فهذ لا يعنى أنَّها مطابقة له ، بل هي قريبة من معناه ، أي : لا بد

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١ ، والكشاف ١٤١/١ ، والبحر المحيط ٢٨٢٠٢٨٣/١ ، وروح المعاني ٢٥٥/١ ، والتحرير والتنوير ٤٧٦/١.

(٢) جامع البيان ٣١١/١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١.

من أن يكون بينهما فرق في المعنى ، وقد سبق أن ذكرتُ أنَّ الالفاظ المترادفة متفاوتة من حيث درجة قرب بعضها من بعض ؛ إذ اللغة ، ولا سيما لغة القرآن الكريم كصرح عظيم لبناته المتراصة ألفاظها ، ومن البديهي أن تلامس كل لبنة لبنة تجاورها ، أو تفصل بينهما واحدة أو اثنتان ، وقد تقدم تعريف السوء بأنَّه الجامع للآفات والداء [١] أمَّا الشدة فقد عرفها ابن فارس بقوله : ((الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء)) [٢] ((والشدة : الصلابة في الشيء)) [٣] فهذا هو معنى الشدة فأين هو من معنى السوء ؟ !

فلأنَّ السوء خلاف الشدة ؛ فقد استعمله القرآن الكريم من دونها ؛ لما يأتي :

١-استعمل السوء ؛ لأنَّه أراد معنى السوء لا معنى الشدة .

٢-السوء اسم جامع لأنواع الأذى بخلاف الشدة ؛ فاستعمله القرآن الكريم تعبيرًا عن أنواع العذاب التي ابتلى بها فرعون قوم موسى ، عليه السلام .

٣-في السوء معنى الإساءة ، بخلاف الشدة ؛ فاستعمل القرآن الكريم لفظه المعبر عنه ؛ ليبين أنَّ فرعون أساء في تعذيبه لبني إسرائيل ، وقد تمثل في قتل من يولد من الأبناء ، أي : في قتل من لا ذنب لهم .

---

(١) ينظر : كتاب العين ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٦٦ .

(٣) لسان العرب ٣٨/٨.

٤–ذكر أهل اللغة كما تقدم ، أنَّ في السوء معنى القبح [١] وقد قال الزمخشري في تفسير : (سُوَءَ الْعَذَابِ) ((والسوء مصدر السيِّئ ، يقال : أعوذ بالله من من سوء الخُلُق وسوء الفعل ، يراد قبحهما)) [٢] وهذا ما كان يفعله فرعون في بني إسرائيل ((قال السُّدِّي : كان يصرفهم في الأعمال القذرة ، ويذبِّح الأبناء ، ويستحيي النساء)) [٣]

فلِما مرَّ تفصيله لا يصح أن نجعل السوء بمعنى الشدة ؛ لأنَّ في ذلك إلغاء للمعنى الذي أراده القرآن الكريم ، وتحريفًا لمقاصد ألفاظه .

ومن ذلك ما زعموه في جعل السوء بمعنى العذاب ، في الوجه الخامس ، في قوله تعالى : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ){النحل : ٢٧}

وهذا ما جاء أيضًا في كتب التفسير، وليس الأمر ما أجمعوا ؛ لأنَّه لا يصح عدُّ العذاب من وجوه السوء إلّا إذا ثبت أنَّ السوء من اللفظ المشترك ، وليس الأمر كذلك ، فقد تقدم أنَّ للسوء معنى مستقلاً يميزه من معاني الوجوه التي نُسِبتْ إليه ، كما أنَّه يجب أن لا يكون لهذا الوجه لفظ يعبر عنه غير اللفظ المشترك ؛ ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن معنى العذاب بلفظ العذاب في مواضع كثيرة ، كما استعمل لفظ السوء كذلك في مواضع كثيرة ، مما يدل قطعًا على أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ السوء ؛ لأنَّه أراد دلالته ، ولم يستعمل لفظ العذاب ؛ لأنَّه ما أراد دلالته ، وقد عرفوا

---

(١) ينظر : كتاب العين ص ٤٥٣–٤٥٤ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ ٢٣٠/٢

(٢) الكشاف ١٤١/١ .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٠/١.

العذاب بأنَّ أصله ((الضرب ... ثم استعير ذلك في كل شدة)) [(١)] ((والعذاب النكال والعقوبة)) [(٢)]وقال الراغب : ((والعذاب هو الإيجاع الشديد)) [(٣)] فلم يستعمل القرآن لفظ العذاب ؛ لأنَّه ما أراد هذا المعنى ، بل أراد معنى السوء ؛ فأردف المعنى الخاص بما هو أعم ؛ ذلك أنَّ الله سبحانه ، لمَّا قال : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) أراد العذاب النفسي ، لذلك قال العلماء : إنَّ الخزي اليوم وكل ما يسوؤهم من العذاب النفسي والبدني على الكافرين .

وما قلناه في هذا الوجه ، يقال الكلام نفسه في بقية الوجوه المنسوبة الى لفظ السوء ، وإلى كل الألفاظ التي اشتمل عليها أشباه مقاتل البالغة ١٨٦ لفظًا ، إلاَّ ما كان من لفظ مشترك حقيقة ، وهي معدودة ، قد نصل إليها إن شاء الله تعالى .

وكذلك ما ادعوه في الوجه الثامن بأنَّ السوء جاء بمعنى بئس في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ){الرعد : ٢٥}

لم يملك مقاتل ومن قلده أي مسوغ كان لجعل السوء بمعنى بئس ، سوى اختلاق الوجوه عن طريق الترادف ؛ فهو وجه قُصِد اختلاقه قصدًا ؛ إذ لم أجد من المفسرين من جعل السوء بمعنى بئس ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ لبئس معنى غير معنى السوء ، جاء في لسان العرب : ((فبئْس كلمة ذم ، ونعْم كلمة مدح ، وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ... وبئْس

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٥١.

(٢) لسان العرب ٧٣/١٠ ، وتاج العروس ٢٠٧/٣ .

(٣) المفردات ص ٣٣٩ ، وينظر : عمدة الحفاظ ٤٢/٣-٤٣.

مهموز فعل جامد لأنواع الذم ، وهو ضد نِعْمَ في المدح ... ونِعْمَ مستوفية لجميع المدح ، وبِئْسَ مستوفية لجميع الذم ، فإذا قلت : بئْس الرجل ، دللتَ على أنَّه استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه)) [١]

فبين بئْس والسوء فرق أساسي ، وهو أنَّ بئْس فعل جامد واستُعمِلَ للذم بأسلوب إنشائي ، والسوء مصدر فعل متصرف ، فقولنا مثلًا : بئْس ما فعل زيد ، يفيد ذم فعله ، سيئًا كان في الحقيقة أم لا ؛ إذ المراد الذم ، لأنَّه أُسلوب إنشائي ، لا يحتمل الصدق أو الكذب ، أمَّا قولنا : ساء ما فعل زيد ، فهو أسلوب خبري ، يحتمل في أصله الصدق أو الكذب ، يفيد وصفه بالسوء ؛ لذلك لا يصح جعل السوء في الآية بمعنى بئْس ، لأنَّه ليس المراد ذم دارهم ، بل البيان أنَّها دار سوء ، أو وصفها بالسوء .

وكذلك ادعاؤهم بمجيء السوء في الوجه التاسع بمعنى الذنب من المؤمن في قوله تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ){النساء : ١٧} والسوء كما تقدم تعريفه اسم جنس معنوى ، جامع لأنواع الأذى والآفات ؛ فهو أعم من الذنب ، والمراد عموم المعنى ، لذا جيء بلفظه ؛ ليكون المعنى : إنما التوبة للذين يقترفون ما يسوء من الأعمال بجهالة .

وكذلك ادعاؤهم في الوجه العاشر بمجيء السوء بمعنى الضرر في قوله تعالى : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ){الأعراف : ١٨٨}

والسوء والضر وإن ترادفا ، فلا بد من أن يكون ثمة فرق بينهما في المعنى ؛ لذلك تطرق العسكري إلى التفريق بينهما بقوله : ((إنَّ الضر يكون من حيث لا يُعلَم المقصود به ، والسوء لا يكون إلّا من حيث يُعلَم ، ومعلوم أنَّه يقال : ضررتُ فلانًا من حيث لا يعلم ، ولا يقال : سؤته إلّا إذا جاهرته

---

(١) لسان العرب ٩/٢.

بالمكروه)) [١] وقد عُرِّف الضر بأنَّه خلاف النفع [٢] وقال الراغب : ((الضر : سوء الحال ، إمَّا في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة ، وإمَّا في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإمَّا في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه)) [٣] وجاء في تاج العروس : ((كل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضر ، وما كان ضد النفع فهو ضر)) [٤]

يبدو أنَّ أهل اللغة لم يحددوا بوضوح الفرق بين والسوء والضر ، بل كاد الراغب وصاحب التاج أن يخلطا بينهما في الدلالة ، والفرق بينهما يتضح بضرب الأمثلة ، فنقول : إذا عددنا فقر الرجل من السوء ؛ فإنَّ الأذى الذي يحدثه فيه هذا السوء كالجوع والعرى هو الضر ، وإذا عددنا مرضه من السوء ؛ فإنَّ الأذى الذي يحدثه فيه هذا السوء كفقدان البصر هو الضر ، وإذا عددنا فقدان بصره من السوء ؛ فإن الأذى الذي يصيبه من جراء هذا السوء كالسقوط في حفرة هو الضر ، وإذا كان الزنا من السوء ، فإنَّ المرض الذي يصيبه من جراء فعل هذا السوء هو الضر ، وإذا كان فقدان المرأة من يعيلها ويرعاها يُعَد من السوء ، نعد الزنا الذي اضطرت إليه بسبب هذا السوء هو الضرر ؛ فالضر إذن هو ما يصيب الإنسان من أذى لحق به من حالة أصابته ، أو فعل فعله هو ، أو غيره ، وإذا ذكر الضر في القرآن ، فقد أُريد به الضر نفسه ، لا ما أحدثه وسببه .

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٢٤ .

(٢) ينظر : كتاب العين ص ٥٤٤ ، ومقاييس اللغة ص ٥١٣ ، والصحاح ص ٨١٩ ، واللسان ٣٢/٩ .

(٣) المفردات ص ٣٠٤ .

(٤) ٢٠١/١٢.

فالفرق بيِّن بين السوء والضر ؛ فكيف يصح جعل السوء بمعنى الضر في قوله تعالى : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ){الأعراف : ١٨٨} وقد ذُكِر الضر في الآية مقترنًا بالنفع ، فقد أريد به إذن ما كان خلاف النفع ، وذُكِر السوء مقترنًا بالخير ؛ فقد أُريد به إذن ما كان خلاف الخير ، والطبري وإن فسر السوء هنا بالضر تقليدًا لمقاتل في أشباهه فقد نقل عن ابن زيد أنَّه فسَّره بالشر [١] وفسَّره الواحدي بالضر والفقر [٢] ولأنَّ السوء اسم جنس معنوي أصبح المجال مفتوحًا لتعدد الأقوال فيه ، فقد أجازوا فيه ما يحتمله ؛ فذكروا أنَّه أُريد به الجنون الذي رموه به [٣] وما يدل على التقليد لمقاتل في أشباهه أنَّ ابن الجوزي الذي جعل السوء بمعنى الضر في كتابه النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) [٤] قال في تفسيره : ((قوله : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) فيه أربعة أقوال : أحدها أنَّه الفقر ، قاله ابن عباس ، والثاني أنَّه كل ما يسوء ، قاله ابن زيد ، والثالث الجنون ، قاله الحسن ، والرابع التكذيب ، قاله الزجاج ، فعلى قول الحسن ، يكون هذا الكلام مبتدأ ، والمعنى : وما بي من جنون ، إنَّما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلقًا بما قبله)) [٥]

فقد أجاز في السوء أربعة أقوال ، ليس من بينها الوجه الذي عيَّنه هو ومقاتل في كتبهم الأشباه والنزهة والمنتخب ، والصحيح قول من فسَّر

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٦٩/٩ .

(٢) ينظر : الوسيط ٤٣٤/٢.

(٣) ينظر : المحرر لابن عطية ٤٨٥/٢.

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ١٦٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٤٨.

(٥) زاد المسير ٢٢٩/٣.

السوء السوء بعينه ؛ لما تقدَّم ذكره ؛ فأبو حيان بعد أن نقل الأقوال السابقة ، وأضاف إليها قال : ((والظاهر عموم الخير وعدم تعيين السوء وقيل : السوء : تكذيبهم له مع أنَّه كان يُدعى الأمين ، وقيل : الجدب ، وقيل : الموت٠٠٠وقيل : الخسارة في التجارة ، وقال ابن عباس : الفقر وينبغي أن نجعل هذه الأقوال خرجت على سبيل التمثيل لا الحصر ؛ فإنَّ الظاهر في الغيب الخير والسوء عدم التعيين))(١) يعني : أنَّه أراد الخير بمعناه العام ، والسوء بمعناه العام .

فقد ذكر مقاتل والوجوهيون من بعده للسوء أحد عشر وجهًا ، ليس من بينها وجه واحد يمثل معنى السوء ، فهذا يعني أنَّهم أفرغوا السوء من دلالته ومحتواه ، وهي الدلالة المرادة في كل شواهد الوجوه التي نسبوها إليه ، وما فعلوه بهذا اللفظ ، فعلوا الشيء نفسه بجميع الألفاظ التي اشتمل عليها أشباه مقاتل ، هذا هو المأخذ الأول ، والمأخذ الثاني أنَّهم خلطوا بين السوء والوجوه الأحد عشر ، خلطوا بين معانيها وألفاظها ، وهذا ما حصل أيضًا بباقي الألفاظ ، كما أنَّ هناك تداخلاً بينها من جانب آخر ، فقد سبق أن ذكروا أنَّ من وجوه الفساد معنى القتل ، وذكروا هنا أنَّ من وجوه السوء معنى القتل .

١٠-**الحسنة والسيئة :** ذكر مقاتل ومن تابعه أنَّ الحسنة والسيئة جاءت في القرآن الكريم على ستة أوجه ، هي :

١-الحسنة يعني النصر والغنيمة ، والسيئة يعني القتل والهزيمة .

٢-الحسنة والسيئة يعني التوحيد والشرك .

٣-الحسنة يعني كثرة المطر والخصب ، والسيئة يعني قحط المطر وقلة النبات والخير .

---

(١) البحر المحيط ٥٥٣/٤ .

٤-السيئة يعني العذاب في الدنيا ، والحسنة يعني العاقبة .

٥-الحسنة يعني العفو وقول المعروف ، والسيئة قول القبيح

٦-الحسنة فعل نوع من الخير ، والسيئة فعل نوع من الشر [١]

لم يزل مقاتل ومقلدوه يكررون المنهج الذي اتبعوه لاختلاق الوجوه ، وهو أنَّهم اتخذوا مما جاز وصفه بالحسنة والسيئة أوجهًا لهما ، وهذا الوصف وإن جاز ، لم يكن مرادًا في شواهد الأوجه المذكورة ، ومع ذلك لو صح وقوعه فيها ، فهي أوجه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة على نحو ما تقدم في وجوه لفظ الفساد وغيره ، والحقيقة أنَّ المراد من الحسنة الحسنة بعينها ، ومن السيئة السيئة بعينها ، وهذا ما أكده العسكري وابن الجوزي أنفسهما على الرغم من القول بهذه الأوجه ، قال العسكري : ((والحسن ما تقبله النفس إذا رأته ، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس)) [٢] وقال : ((كل فعل مقصود لا يخلو من أن يكون حسنًا أو قبيحًا ، وتدخل في الحسنة الفرائض والنوافل)) [٣] فالعسكري يؤكد أن أمثلة الحسنة غير محصورة في الأوجه الخمسة المذكورة ، وأبطل ابن الجوزي أيضًا هذه الأوجه الخمسة التي قال بها تقليدًا لمقاتل ، بإضافة وجه عام إليها ، فقال : ((والسادس : الحسنة فعل نوع من الخير ، والسيئة فعل نوع من الشر، ومنه في الأنعام : (مَن

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١٠٨-١١٠ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٣-٢٥ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٣٤ ، والوجوه والنظائر للعسكري ١٢١٠١٢٤، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٧٢-١٧٣، ونزهة الأعين ص ١٠٦-١٠٧ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٩٧-٩٨ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٢١ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٢٤.

جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ){الأنعام : ١٦٠})) [١]

فالقرآن الكريم لمَّا يذكر الحسنة أو السيئة ، فإنَّه لم يرد منهما مثالاً معينًا من دون أمثلتهما الأخرى ، بل أراد أن يشملها جميعًا بمعناهما العام ، فجعل الحسنة والسيئة بمعاني الأوجه الخاصة يُعدُّ تحريفًا لدلالة كل منهما .

١١-**الحسنى** : ذكر مقاتل والوجوهيون من بعده أنَّ للحسنى في القرآن الكريم سبعة أوجه ، هي :

١-الجنة ، كقوله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ){يونس : ٢٦}

٢-البنون ، كقوله تعالى:(وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى){النحل : ٦٢}

٣-الخير ، كقوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا){النساء : ٦٢}

٤-الهداية .

٥-الخلف في النفقة في سبيل الله .

٦-البِرُّ.

٧-العليا[٢]

---

(١) منتخب قرة العيون ص ص ٩٨ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١١١، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٤-٢٥ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٣٦ ، والوجوه والنظائر للعسكري١٢٥-١٢٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٧٢-١٧٣، ونزهة الأعين ص ١٠٥-١٠٦ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص٩٦-٩٧.

اتبع مقاتل ومن تابعه لإثبات الوجه المختَلَق ، منهج القطع به وتعيينه ، فجعْلُ الحسنى في الوجه الأول بمعنى الجنة مختَلَف فيه ، قال الطبري : ((ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة))[١] وابن الجوزي على الرغم من موافقته لمقاتل في النزهة والمنتخب قال في تفسيره : ((وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال : أحدها أنَّها الجنة ٠٠٠والثاني أنَّها الواحدة من الحسنات ٠٠٠ والثالث النصرة ٠٠٠ والرابع الجزاء في الآخرة ٠٠٠ والخامس الأمنية ، وفي الزيادة ستة أقوال)) [٢]

وكذلك جَعْلُ الحسنى بمعنى (البنون) في الوجه الثاني ، ليس وجهًا مقطوعًا به ، فابن الجوزي الذي عيَّن هذا الوجه في نزهته ومنتخبه ، قال في تفسيره : (((أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) وفيها ثلاثة أقوال : أنَّها البنون ٠٠٠ والثاني أنَّها الجزاء الحسن من الله تعالى ، والثالث أنَّها الجنة ؛ وذلك لمَّا وعد الله المؤمنين الجنة ، قال المشركون : إن كان ما تقولونه حقًّا لندخلنَّها قبلكم)) [٣]

((قال ابن القاسم : الحسنى كلمة مُستَغنى عن وصفها ونعتها ؛ لأنَّ العرب توقعها الخلة المحبوبة ، والخصلة المرغوب فيها ، فكان الذي يعلمه العرب من علمها أمرها يغني عن نعتها))[٤] فلكون الحسنى كذلك جاز أن تتعدد وتكثر أمثلتها ، وأن يوصف بها كل شيء حسن .

فقد كرر مقاتل ومن تبعه اختلاق الأوجه السبعة المذكورة للحسنى بطريقتين :

---

(١) جامع البيان ١٢٢/١١ .

(٢) زاد المسير ١٨/٤.

(٣) زاد المسير ٣٥٠/٤

(٤) منتخب قرة العيون ص٩٦ .

الأولى : أنَّهم اتخذوا مما جاز وصفه بالحسنى أوجهًا لها ، كالجنة ، والبنين ، وهذا الوصف وإن جاز في هذين الوجهين لم يكن مرادًا في شواهدهما ، ومع ذلك فلو صح إرادته فيهما فهما وجهان مختلقان عن طريق دراستهما دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الحسنى بالجنة ، والبنين كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، بل سمَّى كلًّا من الجنة والبنين بالحسنى ؛ لأنَّ كلًّا منهما تتمثل فيه دلالتها ؛ فهما إذن وجه واحد ، والحقيقة أنَّ الحسنى أينما وردت في القرآن الكريم أريد بها الحسنى بعينها وبمعناها العام ، وجعلها بمعاني الأوجه الخاصة ، كالجنة والبنين يُعد تحريفًا لدلالتها.

الثانية : أنَّهم اتخذوا من مرادفات الحسنى أوجهًا لها ، فالخير ، والخلف في النفقة ، والبِرُّ ، والعليا ، لا تصح أن تكون أوجهًا ؛ لأنَّها ليست معاني متباينة ، بل هي معان مرادفة ، يجمعها مع الحسنى معنى عام واحد ، وهي وإن اتحدت في هذا المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ؛ فجَعْلُها أوجهًا للحسنى يُعدُّ أيضًا تحريفًا لدلالتها.

١٢-**الحكمة** : ذكر مقاتل والوجوهيون من بعده أنَّ الحكمة في القرآن الكريم جاءت على خمسة أوجه ، هي :

١-الحكمة يعني المواعظ التي في القرآن الكريم من الأمر والنهي ، او السُّنَّة كقوله تعالى : (وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ){النساء : ١١٣} يعني القرآن والحلال والحرام الذي في البقرة .

٢-الحكمة يعني الفهم والعلم كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ){لقمان : ١٢}

٣-الحكمة يعني النبوة كقوله تعالى : (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء){البقرة : ٢٥١}

٤–الحكمة يعني تفسير القرآن كقوله تعالى : ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾{البقرة : ٢٦٩}

٥–الحكمة يعني القرآن كقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾{النحل : ١٢٥}[١]

قال ابن فارس : ((الحاء والكاف والميم أصل واحد ، وهو المنع ، وأول ذلك الحكم ، وهو المنع من الظلم ٠٠٠ والحكمة هذا قياسها ؛ لأنَّها تمنع من الجهل)) [٢]((والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، وهذا الذي وُصِف به لقمان في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾{لقمان : ١٢}))[٣] وقال ابن الجوزي : ((قال بعض أهل العلم : الحكمة : ضرب من العلم يمنع من ركوب الباطل٠٠٠وسُمِّيت حَكَمَة الدابة بذلك ؛ لأنَّها تمنعها من التصرف بما لا يريد راكبها ، كما أنَّ الحكمة تمنع صاحبها من ركوب ما لا يصلح)) [٤]

فهذه هي دلالة الحكمة : المناعة من الجهل ، وإصابة الحق بالعلم والعقل ، وقد جاءت بهذه الدلالة في جميع شواهدها ، ولم يُرَد منها أن تكون

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١١١–١١٣، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٥–٢٦ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٦٤–٦٥ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٢٨–١٢٩ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٧٤–١٧٥، ونزهة الأعين ص ١٠٧–١٠٨ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٩٩–١٠٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٢١ .

(٣) المفردات ص ١٣٢.

(٤) نزهة الأعين ص ١٠٧ .

بوجه معيَّن من الأوجه الخمسة المذكورة ، ومع ذلك نقول : إن صح ما ادعاه الوجوهيون ، فإنَّ الحكمة تعددت أوجهها عندهم ؛ لأنَّهم درسوها دراسة معكوسة ، كما حصل هذا فيما تقدم ؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم لم يجعل الحكمة بمعاني هذه الأوجه ، كما زعم مقاتل ومن تابعه ، وإنَّما جعل هذه الأوجه جميعًا بمعنى الحكمة ؛ إذ الحكمة بدلالتها التي مر ذكرها يصح أن يوصف بها كل شيء فيها معنى المناعة من الجهل ، وإصابة الحق بالعلم والعقل ، ويشمل ذلك الأوجه التي نُسِبتْ إليها ، فقد أُريد من جميعها معنى واحد ، هو معنى الحكمة ؛ قال العسكري : (يقال : أحكمتُ الرجلَ من كذا ، أي : منعتُه عنه ، وسُمِّيتِ الكلمة الواعظة حكمة ؛ لأنَّها تمنع عن التورط في الجهل ... وسُمِّي العلم حكمة ؛ لأنَّه يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردها الجاهل)) [١]

هذه هي الحقيقة فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الحكمة بالكلمة الواعظة ، كما ذهب أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى الكلمة الواعظة بالحكمة كما قال العسكري ، وكذلك لم يُسمِّ الحكمة بالعلم كما ذهبوا ، بل سمَّى العلم بالحكمة كما قال ، وصفوة القول أنَّ أصحاب الوجوه اختلقوا هذه الأوجه عن طريق تسمية الحكمة بالمواعظ في موضع ، وتسميتها بالفهم والعلم في موضع ثان ، وتسميتها بالنبوة في موضع ثالث ، وتسميتها بتفسير القرآن في موضع رابع ، وتسميتها بالقرآن في موضع خامس ، والحق أنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ الحكمة بهذه الأوجه ، وإنما سمَّاها جميعًا بالحكمة ، استنادًا إلى ما تدل عليه الحكمة ، فهي إذن جميعها وجه واحد .

أقول هذا ، إن صح كما قلتُ ما ادعته كتب الوجوه ، وليس صحيحًا ما ادعوه ، فالقرآن الكريم ما استعمل لفظ الحكمة ليعبِّر به عن معنى من

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٢٧.

معاني الأوجه المنسوبة إليه ، وإنَّما أراد من الحكمة دلالتها بعينها ، فقوله تعالى مثلًا : (وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ليس معناه : وأنزل عليك المواعظ القرآنية ، وإنَّما معناه : وأنزل عليك الحصانة من الجهل وإصابة الحق ، وكذلك قوله تعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) ليس معناه : ادع إلى سبيل ربك بالقرآن ، وإنمَّا معناه : ادع إلى سبيل ربك ، بما يحصن الناس من ورود موارد الجهل ، وكذلك قوله تعالى : (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ليس معناه : يؤتي تفسير القرآن من يشاء ، ومن يُؤتَ تفسير القرآن فقد أوتيَ خيرًا كثيرًا ، وإنَّما معناه : يؤتي الحصانة من الجهل وإصابة الحق من يشاء ، ومن أوتي هذا فقد أوتي خيرًا كثيرًا ، وكذلك الحال في باقي الوجوه .

فأهل الوجوه اتخذوا مما جاز وصفه بالحكمة أوجهًا لها ، وهذا الوصف وإن جاز لم يكن مرادًا في شواهد الأوجه المنسوبة إلى الحكمة ، ومع ذلك لو صحت هذه الإرادة فيها فهي أوجه مختلقة بطريق الدراسة المعكوسة .

١٣-الأمر (بمعنى الطلب أو المأمور به ، جمعه أوامر) : قال مقاتل : ((تفسير الأمر على وجهين : فوجه منهما : الأمر بالمعروف يعني بالتوحيد ، والنهي عن المنكر ، يعني الشرك ، فذلك قوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ){آل عمران : ١١٠}

والوجه الثاني : الأمر بالمعروف يعني باتباع النبي صلى الله عليه وسلم٠٠٠فذلك قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ {١١٣} يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ){آل عمران :١١٣})([١])

والوجهان المذكوران هما وجهان للمعروف لا للأمر ؛ لذلك سأضيفهما لأوجه المعروف في اللفظ الآتي .

١٤-**المعروف** : ذكر مقاتل للمعروف أربعة أوجه هي :

الوجه الثالث : المعروف يعني الفرض[٢]، كقوله تعالى : (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ){النساء : ٦}

الوجه الرابع : المعروف يعني العدة الحسنة ، كقوله تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا){البقرة : ٢٣٥}

الوجه الخامس : المعروف يعني أن تزيِّن المرأة نفسها بعد العدة ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ){البقرة : ٢٣٤}

الوجه السادس : المعروف يعني ما يسر على الإنسان ، أي : ما تيسَّر للإنسان كقوله تعالى : (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١١٣-١١٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٦ والوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص ٦٥-٦٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠١-٣٠٢

(٢) ورد الفرض بالفاء عند مقاتل وهرون ، وورد القرض بالقاف عند الآخرين من أصحاب كتب الوجوه .

أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ٢٣٦} وأضاف ابن الجوزي وجهين : التعريض بالخطبة ، والقول الجميل(١)

قال ابن فارس : ((العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة ، فالأول : العرف عرف الفرس ؛ وسُمِّي بذلك لتتابع الشعر عليه ... والأصل الآخر : المعرفة والعرفان ، تقول عرف فلان فلانًا ، عرفًا ومعرفة ، وهذا أمر معروف ، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه ؛ لأنَّ من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه)) (٢)

وقال الراغب : ((والمعروف اسم لكل فعل يُعرَف بالعقل والشرع حُسنُه ، والمنكر ما يُنكَر بهما... ولهذا قيل للاقتصاد في الجود معروف ؛ لمَّا كان مستحسنًا في العقول وبالشرع ، نحو: (وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ){النساء : ٦}))(٣)وقال ابن الجوزي : ((المعروف : اسم مشتق من المعرفة ، وهو في الشريعة عبارة عمَّا كان عليه أمر الشرع من وجوب أو ندب ، وضده المنكر)) (٤)

فالمعروف هو ما تسكن وتطمئن إليه النفس ، واستحسنه العقل والشرع ، وهذا هو المعنى المراد من ذكر لفظه في كل شاهد من شواهد

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص١١٤-١١٥، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٦-٢٧، والوجوه والنظائر لهرون ص ٦٦-٦٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٩-٤٣٠ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٥٨-٦٥٩ .

(٣) المفردات ص ٣٤٤.

(٤) نزهة الأعين ص ٢٧٧

الأوجه الستة المذكورة ، ومع ذلك نقول : إنَّه لو صحت الأوجه التي نسبتها كتب الوجوه إلى المعروف ، فهي أوجه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة على نحو ما فعلوا في أوجه ألفاظ سبق ذكرها ، من ذلك مثلًا قولهم بمجيء المعروف بمعنى التوحيد في الوجه الأول في قوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ){آل عمران : ١١٠} وبمعنى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتصديق به في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ){آل عمران :١١٣}

وليس المراد هذين الوجهين فحسب ، بل كل ما صح وصفه بالمعروف ، قال الطبري : ((وأمَّا قوله (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) فإنَّه يعني تأمرون بالإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه))[١] و((قال أبوهلال العسكري ، رحمه الله ، وعندنا أنَّ أحد هذين الوجهين داخل في الآخر ، وهما جميعًا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها)) [٢]

وأمَّا فيما يتعلق بجعل المعروف بمعنى القرض في الوجه الثالث ، في قوله تعالى : (وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ){النساء : ٦} فقد ذكر الطبري اختلاف المفسرين في تأويل المعروف في هذه الآية ، فنقل عن ابن جبير قوله : ((إن أخذ من ماله قدر قوته قرضًا ، فإن أيسر بعدُ قضاه ، وإن حضره الموت ولم يُوسَر تحلله من اليتيم ، وإن كان صغيرًا تحلله من وليه٠٠٠ وقال آخرون : بل المعروف في ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ،

---

(١) جامع البيان ٤/٦ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠.

ويلبس ما وارى العورة ... أما أنَّه ليس لبوس الكتان والحلل ... وعن عكرمة والحسن البصري : ومعروف ذلك أن يتقي الله في يتيمه)) [١]

وابن الجوزي الذي عيَّن جعل المعروف بمعنى القرض في النزهة[٢] تقليدًا لمقاتل لم يعيِّنه في تفسيرة بل قال : ((وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال : أحدها : الأخذ على وجه القرض ... والثاني : الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف ... والثالث : أنَّه الأخذ بقدر الأجر ، إذا عمل لليتيم عملًا ... والرابع أنَّه الأخذ عند الضرورة ، فإذا أيسر قضاه ، وإن لم يوسر فهو في حل)) [٣]

وهذا منهج يكرره مقاتل ومقلدوه ، يحددون للوجه معنى من دون غيره ، مع أنَّه قد تعددت واختلفت فيه الأقوال ، واختلاف الأقوال فيه أمر بديهي ؛ لأنَّها جميعًا لا تمثل المعنى المقصود ؛ إذ المراد من المعروف المعروف بعينه ، والدليل على ذلك أنَّ هذا ما أكده المفسرون ؛ فقد بينوا كما تقدم أنَّه ليس المراد القرض بعينه ، وإنما اتباع المعروف في هذا القرض ، وهو أن لا يقترض الوالي من مال اليتيم إلّا إذا احتاج إليه ، ويقترض بقدر حاجته ، ويعيده إليه حال غناه ، وليس المراد أيضًا مشاركة الوالي اليتيم العيش من مال اليتيم ، وإنما اتباع المعروف في هذه المشاركة ، وهو عدم الإسراف في الأكل واللبس ؛ فيأكل الوالي من مال اليتيم بقدر ما يسد جوعه ، ويواري عورته ؛ فالمراد إذن دلالة المعروف بعينها في هذه الأمور ونحوها ، حتى أعم عكرمة والحسن دلالته في هذه الأمور بأن يتقي الله في اليتيم .

---

(١) جامع البيان ٣١٦/٤-٣٢٣ .

(٢) ص ٢٧٧ .

(٣) زاد المسير ١٢/٢.

ومن مساؤئ كتب الوجوه أنَّها تُعَيِّن الوجه مبهمًا ، ولا توضح المراد منه ، فقد جعلوا مثلًا القول المعروف بمعنى العدة الحسنة ، في الوجه الرابع في قوله تعالى : (إِلّا أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا){البقرة : ٢٣٥}

إذ ما علاقة القول بمعنى العدة الحسنة التي تدل على سلوك عملي في زمن محدد ؟! قال الطبري في تفسير القول المعروف : ((عن سعيد بن جبير ، قال يقول : إنِّي فيكِ لراغب ، وإني لأرجو أن نجتمع ... عن ابن عباس قال : هو قوله : إن رأيتِ أن لا تسبقيني بنفسكِ ... عن مجاهد ، قال : يعني التعريض ... عن السُّدِّي ، قال هو الرجل يدخل على المرأة ، وهي في عدتها ، فيقول : والله إنكم لأكفاء وإنكم لرعة [1] وإنكِ لتعجبيني وإن يُقدَّر شيء يكن ، فهذ القول المعروف ... قال سفيان : يقول : إني فيكِ لراغب ، وإني أرجو إن شاء الله أن نجتمع ... عن الضحاك ، قال : المرأة تُطَلَّق ، أو يموت عنها زوجها ، فيأتيها الرجل فيقول : احبسي عليَّ نفسكِ ؛ فإنَّ لي بكِ رغبة ، فتقول : وأنا مثلكَ ؛ فتتوق نفسه لها ، فذلك القول المعروف)) [2]

وكذلك وجه التزين بعد العدة الذي قالوا به في الوجه الخامس في قوله تعالى : (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ){البقرة : ٢٣٤} فهو غير مقصور على التزين كما ادعى مقاتل ، قال الطبري : ((يقول : فلا حرج عليكم فيما فعلن في أنفسهنَّ من تطيب وتزين ، ونقلة من المسكن الذي كنَّ يعتددن فيه ، ونكاح من يجوز لهنَّ نكاحه بالمعروف ، يعني بذلك على ما أذن الله لهنَّ فيه وأباحه لهنّ ، وقد قيل إنَّما عنى بذلك النكاح خاصة ...

---

(١) الرعة : الهدى وحسن الهيئة ، أو الاحتشام والكف عن سوء الأدب ، أي : أنَّ قومك ذوو رعة ، أو أنك ذات رعة .

(٢) جامع البيان ٢/٦٣٠-٦٣١.

النكاح الحلال الطيب ... في نكاح من هوينه إذا كان معروفًا)) [١] فقد أكد الطبري تعيين المراد من المعروف ، وهو اتباع ما أحله الله ((أي : بالوجه الذي يعرفه الشرع ولا ينكره)) [٢] لذلك قال ابن عاشور : ((وقيده بأن يكون من المعروف نهيًا للمرأة أن تفعل ما ليس من المعروف شرعًا وعادة كالإفراط في الحزن المنكر شرعًا وعادة ، أو التظاهر بترك التزوج بعد زوجها ، وتغليظًا للذين ينكرون على النساء تسرعهنَّ للزواج بعد العدة ، أو بعد وضع الحمل)) [٣]

فقد أريد من هذا الوجه ومما قبله المعروف بعينه الذي هو ما تسكن وتطمئن إليه النفس ، واستحسنه العقل والشرع ، وغير مخالف للعادة والمروءة مما ذكره المفسرون ، هذا المعنى كله المراد من المعروف ، لم يكن شيء منه يخطر ببال مقاتل شيخ الوجوهيين ، وقد خطر بباله من غير قصد عندما جعل الوجه السادس بمعنى ما يسر على الإنسان ، أي النفقة قدر الإمكان .

فالقرآن الكريم ما ذكر المعروف بلفظه ؛ ليعني هذه الأوجه الستة بأعيانها ومعانيها الخاصة ، وإنَّما أراد ما يدل عليه المعروف في هذه الأوجه ونحوها .

١٥-الطاغوت : قال مقاتل : ((تفسير الطاغوت على ثلاثة وجوه : فوجه منها : الطاغوت ، يعني به الشيطان فذلك قوله في البقرة : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ){البقرة : ٢٥٦} يعني بالطاغوت الشيطان ...

---

(١) جامع البيان ٦١٨/٢ .

(٢) روح المعاني ٥٤٣/١ .

(٣)التحرير والتنوير ٤٢٥/٢.

والوجه الثاني : الطاغوت يعني الأوثان التي تُعبَد من دون الله ، فذلك قوله في النحل : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ){النحل : ٣٦}٠٠٠

والوجه الثالث : الطاغوت يعني كعب بن الأشرف اليهودي ، فذلك قوله في البقرة : (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ){البقرة : ٢٥٧}٠٠٠)) [١]

والطاغوت من طغى ((وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى)) [٢]وقال ابن فارس : ((والطاء والغين والحرف المعتل : أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان)) [٣] والطاغوت ((كل ما عُبِدَ من دون الله٠٠٠ والطاغوت أيضًا الشيطان)) [٤] وقال الراغب : ((والطاغوت ٠٠٠ كل معبود من دون الله ، ويستعمل في الواحد والجمع)) [٥] ((ويُذكَّر ويؤنَّث)) [٦]

فما ذكره أهل اللغة يبيِّن أن للطاغوت معنى مستقلاًّ خاصًّا به ، يتميَّز به من بين معاني الأوجه المنسوبة إليه ؛ فهو إذن ابتداءً ليس من اللفظ المشترك ، وهو بهذا المعنى الذي ذكره أهل اللغة جاء في شواهد الوجوه المذكورة ونحوها ، بل هو بهذا المعنى أينما ورد في القرآن الكريم

---

(١) الأشباه والنظائر ص١١٥-١١٦، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٧-٢٨ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٦٧ وينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣١٩-٣٢٠، ونزهة الأعين ص ١٧٧ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص١٦٨-١٦٩.

(٢) العين للخليل ص ٥٧١

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣٣ .

(٤) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢١٩ .

(٥) المفردات ص٣١٧.

(٦) عمدة الحفاظ ٤٠٧/٢.

وقد يقال إنَّ السياق هو الذي أمدَّ لفظ الطاغوت والألفاظ السابقة بالأوجه المتعددة ، وهذا ما صرح به العسكري بقوله : ((والطاغوت كل ما عُبِد من دون الله ، وهو طاغوت ٠٠٠ وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول : الشيطان ، قال الله تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) قالوا هو الشيطان ، ويجوز أن يكون الأوثان . والذي لا شك فيه أنَّه الشيطان قوله : (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ){النساء : ٧٦} لأنَّه قال بعد ذلك : (فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ){النساء : ٧٦}))[١]

وهذا ما جاء أيضًا في كتب التفسير، مستندين إلى السياق نفسه [٢]وليس الأمر كما ادعوا ؛ لأنَّه لا يصح عدُّ الشيطان من أوجه الطاغوت إلّا إذا ثبت أنَّ الطاغوت من اللفظ المشترك ، وقد تقدم أنَّ للطاغوت معنى مستقلاًّ يميزه من معاني الأوجه التي نُسِبتْ إليه ، كما أنَّه يجب أن لا يكون لهذا الوجه لفظ يعبر عنه غير اللفظ المشترك ؛ ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن معنى الشيطان بلفظ الشيطان في مواضع ، كما استعمل لفظ الطاغوت في مواضع ، مما يدل على أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ الطاغوت ؛ لأنَّه أراد دلالته ، ولم يستعمل لفظ الشيطان ؛ لأنَّه ما أراد دلالته ، وقد عرَّفوا الشيطان بأنَّه على وزن فيعال ((من شطن ، أي : بعد)) [٣] وقال ابن فارس : ((الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح ، يدل على البعد ٠٠٠ وأمَّا الشيطان ، فقال قوم هو من هذا الباب ، والنون فيه أصلية ؛ فسُمِّي بذلك لبعده عن الحق وتمرده)) [٤] ((فالشيطان مخلوق من

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٤٩٩/٦.

(٣) العين ص ٤٧٩ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٤٧ .

النار ... ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية ، والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم)) [١] وفرَّق العسكري بين الشيطان والجني : ((أنَّ الشيطان هو الشرير من الجنِّ ؛ ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا شيطان ، ولا يقال جنِّي ؛ لأنَّ قولك شيطان ، يفيد الشر ولا يفيده قولك جِنِّيٌّ ، وإنَّما يفيد الاستتار ؛ ولهذا يقال على الإطلاق : لعن الله الشيطانَ ، ولا يقال : لعن الله الجِنِّيَّ ، والجِنِّيُّ اسم الجنس والشيطان صفة له)) [٢]

فهذا هو الشيطان ، لا اختلاف فيه ، حتى قال أهل اللغة ((والشيطان معروف)) [٣] وإذا أُطلق لفظ الشيطان على غيره ، فهو من باب التشبيه به ، أمَّا الطاغوت فقد تبيَّن من تعريفه المذكور آنفًا أنَّه اسم جنس لكل من جاوز الحد في المعصية ، وعُبِد من دون الله ، بأمره أو رضاه ، وهذا ما ينطبق على الشيطان وعلى غيره من الإنس ، كالكاهن والساحر ، ورؤساء الكفر كفرعون موسى والنمرود وكسرى ، وكل ملوك الضلالة حتى قيام الساعة ؛ الذين أمَروا أن يطاعوا من دون الله ، أو إذا كان لسان حال كل منهم يقول لرعيته ، أنا إلهكم وربكم الأعلى ، أمَّا تسمية الأصنام كاللات والعزى بالطاغوت ؛ فهذا من باب التوسع في الدلالة ؛ ولأنَّها كانت سببًا في أن تُعبَد من دون الله ، ولأنَّ المشركين أنزلوها منزلة الإله العاقل ، وكانوا يعتقدون بأنَّها تستجيب الدعاء ؛ لذلك نسب الله إليها إضلال الناس ، وإلاَّ فهي مجرد حجارة لا تعقل ، ولا ذنب لها ولا حساب عليها ، حتى أخبر القرآن عنها أنَّها لا تضر ولا تنفع ، قال الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ {٦٩} إِذْ قَالَ لابِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {٧٠} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا

---

(١) المفردات ص ٢٧٠ .

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٠٩ .

(٣) تاج العروس ١٤١/٣٥ .

عَاكِفِينَ {٧١} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ){الشعراء : ٦٩–٧٣}

فقد أصبح الفرق واضحًا بين الطاغوت والشيطان ، فقد أُريد من الطاغوت معناه العام في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا){النساء : ٧٦} ومع ذلك نقول : إنَّه لو صح السياق الذي استند إليه العسكري والمفسرون ، وكان المراد من الطاغوت الشيطان ، فإنَّه ما أريد به الشيطان الذي صرح به بلفظه في قوله تعالى : (فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ) فقد ذكره بلفظ الطاغوت ؛ لأنَّه أراد الشيطان بصفة الطاغوتية وهو عبادته من لدن الناس بأمره ورضاه ، والتقدير : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الشيطان الطاغوت ، ثم حُذِف الموصوف وقامت الصفة مقامه ، وذكره بلفظ الشيطان ؛ لأنَّه أراده بعينه ، أي : بشخصه واسمه غير مقترن بهذه الصفة لئلا يلتبس بطاغوت آخر ، هذا كما قلتُ ، إن صح السياق الذي اسستُنِد إليه بالإجماع ، وإلاَّ فإنَّ هناك سياقًا آخر في الآية نفسها أدلّ على أنَّ المراد من الطاغوت الطاغوت بصفة عامة الذي ينطبق معناه على كل من عُبِد ويُعبَد من دون الله حتى قيام الساعة ؛ لأنَّه ذُكِر ليقابل لفظ الجلالة (اللّهِ) الموجود في كل زمان ومكان ، والمعنى : والذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، أي : طاغوت كل ملة من ملل الكفر ؛ مما يدل على أنَّ (ال) الطاغوت جنسية ، لا عهدية و(ال) الشيطان على العكس من ذلك ، وعليه أقول : إنّه لو كان الخطاب موجَّهًا إلى بني إسرائيل لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء فرعون إنَّه كذا ؛ لأنَّ بني إسرائيل كان طاغوتهم فرعون ، ولو كان موجَّهًا إلى قوم إبراهيم لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء النمرود إنَّه كذا ؛ لأنَّ طاغوتهم هو النمرود ، ولو

كان موجَّهًا إلى الفرس لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء كسرى ، ولكن لمَّا كان الخطاب موجَّهًا إلى العرب ، قوم محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) لأنَّ طاغوت العرب في الجاهلية هو الشيطان ؛ فقد كان للكهنة أولياء من الشياطين ، يخبرونهم بما يسترقون من السمع في السماء ؛ ليزينوا لهم عبادة الأصنام .

وقد سبق أن بيَّنتُ أنَّ السياق لا يمنح أي لفظ كان أية دلالة كانت ، وإنَّما يُعيِّن دلالة موجودة حقيقة في اللفظ ، أو هي موضوعة له في الأصل ، وهذا ما يحصل في اللفظ المشترك الذي يحمل عدة معان مختلفة على حد سواء ؛ حتى إنَّ أوجه هذا اللفظ معروفة مُسبَقًا ، وقبل التعرف إليها في السياق ، والطاغوت ليس من اللفظ المشترك ، إلّا أنَّه من الألفاظ العامة التي جاز أن تُوصَف بها الألفاظ الخاصة التي تندرج ضمن معناه العام ، وقد ورد كثيرًا في اللغة الوصف بالاسم الجامد ، وكثر فيها أيضًا حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، فلو صح مثلًا أنَّه أُريد من الطاغوت الشيطان ، كما قيل في الوجه الأول في قوله تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ) لوجب أن يكون الطاغوت صفة لموصوف محذوف ، هو الشيطان ، والتقدير في الأصل : فمن يكفر بالشيطان الطاغوت ، ويكون المراد من الطاغوت صفة الطاغوتية لا صفة الشيطانية ؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ الموصوف إذا حُذِف موصوفه تقوم الصفة مقامه في الحكم والإعراب ، لكنها لا تقوم مقامه في الدلالة .

هذا إن صح ما ادعاه الوجوهيون ، وعُدَّتْ (ال) الطاغوت عهدية لا جنسية ، فصح أن يكون المراد منه الشيطان ، أو الأوثان ، أو كعب بن الأشرف اليهودي ، إلّا أنَّه مع ذلك لا يصح أن تُسمَّى هذه المواضع الثلاثة

أوجهًا ، وإنَّما توهَّم مقاتل ومقلدوه بأنَّها كذلك ؛ لأنَّهم درسوها دراسة معكوسة ؛ والدراسة المستقيمة أن توصِف مثلًا كعبًا بالطاغوت ، لا أن توصِف الطاغوت بكعب ، فالقرآن الكريم لم يُسَمِّ الطاغوت شيطانًا ، أوالأوثان ، أو كعبًا ، كما فعل أصحاب الوجوه حتى عدوها أوجهًا ثلاثة ، وإنَّما سمّى كلًّا من هؤلاء طاغوتًا ؛ فهي جميعًا وجه واحد ، وثمة قضية مهمة من الضروري التنبيه عليها في هذا المقام ، يمكن أن تمثل قاعدة عامة في الوصف ، هي أنَّ اللفظ الخاص يُوصَف باللفظ العام ولا يصح العكس ، لأنَّ الخاص يندرج تحت العام ، ولا يندرج العام تحت الخاص ، والطاغوت لفظ عام ، والوجوه المذكورة ألفاظ خاصة ، موصوفة بالطاغوت ؛ لذلك لا يجوز أن تُعَدَّ أوجهًا ؛ لأنَّ الوجوه الحقيقية لا ترتبط فيما بينها بصلة كصلة الوصف بالمعنى العام للفظ ، هذا إن صح أنَّ (ال) الطاغوت عهدية ، والصحيح أنَّها (ال) الجنسية في كل شواهدها ، فقد أُريد من ذكر لفظ الطاغوت معناه العام في كل مواضع وروده في القرآن الكريم .

إنَّه ينبغي أن لا يشك أحدٌ في أنَّ مقاتلاً كان لا يعنيه أبدًا أن يلصق الدلالات العشوائية بالألفاظ القرآنية جزافًا من غير رويَّة ؛ ما دام هذا المنهج الاعتباطي يحقق أمنيته ويلبي رغبته في إظهار مقدرته على اختلاق الوجوه ، فقد زعم ومقلدوه بمجيء الطاغوت بمعنى الشيطان في الوجه الأول في قوله تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ){البقرة : ٢٥٦}

ذكر الطبري أنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويل الطاغوت في قوله تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ) فذهب بعضهم إلى أنَّ المراد به الشيطان ، وقال آخرون هو الساحر ، ومنهم من قال : بل هو الكاهن ، ثم قال : ((والصواب من القول عندي في الطاغوت أنَّه كل ذي طغيان على الله

، فعُبِد من دونه ، إمَّا بقهر منه لمن عبده ، وإمَّا بطاعة ممن عبده ، إنسانًا ذلك المعبود، أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا ، أو كائنًا ما كان من شيء)) [١]

فالآية تفيد العموم ، فهي خطاب إلى كل إنسان في كل أمة ، وفي كل زمان ومكان ؛ لذا كان المراد من الطاغوت معناه العام الذي يشمل كل طواغيت الدنيا حتى قيام الساعة ، فلكل أُمَّة طاغوتها ، ولكل زمان طاغوته .

وكذلك الحال حين ادعى ، هو ومن تابعه ، بمجيء الطاغوت بمعنى الأوثان في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ){النحل : ٣٦} وكيف يصح هذا الادعاء ؛ لأنَّ الآية لا تخص العرب ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)((يقول وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا)) [٢]وكذلك فسَّره الواحدي بقوله : ((الشيطان ، وكل من يدعو إلى الضلالة)) [٣] وابن الجوزي الذي عيَّن تفسير الطاغوت بالأوثان في النزهة والمنتخب[٤] تقليدًا لمقاتل في أشباهه ، عيَّن في تفسيره أن يكون ((هو الشيطان))[٥]

وقد أمعن مقاتل ومقلدوه في البعد عن الصواب في الوجه الثالث ، لمَّا جعلوا الطاغوت بمعنى كعب بن الأشرف اليهودي في قوله تعالى :

---

(١) جامع البيان ٢٥/٣.

(٢) جامع البيان ١٢٥/١٤ .

(٣) الوسيط ٦٢/٣ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٨٨ ومنتخب قرة العيون ص ١٦٨.

(٥) زاد المسير ٣٣٩/٤.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾{البقرة : ٢٥٧} إذ الطاغوت هنا دال على الجمع بدلالة قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾

قال أبو عبيدة في الطاغوت هنا: ((في موضع جميع لقوله : ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ [1] وقال الطبري : ((فجمع خبر الطاغوت بقوله : ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ والطاغوت واحد ، قيل : إنَّ الطاغوت اسم لجماع وواحد)) [2] وقال الزجاج : ((والطاغوت ها هنا واحد في معنى جماعة ، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة))[3] وقال الجوهري : ((والطاغوت : الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلالة ، وقد يكون واحدًا ، قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾{النساء : ٦٠} وقد يكون جمعًا ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾{البقرة : ٢٥٧}))[4] لذلك فُسِّر بدلالة الجمع ، قال الواحدي : ((يعني رؤساء الضلالة ، مثل كعب بن الأشرف وحُيَي بن أحطب)) [5] أو يعني ((الشياطين)) [6] وفال ابن عطية : ((ولفظة ((ولفظة الطاغوت في هذه الآية تقتضي أنَّه اسم جنس ؛ لذلك قال ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ بالجمع ؛ إذ هي أنواع ، وقرأ الحسن : (أولياؤهم الطواغيت) يعني الشياطين))[7] وقال ابن الجوزي : ((والطاغوت الشياطين ، هذا قول ابن

---

(١) مجاز القرآن ص٤٣.

(٢) جامع البيان ٣/٣٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٩٠ .

(٤) الصحاح ص ٦٤٢.

(٥) الوسيط ١/٣٧٠.

(٦) الكشاف ١/٣٠٠ .

(٧) المحرر الوجيز ١/٣٤٥ ، وينظر المحتَسَب لابن جني ١/٢٢٣ .

عباس ٠٠٠ وقال مقاتل : والطاغوت كعب بن الأشرف)) [١] كيف جاز لابن الجوزي أن ينقل قول مقاتل من دون أن يُعَقِّب عليه؟! ولا عجب في ذلك فابن الجوزي نفسه قال في النزهة [٢]والمنتخب[٣] ما قال به مقاتل ، إنَّه التقليد ، وقال البيضاوي : ((أي الشياطين ، أو المُضِلاَّت من الهوى والشيطان وغيرهما))[٤] وجاء في اللباب : ((وقرأ الحسن الطواغيت بالجمع ، ، وإن كان أصله مصدرًا ؛ لأنَّه لمَّا أُطلق على المعبود من دون الله اختلفت أنواعه ؛ ويُؤيِّد ذلك عود الضمير مجموعًا من قوله تعالى : (يُخْرِجُونَهُم)))[٥] (يُخْرِجُونَهُم)))[٥]

فالطاغوت هنا بمعنى الجمع فكيف تسنى لمقاتل أن يجعله بمعنى المفرد ، ويقصره على كعب بن الأشرف؟! .

فإذا كان مقاتل لشدة ولعه باختلاق الوجوه ، وقع في هذه الغفلة التي لا مسوغ لها ، فما بال هرون والدامغاني وابن والجوزي وقعوا في الغفلة نفسها؟! فقد كان ينبغي لهم أن ينبهوا على غفلته لا أن يقلدوه .

١٦-**الظلمات والنور** : قال مقاتل : ((تفسير الظلمات والنور على وجهين : فوجه منها : الظلمات يعني الشرك ، والنور يعني الإيمان٠٠٠

والوجه الثاني : الظلمات الليل ، والنور يعني النهار ٠٠٠

١٧-**الظلمات** : ((على وجهين : فوجه منها الظلمات يعني الأهوال ٠٠٠

---

(١) زاد المسير ٢٥٣/١ ، وينظر : تفسير مقاتل ١٣٧/١ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١٨٨ .

(٣) ينظر : منتخب قرة العيون ص ١٦٨.

(٤) أنوار التنزيل ١٥٥/١ ، وينظر : مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٣٣ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٣٣٥/٤.

والوجه الثاني : ظلمات يعني خصال ، فذلك قوله في الزمر : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ){الزمر : ٦} يعني به البطن والرحم والمشيمة)) [١] وأضاف العسكري وابن الجوزي وجهًا ثالثًا هو الشرك .

قال الخليل : ((والظلمة : ذهاب النور)) [٢] وقال ابن فارس : ((الظاء واللام والميم أصلان صحيحان ، أحدهما خلاف الضياء والنور ، والآخر : وضع الشيء في غير موضعه تعدِّيًا)) [٣]

فهذا هو معنى الظلمات جمع ظلمة ، لا يحمله غير هذا اللفظ ؛ فهو إذن ابتداءً ليس من اللفظ المشترك ، وما نُسِب إليه من وجوه فهي مختلقة ، أمَّا جعل الظلمات بمعنى الشرك أو الكفر أو الأهوال ، فهو من باب جعل الظلمات الذي هو معنى حسي مثلًا للأمراض القلبية والنوائب ؛ لذلك لم يحصرها المفسرون في الشرك أو الكفر ، بل أطلقوها وجعلوها مثلًا واستعارة للضلالة والكفر [٤] والجهالة [٥] والشك والشبهة [٦] والجهل واتباع

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص١١٥-١١٧، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٨، والوجوه والنظائر لهرون ص ٦٨-٦٩، وينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٢٨، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٧ ونزهة الأعين ص ١٩٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٧١-١٧٢.

(٢) العين ص ٨٨ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣٣.

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٨/٣.

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/١ .

(٦) ينظر : الكشاف ٣٠٠/١.

الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية إلى الكفر[١] فلا يُعدُّ هذان الوجهان من الوجوه ؛ إذ يدخلان في باب المثل والمجاز ، ووجه الشرك من جهة أخرى وجه تعددت معانيه واختلفت ، والوجه هو ما لا يحتمل غير معنى واحد ، وأن يُتَفَّق ولا يُختلَف فيه .

ومن الدلائل على أنَّ الظلمات ليس من اللفظ المشترك جعلها بمعنى الليل ، أي : ((الظلمة بعينها)) كما قال العسكري [٢] أو ((المضادة للأنوار) كما قال ابن الجوزي[٣] مما يؤكد أنَّ للظلمات معنى مستقلاً خاصًّا به ، يميزه من معاني الأوجه المنسوبة إليه .

وقد مر قول مقاتل ومثله قول هرون : ((ظلمات يعني خصال ، فذلك قوله في الزمر : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ){الزمر : ٦} يعني به البطن والرحم والمشيمة)) وقد أراد بالخصال أن تكون جمع خصيلة ((والخصيلة : قطعة من اللحم عظُمت أو صغُرت)) [٤] والحقيقة أنَّه ليس المراد الخصال بعينها ، بل ظلمة كل واحدة منها ، وهذا ما صرَّح به الدامغاني بقوله : ((الظلمات ، أي : ثلاث ظلمات ٠٠٠ يعني ظلمة البطن والرحم والمشيمة)) [٥] فوجه الخصال أيضًا يعني الظلمة بعينها ، ولا يُعد الشيء وجهًا لنفسه .

وتفسير الظلمات بظلمات البطن والرحم والمشيمة تفسير القدامى ، حل محلَّه التفسير العلمي الحديث فقد ((ذكر المفسرون القدامى أن الظلمات

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل ١/١٥٥.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٢٨.

(٣) منتخب قرة العيون ص١٧١.

(٤)لسان العرب ٥/٨٢ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ٣٢٧ .

الثلاث هي : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، إلّا أنَّ علم التشريح حديثًا أثبت أنَّ جدار الرحم مركب من ثلاثة أغشية ، وأثبت أنَّ كل غشاء منها برغم دقته ورقته لا ينفذ منه الماء ولا الهواء ولا حتى الحرارة والضوء ، حتى إنَّه لو تقنَّع إنسان بأحد هذه الأغشية لوجد نفسه في ظلام دامس ، لذلك وصفها الله تعالى بأنَّها ظلمات ثلاث ، وقد تعرف الأطباء إلى هذه الأغشية وميزوا بعضها من بعض ، وجعلوا لكل منها اسمًا ، وهي :

١-غشاء السلي أو الأمنيون ، وهذا الغشاء يحيط مباشرة بالجنين وفيه سائل وله فوائد كثيرة للجنين منها : أنه يسهل حركته ، ويحميه من الصدمات الخارجية ، وهو مصدر غذاء للجنين ، ويحتفظ له بدرجة حرارة ثابتة تقريبا.

٢-غشاء الكوريون، وهو غشاء المشيمة.

٣-غشاء الساقط ، وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة والإجهاض، وسمي بالساقط ؛ لأنَّ الرحم يسقطه مع الأغشية.

وقد يسأل سائل : لِمَ ذكر القرآن الكريم أنَّ الإنسان يتم خلقه ، وهو جنين ، في ظلمات ؟

أوصل لي أحد الأخوة ، جزاه الله خيرًا ، عن طريق الأنترنت هذه المعلومة : قام فريق الأبحاث الذي يجري تجاربه على إنتاج ما يسمى بأطفال الأنابيب ، بعدة تجارب فاشلة في البداية ، واستمر فشلهم لفترة طويلة ، قبل أن يهتدي أحدثهم ويطلب منهم إجراء التجارب في جو مظلم ظلمة تامة ، فقد كانت نتائج التجارب السابقة تنتج أطفالاً مشوهين ، ولمَّا أخذوا برأيه ، وأخذوا يجرون تجاربهم في مكان مظلم شديد الظلمة تكللت تجاربهم هذه بالنجاح ، بخروج أطفال الأنابيب أسوياء ، ولو كانوا يعلمون شيئًا من

القرآن لاهتدوا بأنفسهم ووفروا على أنفسهم التجارب))[١] فهذه هي الظلمات الثلاث ، والله أعلم .

١٨ –**الظالمين وتظلمون** : قال مقاتل : ((تفسير الظالمين وتظلمون على سبعة وجوه ، فوجه منها : الظالمين يعني المشركين ...

والوجه الثاني : الظالمين يعني به المسلم الذي يظلم نفسه بذنب يصيب من غير شرك ...

والوجه الثالث : الظلم ، يعني يظلم الناس ...

والوجه الرابع : يعني النقص ...

والوجه الخامس : يظلمون أنفسهم بالشرك والتكذيب ...

والوجه السادس : يظلمون يعني يجحدون ...

والوجه السابع : االظالمين ، يعني السارقين ...

١٩ –**الظلم** : قال مقاتل : (تفسير على أربعة وجوه : فوجه منها : الظلم يعني الشرك ...

والوجه الثاني : ظلم العبد نفسه بذنب يصيبه من غير شرك ...

والوجه الثالث : الظالمين يعني الذين يظلمون الناس ...

والوجه الرابع : يظلمون ، يعني يضرون وينقصون أنفسهم من غير شك)) [٢] ومثل هذا قال هرون والدامغاني[٣] وأضاف ابن الجوزي : نفس الظلم أو الظلم بعينه ، والنقص ، والجحد ، والسرقة[٤]

---

(١) إعجاز القرآن الكريم للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان ص ٨٦–٨٧ .

(٢) الأشباه والنظائر لمقاتل ص١١٨–١٢١، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٩–٣٠ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٦٩–٧٢٩، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ومنتخب ص ١٩٦–١٩٧ وقرة العيون ص ١٧٣–١٧٤.

في هذه الوجوه التي قالها مقاتل ومن تبعه كثير من التداخل ، نجملها فيما يأتي :

١-جعل الوجه الأول من أوجه الظالمين بمعنى المشركين ، وجعل الوجه الأول من أوجه الظلم بمعنى الشرك ، يضاف إلى ذلك أنَّه جعل الوجه الأول من أوجه الظلمات في اللفظ (١٦) بمعنى الشرك أيضًا .

٢-جعل الوجه الثاني من أوجه الظالمين ، ظلم المسلم نفسه بذنب من غير شرك ، وكذلك جعل الوجه الثاني من أوجه الظلم ، ظلم العبد نفسه من غير شرك .

٣-جعل الوجه الثالث من أوجه الظالمين بمعنى ظلم الناس ، وكذلك جعل الوجه الثالث من أوجه الظلم بمعنى ظلم الناس .

٤-جعل الوجه الرابع من أوجه الظالمين بمعنى النقص ، وكذلك جعل الوجه الرابع من أوجه الظلم بمعنى الضرر والنقص .

لذلك وجدنا ابن الجوزي يجمع أوجه هذين اللفظين في ستة أوجه بلفظ الظلم وحده [1] ودمجها العسكري في أربعة أوجه بلفظ الظالمين وحده [2].

بعد هذا أقول : أهذه أوجه تستحق أن يُردَّ على قائلها ، أم هي فوضى عارمة من التداخلات اللفظية والمعنوية ؟!

وقد عرِّف الظلْم بأنَّه ((وضع الشيء في غير موضعه))[3]وقال الراغب : ((والظُّلْمُ عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به ، إمَّا بنقصان أو زيادة ، وإمَّا بعدول عن وقته أو مكانه

(١) ينظر : منتخب قرة العيون النواظر ص ١٧٣ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣) ينظر : منتخب قرة العيون النواظر ص ١٧٣ .

، ومن هذا يقال : ظلمْتُ السِّقاءَ : إذا تناولته في غير وقته٠٠٠وظلمْتَ الأرضَ حفرْتَها ، ولم تكن موضعًا للحفر٠٠٠ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ؛ ولهذا يُستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير؛ ولذلك قيل لآدم في تعدِّيه ظالمًا ، وفي إبليس ظالم ، وإن كان بين الظلمين بون بعيد ، قال بعض الحكماء : الظُّلْمُ ثلاثة ، الأول ظلْمٌ بين الإنسان وبين الله ، ولذا قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ){لقمان : ١٣} ٠٠٠ والثاني : ظلْمٌ بينه وبين الناس ٠٠٠ والثالث : ظلْمٌ بينه وبين نفسه)) (١)

لقد أريد من ذكر الظلم في شواهد هذه الأوجه الظلم بعينه بمعناه الذي ذكره أهل اللغة ، ولا يجوز أن نزعم أنَّه أريد منه وجه من هذه الأوجه إلّا بدليل قاطع ، أو بقرينة واضحة ، أو بنص صحيح صريح من لدن الشارع ، ولم أجد هذا الشاهد إلّا في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون){الأنعام : ٨٢}

فسَّر كثير من الصحابة والتابعين قوله تعالى : (بِظُلْم) بشرك(٢) قال الطبري : ((عن عبد الله لمَّا نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ، وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما تظنون ، إنَّما هو الشرك٠٠٠ وعن المسيب أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قرأ (الآية) فلمَّا قرأها فزع ، فأتى أبي بن كعب ، فقال : يا أبا منذر قرأتُ آية من كتاب الله ٠٠٠ فقال ما هي ؟ فقرأها ، فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال : غفر الله لك ، أما سمعتَ الله يقول : (لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٩٤/٧-٢٣٠٠ .

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنَّما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك))[١]وذكر الواحدي مثل هذه الروايات بإسناد البخاري ومسلم[٢]وقد رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم [٣] وهذا ما ينطبق على تعريف الظلم الذي مر ذكره ، بأنَّه يشمل الذنب الصغير والذنب الكبير كالشرك .

فالظلم موجود في كل ذنب صغر أم كبر ، فهناك ظلم كفر ، وظلم فسق ، وظلم سبٍّ ، وظلم غيبة ، ويختلف ظلم عن ظلم استنادًا إلى ما يضاف إليه ، ومن أهونه ظلم الظن حسب ظني ، وأعظمه ظلم الشرك ، المقصود في قوله تعالى (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) ولا يصح جعل الشرك من أوجه الظلم ؛ لأنَّه ما أريد تسمية الظلم بالشرك أو وصفه به ، بل تسمية الشرك ووصفه بأنَّه ظلم ، فقد قال الله تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ولم يقل : إنَّ الظلم لشرك عظيم ، فقد أريد الظلم الذي في الشرك ، أي : ليس ظلم أي ذنب كان ، وليس هناك أعظم من ظلم الشرك ، لأنَّه أريد اقترانه بأعظم الذنوب

وهذه القضية لأهميتها تحتاج إلى تفصيل أدق ، فأقول ومن الله الهدى والسداد : تقدم أنَّ مقاتل ومقلديه اتخذوا مما جاز وصفه باسم الجنس ، أي : اللفظ الدال على معنى عام أوجهًا له ، كما حصل هذا بألفاظ عديدة ، كالفساد والسوء والحسنى والمعروف والظلم ، إلّا أنَّ القرآن الكريم ما استعمل مثل هذه الألفاظ إلّا لتدل على معانيها العامة ، ولم يستعملها بأي معنى خاص من معاني الوجوه التي نُسبت إليها من لدن أصحاب كتب الوجوه ، لكن قد تجيء دلالة بعضها العامة مقتصرة على وجه معيَّن من

---

(١) جامع البيان ٧/٢٩٦-٢٩٨ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/٢٩٣ .

(٣) ينظر : صحيح البخاري ص ٧٩ رقم الحديث ٣٢.

دون أن يخرج عن دلالته ، كما حصل هذا في قوله تعالى : (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) فالظلم هنا لم يخرج عن معناه ، فقد أريد به أيضًا الظلم بعينه ، لكن ليس بمعناه العام ، وإنما قصره الشارع على ظلم الشرك ، وما أراد الشرك بحد ذاته ، إذ لو أراده لقيل : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ، لكن لمَّا أراد صفة الظلم التي اشتملت عليه قال : (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) والغرض من ذلك هو التنبيه على أنَّ الحكم الذي تضمنته الآية كان مستندًا إلى ما تدل عليه صفة الموصوف الذي هو الظلم ، لا على ما يدل عليه الموصوف الذي هو الشرك ، وهذه قضية جديرة بالتذكير ، فالعرب في الجاهلية مثلًا كانوا لا ينكرون أنَّ ما يفعلونه شرك ، لكن كانوا ينكرون أنَّ شركهم هذا يُعد ظلمًا .

وصفوة ما تقدَّم تفصيله أنَّه قد أُريد من الظلم الظلم بعينه في كل شاهد من شواهد الأوجه المنسوبة إليه ؛ لأنَّه لو أراد هذه الأوجه بأعيانها لعبَّر عن معانيها بألفاظها ؛ بل من الظلم أن نذكر لفظ الظلم ونحن نبغي غير معناه ، ومن الظلم أيضًا أن نُعبِّر عن المعنى بغير لفظه ؛ لأنَّ في ذلك كله وضع الشيء في غير موضعه .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنَّ الصحابة رضي الله عنهم ، الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ، وهم أهل العربية وأعلم الناس بلغة القرآن الكريم وألفاظه ومقاصدها ، لم يكونوا يعلمون بأنَّ الظلم في الآية يعني ظلم الشرك ، لو لم يخبرهم بذلك رسول الله صلى الله عليهم ، لأنَّهم كانوا قد فهموا أنَّ اللفظ القرآني لا يعبِّر إلاَّ عن معناه ، ولا يعبِّر عن معنى لفظ آخر إلّا بقرينة قاطعة واضحة لا لبس فيها ، ولا تحتمل الشك ، فكيف تسنَّى لمقاتل ومن تبعه أن يجعل لكل لفظ وجوهًا عديدة من الألفاظ المئة والستة والثمانين التي اشتمل عليه كتابه ، لو لم يكن قد اتبعوا فيها المنهج الارتجالي الجزافي الاعتباطي .

٢٠-اطمأنّ-تطمئنّ : جاء تفسير تطمئنُّ في كتب الوجوه على ثلاثة أوجه : السكون والرضى والإقامة [١]

قال الخليل : ((اطمأنَّ الرجل واطمأنَّ قلبه واطمأنَّت نفسه : إذا سكن واستأنس)) [٢] وقال الراغب : ((الطمأنينة والاطمئنان : السكون بعد الانزعاج)) [٣]

وهذه الأوجه الثلاثة تُعدُّ من مرادفات الطمأنينة ، أي : من المعاني القريبة منها ، فالسكينة هو المعنى اللغوي الذي ذكره أهل اللغة للطمأنينة ، والرضى هو من لوازمها ؛ لأنَّ الاطمئنانَّ للشيء لا يكون إلّا بالرضي به ، ويحصل هذا وذاك عند الإقامة والاستقرار ، بل الاطمئنان للشيء لا يكون إلّا بعد الشعور بالأمن ، فالمجال مفتوح لذكر ما تستوجبه الطمأنينة ، وما يكون من لوازمها ومقدماتها ونتائجها ؛ لذلك استبدل العسكري وجه الأمن بوجه الإقامة وقال : ((الثالث بمعنى الأمن ، ويجوز أن يكون هذا أيضًا بمعنى السكون ، قال بعضهم : معناها ها هنا الإقامة)) [٤]

فتأمَّل كيف احتمل وجه واحد ثلاثة معان ، والوجه الثالث الذي جعله مقاتل بمعنى الإقامة لا يصح ؛ لأنَّ الاطمئنان شعور نفسي ، وهو سكون النفس بعد انزعاجها كما عرفه الراغب ، كالشعور بحالة الرضى بالشيء بعد النفور منه ، والشعور بالأمن بعد الخوف ، واستقرار الذهن على رأي معيَّن بعد اضطراب النفس والشك فيه ، والحقيقة أنَّ أغلب الألفاظ التي اشتمل

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٢٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣١-٣٢، والوجوه والنظائر لهرون ص ٧٢-٧٣ .

(٢) العين ص ٥٧٧ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٣٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٩ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٢١

عليها كتاب الأشباه وما صُنِّف على منواله قامت وجوه ألفاظها على شاكلة وجوه هذا اللفظ وما سبقه ، فهي لا تستحق أن تُرَدَّ على قائليها ؛ وسأتجاوز كثيرًا منها بكلام موجز .

٢١-السعي : قال مقاتل : ((تفسير السعي على ثلاثة وجوه :

فوجه منها : السعي يعني المشي ، فذلك قوله في البقرة : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){اللبقرة ٢٦٠}

والوجه الثاني : السعي يعني العمل ٠٠٠ وقال في الليل : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى {١} وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى {٢} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى {٣} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى){الليل : ١-٤}

والوجه الثالث : يسعى ، يعني يسرع ٠٠٠))[١]هذا ما اتفق عليه مقاتل وهرون وابن قتيبة والعسكري ، أمَّا ابن الجوزي فقد دمج وجهي المشي والإسراع بلفظ الإسراع في المشي ، وأضاف وجه المبادرة بالنية والعزم .

قال الخليل : ((السعي : عدو ليس بشديد ، وكل عمل من خير أو شر ، فهو السعي ، يقولون : السعي : العمل ، أي : الكسب ، والسعاة في الكرم والجود)) [٢] وقال العسكري : (السعي : أصله السرعة في المشي ، ثم استعمل في غيره ، فيقال : سعى الرجل سعاية ، إذا ولي الصدقة ، والساعي

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٢٣-١٢٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٢، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٧٣ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٤-٢٧٥ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٧٩، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٨ ونزهة الأعين ١٥٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٤٣ .

(٢) العين ص ٤٢٩ .

إلى السلطان بسرعته ؛ لأنَّ الساعي حنق على المسعي ، فهو سريع إلى إلحاق الضرر به)) (١) وقال الراغب : ((السعي : المشي السريع وهو دون العدو ، ويستعمل للجد في العمل ، خيرًا كان أم شرًّا)) (٢)

فهذا هو المعنى اللغوي للسعي وتعريفه ، فهل ترى أنَّ هذه الأوجه الثلاثة خارجة عن هذا المعنى والتعريف؟! وبأيِّ مسوغ جعل مقاتل ومن تابعه السعي في الوجه الأول بمعنى المشي ، أليس السعي في اللغة يعني الأسراع في المشي ، وهو المعنى المراد أيضًا في الآية؟ فقوله تعالى : (يَأْتِينَكَ سَعْيًا) يعني : مسرعة في مشيها ، وهذا المعنى مع أنَّه موافق للغة ، فهو موافق للمقام ؛ فلم يقل سبحانه : مشيًا ، بل سعيًا ، لأنَّه لم يرد المشي بل الإسراع فيه ، ليطمئنَّ إبراهيم عليه السلام بأنَّ الحياة قد دبَّت فيهنَّ ، بل صرن أكثر نشاطًا من أقرانهنَّ ، حتى إنَّهنَّ ، لم يأتينه ماشية ، بل مسرعة في مشيهنَّ .

وكذلك جعله السعي بمعنى العمل في الوجه الثاني ، والسعي لا يعني العمل ، وإنَّما الإسراع فيه ، وهذا يكون بالجد في العمل ، وقد مرَّ قول الراغب : ((السعي : المشي السريع ، وهو دون العدو ، ويستعمل للجد في العمل ، خيرًا كان أم شرًّا))

فمقاتل هنا ومن سار على منواله ، اتبعوا من أجل اختلاق هذين الوجهين ، سبيل تحريف معنى اللفظ في اللغة والقرآن الكريم . وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه تضاف إلى الطرق الأُخر التي اتبعوها في الألفاظ السابقة .

---

(١) الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٧٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٤٠.

أمَّا جعله يسعى بمعنى يسرع في الوجه الثالث ، فهو لم يخرج عن معنى السعي ؛ بل هذا هو معناه اللغوي في الأصل ، كما ذكر أهل اللغة ، فقد مرَّ مثلًا قول العسكري : ((السعي : أصله السرعة في المشي ، ثم استعمل في غيره)) (١) وهذه طريقة أخرى لاختلاق الوجه ، هي أنَّهم اتخذوا من معنى اللفظ وجهًا له ، وهذا ما صرَّح به ابن الجوزي بقوله : ((الأصل في السعي ، أنَّه الإسراع في المشي ، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه ، أحدها : ما ذكرنا)) (٢)

فإذا اتخذنا من معنى اللفظ ومرادفاته أوجهًا له ، فقد وقعت الطامة الكبرى ، وقضينا على أنَّ جميع الألفاظ في كتاب الله هي من الألفاظ المشتركة ، وأنَّ لكل منها أوجهًا ؛ لأنَّه ما من لفظ في العربية والقرآن الكريم إلّا له معنى وألفاظ ترادفه.

٢٢-**الطيبات** : قال مقاتل : ((تفسير الطيبات على ثمانية وجوه :

فوجه منها ، الطيبات يعني ما كان حرم أهل الجاهلية من الأنعام

والوجه الثاني : الطيبات يعني الحلال ، وهو المن والسلوى ...، فذلك قوله في البقرة لبني إسرائيل : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ){البقرة : ٥٧}...

والوجه الثالث : الطيبات يعني الحلال، وهو الطعام واللباس الحسن والجماع ...

والوجه الرابع : الطيبات يعني شحوم ولحم كل ذي ظفر...

والوجه الخامس : الطيبات يعني الذبائح طيبة لهم ...

والوجه السادس : الطيبات يعني الحلال وهو الغنيمة ...

(١) الوجوه والنظائر ص ١٧٩ .

(٢) منتخب قرة العيون ص ١٤٣ .

والوجه السابع : الطيبات يعني الرزق الطيب بعينه ٠٠٠

والوجه الثامن : الطيبات يعني به الحسن من الكلام ، فذلك قوله تعالى : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ){النور : ٢٦}))(١)

قال الخليل : ((الطيب : الحلال)) (٢) وقال ابن فارس : ((الطاء والياء والباء : أصل صحيح واحد يدل على خلاف الخبيث٠٠٠ والأطيبان الأكل والنكاح ٠٠٠ والطيب : الحلال)) (٣) وقال الراغب ((وأصل الطيب ما تستلذه الحواس ، وما تستلذه النفس)) (٤)

أليست هذه الأوجه جميعها ، هي من الطيبات حسب معناها الذي ذكره أهل اللغة؟ بل هي أمثلة لما أحلَّه الله ، والقرآن الكريم إذا أراد الطيبات بصفة عامة ، أو من غير تحديد ومسميات خاصة ، استعمل لفظ الطيبات معرفة أو نكرة ، وإذا أراد تعيينها ومسمياتها استعمل الألفاظ الخاصة بها المعبرة عنها ، فقد جعل مقاتل الطيبات في الوجه الرابع بمعنى الشحوم ولحم كل ذي ظفر ، والقرآن الكريم لو أراد ذلك لعيَّنه بالاسم كقوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ){الأنعام : ١٤٦}

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٢٤-١٢٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٣-٣٥ وينظر: والوجوه والنظائر لهرون ص ٧٤-٧٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٢١-٢٢٢ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٠-٣٢٢ ونزهة الأعين ص ١٩٢-١٩٣ .

(٢) العين ص٥٨٦ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٤٢.

(٤) المفردات ص ٣٢١

وجعل الطيبات في الوجه الثاني بمعنى المن والسلوى مخلٌّ بنظم القرآن في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) لأنَّه قد صرَّح بالمن والسلوى قبل ذلك ، فلمَّا ذكر الطيبات أراد الله سبحانه أن يذكِّر بني إسرائيل بأنَّه لم يقصر حلاله الطيب لهم على المنِّ والسلوى ، بل أحل لهم هذا ، وكل ما هو حلال من الرزق الطيِّب ، وقد ذكرتُ من قبل أنَّ من طرق اختلاق الوجوه التي اتبعها مقاتل ومقلدوه ، هو قصر الوجه على معنى واحد من معانيه المحتملة والمتعددة ، كجعله الطيبات في الوجه الثامن بمعنى الحسن من الكلام في قوله تعالى : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) بينما يُعدُّ هذا المعنى واحدًا من عدة احتمالات ، ذكر الطبري وغيره أنَّ أهل التأويل اختلفوا في تفسير الطيبات في هذه الآية على أربعة أقوال :

١-أنها تعني الطيبات من القول ، وهو المعنى الذي عيَّنه مقاتل .

٢-أنَّها الطيبات من العمل .

٣-أنَّها الطيبات من القول والعمل .

٤-أنَّها الطيبات من النساء . (١)

والقرآن الكريم لو أراد أحد هذه الأقوال ، لذكره بلفظه ، لكن لمَّا استعمل الطيبات وهي اسم جنس ، فقد أرادهنَّ جميعًا ، وما يمكن أن يُلحق بهنَّ مما هو على نحوهنَّ ، فقصر الطيبات على أحد هذه الأقوال ، هو خلاف ما قصده القرآن الكريم ، فمقاتل وكل من صننَّف مثل كتابه الأشباه ، كان همُّهم أن يختلقوا الوجوه ، ولو كان على حساب التفسير .

٢٣-**الطيّب والخبيث** : جاء تفسير الطيب والخبيث عند مقاتل ومن تبعه على ثلاثة أوجه :

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٢٨/١٨-١٢٩ ، وزاد المسير ٣٧٤/٥ .

الوجه الأول : الطيب يعني الحلال ، والخبيث يعني الحرام .

والوجه الثاني : الطيب والخبث يعني المؤمن والكافر

والوجه الثالث : الطيب يعني الحسن من القول

مرَّ تعريف الطيب ، أمَّا الخبيث فهو خلاف الطيب[١]

الوجه الأول والثالث هما من أوجه اللفظ السابق ، أمَّا جعله الطيب في الوجه الثاني مثلًا للمؤمن ، والخبيث مثلًا للكافر فهو استعارة داخلة في باب المجاز ، وقذ مرَّ الكلام على أنَّ ما كان من المجاز لا يُعدُّ من الوجوه .

٢٤-**الفواحش** : قال مقاتل : ((تفسير الفواحش على أربعة وجوه :

فوجه منها : الفواحش يعني المعصية في الشرك ، فذلك قوله في الأعراف : (وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً) يعني معصية مما حرَّم أهل الجاهلية على أنفسهم في الشرك (قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء){الأعراف : ٢٨} يعني بالمعاصي ، يعني تحريم الحرث والأنعام[٢]

والوجه الثاني : الفاحشة يعني المعصية ، وهو الزنا فذلك قوله (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً){النساء : ١٥} وقال في الأعراف : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ){الأعراف : ٣٣}...

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٤٢.

(٢) قال مقاتل : ((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً) يعني معصية فيما حرَّموا من الحرث والأنعام والثياب والألبان ، فنهوا عن ذلك)) تفسير مقاتل ٣٨٨/١.

والوجه الثالث : الفاحشة يعني إتيان الرجال في أدبارهنَّ فذلك قول لوط في العنكبوت : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ){العنكبوت : ٢٨}

والوجه الرابع الفاحشة يعني المعصية ، وهو النشوز من المرأة كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ){الطلاق : ١}))[١]

قال ابن فارس : ((الفاء والحاء والشين : كلمة تدل على قبح في شيء وشناعة ، من ذلك الفحش والفحشاء والفاحشة : يقولون : ، كل شيء جاوز قدره فهو فاحشة ، ولا يكون إلّا فيما يُتَكَرَّه)) [٢] وقال الراغب : ((والفحش والفحشاء والفاحشة : ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال)) [٣]

جعل أصحاب كتب الوجوه الفاحشة في الوجه الأول بمعنى المعاصي ، والصحيح أن تكون بالمعنى الذي ذكره ابن فارس والراغب ، قال الزجاج في تفسير شاهد الوجه الأول : ((وقوله عز وجل (وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً) معنى الفاحشة : ما يشتد قبحه من الذنوب)) [٤]

وهذا هو المعنى المراد من الفاحشة أينما وردت في القرآن الكريم ، والادعاء بأنَّ الفواحش في الوجه الثاني بمعنى الزنا في قوله تعالى : (قُلْ

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٢٨–١٢٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٥٠٣٦ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٧٧–٧٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٥٨–٢٦٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٧–٣٦٨ ونزهة الأعين ص ٢١٧–٢١٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٢٩ .

(٣) المفردات ص ٣٨٩ .

(٤)معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٦٧.

إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) وإن قال به مقاتل وهرون والعسكري والدامغاني من الوجوهيين وبعض المفسرين[١] فهو أبعد ما يكون عن الصواب ؛ ذلك أنَّ الفواحش اسم جنس من جهة ، وورد جمعًا من جهة أخرى ؛ فكيف يصح أن نجعلها بمعنى الزنا ، والزنا واحدة من الفواحش ، والقرآن الكريم أراد الجمع لا المفرد ؟! لذلك فسَّر الطبري الفواحش بالقبائح من الأشياء ، ونقل عن مجاهد أنَّ ما ظهر منها : طواف أهل الجاهلية حول الكعبة عراة ، وما بطن : الزنا[٢] وكذلك فُسِّرت الفواحش بأنَّها تعني جميع المعاصي[٣] أو هي الكبائر [٤] ولذلك قيل في تفسير ما بطن : بأنَّه العمل بالفاحشة سرًّا والزنا والعزل ، وفي تفسير ما ظهر منها : بأنَّه نكاح الأمهات ، ونكاح الأبناء نساء الآباء ، والجمع بين الأختين ، وأن تُنكح المرأة على عمتها ، أو خالتها ، وقيل : ما ظهر منها : أفعال الجوارح ، وما بطن : اعتقاد القلوب[٥]

فقصر الفواحش على الزنا وحده تحريف صريح للمعنى المراد من ذكرها في الآية الكريمة .

وقد جعل مقاتل ومن تبعه الفاحشة بمعنى النشوز في الوجه الرابع في قوله تعالى : (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) وهو أيضًا وجه محتمل وليس متعيّنًا ، ويبدو أنَّ مقاتل عمد إلى ذلك ، لإدراكه أنَّه إذا ذكر للوجه معنيين وأكثر لا يُعَدُّ وجهًا ، لأنَّ وجوه اللفظ

(١) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢/٣٦٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٨/١٩٧.

(٣) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ٣/١٤٦ .

(٤) ينظر : اللباب في علم الكتاب ٩/٩٦ .

(٥) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ٨/١٩٧.

المشترك يجب أن تمثل معاني حقيقية ، والمعاني الحقيقية هي التي لا تحتمل غير معنى واحد ، ولا يُختَلَف فيها ، وإلاَّ دلَّ على أنَّها ليست من الوجوه ، قال الطبري : ((واختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذُكِرتْ في هذا الموضع ، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهنَّ في حال كونهنَّ في العدة من بيوتهنَّ ، فقال بعضهم : الفاحشة التي ذكرها في هذا الموضع هو الزنا ، والإخراج الذي أباحه الله هو الإخراج لإقامة الحد٠٠٠وقال آخرون : الفاحشة التي عناها الله في هذا الموضع : البذاء على أحمائها٠٠٠ وقال آخرون : بل ذلك نشوزها على زوجها ؛ فيطلقها على النشوز ؛ فيكون لها التحول حينئذ من بيتها)) [١] وبعد ذكر هذه التأويلات قال : ((والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عنى بالفاحشة في هذا الموضع المعصية)) [٢] وهذا هو الصواب ؛ لأنَّ الفاحشة اسم جنس عنى به كما قال الزجاج : الفاحشة ((كل ما يجب فيه الحد)) [٣] والنشوز بعينه لا يوجب عليه الحد ولا الإخراج ، إلّا إذا أدَّى إلى طلاقها ، فيجب الأخراج لطلاقها لا لنشوزها ، وقال العسكري في وجه النشوز في هذا الموضع : ((قال هي النشوز ، وعندنا أنَّه الزنا ، وما يجري مجراه من قبح المعاصي ؛ لأنَّه لا تكاد العرب تسمي بالفاحشة إلاَّ كل ذنب شديد القبح لازم العار ، وليس النشوز مما يجري عليه اسم الفاحشة)) [٤]

يضاف إلى ما تقدَّم ذكره أنَّ القرآن الكريم لو أراد النشوز لذكره بلفظه ، كما ذكره في قوله تعالى : (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ

---

(١) جامع البيان ٢٨/١٤٩–١٥٠ .

(٢) جامع البيان ٢٨/١٥١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٤٤ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٥٩ .

فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا){النساء : ٣٤} فهذا هو النشوز لا يوجب الحد ولا الإخراج ، بل لا يوجب حتى الطلاق ، بل يوجب المعالجة ، وقد ذكر القرآن الكريم طرق هذه المعالجة التي تنتهي بالطاعة ، فيكون القرآن الكريم قد عنى بالفاحشة المبيِّنة كل ما اشتدَّ قبحه من الأفعال ، وقصرها على النشوز خلاف ما عناه كتاب الله عز وجل

لقد اختلق مقاتل ومقلدوه مما جاز وصفه بالفاحشة أوجهًا لها، ذلك عن طريق الدراسة المعكوسة ، فالقرآن الكريم مثلًا لم يسمِّ الفاحشة بالزنا كما جاء في الوجه الثاني ، بل سمَّى الزنا بالفاحشة ، وهذه حقيقة كثر ما أشرتُ إليها ، يؤكدها قوله تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً){الإسراء : ٣٢} فتأمل أنَّ القرآن الكريم سمَّى الزنا فاحشة ، ولم يُسمِّ الفاحشة بالزنا ، كما سمَّاه ووصفه أيضًا بالسوء ، استنادًا إلى ما عددته من قبل قاعدة عامة : أنَّ اللفظ الخاص يُوصَف بالمعنى العام ، ولا يصح العكس ؛ لأنَّ الخاص يندرج تحت العام ، ولا يندرج العام تحت الخاص ، ويقال الكلام نفسه في ما يتعلق بالوجه الثالث ، وهناك وجه لم يذكروه وكان يمكن أن يختلقوه بالطريقة نفسها ، لكن سهوا عنه ولم يخطر ببالهم ، هو نكاح ما نكح الآباء قال تعالى : (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً){النساء : ٢٢} فسمَّى أيضًا نكاح ما نكح الآباء بالفاحشة ووصفه بالمقت والسوء.

والفاحشة اسم جنس يتعلق بالفروج وغيرها ، وقد أريد منها أينما وردت في القرآن الكريم الفاحشة بعينها وبمعناها العام ، الذي جاز أن يوصَف بها كل ذنب اشتد قبحه ، لكنَّها وردت في مواضع ، وقد اقتصر

وصف الزنا بها ((والزنى معروف))[1] كما جاء في الوجه الثاني ، في قوله تعالى : (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً){النساء : ١٥} والفاحشة في هذه الآية لم تخرج عن معناها ، فقد أريد بها أيضًا الفاحشة بعينها ، لكن ليس بمعناها العام الذي يشمل الزنا وغيره ، وإنَّما قصر السياق دلالتها على الزنا ، وما أراد الزنا بحد ذاته ، إذ لو أراده لقيل : واللاتي يأتين الزنا من نسائكم ، لكن لمَّا أراد صفة الفحش في الزنا قال : (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ) ، والغرض من ذلك هو التنبيه على أنَّ الحكم الذي تضمنته الآية ، وهو إمساكهنَّ في البيوت حتى يتوفاهنَّ ، لم يجئ استنادًا إلى الزنا المعروف معناه ، بل إلى الفحش فيه الذي يعني قبح الشيء وشناعته ، وكذلك أمر قصر دلالتها العامة على : إتيان الرجال في أدبارهنَّ كما جاء ذلك في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ){العنكبوت : ٢٨}

وصفوة القول من كل ما مرَّ ذكره أنَه قد أريد من الفاحشة أينما وردت في القرآن الكريم الفاحشة بعينها ، ولا وجوه لها فيه .

٢٥-أدنى : قال مقاتل : ((تفسير أدنى على أربعة وجوه :

فوجه مهنا : أدنى يعني أجدر فذلك قوله في البقرة : (وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ){البقرة : ٢٨٢} يقول : وأجدر أن لا تشكوا [2]

والوجه الثاني : أدنى يعني أقرب ...

والوجه الثالث : أدنى يعني أقل ...

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٨٨.

(٢) ينظر : تفسير مقاتل ١٥١/١ .

والوجه الرابع : أدنى يعني دون)) (١)

قال ابن فارس : ((الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد يقاس بعضه على بعض ، وهو المقاربة ، من ذلك الدنيّ وهو القريب ، من دنا يدنو وسُمِّت الدنيا لدنوِّها ٠٠٠ والدنيء من الرجال الضعيف الدون ، وهو من ذاك لأنَّه قريب المأخذ والمنزلة٠٠٠والدنيُّ : الدون٠٠٠وجاء في الحديث : إذا أكلتم فَدَنُّوا ، أي : كلوا مما يليكم مما يدنو منكم)) (٢) وقال العسكري : ((أدنى : أفعل من الدنو وهو القرب)) (٣) وقال الراغب : ((الدنو : القرب بالذات أو بالحكم٠٠٠ويُعبَّر بالأدنى تارة عن الأصغر فيقابل بالأكبر٠٠٠وعن الأرذل فيقابل بالخير ، وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى)) (٤)

يتبيَّن من المعنى اللغوي الذي ذكره أهل اللغة للاسم أدنى ، أن الأوجه المنسوبة إليه لا تخرج عن معناه ، أو بتعبير آخر أنَّها تُعدُّ من مرادفاته ، فهي لا تحتاج إلى تعليق ، وقد تكرر كلامنا على ما كان من مرادفات اللفظ ، إلّا الوجه الأول ، وهو جعل أدنى بمعنى أجدر في قوله تعالى : (وَأَدْنَى أَلّا تَرْتَابُواْ) لأنَّ أجدر لا يعني أقرب ؛ إذ هو من الجدار ، وهو الحائط ، وقولنا : وأجدر بكذا ، معناه ((ينبغي أن يثبت ويبني أمره

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٦-٣٧ وينظر : والوجوه والنظائر لهرون ص ٧٨-٧٩والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠-٣١، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٧-٩٨ ونزهة الأعين ص ٣٢ .

(٢) مقييس اللغة ص ٣٠١.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٣٠ .

(٤) المفردات ص ١٧٩ .

عليه)) [١] كبناء الجدار وثباته ؛ قال الطبري : ((يعني جلَّ ثناؤه بقوله : (وَأَدْنَى) وأقرب من الدنو وهو القرب)) [٢] وقال الواحدي : ((أي : أقرب إلى أن لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل)) [٣] وقال الزمخشري : ((وأقرب من انتفاء الريب)) [٤] وقال ابن عطية : (((وَأَدْنَى) معناه : وأقرب))[٥] وابن الجوزي الذي عيَّن أن تكون (وَأَدْنَى) بمعنى : وأجدر ، في النزهة[٦] تقليدًا لمقاتل لم يجعلها بهذا المعنى في تفسيره بل قال : (((وَأَدْنَى) أي : وأقرب))[٧] وقال القرطبي : (((وَأَدْنَى) معناه : وأقرب))[٨] وقال البيضاوي : البيضاوي : ((وأقرب في أن لا تشكوا)) [٩] وقال النسفي : ((وأقرب إلى انتفاء انتفاء الريب في الشاهد والحاكم وصاحب الحق)) [١٠] وقال أبو حيان : ((لأنَّ انتفاء الريبة مترتب على طاعة الله في الكتابة والإشهاد ؛ فعنهما تنشأ أقربة انتفاء الريبة)) [١١] وقال الشوكاني : ((أقرب لنفي الريب في

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٥٧ .

(٢) جامع البيان ١٥٥/٣ .

(٣) الوسيط ٤٠٥/١ .

(٤) الكشاف : ٣٢٢/١ .

(٥) المحرر الوجيز ٣٨٣/١ .

(٦) ص ٣٢ .

(٧) زاد المسير ٢٧٨/١ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/٣.

(٩) أنوار التنزيل ١٦٤/١ .

(١٠) مدارك التزيل ص ١٤٤.

(١١) البحر المحيط ٥٦٨/٢ .

معاملاتكم))[1]وقال الآلوسي : ((أي : أقرب إلى انتفاء ريبكم وشككم)) [2] وقال ابن عاشور : ((وأقرب إلى نفي الريبة والشك)) [3]

فلم أجد أحدًا من المفسرين حتى ابن الجوزي من فسَّر (وَأَدْنَى) بمعنى : وأجدر ، إلاَّ مقاتل ومقلدوه في كتب الوجوه والنزهة ، وهذه حالة تتكرر منه وممن قلَّده ؛ مما يدلُّ على أنَّهم كانوا لا يعنيهم أن يفسروا اللفظ القرآني بمعناه أو بغير معناه ؛ كل ذلك من أجل أن يختلقوا الوجه اختلاقًا ،

ومن الضروري أن ننبه على أنَّ هذه الوجوه التي ذكرها مقاتل ومقلدوه لألفاظ القرآن الكريم ، لا تدخل في باب الشرح والتفسير ، بل عدُّوها معاني حقيقية كمعاني اللفظ المشترك ، وهنا يكمن خطرها إذا كانت خلاف ما عناه القرآن الكريم ؛ لأنَّها تُعدُّ حينئذ تحريفًا لمعاني القرآن الكريم ، وهو لايقل خطرًا عن تحريف ألفاظه .

٢٦–تأويل : قال مقاتل : ((فوجه منها تأويله ، يعني منتهى كم يملك محمد وأمته ، فذلك قوله في آل عمران : (ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ){آل عمران : ٧} يعني : وما يعلم تأويل كم يملك محمد وأُمَّته إلّا الله .

والوجه الثاني : تأويله يعني عاقبة ما وعد الله في القرآن من الخير والشر يوم القيامة ، فذلك قوله في الأعراف : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ){الأعراف : ٥٣}

والوجه الثالث : تأويل يعني تعبير الرؤيا فذلك قوله في يوسف : (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ){يوسف : ٦}

---

(١) فتح القدير ٣٨٠/١.

(٢) روح المعاني ٥٩/٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٥٧٩/٢ .

والوجه الرابع : تأويل يعني تحقيق ، فذلك قول يوسف : (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا){يوسف : ١٠٠} يعني : تحقيق رؤياي

والوجه الخامس : تأويله يعني ألوانه ، فذلك قول يوسف لصاحبي السجن : (قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ){يوسف : ٣٧} يعني بألوانه ، يعني ألوان الطعام من فبل أن يأتيكما)) وما قاله مقاتل قاله هرون بن موسى ، والعسكري ، والدامغاني ، وابن الجوزي[١]

قال الخليل : ((والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه)) [٢]وقال ابن فارس : ((تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه))[٣]وقال العسكري : ((وأوَّل الكلام تأويلًا إذا ردَّه إلى الوجه الذي يُعرَف منه معناه))[٤]وقال الراغب : ((التأويل ٠٠٠هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه))[٥]وقال القرطبي : ((والتأويل يكون بمعنى التفسير٠٠٠ويكون بمعنى ما يؤول إليه الأمر ، واشتقاقه من آلَ الأمر إلى كذا يؤول إليه))[٦]

فهذا هو معنى التأويل ، وهو وجهه ، ولا وجه له غيره ، ، فجعله بمعنى العاقبة كما جاء في الوجه الثاني ، هو كقول ابن فارس المتقدم ذكره :

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣١-١٣٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٧-٣٨ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٧٩ -٨٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٩٩-١٠٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٤٣-١٤٤ونزهة الأعين ص٨٣-٨٤ .

(٢) العين ص ٤٨ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٢.

(٤) الوجوه والنظائر ص ٩٨ .

(٥) المفردات ص ٣٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٤/١٦-١٧.

((تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه)) وكذلك جعله بمعنى تعبير الرؤيا ، كما جاء في الوجه الثالث ، فالتعبير يعني التفسير ، كما يعنيه التأويل ، أمَّا التحقيق كما جاء في الوجه الرابع ، فهو من لوازم التأويل الحق ونتائجه ، وهذا ظاهر من قوله تعالى : (قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)

وكثيرًا ما يقطع مقاتل بتفسير ما احتمل واختلف أهل التأويل في تفسيره ، لعلمه أنَّ من علامات الوجه أن لا يحتمل غير معنى واحد ، فإذا احتمل خرج من دائرة الوجه إلى دائرة الشرح والتفسير ، وهذا ديدنه في الأشباه ، فما عيَّنه هو ومقلدوه في الوجه الأول وهو جعله التأويل بمعنى منتهى كم يملك محمد وأمته في قوله تعالى : (وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ)هو قول من أقوال ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في معنى التأويل٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن ، وقالوا إنَّما أرادوا أن يعلموا متى يجيء ناسخ الأحكام٠٠٠وقال آخرون معنى ذلك (وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ) ما تشابه من آي القرآن يتأولونه))[1]

وقال الزجاج : ((ومعنى ابتغائهم تأويله أنَّهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم))[2] والصحيح أن المراد تأويل ما تشابه من القرآن ؛ لأنَّه راجع إليه ، وهذا هو الظاهر في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ)

وكذلك جعل التأويل بمعنى اللون ؛ لأنَّ الإخبار بألوان الطعام كما جاء في الوجه الخامس في قوله تعالى : (قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) يدخل أيضًا في باب التفسير ، يضاف إلى ذلك أنَّه وجه

---

(١) جامع البيان٣/٢١٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١٩/١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤.

خاص متعلق بقصة يوسف عليه السلام ؛ فكيف يصح أن يُجعل وجهًا للتأويل ؟! ؛ لأنَّ الوجه يجب أن يكون معنى من معاني اللفظ المشترك ، فهو مرتبط به ، ويتضمنه أينما ورد ذكره في القرآن الكريم ، أي : جاز قصده في كل زمان ومكان ، لذا لا يصح أن يرتبط بحالة خاصة وقعت فيما مضى .

فما ذكره مقاتل ومقلدوه فهي ليست أوجهًا للتأويل ، بل هي مرادفات وشروحات وتفسيرات له

٢٧-**الاستغفار** : قال مقاتل : ((تفسير الاستغفار على ثلاثة وجوه : فوجه منها : الاستغفار من الذنب والشرك٠٠٠

والوجه الثاني : الاستغفار يعني الصلاة فذلك قوله في آل عمران : (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ){آل عمران : ١٧} [١] كقوله تعالى في الذاريات : (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ){الذاريات : ١٨}

والوجه الثالث : الاستغفار يعني الاستغفار من الذنب)) [٢]

قال ابن فارس : ((فالغفر : الستر)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((الاستغفار : استفعال من طلب الغفران ، والغفران تغطية الذنب بالعفو عنه ، والغَفر : الستر)) [١]

---

(١) قال مقاتل : (((وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) يقول : المصلين لله بالأسحار ، يعني المصلين من آخر الليل)) تفسير مقاتل ١٦١/١.

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٣٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٨ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٨٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٦-٣٨، والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٣-١٠٤ ، ونزهة الأعين ١٥-١٦ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٢٩ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٩٦ .

وأهل اللغة ، وإن فسروا الغفْر (مصدر غَفَرَ) بالستر ، فهذا لا يعني أنَّ السترْ هو الغفْر بعينه ، بل لا يكون الغفْر بعينه إلّا الغفْر ؛ إذ لا يعبِّر عن معنى اللفظ إلاّ لفظه ، والدليل على ذلك أنَّ العسكري ذكر أنَّ بين غفر وستر فرقًا في الدلالة [٢] وأنا أعد الكتب التي تناولت ذكر الفروق بين الألفاظ المترادفة أكبر دليل على أنَّه لا يوجد في اللغة ، ولا سيما في القرآن الكريم لفظان متطابقان في المعنى .

وجعل مقاتل الاستغفار في الوجهين الأول والثالث بمعنى الاستغفار من الذنب والشرك ، وهل يعني الاستغفار غير ذلك؟!

وجعل ومن تبعه : هرون والعسكري والدامغاني وابن الجوزي الاستغفار بمعنى الصلاة ، في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ){آل عمران : ١٧} (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ){الذاريات : ١٨} وهذا الوجه أبعد ما قيل عن الصواب .

قال ابن فارس : ((والسَّحَرُ والسَّحَرَةُ وهو قبل الصبح))[٣] وقال الزجاج : ((والسَّحَر : الوقت قبل طلوع الفجر والعرب تقول : جئتُكَ بأعلى السَّحَر ، تريد في أول السَّحر ، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر الظاهر البيِّن)) [٤] وقال الراغب هو ((اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار)) [٥]وقال : ((والفجر فجران : الكاذب وهو كذنب السرحان ، والصادق

---

(١) نزهة الأعين ص ١٥ .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٣١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٥/١.

(٥) المفردات ص ٢٣٤ .

وبه يتعلق حكم الصوم والصلاة)) [١] وقال الزمخشري : ((وإنَّما سُمِّي السَّحَرُ استعارة ؛ لأنَّه وقت إدبار الليل وإقبال النهار)) [٢] وسمِّي بالكاذب لأنَّه يكون بظهور خط أبيض عمودي جهة طلوع الشمس ثم ما يلبث أن يختفي ؛ ليظهر بعده خط أبيض أفقي ينتشر بعد ذلك مؤذنًا بطلوع الشمس.

قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم ، فقال بعضهم : هم المصلون ۰۰۰وقال آخرون : هم المستغفرون۰۰۰ وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصبح في جماعة)) لا ضير في هذه الأقوال ، وإن لم يصب أكثرها الحقيقة ؛ لأنَّها سيقت سياق الشرح والتفسير ، فيكون فيها مجال مفتوح للأخذ والرد ، ولكن الخطر يكمن فيما تعيِّنه كتب الوجوه من هذه الأقوال على أنَّه حقيقة يمثل عين المعنى المراد ؛ لذلك نجد الطبري بعد عرض هذه التفسيرات الثلاثة يقول : ((وأولى هذه الأقوال ۰۰۰ قول من قال : : هم السائلون أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالأسحار۰۰۰ وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء)) وأكد الطبري هذا المعنى بما روي : ((عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه ، قال : سمعتُ رجلًا في السحر في ناحية المسجد ، وهو يقول : رب أمرتني فأطعتك وهذا سحر فاغفر لي ، فإذا ابن مسعود۰۰۰ حدثنا نافع أنَّ ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ، ثم يقول : أَسْحَرْنا؟ فأقول : لا ، فيعاود الصلاة ، فإذا قلتُ : نعم ، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح)) [٣]

ومما يؤيد أنَّ المراد من الاستغفار بالسحر هو الاستغفار بعينه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) المفردات ص ٣٣٨ .

(٢) أساس البلاغة ص ٢٨٧ .

(٣) جامع البيان ٣/٢٤٤–٢٤٥

أنَّ رسول الله عليه وسلم قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر يقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له (١)

واستنادًا إلى هذا الحديث اختار القرطبي أنَّ المراد من المستغفرين بالأسحار الاستغفار باللسان قال : قلتُ أصح من هذا ما روى الأئمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي الثلث الأخير من الليل فيقول : أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، ولا يزال كذلك حتى يطلع الفجر في رواية حتى ينفجر الصبح ، لفظ مسلم)) (٢)

وما يؤيد هذا قول الله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ){المزمل : ٢٠} وقوله تعالى : (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {١٧} وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ){الذاريات : ١٧-١٨} والسَّحَر كما تقدم تعريفه هو الوقت المحصور بين الفجر الكاذب والفجر الصادق ، وهو وقت قصير قُدِّر بنحو ٢٠-٢٥ دقيقة ، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يقيمون الليل بالصلاة وقراءة القرآن ، ويخصصون وقت السحر للاستغفار جاء في جامع البيان للطبري : ((عن قتادة ٠٠قال : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة٠٠٠ إمَّا من أولها وإمَّا من وسطها٠٠٠ عن الحسن قال : مدوا في الصلاة ونشطوا حتى كان الاستغفار بسحر٠٠٠ قال ابن زيد في قوله تعالى : (وَبِالأَسْحَارِ

---

(١) صحيح البخاري رقم الحديث ١١٤٥ ص ٣٣٢ ، وصحيح مسلم رقم الحديث ١٧٧٢ ص ٣٠٧ .

(٢) ينظر صحيح مسلم رقم الحديث ١٧٣٢ ص ٣٠٧ .

هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)٠٠٠ قال : بلغنا أنَّ نبي الله يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم (قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ {٩٧} قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ){يوسف : ٩٧-٩٨} قال : قال بعض أهل العلم إنَّه أخَّر الاستغفار إلى السحر ، قال : وذكر بعض أهل العلم أنَّ الساعة التي تُفتَح فيها أبواب الجنة السحر ، حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال سمعتُ ابن زيد يقول ، السحر السدس الأخير من الليل)) (١)

فلا يصح لما تقدَّم ذكره قول أهل الوجوه ، ولا يصح من وجه آخر ، وهو أنَّ في معنى المصلين بالأسحار قصر صلاتهم في السحر بينما كان الصحابة رضي الله عنهم يبدؤون بإقامة الليل بالصلاة قبل الأسحار شهد في حقهم قول الله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ){المزمل : ٢٠}

وأحدث العسكري وجهًا لم يقل به مقاتل ومقلداه هرون والدامغاني هو وجه التوبة فقد قال : ((الاستغفار٠٠٠وهو في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول : التوبة قال الله تعالى : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا){نوح : ١٠}٠٠٠وقوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٣} الاستغفار ها هنا التوبة ، وإنَّما فصل بينهما للتوكيد ، وتكرير الألفاظ على المعنى الواحد توكيد ، و(ثُمَّ) على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش))(٢)

ولا يصح أن تكون التوبة وجهًا للاستغفار ؛ لأنَّه من مرادفاته ، وقد ذكر العسكري نفسه أنَّ هناك فرقًا في الدلالة بين الاستغفار والتوبة ، وهو أنَّ

---

(١) جامع البيان ٢٦/٢٢٩-٢٣٤ .

(٢) االوجوه والنظائر ص٣٧.

الأول يعني طلب المغفرة باللسان والدعاء ، والثاني يكون بالطاعة والإحساس بالندم[١]

فالتوبة غير الاستغفار ، وهذا ما أكده العسكري نفسه في الفروق ؛ لذلك كثيرًا ما عُطفتْ التوبة على الاستغفار في القرآن الكريم كقوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٣} وقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ){هود : ٥٢} وقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ){هود : ٩٠}

كما أنَّ للاستغفار باللسان فضيلة تميَّز بها من بين الفضائل ، قال بها المفسرون في الشاهدين أنفسهما الذين جعلهما العسكري بمعنى التوبة ، قال الطبري في تفسير الاستغفار في سورة نوح : ((عن الشعبي قال : خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا ، فقالوا يا أمير المؤمنين : ما رأيناك استسقيت فقال فقد طلبتُ المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ، ثم قرأ : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا){نوح : ١٠}))[٢] وقال القرطبي : ((في هذه الآية والتي في هود دليل على أنَّ الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار ...وقال الأوزاعي : خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال...اللهم اغفر وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقوا ، وقال ابن صبيح : شكا رجل إلى

---

(١) ينظر : االفروق اللغوية ص ٢٦٤ .

(٢) جامع البيان ٢٩/١١١-١١٢ ، وينظر : الوسيط للواحدي ٣٧٥/٤ ((والمجاديح : واحدها مجدح...والمجدح نجم من النجوم...وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ، فجعل الاستغفار مُشَبَّهًا بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون ، لا قولًا بالأنواء ، وجاء بلفظ الجمع ؛ لأنَّه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أنَّ من شأنها المطر)) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٣٩/١ .

الحسن (البصري) الجدوبة فقال له : استغفر الله ، وشكا آخر إليه الفقر ، فقال له : استغفر الله : وقال له آخر : ادع الله لي أن يرزقني ولدًا ، فقال له : استغفر الله ، وشكا إليه آخر جفاف بساتينه ، فقال له : استغفر الله ، فقلنا له في ذلك ، فقال : ما قلتُ من عندي شيئًا ، إنَّ الله تعالى يقول في نوح : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {١٠} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {١١} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا){نوح : ١٠-١٢}))[١] ((وشبَّه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تُخطئ)) [٢]

ومن الواضح أن (استغفر) على صيغة استفعل ، لا تفيد إلاَّ معنى الطلب ، واستغفر الله الذنب أو من الذنب أو للذنب يعني : أطلب من الله أن يغفر لي ذنبي ، وهذا هو معناها أينما وردت وبأي صيغة جاءت في القرآن الكريم.

كتب الوجوه وتطابق الألفاظ في المعنى :

تبيَّن من دراسة وجوه الألفاظ السابقة التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، أنَّه ليس من بينها لفظ مشترك واحد ؛ لذا خرجت هذه الوجوه من باب الاشتراك إلى باب الادعاء بتطابق معانيها بمعنى الألفاظ التي عوملت على أنَّها ألفاظ مشتركة ، وهي ليست كذلك ، بل ثبت أنَّ لكل منها معناه الخاص به والمستقل والمتميز من معاني الوجوه التي نُسِبت إليه ، وغالبًا ما عبَّر القرآن الكريم عن معاني هذه الوجوه بألفاظها مما أدَّى إلى اختلاق ظاهرة لغوية من صنع أصحاب كتب الوجوه ، هو وجود معان في القرآن الكريم عُبِّر عنها بلفظين ، مرة باللفظ الذي عدوه لفظًا مشتركًا ، ومرة بلفظه ، وقد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٨/٢٢٢-٢٢٣ وينظر : الكشاف للزمخشري ٤/٦٠٥ ، ومدارك التزيل ص ١٢٨٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩/٣٨٦.

(٢) الكشاف ٤/٦٠٥ .

يشتد إشكال هذه القضية عندما يجيء المعنى المُعبَّر عنه بلفظه معطوفًا على معناه المُعبَّر عنه باللفظ المشترك المزعوم ؛ لأنَّه سيكون من باب عطف الشيء على نفسه ؛ لذلك تحاشى أصحاب كتب الوجوه أن يعدوا المعطوف عليه لفظًا مشتركًا جاء بنفس معنى المعطوف ، وتحاشوا أيضًا وقوع عكس هذه الحالة للسبب نفسه .

وتقدَّم أنَّ العسكري جعل الاستغفار مطابقًا لمعنى التوبة في قوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٣} حتى ذكر أنَّه لم يفرق بينهما إلاَّ اختلاف اللفظ [١]؛ ذلك من أجل أن يختلق للاستغفار وجه التوبة ،

وقد تبيَّن أنَّه جاز مجيء الألفاظ المترادفة في القرآن الكريم ؛ معطوفًا بعضها على بعض ، لأنَّها تعني المتقاربة في معانيها ، أمَّا الألفاظ المتطابقة في الدلالة ، فهذا ما لا وجود له في كتاب الله ، بل الادعاء بوجودها فيه ، يقدح في بلاغته ، فقد مر قول التهانوي : ((اعلم أنَّ الترادف عند البلغاء على نوعين ، أحدهما جيد ، وهو أن يؤتى بكلمتين لهما معنى واحد ، ولكن ثمة فرق بينهما في الاستعمال ، أو أن يكون للكلمة الثانية معنى ثانٍ خاص ، أو أن توصف بصفة خاصة مثل : أرجو وآمل في العربية ، وهما مترادفتان وجيدتان أيضًا ؛ لأنَّ كلمة آمل ، وإن كانت بمعنى الرجاء إلّا أنَّها مخصوصة بكونها لا تستعمل إلّا في مكان محمود ، والنوع الثاني معيب ، وهو الإتيان بلفظتين لهما معنى واحد دون أن يكون لإحداهما أي فرق عن الأخرى ، ويسمي بعضهم هذا النوع الحشو القبيح ، كذا في جامع الصنائع ، ويُعد عند بعضهم من باب الإطالة))[٢]

---

(١) ينظر : االوجوه والنظائر ص٣٧.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٤٠٨-٤٠٩.

وهذه القضية من الوضوح لا تحتاج إلى أكثر من هذا التعقيب على ما ادعاه العسكري ، والجدير بالذكر أنَّ العسكري ألَّف الوجوه بعد الفروق ؛ لأنَّه كثيرًا ما يشير في كتابه الأول إلى كتابه الثاني ، فصار ذا وجهين فهو في الفروق يبني عندما يبيِّن الفرق مثلًا بين الاستغفار والتوبة ، وفي الوجوه يهدم عندما يدعي بتطابقهما في المعنى .

الواو و(ثُمَّ) :

تقدَّم أيضًا أن العسكري جعل (ثُمَّ) بمعنى الواو في قوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٣} من أجل أن يؤكد صحة الوجه الذي اختلقه للاستغفار وهو وجه التوبة ، ومرَّ قوله : ((و(ثُمَّ) على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش))

وقال الدامغاني : ((تفسير (ثُمَّ) على وجهين فوجه منهما : (ثُمَّ) بمعنى الواو ، قوله تعالى في سورة يونس : (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ){يونس : ٤٦} بمعنى : والله شهيد ، وكقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الأعراف : ٥٤} يعني : واستوى على العرش ، والوجه الثاني : (ثُمَّ) بعينه))[(١)] وقال ابن الجوزي : (((ثُمَّ) حرف مبني على الفتح ، وهو من حروف العطف ، ويفيد الترتيب والمهلة ، وهو في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : أحدها : بقاؤه على أصله...والثاني : بمعنى الواو ، ومنه في يونس : (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ){يونس : ٤٦} وفي القيامة : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {١٨} ثُمَّ إِنَّ

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥١ .

عَلَيْنَا بَيَانَهُ){القيامة : ١٩} ، والثالث : وقوعه زائدًا ومنه في براءة : (وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ){التوبة : ١١٨}))[١]

وكيف تسنى لابن الجوزي أن يجعل (ثُمَّ) بمعنى الواو وقد عرَّفه بقوله المذكور ((ويفيد الترتيب والمهلة) والواو لا تفيد الترتيب ولا المهلة؟! وقد جعل العسكري (ثُمَّ) بمعنى الواو استنادًا إلى قول الأخفش ، ولم أجد هذا القول له في المعاني ، وقد قال المرادي : ((وذهب الفراء٠٠٠والسيرافي والأخفش وقطرب٠٠٠إلى أنَّ (ثمَّ) بمنزلة الواو لا تُرَتِّب ومنه عندهم : (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا){الزمر : ٦} ومعلوم أنَّ هذا الجعل كان قبل خلقنا٠٠٠وقد حمل بعضهم قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) على أنَّ (ثم) في الآية لترتيب الأخبار ، وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذَرِّ ، ثم خلق بعد ذلك حواء ، فعلى هذا تكون (ثمَّ) على أصلها من الترتيب في الزمان))[٢] وقد ردَّ ابن هشام المذهب المذكور المنسوب إلى الأخفش مؤكدًا مجيئها للترتيب في كل شواهدها[٣]

وقال الزمخشري في تفسير الآية التي في الزمر : ((فإن قلتَ ما وجه قوله : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) وما يعطيه من معنى التراخي ، قلتُ : هما آيتان من جملة الآيات التي عدَّدها دالًّا على وحدانيته وقدرته ، تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم ، وخلق حواء من قصيراه ، إلّا أنَّ إحداهما جعلها الله عادة مستمرة ، والأخرى لم تجر بها العادة ، ولم تُخلَق أنثى غير حواء من قصيري رجل ، فكان أدخل في كونها آية ، وأجلب لعجب السامع فعطفها بـ(ثُمَّ) على الآية الأولى ؛ للدلالة على مباينتها فضلًا

---

(١) نزهة الأعين ص ٨٧ ومنتخب قرة العيون ص٨٧.

(٢) الجنى الداني ص ٤٢٧–٤٣٠.

(٣) ينظر : مغني اللبيب ١/١١٧–١١٨ .

ومزية ، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية ، فهو من التراخي في المنزلة ، لا من التراخي في الوجود ، وقيل : (ثم) متعلق بمعنى واحدة ، كأنَّه قيل : خلقكم من نفس واحدة ، ثم شفعها الله بزوج ، وقيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذَرِّ ، ثم خلق بعد ذلك حواء))[(١)]

وقال الزركشي : ((ثُمَّ) للترتيب مع التراخي ، وأمَّا قوله تعالى : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى){طه : ٨٢} والهداية سابقة على ذلك ، فالمراد : ثم دام على الهداية٠٠٠وقد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبَر عنه كقوله تعالى : ((فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ){يونس : ٤٦} وقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٩٠} وتقول : زيد عالم كريم ثم هو شجاع ، قال ابن بري : قد تجي (ثُمَّ) كثيرًا لتفاوت ما بين رتبتين في قصد المتكلم٠٠٠كقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} فـ(ثُمَّ) هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل٠٠٠ومثله قوله تعالى : (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {١١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {١٢} فَكُّ رَقَبَةٍ {١٣} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {١٤} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {١٥} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ {١٦} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ){البلد : ١١-١٧} دخلت لبيان تفاوت رتبة الفك والإطعام من رتبة الإيمان٠٠٠وذكر غيره في قوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} أنَّ (ثُمَّ) دخلت لبعد ما بين الكفر وخلق السموت والأرض٠٠٠وعلى ذلك جرى الزمخشري في مواضع كثيرة من الكشاف٠٠٠وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا){الأحقاف : ١٣} قال : كلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين٠٠٠أعني أنَّ الاستقامة

---

(١) الكشاف ١١٠/٤ وينظر : الدر المصون ٤٠٩/٩-٤١٠

على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنَّها أعلى منها وأفضل[١] ومنه قوله تعالى : (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ){المدثر : ١٨-٢٠} إن قلتَ : ما معنى (ثُمَّ) الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلتُ : الدلالة على أنَّ الكرة الثانية من الدعاء أبلغ من الأولى[٢]٠٠٠واعلم أنَّه بهذا التقدير يندفع الاعتراض بأنَّ (ثُمَّ) قد تخرج عن الترتيب والمهلة وتصير كالواو)) [٣] كما زعم أصحاب كتب الوجوه : الدامغاني وابن الجوزي ثم ها هو العسكري صاحب كتاب الفروق اللغوية ، يلغي هذه الفروق في كتابه الوجوه والنظائر ، ويوحِّد بينها ، ويجعل بعضها مطابقًا لمعنى بعض؛ ويخالف المعنى الحقيقي المراد من الاستغفار ؛ ومن (ثُمَّ) ، كل ذلك من أجل أن يتابع مقاتل في اختلاق الوجوه .

يبدو أنَّ العسكري لم يقلِّد مقاتل فحسب ، بل فاقه في أن يغير اللغة والنحو والتفسير من أجل أن يختلق الوجه اختلاقًا ، بل العسكري قد هدم كل ما بناه في كتابه : الفروق اللغوية ، بكتابه : الوجوه والنظائر ، وحسناته التي جاءته من كتابه الأول ضيَّعها في كتابه الثاني.

٢٨-**الدين** : قال الخليل : ((والدين : الجزاء ٠٠٠ كقولك : دان الله العباد يدينهم يوم القيامة ، أي : يجزيهم ٠٠٠ والدين : الطاعة ، ودانوا لفلان : أطاعوه ٠٠٠ والدين : العادة)) [٤] ((في دين الملك في طاعته وفي حكمه)) [٥] وقال العسكري : ((الدين : ٠٠٠الملة والعادة والحساب والطاعة

---

(١) الكشاف ٧٨/٣ .

(٢) الكشاف ٦٣٧/٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن ص ٨٣٩-٨٤٠

(٤) العين ص٣١٢ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٣٠٧

(٥) مقاييس اللغة ص ٣٠٧ .

والجزاء)) [1] وقال الراغب : ((الدين كالملة لكنه اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة)) [2]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الدين جاء في القرآن الكريم على الوجوه الآتية :

١-التوحيد والشهادة ، كقوله في آل عمران : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ){آل عمران : ١٩} وقوله في الزمر : (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ){الزمر : ٢}

٢-الحساب والمناقشة .

٣-حكم الشريعة .

٤-السياسة .

٥-الإسلام .

٦-القرآن .

٧-الجزاء .

٨-الطاعة .

٩-العادة .

١٠-الحدود .

١١-الدين بعينه .

١٢-الملة .

١٣-العدد الصحيح [3]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) المفردات ص ١٨٢ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢/٦١٥ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٣٣-١٣٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٨-٣٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٠-٨٢ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٢-٢٥٣

وهذه الوجوه التي نُسِبت إلى الدين لا تصح أن تكون وجوهًا له ؛ لأنَّها تُعدُّ جميعها من معاني الدين ، أو مرادفاته ، أو مما أفاد وخالف المعنى المراد ، إلاَّ وجه العدد قال ابن قتيبة : ((الدين : الجزاء ، ومنه قوله تعالى : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ){الفاتحة : ٤}٠٠٠والدين : الملك والسلطان٠٠٠والدين : الحساب ، ومنه قوله : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ){التوبة : ٣٦} ومنه قوله تعالى : (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ){النور : ٢٤-٢٥} أي : حسابهم))[١] والظاهر أنَّه ما أراد الحساب الذي بمعنى الجزاء ؛ لأنَّه جعله الوجه الأول ، بل أراد الحساب الذي هو بمعنى العدد ؛ وهذا ما صرَّح به في تفسيره ، فقد قال : ((ثم قال : (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أي : الحساب الصحيح والعدد المستوي)) [٢]

وجعل الدين بمعنى العدد في قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) ليس له أي مسوغ كان كما ترى ، لا من حيث السياق ولا من حيث اللغة ، أمَّا جعله بهذا المعنى في قوله تعالى : (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) فالظاهر أنَّه كان استنادًا إلى السياق ، والحقيقة أنَّ الدين قد أريد به هنا الدين بعينه ، وفي كل سياق ؛ لأنَّ السياق لا يغير الدلالة الموضوعة لِلَّفظ ، كما شاع هذا في الدراسات الدلالية الحديثة ، والدليل على ذلك ، أنَّه لم يعيِّن جعل الدين

والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٥٧-١٥٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢١٠ ، ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٢٤-١٢٦ومنتخب قرة العيون ص ١١٥-١١٦ وبصائر ذوي التمييز ٦١٧/٢ .

(١) تأويل مشكل القرآن ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ١٨٥.

بمعنى العدد في كتب التفسير إلا ابن قتيبة ، قال الطبري : ((وأمَّا قوله تعالى : (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) فإنَّ معناه : هذا الذي أخبرتكم من أنَّ عدد الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله ، وأنَّ منها أربعة حرمًا ، هو الدين المستقيم٠٠٠قال ابن زيد٠٠٠٠الأمر القيم))[١] ((دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما)) [٢] ولم يذكر معنى العدد ، وهذا ما عليه جمهور المفسرين[٣] والذين ذكروا معنى العدد ذكروه ضمن أقوال أُخر ، وأشاروا إليه بصيغة التضعيف [٤]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن هذا الوجه في النزهة والمنتخب[٥] قال عنه في تفسيره : ((فيه قولان : أحدهما ذلك القضاء المستقيم ، قاله ابن عباس ، والثاني : ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي ، قاله ابن قتيبة)) [٦]

والقضاء أو الحكم يُعدُّ أيضًا من مرادفات الدين ، ولا أريد أن أكرر ما قلته غير مرة أنَّ من أمارات الوجه الحقيقي ، أن لا يحتمل غير معنى واحد ، ولا تتعدد فيه الأقوال ، وهذا ما اتبعه ابن الجوزي في كتابيه : النزهة

---

(١) جامع البيان ١٤٤/١٠ .

(٢) الكشاف ١٦١/٢ .

(٣) ينظر : الوسيط للواحدي ٤٩٤/٢ والمحرر الوجيز تفسير ابن عطية ٣١/٣ وأنوار التنزيل تفسير البيضاوي ٨٠/٣ ومدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٤٣٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٣/٤ واللباب في علوم الكتاب ٨٦/١٠

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٩٦/٤ والبحر المحيط تفسير أبي حيان ٤٨/٥ .

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ١٢٦ ومنتخب قرة العيون ص١١٥ .

(٦) زاد المسير ٣٢٧/٣ ، وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٥ .

والمنتخب ، من دون كتابه : زاد المسير ؛ لأنَّ الأول كتاب في الوجوه ، والثاني كتاب في التفسير ، فكان له مذهبان ومنهجان .

وزعم مقاتل ومقلدوه مجيء الدين بمعنى التوحيد في الوجه الأول في قوله تعالى (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) والدين في هذا الموضع وفي كل موضع أريد به الدين بعينه بكل أحكامه ومبادئه ، ومعنى التوحيد لم يجئ من لفظ الدين ، وإنَّما من لفظ الإخلاص ، إذ المراد إخلاص النية والعمل لله تعالى ، فكل عمل يقوم به الإنسان يجب أن يبتغي به صاحبه وجه الله ، ولا يصح أن يكون الدين هنا بمعنى التوحيد ؛ لأنَّه لا يصح أن يكون التقدير : مخلصين له التوحيد ؛ إذ ليس لهذا التقدير معنى ، كما أنَّه ليس المراد أن يكون الإخلاص مقتصرًا على التوحيد ، والدين ليس توحيدًا فحسب .

ومن الخلل العام في المنهج الذي نجده في كتاب الأشباه لمقاتل ومن تابعه أنَّهم دائمًا أو غالبًا ما يذكرون الشاهد مقطوعًا عما قبله ، حتى لو كان الوجه مبنيًّا على سياق ما قبله ، كما يغفلون ذكر القراءة التي استند إليها وجه الشاهد ، من ذلك أنَّ شاهد وجه التوحيد في الوجه الأول أيضًا عند مقاتل وهرون والدامغاني هو قوله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ){آل عمران : ١٩}[١] وهذا الوجه استند إلى أمرين : الأول ، السياق الذي قبله وهو قوله تعالى : (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {١٨} إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ){آل عمران ١٧-١٨} فيبدو أنَّ مقاتل قال بوجه التوحيد استنادًا إلى قوله تعالى : (أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ) والأمر الثاني : قراءة من قرأ أنَّ بالفتح : (أَنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) هذان الأمران هما مسوغا القول بوجه التوحيد ، إلّا أنَّه لا مقاتل ولا من تابعه ، ولا المحقق أشار إلى هذين المسوغين .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٣٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٨ والوجوه والنظائر لهرون ص٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢١٠ .

جاء في كتاب الحجة : ((قال أحمد : كلهم قرأ (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) إلّا الكسائي فإنَّه فتح من (أَنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) قال أبو علي : الوجه : الكسر في (إنَّ) لأنَّ الكلام الذي قبله قد تمَّ ... ومن فتح (أنَّ) جعله بدلاً... من شيئين : أحدهما من قوله : (أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ) فكأنَّ التقدير : شهد الله أنَّ الدين عنده الإسلام ، فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو ، ألا ترى أنَّ الدين الذي هو الإسلام يتضمن التوحيد والعدل وهو هو في المعنى ، وإن شئت جعلته من بدل الاشتمال؛ لأنَّ الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل ، وإن شئت جعلته من القسط ؛ لأنَّ الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل ، فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو)) (١)

فوجه التوحيد يكون على قراءة الكسائي فحسب ، وعلى أن تكون (أنَّ الدين) بدلاً مما قبلها ، ومع ذلك فإنَّ أبا حيان الأندلسي استبعد هذه البدلية للفصل بين البدل والمُبدَل منه بمعطوفين وحال وجملة اسمية ، وهذا ممتنع في اللغة ؛ لذلك خرَّج الفتح على ((أن يكون الكلام في موضع المعمول للحكيم...لأنَّ الحكيم فعيل للمبالغة... والتقدير: لا إله إلاَّ هو العزيز الحاكم أنَّ الدين عنده الإسلام)) (٢)

والجدير بالذكر أنَّ مقاتل ومن تابعه ذكروا الشاهد بالكسر (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) الذي هو قراءة القراء باستثناء الكسائي ، وعلى أساس ذلك فُسِّر الدين ، قال ابن الجوزي : ((لما ادعت اليهود أنَّه لا دين أفضل من

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٢٦١/٢-٢٦٢ ، وينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي طالب القيسي ٢٣٨/١ ، وإعراب القراءات السبع وعلله لابن خالويه الأصبهاني ص ٦٧-٦٨ .

(٢) البحر المحيط ٦٥٣/٢ .

اليهودية ، وادعت النصارى أنَّه لا دين أفضل من النصرانية ، نزلت هذه الآية ، قال الزجاج : الدين اسم لجميع ما تعبَّدَ اللهَ خلقُه ، وأمرهم بالإقامة عليه ، وأن يكون عادتهم وبه يجزيهم ، وقال شيخنا علي بن عبيد الله : الدين : ما التزمه العبد لله عز وجل)) (١)

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن سورة الإخلاص : ((والذي نفسي بيده إنَّها لتعدل ثُلث القرآن)) لأن القرآن أنزل ثلاثًا ثلثًا أحكام ، وثلثًا وعد ووعيد ، وثُلثًا أسماء وصفات وجمعت هذه السورة أحد الأثلاث ، وهو الأسماء والصفات)) (٢) والآية قد جعلت الدين ما يقابل الإسلام ، والإسلام ليس توحيدًا فحسب ، بل هو شريعة كاملة ، أحكامها بصفة عامة على ثلاثة أقسام : أحكام تتعلق بالأخلاق والآداب ، وأحكام تتعلق بالعقائد التي من ضمنها التوحيد ، وأحكام عملية : عبادات ومعاملات ، فالقرآن الكريم لما جعل الدين هو الإسلام ، فهذا يعني أنَّه أراد الدين بأقسامه الثلاثة ، بينما أراد مقاتل الدين بقسم واحد منه ، فهذه مخالفة صريحة لما أراده القرآن الكريم .

وقد جعل مقاتل الدين في الوجه الخامس بمعنى الملة ، واستشهد له بشاهد واحد هو قوله تعالى : (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) وهو في سورة آل عمران : (قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ){آل عمران ٩٥}

وهذا الشاهد كما ترى خلا من الشاهد ، إلّا أني لم أجد أحدًا من مقلديه من نبه على ذلك ، وقد نبه عليه محقق الأشباه .

---

(١) زاد المسير ٢٩٥/١.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥٦٦/٢٠.

٢٩-**الحسّ-أحسّ** : قال الخليل : ((الحَسُّ : القتل الذريع٠٠٠ ويقال : ما سمعتُ حِسًّا ولا جرْسًا ، فالحس من الحركة والجرْس من الصوت٠٠٠ وأحسستُ من فلان أمرًا ، أي : رأيتُ ، وعلى الرؤية يُفسَّر قوله عز وجل : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ){آل عمران : ٥٢} أي : رأى ٠٠٠ والحس الحسيس تسمعه يمر بك ولا تراه)) (١) وقال ابن فارس : ((الحاء والسين أصلان ، فالأول غلبة الشيء بقتل أو غيره ، والثاني حكاية صوت عند توجع وشبهه فالأول الحَسُّ : القتل ، قال الله تعالى : (إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ){آل عمران : ١٥٢} ومن ذلك الحديث : ((حُسُّوهم بالسيف حَسًّا))٠٠٠ ومن هذا الباب قولهم : أحسستُ ، أي : علمتُ بالشيء ، قال الله تعالى : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ){مريم : ٩٨}٠٠٠ ومن هذا الباب قوله : من أين حسِسْتَ هذا الخبر ، أي : تخبَّرتَه ، والأصل الثاني قولهم : حَسَّ ، وهي كلمة تقال عند توجع ، ويقال : حسِسْتُ له فأنا أحسُّ : إذا رققتَ له ، كأنَّ قلبك ألِمَ شفقة عليه)) (٢)

وقد اتخذ مقاتل من معاني الحس هذه أوجهًا للحس ، فقد قال : ((تفسير الحسِّ على أربعة وجوه :

فوجه منها : أحسَّ يعني رأى فذلك قوله في آل عمران (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ){آل عمران : ٥٢}٠٠٠ وكقوله في مريم : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ){مريم : ٩٨}٠٠٠

والوجه الثاني : الحَسُّ يعني القتل ، فذلك قوله في آل عمران : (إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ){آل عمران : ١٥٢} يعني تقتلونهم ٠٠٠

والوجه الثالث : الحسُّ يعني البحث ٠٠٠

---

(١) العين ص ١٨٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ١٩٨-١٩٠ .

والوجه الرابع : الحسُّ يعني الصوت)) [1]

ووجه البحث عبَّر عنه ابن فارس كما تقدم بقوله ((ومن هذا الباب قوله : من أين حسِسْتَ هذا الخبر ، أي : تخبَّرتَه)) فالحس في هذه المواضع الأربعة يعني الحسَّ بعينه ، أو هي من مرادفاته ، ولا أوجه .

٣٠-الإسلام : قال الخليل : ((الإسلام : الاستسلام لأمر الله ، وهو الانقياد لطاعته والقبول لأمره))[2] وقال ابن قتيبة : ((الإسلام هو الدخول في السِّلم ، أي : في الانقياد والمتابعة٠٠٠والاستسلام مثله٠٠٠فمن الاسلام : متابعة وانقياد باللسان دون القلب٠٠٠ومن الاسلام : متابعة وانقياد باللسان والقلب))[3] وقال العسكري : ((الإسلام : أصله السكون ، ومنه قيل : خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون ، ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم : إذا خضع وتواضع ؛ لأنَّ مع الخضوع سكون الأطراف ، ثم يستعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل : إذا أخلص لله ٠٠٠ وقد سلَّم العبد أمره لله ، أي : فوَّضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه)) [4]

وقد اتخذ مقاتل ومن تبعه من معاني الإسلام هذه أوجهًا للإسلام ، فقد قال : ((تفسير الإسلام على وجهين :

فوجه منهما : الإسلام يعني الإخلاص٠٠٠

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٤-١٣٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٣٩-٤٠ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٨٢ ونزهة الأعين ص ٩٦-٩٧

(٢) العين ص٤٤١ وينظر : مقاييس اللغة ص ٤١٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤) الوجوه والنظائر ص ٣٣ .

والوجه الثاني : الإسلام يعني الإقرار)) [١]

وأضاف العسكري إليهما وجه الخضوع[٢] وأضاف ابن الجوزي : أن يكون اسمًا للدين الذي تدين به ، والتوحيد ، والاستسلام[٣]

فالإسلام في هذه المواضع جميعها يعني الإسلام بعينه ، أو هي من مرادفاته ، ولا أوجه .

٣١-الشكر : قال الخليل : ((الشكر : عرفان الإحسان ونشره وحمد مُوليه))[٤] وقال ابن فارس : ((الشكر : الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه))[٥]

وقال مقاتل : ((تفسير الشكر على وجهين :

فوجه منهما يعني التوحيد ، فذلك قوله في آل عمران : (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ){آل عمران : ١٤٥} يعني الموحدين [٦]

والوجه الثاني : الشكر يعني شكر النعمة ، وذلك قوله في البقرة : (وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ){البقرة : ١٥٢}))[٧]

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٥-١٣٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٠-٤١والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٢-٨٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٥-١٠٦ .

(٢)الوجوه والنظائر ص ٣٣-٣٤.

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٤٠-٤١.

(٤) العين ص ٤٨٩ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٥٦ .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل ١/١٩٤-١٩٥ .

(٧) الأشباه والنظائر ص١٣٦-١٣٧وباسم الوجوه والنظائر ص ٤١وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٨٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٨٣-٢٨٥.

الوجه الثاني يعني الشكر بعينه ؛ لأنَّ شكر الله لا يكون إلاَّ شكرًا على نعمه ، أي : أنَّ مفعول : اشكروا ، محذوف تقديره : واشكروا لي نعمي عليكم

أمَّا الوجه الأول وهو التوحيد ، فلا أجد له أيَّ مسوغ كان ، لا معنوي ولا لفظي ولا سياقي ، كما أنَّه لم يرتبط بالشكر حتى بصلة ترادف أو وصف أو مجاز ، أو صلة الشيء بأمثلته وأنواعه أو بايِّ صلة أخرى ، مما يدل على أنَّ مقاتلاً يذكر الوجه أحيانًا اعتباطًا ، فما علاقة الشاكرين بالموحدين ، في قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ {١٤٤} وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ){آل عمران : ١٤٤-١٤٥} لذلك لم أجد لهذا الوجه أي ظل كان في التفسير ، فقد فسَّر الطبري الشاكرين في هاتين الآيتين بقوله : ((الثابتين على دينهم أبا بكر ؛ فكان علي رضي الله عنه يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله ، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله...قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، أي : من أطاعه وعمل بأمره)) [١] وفسَّر الواحدي الشاكرين بـ((الطائعين لله من المهاجرين والأنصار)) [٢] وفسرهم الزمخشري بـ((الذين لم ينقلبوا... وسماهم الشاكرين لأنَّهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا)) [٣] وفسرهم ابن عطية بـ((من أطاعه وعمل بأمره ، وذكر الطبري بسند عن علي بن أبي طالب وذكره غيره أنَّه

---

(١) جامع البيان ١٤١/٤ .

(٢) الوسيط ٥٠٠/١.

(٣) الكشاف ٤١٥/١ .

قال في تفسير هذه الآية : الثابتون على دينهم أبو بكر وأصحابه وكان يقول : أبو بكر أمير الشاكرين)) [١] وقال ابن الجوزي في تفسير الشاكرين : ((وفيهم ثلاثة أقوال : أحدها أنَّهم الثابتون على دينهم ، قاله علي رضي الله عنه وقال : كان أبو بكر أمير الشاكرين ، والثاني أنَّهم الشاكرون على التوفيق والهداية ، والثالث على الدين))[٢] وفسَّر البيضاوي الشاكرين بـ((الذين شكروا نعمة الله ، فلم يشغلهم شيء عن الجهاد))[٣] وقال أبو حيان : ((والشاكرين هم الذين صبروا على دينه وصدقوا الله فيما وعدوه وثبتوا ، وشكروا نعمة الله عليهم بالإسلام ولم يكفروها)) [٤] وجاء في اللباب : ((والمعنى أنَّ تلك الهزيمة لمَّا أوقعت شبهة في قلوب بعضهم ، ولم تقع في قلوب العلماء الأقوياء من المؤمنين ، فهم شكروا على ثباتهم على الإيمان وشدة تمسكهم به ، فمدحهم الله تعالى)) [٥]

لقد نقلت هذه النصوص في التفسير لأبيِّن أنَّ من السبل التي اتبعها مقاتل لاختلاق الوجوه إضافة إلى ما تقدم ، ذكر ما أفاد وإن خالف المعنى المراد.

٣٢-الإيمان : الإيمان لغة ((التصديق))[٦] والإيمان بالله : يعني التصديق بالله ، بوجوده وبوحدانيته ، وبما أخبر ، وبما وصف به نفسه قال الراغب : ((والإيمان يستعمل تارة اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد عليه

---

(١) المحرر الوجيز ٥١٧/١ .

(٢) زاد المسير ٣٧٧/٢.

(٣) أنوار التنزيل ٤١/٢ .

(٤) البحر المحيط ١٠٣/١ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٥٧٤/٥.

(٦) العين ص ٤٠ ومقاييس اللغة ص ٥٢ .

الصلاة والسلام٠٠٠ ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرًّا بالله ونبوته ٠٠٠ وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح٠٠٠ ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان قال تعالى : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ){البقرة : ١٤٣} أي : صلاتكم ، وجعل النبي عليه الصلاة والسلام أصل الإيمان ستة أشياء في خبر جبريل حيث سأله فقال : ما الإيمان؟ والخبر معروف)) [١] وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِرِ والقدر خيره وشره من عند الله ((فالإيمان عند كثير من أهل العلم : اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان))[٢]ولهذا جعلت الصلاة من الإيمان ؛ لأنَّ من أقام الصلاة فقد آمن بحقها ووجوبها

ولقد اتخذ مقاتل من معاني الإيمان هذه أوجهًا للإيمان ، فقد قال : تفسير الإيمان على أربعة وجوه :

فوجه منها : الإقرار باللسان ٠٠٠

والوجه الثاني : الإيمان يعني التصديق في السر والعلانية ٠٠٠

والوجه الثالث : الإيمان يعني التوحيد فذلك قوله في سورة المائدة : (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ){المائدة : ٥}

---

(١) المفردات ص ٣١.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ ١٢٤/١ وينظر : نزهة الأعين ص ٤٥ .

والوجه الرابع : الإيمان يعني إيمانًا في شرك فذلك قوله في سورة يوسف : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ){يوسف : ١٠٦}[١]

وذكر ابن الجوزي من أوجه الإيمان : الإيمان الشرعي ، وهو ما جمع الأركان الثلاثة المذكورة ، والصلاة ، والدعاء[٢]والإيمان في هذه المواضع كلها يعني الإيمان بعينه ، والأوجه التي نُسِبت إليه هي كما ترى أوجه مختلقة ، إذ تُعدُّ جميعها من معاني الإيمان ، فقد اتخذ مقاتل مثلًا في الوجه الثالث من بعض ما يعنيه ويتضمنه الإيمان وجهًا للإيمان ، فالإيمان أعم من التوحيد ؛ لذلك فسَّر الطبري قوله تعالى : (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) بقوله : ((ومن يجحد ما أمر الله بالتصديق به من توحيد الله ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، فقد بطل ثواب عمله)) [٣]

وكذلك شاهد الوجه الرابع قال الطبري في تفسيره : ((قال تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض فيقولون الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره)) [٤] فذلك إشراكهم ، فهم مؤمنون باللسان والإقرار ، لكنهم مشركون بالعمل والعبادة ، فالإيمان في كل موضع يعني الإيمان بعينه ، أو هو من مرادفاته ، أو مما أفاد وهو مخالف للمعنى المراد ، ولا أوجه .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٣٧-١٣٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٤١-٤٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٠-٨٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٥-٣٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٠-١٠١.

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٤٥-٤٦.

(٣) جامع البيان ١٣١/٦ .

(٤) جامع البيان ٩٣/١٣ .

٣٣-**أقام الصلاة** : فسَّر السجستاني إقامة الصلاة بـ((أن تُؤتى بها بحقوقها كما فرض الله تعالى))[١] وقال العسكري : ((ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها٠٠٠وقيل : إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت)) [٢] وقال الراغب : ((الإقامة في المكان الثبات ، وإقامة الشيء توفية حقه قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ){المائدة : ٦٨} أي : توفون حقوقهما بالعلم والعمل٠٠٠ ولم يأمر الله تعالى بالصلاة حيثما أمر ، ولا مدح حيث مدح إلّا بلفظ الإقامة تنبيهًا أنَّ المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها نحو : (أَقِيمُواْ الصَّلاةَ){الأنعام : ٧٢} في غير موضع)) [٣]

فهذا هو المراد من إقامة الصلاة ، إلّا أنَّ مقاتل زعم أنَّ ((تفسير أقام الصلاة على وجهين :

فوجه منها : أقام الصلاة ، يعني الإقرار بها من غير تصديق، فذلك قوله في براءة : (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ){التوبة : ٥}٠٠٠

والوجه الثاني : إقام الصلاة ، يعني تمامها)) [٤]

---

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ص ٥٠٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٤٢.

(٣)المفردات ص ٤٣٥-٤٣٦ .

(٤) الأشباه والنظائر ص١٣٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٠٩ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٨-١٩

العبارة التي قالها مقاتل في الوجه الأول قالها نصًّا هرون والدامغاني ، أمَّا العسكري فقال : ((إقام الصلاة : وجاء في القرآن على وجهين : الأول ، الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق)) [١]

والمشهور عند فقهاء الأمّة تعريفهم للإيمان بأنّه الإقرار باللسان والتصديق بالجَنان والعمل بالأركان[٢] فقول مقاتل ومن تابعه لا يمكن تفسيره إلّا على أساس الاعتراف بالصلاة باللسان فحسب ، من دون الإقرار بها في القلب ، وهذا حال المنافق ، فكيف يصح أنَّ القرآن أراد هذا المعنى؟! لذلك لم يتبنَّ هذا القول أحد من بعده لشدة ضعفه ، سوى أنَّ الراغب أشار إليه بصيغة التضعيف فقال : ((فقد قيل عني به إقامتها بالإقرار بوجوبها لا بأدائها)) [٣] وقد نقل عبارة الراغب هذه وبصيغة التضعيف أيضًا الحلبي[٤] والفيروزآبادي[٥]

إنّ ما قاله مقاتل ومقلدوه بعيد جدًّا عن الحقيقة ، وقد مرَّ تعريف إقامة الصلاة التي لا تعني تأديتها فحسب، بل توفية حقها في ضبط ركوعها وسجودها وقيامها بكل أركانها ، كما أنَّ الله سبحانه لما قال : ((فَإِن تَابُواْ)) فهل يصح أنَّه أراد توبة كاذبة أم أراد الصدق فيها؟ فالتوبة لا تحتمل غير الإخلاص في النية ، وهذه النية قلبية لا يعلمها إلّا الله ؛ فأراد الله سبحانه أن يقرن هذه التوبة بالقيام بفريضة عملية ، وهي إقامة الصلاة ، والقيام بفريضة مالية ، وهي إيتاء الزكاة ؛ ليكونا علامتين على صدق توبة

---

(١) الوجوه والنظائر ص٤٣ .

(٢) ينظر : المفردات للراغب ص ٣١ وعمدة الحفاظ ١٢٤/١

(٣) المفردات ص ٤٣٦ .

(٤) عمدة الحفاظ ٣٥٧/٣.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٣١١/٤ .

المشركين ، هذه هي الحقيقة التي تدل عليها الآية بكل وضوح ، أمَّا قول مقاتل ومن تابعه ، فهو قول من لم يتق الله في تفسير كتاب الله ، أصاب أم أخطأ ، كل ذلك من أجل أن يختلقوا الوجه اختلاقًا ، ويبدو أنَّ هذا الوجه من التفسير لم يقل به من المفسرين إلّا مقاتل ؛ والدليل على ذلك أنَّ كتب التفسير لم تنسب هذا القول إلى أحد الصحابة أو التابعين أو المفسرين الذين عاصروه ، ولم أجد من كبار المفسرين من فسَّر الآية بالوجه الذي عيَّنه مقاتل إلّا ابن الجوزي ، وليس غريبًا أن ينقل هذا الوجه صاحب النزهة والمنتخب المتأثر إلى حد كبير بأشباه مقاتل وتفسيره ، ومع ذلك لم يعيِّنه بل جعله أحد وجهين فقال : ((في قوله : ((فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ) قولان : أحدهما : اعترفوا بذلك ، والثاني فعلوه))[1] وهذا خلاف التفسير الذي شاع في كتب التفسير ، فقد قال الطبري : ((فَإِن تَابُواْ) يقول : فإن رجعوا عما نهاهم عليه من الشرك (وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ) يقول : وأدَّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها ، وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم (فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ) فدعوهم يتصرفون في أمصاركم))[2] ولم يذكر الطبري للآية غير هذا التفسير ، وقد جعل البيضاوي تأدية الصلاة وإيتاء الزكاة بصفة عملية ((تصديقًا لتوبتهم وإيمانهم))[3] وقال القرطبي : ((غير أنَّ الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين ، فلا سبيل إلى إلغائهما نظيره قوله صلى الله عليه وسلم : أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله . ... واختلف... متى يُقتل تارك

---

(١) زاد المسير ٣٠١/٣ .

(٢) جامع البيان ٩١/١٠.

(٣) أنوار التنزيل ٧١/٣ ، وينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٤٦/٥ .

الصلاة ، فقال بعضهم في أجزاء الوقت المختار ، وقال بعضهم : آخر وقت الضرورة ، وهو الصحيح من ذلك٠٠٠ وهذه الآية دالة على من قال : قد تبتُ ، أنَّه لا يجتزأ بقوله حتى ينضاف إلى ذلك أفعاله المحققة للتوبة ؛ لأنَّ الله عز وجل شرط هنا مع التوبة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ ليحقق بهما التوبة)) [١] وقال ابن كثير : ((ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية وأمثالها٠٠٠وقد جاء في الصحيحين : عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال : أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)) [٢]وجاء في اللباب : ((واحتجوا بهذه الآية على قتل تارك الصلاة ؛ لأنَّ الله أباح دم الكفار مطلقًا ، ثم حرمها عند التوبة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)) [٣] وقال الشوكاني : ((أي : تابوا عن الشرك الذي هو سبب القتل ، وحققوا التوبة بفعل ما هو من أعظم أركان الإسلام ، وهو إقامة الصلاة ، وهذا الركن اكتفي به عن ذكر ما يتعلق بالأبدان من العبادات لكونه رأسها ، واكتفى بالركن الآخر المالي ، وهو إيتاء الزكاة عن كل ما يتعلق بالأموال من العبادات ؛ لأنَّه أعظمها))[٤] وقال ابن عاشور : ((أي : فإن آمنوا إيمانًا صادقًا ، بأن أقاموا الصلاة الدالة إقامتها على أنَّ صاحبها لم يكن كاذبًا في إيمانه ، وبأن آتوا الزكاة الدال إيتاؤها على أنَّهم مؤمنون حقًّا ؛ لأنَّ بذل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٦/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧٧/٤-٧٨ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٩/١٠.

(٤) فتح القدير ٤٣١/٢ .

المال للمسلمين أمارة صدق النية فيما بذل فيه ، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة شرط في كف القتال عنهم)) [١]

فقول مقاتل ومقلديه بجعل قوله تعالى : ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ﴾ بمعنى الإقرار بهما من غير تصديق ومن دون أدائهما ، تحريف صريح للمعنى المراد ، كما أنّ فيه إثمًا كبيرًا ؛ لأنَّه تحريف يتعلق بالأحكام ، فيكون عليه وزره ، ووزر من تبعه حتى قيام الساعة .

٣٤-الفضل : قال ابن فارس : ((الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك : الفضل : الإحسان والزيادة ، والإفضال : الإحسان)) [٢] وقال ابن الجوزي : ((الفضل في الأصل : الزيادة ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة)) [٣]

وقد جعل مقاتل ومن تابعه الفضل على ثمانية أوجه هي : الإسلام ، والنبوة ، والتجاوز ، والرزق في الجنة ، والرزق في الدنيا ، والخلف في المال ، والمنُّ ، والجنة[٤] وجعل العسكري شاهد وجه الرزق في الجنة بمعنى الثواب ، وشاهد وجه المنِّ بمعنى اللطف[٥] والفضل ، والتجاوز ، والمنُّ ، واللطف ، والثواب ، ألفاظ مترادفة ، لذلك جاز أن يحل بعضها محل بعض ، أمَّا باقي الأوجه ، فإنَّها تعدُّ جميعها من أنواع الفضل وأمثلته ، فالفضل في

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤/١٠ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٣٩.

(٣) نزهة الأعين ص ٢٢٠ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر ص١٤٠-١٤١وباسم الوجوه والنظائر ص٤٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٦-٣٦٧ ونزهة الأعين ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ٢٦٨-٢٦٩

هذه المواضع الثمانية يعني الفضل بعينه ، وليست أوجهًا ؛ لأنَّ الوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة ترادف ، أو علاقة الشيء بأنواعه وأمثلته .

٣٥-الصرّ : قال الخليل : ((وصرَّ الباب يصرُّ٠٠٠إذا امتدَّ ، فإذا كان فيه ترجيع في إعادة ضوعف كقولك صرصر الأخطب صرصرة٠٠٠والصِّرُّ(بكسر الصاد) البرد الذي يضرب كل شيء ٠٠٠ منه قوله تعالى : (فِيهَا صِرٌّ){آل عمران ١١٧}٠٠٠ والصَّر(بفتح الصاد) شدة الصياح٠٠٠ والإصرار العزم على الشيء))[١]((والصَّرَّة : شدة الصياح)) [٢]

قال مقاتل : ((تفسير صرّ على أربعة وجوه :

فوجه منها صِرٌّ يعني برد فذلك قوله في آل عمران (رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ){آل عمران ١١٧} يعني البرد ، وهو الشديد من البرد ، وقوله في حم السجدة : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا){فصلت : ١٦} يعني باردة شديدة ٠

والوجه الثاني : الإصرار على الذنب يعني الإقامة عليه ، فذلك قوله في آل عمران حيث يقول : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران : ١٣٥} يعني لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية ٠٠٠

والوجه الثالث : صَرَّة يعني صيحة ، فذلك قوله في الذاريات (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا){الذاريات : ٢٩}٠٠٠

---

(١) العين ص ٥١٤ .وينظر مقاييس اللغة ص ٤٨٣-٤٨٤ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٨٤ .

والوجه الرابع : صر يعني قطع فذلك قوله في البقرة : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ){البقرة : ٢٦٠} يعني قطعهنَّ)) [١]

لم يُعنَ مقاتل ومقلدوه بذكر الفرق في الدلالة بين صيغة وصيغة أخرى ، بل كان همهم من تأليف كتب الوجوه إلغاء هذه الفروق ، فهم لم يتطرقوا مثلًا في الوجه الأول إلى الفرق بين استعمال الصر في سورة آل عمران والصرصر في سورة فصلت ، بل تراهم يذكرون موضع الشاهد فحسب ، ولا يذكرون السياق كاملاً ، فقد مرَّ قول الخليل : ((وصرَّ الباب يصرُّ ٠٠٠إذا امتدَّ ، فإذا كان فيه ترجيع في إعادة ضوعف كقولك صرصر الأخطب صرصرة)) فقد استعمل (صِرٌّ) المؤلف من مقطع واحد وفيه مدُّ الراء ؛ ليعَبِّر عن عذاب وعقاب يناسب ذنب قوم ظلموا أنفسهم ، قال الله تعالى : (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ){آل عمران ١١٧} واستعمل (صَرْصَرًا) المؤلف من مقطعين ، كأنَّه صِرٌّ يتبعه صِرٌّ ؛ ليعبِّر عن عذاب وعقاب مضاعف يناسب ذنب من ضاعفوا ظلمهم وطغيانهم ، قال الله تعالى : (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {١٥} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الأخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ){فصلت : ١٥-١٦}

أمَّا الوجه الرابع فلا علاقة له بما تقدَّم ؛ بل هو وهم كبير وقع فيه مقاتل وأوقع فيه مقلديه هرون بن موسى والدانغاني ؛ لأنَّ (فَصُرْهُنَّ) في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ

---

(١) الأشباه والنظائر ص١٤١-١٤٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٤وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٨٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٩٥-٢٩٦.

بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){البقرة : ٢٦٠} ليس من جذر صَرَّ ومصدره صرٌّ ، بل هو من جذر صار يصير ، أو صار يصور ، ومصدره صَوَرٌ وصيرٌ وصيرورةٌ [١]

قرأ حمزة (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد وقرأ الباقون بالضم ، ((وهو الاختيار)) [٢] وحجة من قرأ بالكسر جعله من صار يصير ، وحجة من قرأ بالضم جعله من صار يصور ، فهما لغتان والمعنى في القراءتين : أملهنَّ واجمعهنَّ ، أو قطعهنَّ وشققهنّ[٣]والصواب أنَّ المراد من القراءتين هو المعنى الأول ، إلّا أنَّ المفسرين أضافوا المعنى الثاني ؛ لأنَّ السياق يقتضيه ، ولا وجود للفظه فيه ، والدليل على ذلك قول الخليل : ((الصَوَرُ : الميل ، يقال : فلان يصور عنقه إلى كذا ، أي : مال بعنقه ووجَّهه نحوه ، والنعت : أصْوَر قال الشاعر :

فقلتُ لها غُضِّي فإني إلى التي   تريدين أن أصبو إليها غير أصْوَرِ

وقوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ) أي : فشققهنَّ إليك ، يقال : صُرهنَّ ، أي : ضمهنَّ ، ويقال : قطعهنَّ)) [٤] والشاهد أنَّ الخليل عيَّن معنى الميل في اللغة ، لكن لمَّا جاء إلى تفسير قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ) أجاز معنى الضم والتقطيع ، والدليل على ذلك أيضًا (إِلَيْكَ) إذ يقال : أمِلِ الشيءَ إليك ،

---

(١) ينظر : العين ص ٥٣٨ ، ومقاييس اللغة ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ٦١

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٦٦/٣-٦٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩٤/١ والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ٣١٣/١ وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ٦١ ولسان العرب ٣٠٤/٨.

(٤) ينظر : العين ص ٥٣٥ .

وضُمَّه إليك ، ولا يقال : قطِّعْهُنَّ إليك ، أو شقِّقْهُنَّ إليك ، وقد قال ابن فارس ((الصاد والواو والراء ، كلمات كثيرة متباينة الأصول٠٠٠ومما ينقاس منه قولهم : صَوَرَ يَصُور : إذا مال ، وصُرتُ الشيءَ أصُوره وأصرْتُه : إذا أملته إليك))[١] وفعل الأمر منه : صُر (بضم الصاد) وقال : ((الصاد والياء والراء : أصل صحيح وهو المآل والمرجع ، من ذلك صار يصير صيرًا وصيرورة))[٢] وفعل الأمر منه : صِر (بكسر الصاد) وكلا الجذرين : يفيد الميل والضم ، لذلك قال الفراء : ((ضمَّ الصادَ العامَّةُ ، وكان أصحاب عبيد الله يكسرون ، وهما لغتان[٣] فأمَّا الضم فكثير، وأمَّا الكسر ففي هُذَيل وسُلَيم٠٠٠ويُفَسَّر معناه : قطعهنَّ ، ويقال : وجههنَّ ، ولم نجد قطعهنَّ معروفة من هذين الوجهين)) [٤] والمعنى عند أبي عبيدة : ((ضممهنَّ إليك ثم قطعهنَّ (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا))) [٥] وهذا هو الصواب وهو الجمع بين المعنيين بإضمار القطع ، وأوضح ابن قتيبة هذه الحقيقة بقوله : (((فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) أي : فضممهنَّ إليك ، يقال : صرتُ الشيء فانصار، أي : أملتُه فمال (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) أي : رُبعًا من كل طير فأضمر (فقطعهنّ) واكتفى بقوله (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) عن قوله : فقطعهنَّ ؛ لأنَّه يدل عليه ، وهذا كما تقول : خذ هذا الثوب واجعل على كل رمح عندك منه علمًا)) [٦]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٩٧.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٩٩.

(٣) وينظر : لسان العرب ٣٠٤/٨

(٤) معاني القرآن ١٢٦/١ .

(٥) مجاز القرآن ص ٤٣ .

(٦) تفسير غريب القرآن ص ٩٦ ، وينظر : زاد المسير ٢٥٩/١-٢٦٠ .

وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) قرأ الجمهور بضم الصاد ، والمعنى : أملهنَّ إليك ، يقال : صرتُ الشيءَ فانصار ، أي : أملته فمال ، وقرأ أبو جعفر وحمزة بكسر الصاد ، قال اليزيدي : هما واحد))[1]

قال ابن كثير ((وقال العوفي عن ابن عباس : (فَصُرْهُنَّ) أوثقهنَّ ، فلمَّا أوثقهنَّ ذبحهنَّ ، ثم جعل على كل جبل منهنَّ جزءًا ، فذكروا أنَّه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهنَّ ثم قطعهنَّ ونتف ريشهنَّ ومزَّقهنَّ ، وخلط بعضهنَّ في بعض ، ثم جزَّأهنَّ أجزاء ، وجعل على كل جبل منهنَّ جزءًا ، قيل أربعة أجبل ، وقيل سبعة ، قال ابن عباس : وأخذ رؤوسهنَّ بيده ، ثم أمره الله تعالى أن يدعوهنَّ ، فدعاهنَّ كما أمره الله تعالى ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض ، حتى قام كل طائر على حدة ، وأتينه يمشين سعيًا ، ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام ، فإذا قدَّم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدَّم له رأسه تركَّب مع بقية جثته بحول الله وقوته)) [2]

وعندي أنَّ المراد من قوله : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) هو التعرف إلى أشكالهنَّ بدقة فيألفهنَّ ويألفنه حتى تصل هذه المعرفة إلى درجة التمكن من تمييزهنَّ من بين أجناسهنَّ إذا اختلطن بهنَّ ، والسر في ذلك هو ليطمئنَّ قلب إبراهيم عليه السلام ، بأنَّ الله عز وجل أعاد إليه الطيور نفسها التي ذبحهنَّ وقطعهنَّ ، لا طيورًا أخرى .

---

(١) زاد المسير ٢٥٩/١-٢٦٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٣/١.

يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّ الأوجه الأربعة تعددت لاختلاف اللفظ واختلاف حركته ، فالبرد في الوجه الأول ، هو معنى الصِّرّ(بكسر الصاد) من صرَّ ، والإصرار على الذنب في الوجه الثاني ، هو معنى الفعل الرباعي الذي على وزن أفعل ، وشدة الصياح في الوجه الثالث هو معنى الصَّرّة (بفتح الصاد وزيادة التاء المربوطة) ، والقطع كما ادعوا هو من صار ، وليس من صرَّ ، فأنت ترى أنَّ هذه المعاني الأربعة ليست لصيغة واحدة ، بل هي لأربع صيغ مختلفة ، فلكل صيغة معناها ، ولكل معنى صيغته ، فلا وجوه إذن ولا نظائر.

٣٦-الضرّ : قال ابن قتيبة : ((الضر بفتح الضاد ضد النفع...والضُّر : الشدة والبلاء)) (١) وقال ابن فارس : ((الضاد والراء ثلاثة أصول ، الأول : خلاف النفع ، والثاني : اجتماع الشيء ، والثالث : القوة ، فالأول : الضَّرُ : ضد النفع ، ثم يُحمل على هذا كل ما جانسه أو قاربه))(٢) والمراد ما كان خلاف النفع(٣) وقال ابن الجوزي : ((الضُّرُّ بضم الضاد : هو الشدة والبلاء ، وبفتحها : ضد النفع)) (٤) ومما لا شك فيه أنَّ ما كان بمعنى البلاء والشدة ، أشد ضررًا مما كان خلاف النفع ؛ لذلك ضُمَّ الأول وفُتح الثاني ، ؛ لأنَّ الضمة أثقل من الفتحة ، والفتحة أخف منها ، وذكر أهل الوجوه أنَّ للضر في القرآن الكريم سبعة أوجه ، هي : البلاء والشدة ، وقحط

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥١٣ .

(٣) ينظر : العين ص ٥٤٤ ، ومقاييس اللغة ص ٥١٣ ، والصحاح ص ٨١٩ ، واللسان ٣٢/٩ .

(٤) نزهة الأعين ص ١٨٤.

المطر ، والأهوال في البحر ، والمرض والبلاء في الجسد ، والنقص والحاجة ، والجوع ، والضر بعينه[1]

وهذه الأوجه لا تُعدُّ أوجهًا للضر ، بل هي من الألفاظ المرادفة له وجعل أحد هذه الأوجه يعني الضر بعينه ، يدل على أنَّ للضر معنى مستقلاً يميزه من معاني هذه الأوجه ، مما يدل دلالة قاطعة على أنَّ الضر ليس من الالفاظ المشتركة ، وهذه الأوجه المنسوبة إليه أوجه مختلقة ، والذي يسَّر لهم اختلاقها للضر جواز وقوعها موقعه ؛ لتقارب معانيها من معناه.

٣٧-**الوكيل** : ذكر أهل الوجوه أنَّ للوكيل في القرآن الكريم ستة أوجه هي : الحرز ، والرب ، والمسيطر ، والشهيد بمعنى الشاهد ، والحافظ ، والمانع [2]

((وسُمِّي الوكيل ؛ لأنَّه يوكل إليه الأمر)) [3] فالوكيل اسم جنس يُطلق على كل من أوكلتَ إليه أمرك ، كالحرز، والرب ، والمسيطر ، والشهيد ، والحافظ ، والمانع ، فهي إذن جميعًا وجه واحد . إذ هي جميعها أسماء موصوفة بالوكيل ، وقد اختلق أهل الوجوه هذه الأوجه عن طريق الدراسة المعكوسة .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص١٤٣-١٤٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٤-٤٥ الوجوه والنظائر لهرون ص ٨٨-٨٩ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢١٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٠٧-٣٠٨ ونزهة الأعين ص ١٨٤ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص١٤٤-١٤٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٥-٤٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٩-٩٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧٢ ونزهة الأعين ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٦٥ .

٣٨-المحصنات : قال ابن فارس : ((الحاء والصاد والنون أصل واحد منقاس ، وهو الحفظ والحياطة والحرز ، فالحصن معروف والجمع حصون ، والحاصن والحصان المرأة المتعففة الحاصنة فرجها ٠٠٠ قال أحمد بن يحيى ثعلب : كل امرأة عفيفة فهي مُحصَنة ومُحصِنة ، وكل امرأة متزوجة فهي مُحصَنة لا غير)) [١] وقد اتخذ أهل الوجوه من الأسماء الموصوفة بهذا الحصن أوجهًا فذكروا أنَّ المحصنات في القرآن الكريم جاءت على أربعة أوجه هي : الحرائر ، والعفائف ، والمسلمات الحرائر ، والمتزوجات [٢]

فالمحصنة اسم جنس يُطلق على كل امرأة أحصنت فرجها ، وهذا ما ينطبق على الحرائر والعفائف والمتزوجات والمسلمات ، فهي جميعها وجه واحد ، وقد اختلق أهل الوجوه هذه الأوجه عن طريق الدراسة المعكوسة .

٣٩-الشهيد-الأشهاد : قال ابن فارس : ((الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام ٠٠٠ والشهيد القتيل في سبيل الله ، قال قوم سُمِّي لذلك لأنَّ ملائكة الرحمة تشهده ، أي : تحضره٠٠٠ والأرض تُسمَّى الشاهدة ، والشاهد اللسان والشاهد : المَلَك)) [٣]((والشهيد الحاضر ، والشاهد العالم الذي يبين ما علمه ٠٠٠ وشهد الشاهد عند الحاكم ، أي : بيَّن ما يعلمه وأظهره٠٠٠ والمشاهدة المعاينه ٠٠٠ والشاهد والشهيد ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢١٢ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص١٤٦-١٤٧وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٦-٤٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ٩٠-٩١ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٥ والوجوه النظائر للعسكري ص٣٠٨-٣٠٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٧-٤١٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢١٧-٢١٨

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٦١ .

والجمع شهداء وشُهَّد وأشهاد وشهود٠٠٠وقيل : إنَّ الأشهاد هم الأنبياء والمؤمنون يشهدون على المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم٠٠٠وسُمِّي الشهيد شهيدًا ؛ لأنَّ الله وملائكته شهود له في الجنة ؛ وقيل : سُمُّوا شهداء ؛ لأنَّهم ممن يُستَشهد يوم القيامة مع النبي صلى الله عليه وسلم على الأمم الخالية)) (١)

يتبين مما جاء في اللغة أنَّ الشهادة تجمع بين ثلاث دلالات هي : الحضور والعلم والإعلام ، وقد اختلق مقاتل وأصحاب كتب الوجوه من بعده من الأسماء الموصوفة بهذه الدلالة أوجهًا للشاهد والشهيد هي : الأنبياء ، والحافظ المَلَك الذي يكتب عمل ابن آدم ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمستشهد في سبيل الله ، والذي يشهد على حق رجل ، أو على حقوق الناس ، والحاضر ، والشركاء ، والفطن الحاضر الذهن (٢)

فالشهيد أو الشاهد اسم جنس يُطلق على كل من حضر ليشهد على الآخرين بالحق وبما علم وعاين، وهذا ما ينطبق على الأنبياء والشهداء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والأرض والملائكة وجوارح الإنسان ، كما جاء ذلك في القرآن الكريم ، وكل من أُوكل إليه أو أُمِر بأن يشهد بالحق على غيره ، فالأوجه جميعها التي ذكرها مقاتل ومن تابعه تُعدُّ وجهًا واحدًا ؛ إذ هي جميعها أسماء موصوفة بمعنى الشهادة ، وقد اختلق مقاتل وأصحاب كتب الوجوه هذه الأوجه عن طريق الدراسة المعكوسة .

---

(١) لسان العرب ١٥١/٨-١٥٣

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٤٧-١٤٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٧-٤٩ والوجوه والنظائر لهرون ص٩١-٩٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٩٢-١٩٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٠-٢٩١ ونزهة الأعين ص ١٧٠-١٧١ .

٤٠ -**الصادقين** : الصدق معروف ، وقد اختلق مقاتل من الأسماء الموصوفة به أوجهًا له فقال : ((تفسير الصادقين على ثلاثة وجوه : ٠٠٠النبيين٠٠٠المهاجرين خاصة٠٠٠المؤمنين))[١] وأضاف الدامغاني وجهًا رابعًا ، هو الصادقين في الجهاد [٢]

فـ(الصادقين) اسم جنس يطلق على كل جماعة اتصفوا به ، وهذا ما ينطبق على النبيين والمهاجرين والمؤمنين ، وعلى غيرهم من الصادقين ، فهي وجه واحد ؛ إذ هي جميعها أسماء موصوفة بالصدق .

٤١ -**الحرج** : ((الحرج : المأثم ٠٠٠وقد حرج صدره ، أي : ضاق ولا ينشرح لخير)) [٣] وقال ابن فارس : ((الحرج الإثم ، والحرج الضيق)) [٤] عرفت معاجم اللغة الحرج بالضيق والإثم المرادفين له ، وقد اختلق مقاتل منهما ومن مرادف ثالث أوجهًا للحرج فقال : ((تفسير حرج على ثلاثة وجوه : ٠٠٠ شكًّا ٠٠٠الضيق ٠٠٠ الإثم)) [٥] هذه الأوجه التي ذكرها مقاتل ومن تبعه هي في الحقيقة ألفاظ مرادفة للحرج ، وليست أوجًهًا له ، أي : لا يصح أن تكون أوجهًا ؛ لأنَّها ليست معاني متباينة .

---

(١) الأشباه والنظائر ص١٤٩-١٥٠وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٨-٤٩وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص٩٣ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٠ .

(٢) ينظر :الوجوه والنظائر ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٣) العين ص ١٨١ .

(٤) مقاييس اللغة ٢٠٥.

(٥) الأشباه والنظائر ص ١٥٠-١٥١وباسم الوجوه والنظائر ص٤٩ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص٩٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٠-١٤٢ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٨ ونزهة الأعين ص ٩٥-٩٦ .

٤٢-هل : قال مقاتل ومقلدوه : ((هل : على أربعة وجوه ، فوجه منها : هل يعني ما ٠٠٠ والوجه الثاني : هل يعني قد فذلك قوله في المفصل : ٠٠٠ (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ){الغاشية : ١} يقول : قد أتاك[(١)]٠٠٠والوجه الثالث : هل يعني ألا كقوله في الكهف : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا){الكهف : ١٠٣} يقول : ألا أنبئكم٠٠٠والوجه الرابع : هل استفهام))[(٢)] وذكر العسكري وجه التوبيخ كقوله تعالى : (هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ){الروم : ٤٠}[(٣)]، وأضاف ابن الجوزي ثلاثة أوجه أُخَر ، هي : معنى أليس كقوله تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ){الفجر : ٥} والأمر كقوله تعالى : (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ){الصافات :٥٤} والسؤال كقوله تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ){ق : ٣٠}[(٤)]

جعل مقاتل ومن تبعه هل بمعنى ما النافية ، وهذا ما عليه جمهور النحاة والمفسرين على أنَّ هل ترد في اللغة والقرآن بمعنى ما النافية ويتعين

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل ٤٢٥/٣ ، ٤٧٨ .

(٢) الأشباه والنظائر ص١٥١-١٥٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٩-٥٠ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص٩٤-٩٦ ، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٨٨ ونزهة القلوب لأبي بكر السجستاني ص ٤٧٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٠-٤٦١ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٩٠٩ ، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٦/٥-٣٣٧ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر ٣٤٣.

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٣٠٥-٣٠٦ ومنتخب قرة العيون ٢٣٩-٢٤١.

فيها ذلك عند دخول إلاَّ كقوله تعالى : (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ){الرحمن : ٦٠}[١]

أريد في هذا المقام أن أذكر حقيقة طالما ذكرتها من قبل ، هي أنَّه ليس في اللغة ولا سيما في القرآن الكريم من لفظين متطابقين في المعنى ، فالقول بأنَّ هل ترد في القرآن الكريم بمعنى ما النافية ، أو معنى قد ، أو معنى كذا وكذا يرده واقع اللغة ، حتى إنَّ المعاجم عندما تعرف أي لفظ كان تشرح دلالته ، أو تعرفه بأقرب المعاني إليه ، ولا تعرفه بما يطابق معناه ؛ لأنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، هذه حقيقة يجب أن نسلِّم بها تسليما ، ولهذا أقول : إنَّ هل لم ترد إلّا بمعنى هل الموضوعة للاستفهام التي فيها معنى الطلب عن الجواب ، أو لجعل ما يتضمنه استفهام هل بمنزلة الحقيقة التي لا شك فيها ولا اختلاف ؛ لذلك يُستغنى فيها عن التصريح بالجواب ؛ لأنَّ جوابها واحد متفق عليه ، وقد عُرِّفت (هل) بأنَّها ((للاستفهام ، ولا يكون المستفهم عنه إلّا فيما لا ظنَّ له فيه البتة)) [٢] ف(هل) مثلًا في قوله تعالى : (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ) هو استفهام حقيقي موجه إلى كل إنسان ليقر بمضمونه ، وهو جعل الإحسان جزاؤه الإحسان ، وهو من الأمور الثابتة الكامنة في عقل كل عاقل وقلبه ، ويكون المراد من استعمال هل هنا حمل المخاطبين على الإقرار بهذا الأمر بالإجابة عنه في نفسه : نعم جزاء الإحسان هو الإحسان ، لكن لمَّا جعلوا الإجابة بتقدير : ما جزاء الإحسان إلّا الإحسان ، توهَّموا أنَّ هل بمعنى ما النافية ،

---

(١) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢١٨ والجنى الداني ص ٣٤٢ ومغني اللبيب ٢/٣٥٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٩٠٩.

وكذلك جعل مقاتل ومن تبعه ، هل بمعنى قد في قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) وهذا ما قال به جماعة من النحاة والمفسرين بأنَّ هل في هذه الآية بمعنى قد ، وليست باستفهام [١]

قال أبو بكر بن الأنباري : ((وهل حرف من الأضداد تكون استفهامًا عما يجهله الإنسان ولا يعلمه ٠٠٠وتكون هل بمعنى قد ٠٠٠فأمَّا كونها على معنى الاستفهام فلا يُحتاج فيه إلى شاهد ، وأمَّا كونها على معنى قد فشاهده قول الله عز وجل : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الدهر : ١}))[٢] و((قال المفسرون وأهل المعاني : قد أتى ، فـ(هل) ها هنا خبر وليس باستفهام)) [٣]والحقيقة أنَّ (هل) فيما تقدم ونحوه استفهام وسؤال موجَّه إلى المخاطب : أيقر بما يتضمنه هذا الاستفهام والسؤال أم ينكره ؟ والإجابة تقتضي الإقرار ، لأنَّه سؤال عن حقيقة لا يستطيع المسؤول أن ينكرها ، قال الفراء في تفسير قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ) : ((معناه : قد أتى على الإنسان حين من الدهر ، و(هل) تكون جحدًا وتكون خبرًا فهذا من الخبر ؛ لأنَّك تقول : فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنَّك قد أعطيته ووعظته ، والجحد أن تقول : هل يقدر واحد على مثل هذا؟))[٤]

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٨٢، والمقتضب للمبرد بتحقيق هرون ٤٣/١-٤٤ ، وبتحقيق بديع ٨٥/١ وجامع البيان للطبري ٢٤٠/٢٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٠/٥ ، والأزهية للهروي ص ٢١٧ ، والكشاف للزمخشري ٦٥٣/٤ ، ورصف المباني للمالقي ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٢) الأضداد ص ١٢٣ ،

(٣) الوسيط ٣٩٨/٤ .

(٤) معاني القرآن ١٠٥/٣.

وأنت ترى أنَّ كلا المثالين استفهام تقريري ، وقال ابن قتيبة : ((والمفسرون يجعلونها في بعض المواضع بمعنى قد كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) ٠٠٠ ويجعلونها أيضًا بمعنى ما٠٠٠ وهو والأول عند أهل اللغة تقرير)) [١] وقال الشوكاني : ((هل : هنا بمعنى قد ، وليس باستفهام٠٠٠قيل : هي وإن كانت بمعنى قد ففيها معنى الاستفهام٠٠٠والاستفهام للتقرير والتقريب)) [٢]

والصحيح أنَّ هل في الآية جاءت على بابها استفهامية ، والدليل على ذلك أنَّ الذين قالوا بأنَّها جاءت بمعنى قد وأنَّها خرجت عن حد الاستفهام ، أنَّ هؤلاء أنفسهم ، قد أقروا من جانب آخر باستفهامية هل ؛ فقد قال الطبري في تفسير الآية : ((يعني جل ثناؤه : قد أتى على الإنسان ، و(هل) في هذا الموضع خبر لا جحد ؛ ذلك كقول القائل لآخر يقرره : هل أكرمتُك ؟ وقد أكرمه ، وهل زرتُك ؟ وقد زاره)) [٣] فالطبري مع أنَّه ذهب إلى أنَّ هل في الآية خبر لا استفهام وأنَّها بمعنى قد ، أثبت بالأمثلة أنَّها استفهام تقريري ، وقال الزجاج : ((ومعنى (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ) قد أتى على الإنسان ، أي : ألم يأت على الإنسان حين من الدهر))[٤] وقال الزمخشري : ((هل : بمعنى قد في الاستفهام خاصة ، والأصل : أهل ، فالمعنى : أقد أتى ، على التقرير والتقريب جميعًا)) [٥] أي : أنَّ هل جمعت بين معنى

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) فتح القدير ٤٢٨/٥.

(٣)جامع البيان ٢٤٠/٢٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٥

(٥) الكشاف ٦٥٣/٤ ، وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤٠٨/٥ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٥٤٩/٨

الاستفهام الذي يفيد التقرير و(قد) التي تفيد التقريب ، فالزجاج والزمخشري وإن ذهبا إلى أنَّ هل بمعنى قد ، فقد أثبتا أنَّها استفهامية عندما جعل الأول الآية بتقدير : ألم يأت على الإنسان؟ ، والثاني بتقدير : أقد أتى على الإنسان؟ وتقدير الزجاج أدق وأصح من تقدير الزمخشري ، قال ابن هشام : ((فزعموا أنَّ هل لا تأتي بمعنى قد أصلاً ، وهذا هو الصواب عندي))(١) بل هي استفهام حقيقي قال ابن جني : ((يمكن عندي أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنَّه قال ، والله أعلم : وهل أتى على الإنسان هذا ؟ فلا بد في جوابهم من نعم ملفوظًا بها أو مقدرة)) (٢)

وقد بيَّن مكي بن أبي طالب القيسي السر والغرض من استعمال هل فقال : ((قيل هل بمعنى قد ، والأحسن أن تكون هل على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير ، وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث ، فلا بد أن يقول : نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه ، فيقال له : من أحدثه بعد أن لم يكن ، وكوَّنه بعد عدمه ، كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته ، وهو معنى قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ){الواقعة : ٦٢} أي : فهلا تذكرون ، فتعلمون أنَّ من أنشأ شيئًا بعد أن لم يكن على غير مثال قادر على إعادته بعد موته وعدمه)) (٣)

فتأمَّل أنَّ كل هذه المعانى المتحركة المتتالية ، التي تؤلف جزءًا من بلاغة القرآن ، جاء من جعل هل على بابها استفهامية ، وتأمل مرة أخرى أنَّ

---

(١) مغني اللبيب ٣٥٢/٢.

(٢) لسان العرب ٨٧/١٥ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ٤٣٤/٢ ، وينظر : مغني البيب ٣٥٢/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٣/٢٠-٤

جعلها بمعنى (قد) أطفأ ما في هذه الآية من ومضات ، وأمات ما فيها من نبض وحياة .

والشاهد الثاني الذي ذكره الوجوهيون ومن تبعهم من النحاة والمفسرين كما تقدم في هذا الباب قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) والمعنى عندهم قد أتاك حديث الغاشية[١] والغاشية هي القيامة تغشى الناس بالأهوال ، وقيل النار لأنَّها تغشى وجوه الكفار[٢] والصحيح أنَّ هل في هذه الآية كالآية السابقة للاستفهام التقريري قال الزجاج : ((ومعنى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) أي : هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك ، وكذلك الأقاصيص التي أُخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ){هود : ٤٩}[٣] وقال ابن عطية : ((قال بعض المفسرين : هل أتاك : بمعنى قد أتاك ، وقال الحذاق : هي على بابها توقيف ، فائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر ، وقيل المعنى : هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك))[٤] وقال ابن كثير : ((عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم على امرأة

---

(١) الأشباه والنظائر ص١٥١-١٥٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٩-٥٠ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص٩٤-٩٦ ، ونزهة القلوب لأبي بكر السجستاني ص ٤٧٧ ، والوجوه والنظائر للعسكري ٣٤٢-٣٤٣ والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٤٧٣/٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٠-٤٦١ ومنتخب قرة العيون ٢٣٩-٢٤١ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٩٠٩ ، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٦/٥-٣٣٧ .

(٢) ينظر : جامع البيان ١٩٤/٣٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٥ ، وينظر : زاد المسير ٢٤٩/٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤٧٢/٥ ، وينظر : البحر المحيط ٦٤٩/٨ .

تقرأ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) فقام يستمع ويقول : نعم قد جاءني)) [١] ولهذا((قيل : إنَّ بقاء هل على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجب مما في خبره ، والتشويق إلى استماعه أولى)) [٢] وقال الآلوسي : ((والمختار أنَّه للاستفهام أُريد به التعجب والتشويق إلى استماعه ، والإشعار أنَّه من الأحاديث البديعة التي حقها أن تتناقلها الرواة ويتنافس في تلقنها الوعاة))[٣]

يتبين من هذا أنَّ في جعل هل بمعنى قد في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) تحريفًا لمعنى الآية وتفسيرها وإماتة للجانب البلاغي فيها

وهذا هو حال هل أيضًا التي جُعلت بمعنى (ألا) في الوجه الثالث في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) والغرض من هذا الاستفهام هو التنبيه على أنَّ الجواب عنه يهمهم ، ومن الضروري والمفيد التعرف إليه ، وأنَّ في معرفته منفعتهم ، فأريد بهذا الاستفهام حملهم على الإجابة عنه بالإثبات ، وكأنَّه أريد أن يقولوا في أنفسهم : نعم نريد أن تنبئنا عن الأخسرين أعمالًا ؛ من أجل أن نتجنب أعمالهم ، ولا نكون أخسر الناس مثلهم .

وكذلك هل التي جَعلها العسكري بمعنى التوبيخ في قوله تعالى : (هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ) لأنَّ الغرض من استعمال هل هنا هو حمل المخاطبين على الإجابة عمَّا استقر عندهم من الأمور المنكرة والمعتقدات الباطلة التي لا يستطيعون أن ينكروا بطلانها ، وفي ذلك توبيخ لهم .

وكذلك هل التي جعلها ابن الجوزي بمعنى ، أليس في قوله تعالى :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/٨.

(٢) فتح القدير ٥٣٥/٥ .

(٣) روح المعاني ٣٢٤/١٥

(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) [1] وهل هنا أيضًا استفهامية ، والدليل على ذلك جعلها بمعنى أليس التي هي كقوله تعالى : (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى){القيانة : ٤٠} وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ){التين : ٨} وقد جاء في الحديث الصحيح أنَّ من قرأ هذه الآية في السورتين فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين[2] والدليل على ذلك أيضًا أنَّه فسَّرها بمعنى الاستفهام فقال : ((هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) أي : لذي عقل۰۰۰ومعنى الكلام : أنَّ من كان ذا لب عَلِمَ أنَّ ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه دلائل على توحيد الله وقدرته ، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته)) [3] فقد أريد من الاستفهام حمل المخاطبين على الإجابة عنه بالإثبات ؛ لأنَّه استفهام عن حقيقة يجب أن تكون معلومة ، لذا يجب أن يكون الجواب : نعم إنَّ في ذلك قسمًا لذي حجر ، والجدير بالذكر أنَّ الهروي جعل هل في هذه الآية بمعنى إنَّ وبالتقدير نفسه[4]

وكذلك هل التي جعلها بمعنى الأمر في قوله : (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ){الصافات :٥٤}[5]استفهامية أريد بها حمل المخاطبين على الإجابة عنها بالإثبات ؛ لأنَّ اطلاع المؤمن وهو في الجنة على أهل النار تجعل المؤمن يشعر بعظم نعمة الله عليه ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ ابن الجوزي

---

(١) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٣/٨ ، ٣٤٠.

(٣) زاد المسير٢٥٧/٨.

(٤) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢١٧.

(٥) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١

فسَّر الآية بمعنى الاستفهام فقال : ((أي : هل تحبون الاطلاع إلى النار لتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهلها)) [١]

وكذلك هل التي جعلها بمعنى السؤال في قوله تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ)[٢]والسؤال مرادف للاستفهام ، والدليل على أستفهاميتها أنَّها جاءت جوابًا عن هل الأولى بالأسلوب نفسه ، قال ابن الجوزي : ((فأمَّا فائدة سؤاله إياها ، وقد علم امتلأت أم لا ، فإنَّه توبيخ لمن أدخِلها٠٠٠وفي قولها : (هَلْ مِن مَّزِيدٍ) قولان عند أهل اللغة : أحدهما : أنَّها تقول ذلك بعد امتلائها فالمعنى : هل بقي فيَّ موضع لم يمتلئ ؟ قد امتلأتُ ، والثاني : أنَّها تقول تغيظًا على من عصى الله)) [٣]

فـ(هل) لم تخرج عن حد الاستفهام في القرآن الكريم ولم ترد فيه إلّا بمعنى هل ، أي : للاستفهام ، وليتخلَّ كل أهل اللغة والنحو والتفسير بعد اليوم عن قولهم بأنَّ لفظ كذا في القرآن الكريم جاء بمعنى كذا .

العلاقة بين دلالة الحرف والسياق :

هل : تُعدُّ أول حرف تطرق إليه مقاتل في كتابه : الأشباه والنظائر وقد ذكرتُ في التمهيد علاقة اللفظ بالسياق ، وما ذكرته هناك ينطبق على كل حرف تطرقتْ إليه كتب الوجوه والنظائر ، أو كتب حروف المعاني ، فلكل حرف دلالته ، وأنَّ السياق لا يمنحه أية دلالة كانت ، بل دوره مقتصر على تعيين دلالة موجودة أصلاً في الحرف وموضوعة له لغة واستعمالًا ، وهذا لا يكون في كل حرف ، بل لا يكون إلّا في الحرف المشترك ، حتى إنَّ معانيه معروفة مسبقًا قبل التعرف إليها من خلال السياق .

---

(١) زاد المسير ٣٠٧/٦.

(٢) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١ .

(٣) زاد المسير ٢٤٢/٧–٢٤٣.

والمعروف أنَّ كل سياق من الكلام لا بد من أن يكون مؤلفًا من عدد من الأحرف والتراكيب والجمل ولكل منها دلالته المستقلة ، ينتج من اجتماعها ونظمها حسب أسلوب مؤلفها دلالة واحدة موحدة تمثل دلالة السياق ، فيكون للسياق دلالته ، ولكل لفظ وحرف فيه دلالته الموضوعة له في اللغة والخاصة به ، فإذا كان من الأحرف المشتركة ، أي : له في الأصل عدة معان مختلفة ، فإنَّ السياق يعيِّن أحد معانيه المقصودة من دون باقي معانيه وقد اختلِقَتْ لكثير من الحروف غير المشتركة عدة دلالات أُضيفت إلى دلالاتها الخاصة بها أو حلت محلها عن طريق إسقاط دلالات السياقات المختلفة عليها ، بل هذا ما حصل في الأحرف المشتركة أيضًا ، وهو إضافة معان دخيلة أخرى غير معانيها الأصلية ، من ذلك مثلًا ما قيل في معاني الواو ؛ والواو من الأحرف المشتركة ، ومن معانيها الموضوعة لها : واو رب ، وواو القسم ، وواو العطف ، وواو المعية ، وهذه أوجه حقيقية ، وقد أضيف إليها أوجه دخيلة من أوضح أمثلتها ((واو المدح ، نحو، جاءني صاحبك وأيّ رجل))[1] وهذا الوجه دخيل ، لأنَّه ليس من معاني الواو ، بل هو ما دل عليه الكلام الذي وردت فيه ، والكلام الذي وردت فيه قد يدل على الذم ، أو الاستهزاء ، أو التعجب ، أو التعظيم نحو: قول الشاعر :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسِدادِ ثَغْرِ

فهذا يعني أن يُجعَل من أوجه الواو ، واو المدح ، وواو الذم ، وواو الاستهزاء ، وواو التعجب ، وواو التعظيم ، وجميع هذه الأوجه للواو لا تصح ؛ لأنَّها ليست من أوجهها الحقيقية ، بل اختِلَقَتْ لها عن طريق إسقاط دلالات السياقات المختلفة عليها.

---

(1) الحروف لأبي الحسين المزني ص١١٢.

هذه هي الحقيقة إلّا أنَّ النحاة متقدمين ومتأخرين ومحدثين لا يزالون بحجة السياق يختلقون للحرف معاني من حيث لا يشعرون ، من ذلك مثلًا ما قيل في (إنَّ) قال الدكتور فاضل السامرائي : ((تأتي (إنَّ) لمعان عدة أشهرها : التوكيد٠٠٠والربط٠٠٠ والتعليل ، نحو قوله : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٧٣}٠٠٠فأنت ترى أنَّ (إنَّ) في هذه المواطن تفيد التعليل)) (١)

وهذا المعنى إن صح فهو ما يدل عليه السياق ، وليس ما تدل عليه (إنَّ) ، فلو استندنا إلى السياق في هذه الآية ، لجاز أن نجعل كل لفظ فيه يفيد معنى التعليل ، لأجزنا هذا المعنى نفسه مثلًا لـ(لا) النافية للجنس ، ولأجزناه للواو لو قيل : والله غفور رحيم ، بل قد وردت الواو في مثل هذا السياق في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التحريم : ١} فقد جاز بالطريقة نفسها أن نجعل الواو هنا تفيد التعليل ، كما أفادته (إنَّ) هناك ، بل لجاز بنفس هذه الطريقة أن نجعل لكل حرف معاني لا حصر لها ؛ لأنَّ معاني السياقات لا حصر لها ، فكثير من وجوه الحروف ومعانيها في كتب الوجوه وفي كتب حروف المعاني اختلقتْ عن طريق جعل الحرف بمعاني السياقات التي ورد فيها.

واستنادًا إلى حقيقة هذه العلاقة بين دلالة الحرف ودلالة السياق ستُدرَس فيما يأتي وجوه الأحرف التي اشتمل عليها أشباه مقاتل ووجوه هرون

٤٣ -**شيعًا** : قال الخليل : ((وشاع الشيء يشيع مُشاعًا وشيعوعة ، فهو شائع : إذا ظهر ، وأشعته وشعتُ به : أذعته ٠٠٠ والمشايعة متابعتك إنسانًا على أمر ، وشيعة الرجل : أصحابه وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على

---

(١) معاني النحو ٢٦١/١-٢٦٦ .

أمر فهم شيعة ، وأصنافهم شيَع)) [1] فـ((الشِّيَعُ : جمع شيعة، وهي الطائفة المجتمعة على أمر ، ويقال : هؤلاء شيعة فلان ، أي : أتباعه)) [2]

وقد اختلق مقاتل ومن تبعه من معنى الشيعة ومرادفاته أوجهًا ، فقال : ((تفسير (شيعًا) على خمسة وجوه : فوجه منها : شيعًا يعني فرقًا ٠٠٠ والوجه الثاني الشيع يعني الجيش ، فذلك قوله في القصص : (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ){القصص : ١٥} (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ) يعني كافرين (مِن شِيعَتِهِ) يعني من جيشه يعني من جيش موسى٠٠٠ والوجه الثالث : الشيع يعني أهل مكة ٠٠٠ والوجه الرابع : تشيع نفسها ٠٠٠والوجه الخامس : شيعًا يعني الأهواء المختلفة))[3]واستبدل هرون وجه الملة بوجه أهل مكة ، وأضاف إلى الفرق الأحزاب ، واستبدل الدامغاني وجه الجنس بوجه الجيش ، واستبدل ابن الجوزي به الأهل والنسب

جعل مقاتل ومن تبعه ما تعنيه تشيع نفسها وجهًا ؛ وكيف يصح أن نجعل من معنى اللفظ نفسه وجهًا له؟! أمَّا الأوجه التي ذكروها ، وهي : الفرق والأحزاب والجنس والملة وأهل مكة فهي ألفاظ مرادفة ، وليست أوجهًا ، وكذلك الأهواء المختلفة ؛ لأنَّها تعبير عن تعدد الفرق والأحزاب ، أمَّا الوجه الثاني الذي جعله مقاتل وهرون بمعنى الجيش فلا يصح الأخذ به ؛

---

(١) العين ص ٥٠٤ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٦٩.

(٣) الأشباه والنظائر ص ١٥٣–١٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ٥٠–٥١ ، وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ٩٦–٩٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٩٧–١٩٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ٢٨٥–٢٨٦ ونزهة الأعين ص ١٦٩–١٧٠ .

فالجيش معروف كما قال ابن فارس[١] ، وقد عرَّفه من قبله الخليل بقوله : ((والجيش : جند يسيرون لحرب ونحوها)) [٢] والمراد (مِن شِيعَتِهِ) في الآية كما هو واضح رجل من بني إسرائيل ، هذا ما يجمع عليه المفسرون[٣] كما أنَّه لم يكن لموسى عليه السلام جيش قبل النبوة ، والجدير بالذكر أنَّ مقاتل نفسه وصف الرجلين بأنَّهما كافران ؛ فكيف يصح أن يكون أحدهما من جيشه؟! ؛ لذلك لم أجد أحدًا من المفسرين من تبنى هذا الوجه في تفسير الآية .

فالأوجه التي ذكرها أهل الوجوه للفظ (شيعًا) لا يصح أن تكون أوجهًا له ؛ لأنَّها ليست معاني متباينة ، وقد تيسَّر لهم أن يختلقوها لهذا اللفظ ؛ لجواز أن تقع موقعه ؛ لتقارب معانيها من معناه .

٤٤-متاع : قال الخليل : (المتاع ما يستمتع به الإنسان في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كل شيء ، والدنيا متاع الغرور ، وكل شيء تمتعت به فهو متاع ، إنما العيش متاع أيام ثم يزول ، ومتعك الله به وأمتعك واحد ، أي : أبقاك لتستمتع به فيما تحب من السرور والمنافع))[٤]وقال ابن فارس : ((الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير ... وذهب من أهل التحقيق بعضهم إلى أنَّ

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٨٢ .

(٢) العين ص ١٦٤.

(٣) ينظر : جامع البيان ٥٥/٢٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٠٣/٤ ، والوسيط للواحدي ٣٩٣/٣ .

(٤) العين ص ٨٩٥

الأصل في الباب التلذذ ... والمتاع الانتفاع بما فيه لذة عاجلة ... والمتاع : انتفاع ممتد الوقت)) [١]

وذكر أهل الوجوه للمتاع الأوجه الآتية : البلاغ أو المدة كقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ){البقرة : ٣٦} والرحل ، والمنافع ، ومتعة المطلقة ، والحديد والرصاص والصفر وما أشبه من الآلات التي ينتفع بها [٢]

المتاع في هذه المواضع الخمسة يعني المتاع بعينه ، لذا يجب أن يُفسَّر في هذه المواضع وأينما ورد في القرآن الكريم استنادًا إلى معناه ، فمتاع الوجه الأول مثلًا في قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) ليس بمعنى البلاغ كما زعم مقاتل ومقلدوه بل هو كما فسره الواحدي بقوله : ((ومتاع : هو ما تمتعت به من أي شيء كان ، وكل ما حصل التمتع به فهو متاع ، قال المفسرون : فلنا في الأرض متاع من حيث الاستقرار عليها والاغتذاء بما تنبته من الثمار والأقوات))[٣] هذا هو التفسير الصحيح الذي استند إلى معنى المتاع نفسه ، ومن فسره بغير هذا المعنى فقد حرَّف وأخطأ في التفسير كائنًا من كان هذا المفسر.

٤٥-**الضحى** : قال الخليل : ((الضحو : ارتفاع النهار ، والضحى من فريق ذلك ، والضحاء ممدود : إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٥٠ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٥٤-١٥٥، وباسم الوجوه والنظائر ٥١-٥٢ والوجوه والنظائر لهرون ٩٧-٩٨ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٥-٢٧٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣١١-٣١٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٢٢ ونزهة الأعين ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٣) الوسيط ١٢٤/١ .

وضحى الرجلُ ضحى : أصابه حر الشمس ، قال الله تعالى : (وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى){طه : ١١٩} أي : لا يؤذيك حر الشمس)) [١]

وقد اختلق مقاتل مما يعنيه الضحى أوجهًا ، فقال : ((تفسير الضحى على ثلاثة وجوه :

فوجه منها : الضحى يعني النهار ٠٠٠

والوجه الثاني : ضحى يعني إذا ترحل النهار أول ساعة منه ٠٠٠

والوجه الثالث : الضحى يعني حر الشمس)) [٢]

أهذه أوجه للضحى أم الضحى بعينه ؟

٤٦-**الخسران** : ذكر أهل اللغة أنَّ الخسران هو النقص والضلال[٣] وذكر أهل الوجوه أنَّ الخسران جاء في القرآن على خمسة أوجه هي : العجز ، والغبن ، والضلال ، والنقص ، والعقوبة [٤]

وهذه الأوجه التي ذكرها أهل الوجوه ، هي في الحقيقة ألفاظ مرادفة للخسران ، لا يصح أن تكون أوجهًا له ؛ لما تقدم ذكره .

٤٧-**الاستطاعة** : ذكر أهل اللغة أنّ معنى استطاع : أطاق ، والاستطاعة القدرة على الشيء[١] ((والأصل في الاستطاعة أنَّه استفعال من

---

(١) العين ٥٤٤ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٢٤-٥٢٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٥٦ وباسم الوجوه والنظائر ٥٢ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ٩٨-٩٩، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٩، والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٠٨-٣٠٩ ونزهة الأعين ص ١٨٢-١٨٣ .

(٣) ينظر : العين ص ٢٤٤ ، ومقاييس اللغة ص ٢٥٦ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٧ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٥٧-١٥٨ وباسم الوجوه والنظائر ٥٢-٥٣ والوجوه والنظائر لهرون ٩٩-١٠٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٧-١٤٨والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٢-٢٠٣ ونزهة الأعين ص ١١٦ .

الطاعة ؛ فسمي الفاعل مستطيعًا ؛ لأنَّ الفعل الذي يرومه ممكن مطاوع)) (٢)

وذكر أهل الوجوه أنَّ الاستطاعة جاءت في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : السعة في المال ، والطاقة ، والاستثقال ، وبمعنى سؤال الفعل وطلبه(٣)

وهذه الأوجه التي ذكرها أهل الوجوه ألفاظ مرادفة للاستطاعة ، وليست أوجهًا لها ، إلّا الوجه الرابع فهو من معاني صيغة استفعل بصفة عامة

يبدو أنَّ اختلاق الوجوه بطريق الترادف شائع في الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ، وهو كذلك شائع في كتب الوجوه والنظائر التي صُنِّفت من بعده ؛ لأنَّ أصحابها ساروا على نهجه ، بل هي استنساخ لأشباه مقاتل ، ما عدا عددًا من الألفاظ والوجوه ، أضافوها أو حذفوها ، أو تصرفوا فيها بعض الشيء .

٤٨-**تولى** : ذكر أهل اللغة أنَّ معنى تولى قومًا : اتخذهم أولياء ، وتولى أمر قوم : ولي أمرهم ، وتولى الشيء : لزمه أو تقلده ، وتوليتُ فلانًا : اتبعته ورضيتُ به ، وتولى عنه : أعرض عنه ونأى وأدبر وانصرف

---

(١) ينظر : العين ص ٢٠٩/٢ ، ولسان العرب ١٥٨/٩-١٥٩ وتاج العروس ٢٥٣/٢١ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٥.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٥٨-١٥٩ وباسم الوجوه والنظائر ٥٣-٥٤ والوجوه والنظائر ص ١٠٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٤٥-٤٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٩٠-٩١ ونزهة الأعين ص ١٥ ومنتخب قرة العيون ص ٢٨ .

، وتولى : إذا ذهب هاربًا ومدبرًا ، والولي : ضد العدو [١] وذكر أهل الوجوه أنَّ تولى جاء في القرآن الكريم على ستة أوجه ، هي : انصرف وأبى وأعرض وانهزم وبمعنى ولاية الأمر وخلاف العداوة [٢]

وهذه الأوجه كما ترى تعني التولي بعينه ، أو هي معان مرادفة ، لا تصح أن تكون أوجهًا له ؛ لأنَّه يجمعها معنى واحد .

٤٩-الرُّوح : ذكر أهل اللغة أنَّ أصل الرُّوح هو الريح ، ويعني : النفخ ، والنَّفْس التي يحيا بها الأنسان ، ومن خُلِق روحًا من دون جسد ، ويُسمَّى القرآن روحًا ؛ وسُمِّي روحًا لأنَّه حياة من موت الكفر ، والروح أُطلِق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل وعيسى عليه السلام ، وروح الله حكمه وأمره ، وأمر النبوة ، وما نزل به جبريل من الدين فصار تحيا به الناس ، أي : يعيش به الناس [٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الرُّوح جاء في القرآن الكريم على تسعة أوجه هي : روح الحيوان ، وجبريل ، وملك عظيم ، والوحي ، وعيسى عليه السلام ، ورحمة الله ، وأمر الله ، والروح التي تكون في النفخ ، والحياة[٤]

---

(١) ينظر : العين ص ١٠٦٨ ولسان العرب ١٥/٢٨١-٢٨٥ وتاج العروس ٤٠/١١٥-١١٧ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٥٩-١٦٠وباسم الوجوه والنظائر ٥٤-٥٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠١-١٠٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤٣ ونزهة الأعين ص ٨٢-٨٣ .

(٣) ينظر : العين ص ٣٧٥ ، ومقاييس اللغة ص ٣٥٨ ، ولسان العرب ٦/٢٥٦-٢٥٧.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦١-١٦٢وباسم الوجوه والنظائر ٥٥-٥٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٢-١٠٣والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٧-١٦٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٢٩-٢٣٠ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ١٣٠-١٣٣

روح الحيوان ، والروح التي تكون في النفخ ، أي : الوجه الأول والسابع يعنيان الرُّوح بعينه ، وقد تبيَّن من تعريف أهل اللغة للروح ، أنَّ الرُّوح اسم جنس يُطلَق على كل من خُلِق روحًا من دون جسد ؛ فيكون جبريل والملك والوحي أسماء موصوفة بالرُّوح وليست أوجهًا له ، والرحمة لفظ مرادف للرُّوح ، واستبدل بها العسكري وجه القرآن فقال : ((والوجه أنَّه أراد بالرُّوح ... القرآن ؛ وسمَّاه روحًا ؛ لأنَّه يوصل به إلى المنافع كما يوصل الرُّوح)) [١] ؛ وقال في وجه عيسى عليه السلام : ((وسماه روحًا وكلمة ؛ لأنَّ الناس ينتفعون به كانتفاعهم بكلام الله ، وكانتفاعهم بالروح)) [٢] وكذلك كالقرآن الكريم وعيسى عليه االسلام سُمِّيت رحمة الله ، وأمره ، والحياة روحًا على سبيل المجاز؛ للانتفاع بها كالانتفاع بالروح .

٥٠-الرَّوح : ذكر أهل اللغة أنَّ الرُّوح والرَّوح واحد ، والرَّوح نسيم الريح ، والرَّوح الرحمة[٣] وقال العسكري : ((أصل الريح والرُّوح والرَّوح والراحة واحد ... وأصل الكلمة من الطيب ، وذلك أنَّ الريح تطيب الهواء ، والرُّوح يطيب به الجسد ، والرائحة أصلها في الطيب ثم استعملت في النتن ، والأريحية طيب النفس بالبذل ، وقيل : الراحة ؛ لأنَّ العيش يطيب معها)) [٤]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦٧

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٦٨

(٣) ينظر : العين ص ٣٧٥ ، ومقاييس اللغة ص ٣٥٨ ، ولسان العرب ٢٥٦/٦-٢٥٧ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ١٦٧

وذكر أهل الوجوه أنَّ الرَّوح جاء في القرآن الكريم على وجهين : الراحة ، والرحمة [1] وقد تقدم أنَّ الرَّوح والرحمة والراحة أصلها واحد ومعناها واحد ؛ فكيف يصح أن نجعل المعنى الواحد بعضه أوجهًا لبعضه ؟!.

٥١-الأحزاب : قال الخليل : ((الحزب أصحاب الرجل على رأيه وأمره٠٠٠ والمؤمنون حزب الله والكافرون حزب الشيطان ، وكل طائفة تكون أهواؤهم فهو حزب)) [2] وقال ابن فارس : ((الحاء والزاي والباء أصل واحد ، وهو تجمع الشيء ، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس٠٠٠ والطائفة من كل شيء حزب)) [3] وجاء في لسان العرب : وجمع الحزب أحزاب ، والأحزاب جنود الكفار [4]

هذا ما قاله أهل اللغة ، وفي كتب الوجوه أنَّ الأحزاب جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه ، هي :

١-بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة .

٢-النصارى من النسطورية والمار يعقوبية .

٣-كفار قوم نوح وعاد وثمود وإلى قوم شعيب وأصحاب الأيكة ، أوكفار الأمم المتقدمة .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٣-١٠٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٠. ونزهة الأعين ص ١٣٤ .

(٢) العين ص ١٨٦ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٠٦ .

(٤) ينظر : ١٠٢/٤ .

٤-أبو سفيان في قبائل من العرب واليهود(١) .

الحزب كما عرفه أهل اللغة اسم جنس يُطلق على كل جماعة من الناس ، أية جماعة كانت ، فإذا كانت من أقوام مختلفة ، أيَّ أقوام كانوا سُموا أحزابًا ، فالأحزاب معنى عام لا يُقصد بها أقوام معينة من دون غيرهم ، وهذا هو المعنى المراد من الأحزاب في القرآن الكريم ، وإذا صح أنَّه أُريد بالأحزاب الأقوام المذكورة في المواضع الأربعة ، فإنَّها تُعدُّ اسماء موصوفة بالأحزاب ؛ قال الله تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ {١٢} وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ){ص : ١٣} فتأمَّل أنَّ القرآن الكريم سمَّى هذه الأقوام بالأحزاب ، وليس العكس كما فعل أصحاب كتب الوجوه .

٥٢-اتقوا : ذكر أهل اللغة أنَّ وقى كلمة تدل على دفع شيء عن شيء بشيء غيره ، والوقاية ما يقي الشيء ، والمتقي هو الذي يؤدي الفرائض ويتجنب المحارم(٢)

وذكر أهل الوجوه أنَّ (اتقوا) جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : اخشوا ، واعبدوا ، ولا تعصوا الله ، والتوحيد ، والإخلاص (٣)

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٣-١٦٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٦ -٥٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٤٦-٤٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٨-٨٩ ونزهة الأعين ص ٣٠-٣١ .

(٢) ينظر : العين ص ١٠٦٤ ، ومقاييس اللغة ص ٩٦٣ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٢ ، ولسان العرب ١٥/٢٦٥-٢٦٧ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٥-١٦٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٧-٥٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٥-١٠٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٢-١٠٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٧-٨٨ .

ما ذكره أهل الوجوه ، هي ألفاظ مرادفة لـ(اتقوا) وليست أوجهًا له ، وقد تقدم أنَّ الألفاظ المترادفة ، هي ما تقاربت معانيها ؛ لذلك استبدل العسكري بوجهي التوحيد ، والعصيان ، وجهي الإيمان ، والانتهاء إلى المأمور به وترك تجاوزه ، فالباب إذن مفتوح باستبدال أوجه بأوجه أُخر والأمر هذا يتوقف على مقدرة اللغوي على الإتيان بما شاء مما يرادف التقوى ، والذي ساعد مقاتل ومقلديه على اختلاق الوجوه عن طريق الترادف تقارب معاني ألفاظه ، وهذا ما صرح به العسكري بقوله : ((وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض)) [١]

٥٣-الصفّ : الصف كلمة ((تدل على أصل واحد ، وهو استواء في الشيء وتساو بين شيئين في المقر ، يقال : وقفا صفًّا : إذا وقف كل أحد بجنب صاحبه)) [٢]

وذكر مقاتل ومن تبعه أنَّ الصف ورد في القرآن الكريم على وجهين : الأول : بمعنى الجميع كقوله تهالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا){الكهف : ٤٨}

والثاني : بمعنى الصف بعينه[٣]

وقوله تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) معناه : وعرضوا على ربك مصطفين ، وليس بمعنى : وعرضوا على ربك جميعًا ، كما زعم أصحاب الوجوه ، والعسكري نفسه أكد هذا المعنى فقال : ((وقيل ذكر الواحد وأراد

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٠٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٨١ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٦-١٠٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٠-٢٠١والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٧ ونزهة الأعين ص ١٧٤ .

الجمع ، أي : عرضوا صفوفًا ، وقيل : صفًّا ، أي : قيامًا ؛ وذلك أنَّ القائم يصفُّ قدميه في القيام ، وهو أجود)) [١] وقال االواحدي : ((مصفوفين كل زمرة وأمَّة صف)) [٢] فالمراد معنى الصف وليس الجميع

فالصف إذن في الوجه الأول يعني الصف بعينه كالوجه الثاني ، فليس للصف إلاَّ وجه واحد .

٥٤-**الحشر** : الحشر عند أهل اللغة هو الجمع مع السوق[٣] أي : أنَّ الحشر لا يعني الجمع وحده ، ولا السوق وحده ، بل هو الجمع مع السوق ، وذكر أهل الوجوه أنَّ الحشر جاء في القرآن الكريم على وجهين : الجمع ، والسوق[٤] وهذان الوجهان كما ترى يمثلان معًا دلالة الحشر ، فما فعله أصحاب الوجوه أنَّهم عمدوا إلى تشطير معنى اللفظ من أجل أن يختلقوا له وجهين.

٥٥-**الرجاء** : قال ابن فارس : ((الراء والجيم والحرف المعتل : أصلان متباينان يدل أحدهما على الأمل ، والآخر على ناحية الشيء ، فالأول الرجاء ، وهو الأمل ... ثم يتسع في ذلك فربما عُبِّر عن الخوف بالرجاء قال الله تعالى : (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا){نوح : ١٣} أي : لا

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٠١ .

(٢) الوسيط ١٥٢/٣.

(٣) ينظر : العين ص ١٩١ ، ومقاييس اللغة ص ٢١١ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٢٩ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٧وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٢٩-١٣٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٩-١٧٠.

تخافون له عَظَمَةً وناس يقولون : ما أرجو : ما أبالي وفسروا الآية هلى هذا وذكروا قول القائل :

إذا لسعته النحلُ لم يرجُ لَسْعها ٠٠٠٠٠

قالوا معناه : لم يكترث ٠٠٠ وأمَّا الآخر : فالرجا مقصور : الناحية من البئر ، وكل ناحية رجا ، قال الله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا){الحاقة : ١٧}٠٠٠ وأمَّا المهموز فإنَّه على التأخير : يقال : أرجأتُ الشيء : أخرته ، قال الله جل ثناؤه : (تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ){الأحزاب : ٥١} ومنه سُمِّيت المرجئة ، قال الشيباني : أرجأتْ)) [١] والبيت لأبي ذؤيب ، والمعنى لم يخف ولم يبال[٢]

، وقد ذكرنا من قبل أنَّ أصحاب المعاجم يعرِّفون اللفظ في الأغلب بما يرادفه من الألفاظ ، أي : بما يقاربه من المعاني لا بما يطابقه لأنَّه ليس من لفظ يطابق معنى اللفظ إلّا اللفظ نفسه ، والألفاظ المترادفة التي يسستعملها المعجمي تكون متفاوتة من حيث درجة قربها من اللفظ الذي يراد تعريفه ، فهناك المرادف القريب من معنى اللفظ وهناك المرادف الأقرب ، فقد عُرِّف الرجاء بثلاثة ألفاظ مرادفة هي : الأمل ، والخوف ، والمبالاة والاكتراث ، وكان بوسع مقاتل ومن تابعه أن يختلقوا من هذه المرادفات الأربعة أربعة أوجه للرجاء ، لكن الذي يبدو أنَّهم يعددون ويعينون من وجوه اللفظ بقدر ما يخطر ببالهم من الألفاظ المترادفة ، وقد جعل مقاتل وهرون للرجاء وجهين هما : الطمع والخوف ؛ لأنَّهما لم يخطرا ببالهما غير هذين

(١) مقاييس اللغة ص ٣٧٤.

(٢) ينظر: لسان العرب ١١٨/٦

الوجهين[١] وجعلهما ابن الجوزي : الأمل ، والخوف[٢] أمَّا العسكري فقد استبدل الأمل بالطمع ، وقال : ((فأمَّا الطمع فيما قيل فتوطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفوت ، والصحيح أنَّ الرجاء ما كان عن سبب ، والطمع ما كان من غير سبب ؛ ولهذا ذُمَّ الطمع ولم يذم الرجاء)) [٣] أي : أنَّه جعل الأمل من أوجه الرجاء ولم يجعله الطمع لوجود فرق بينهما في الدلالة ، إلّا أنَّ مثل هذا الفرق في الدلالة موجود بين كل مترادفين ، فهو موجود أيضًا بين الأمل والرجاء ، فقد عرَّف ابن فارس الأمل بأنَّه يدل على التثبت والانتظار[٤] ، وعرفه العسكري نفسه بقوله : ((إنَّ الأمل رجاء يستمر ؛ فلأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطال تأمَّل)) [٥] ففي الأمل تثبت وانتظار واستمرار ، وليس في الرجاء ذلك .

وجعل الدامغاني للرجاء خمسة أوجه هي : الطمع ، والخشية بدلاً من الخوف ، والحبس ، والطرف والناحية ، والترك ، والوجه الثالث الذي جعله بمعنى الحبس استشهد له بقول الله تعالى : (قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ){الأعراف : ١١١} أي : احبسه واحبس أخاه ، والوجه الخامس الذي جعله بمعنى الترك استشهد له بقول الله تعالى : (تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ){الأحزاب : ٥١} أي : تترك وهذان الوجهان هما من الإرجاء الذي يعني التأخير ، كما تبين ذلك من كلام ابن فارس كما تقدم ، وليسا من

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٦٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٨ .

(٢) ينظر نزهة الأعين ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٦٨ وينظر : الفروق اللغوية ص ٢٧٥ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٥٤ .

(٥) االفروق اللغوية ص ٢٧٥ .

الرجاء ، أي : هما من صيغة أخرى ، أمَّا الوجه الرابع الذي جعله بمعنى الطرف والناحية ، فليس من الرجاء الممدود بل هو من الرجا المقصور ، فهو من الأصل الثاني الذي ذكره ابن فارس أيضًا ، وجاء في اللسان : ((الرجا مقصور ناحية كل شيء٠٠٠والجمع أرجاء)) [١]

فالطمع ، والأمل ، والخوف ، والخشية : ألفاظ مرادفة للرجاء وليست أوجهًا لها ، والحبس ، والترك مرادفان للإرجاء ، وليسا وجهين له ، أمَّا الرجا فلم يذكر الدامغاني له غير وجه واحد .

٥٦-**الوحي** : قال الخليل : ((يقال : وحى يحي وحْيًا أي : كتب يكتب كَتْبًا٠٠٠ وأوحى الله إليه ، أي : بعثه ، وأوحى إليه : ألهمه ، وأوحى لها معناه ، وأوحى إليها في معنى الامر٠٠٠وزكريا أوحى إلى قومه ، أي : أشار إليهم ، والإيحاء : الإشارة)) [٢] وقال ابن فارس : ((الواو والحاء والحرف المعتل ، أصل واحد يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره ، فالوحي : الإشارة ، والكتاب والرسالة ، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى عِلمه فهو وحي كيف كان ، وأوحى الله إليه ووحى ، وكل ما في باب الوحي راجع إليه)) [٣] وقال الكفوي : ((كل ما ألقيته إلى غيرك فهو وحي ، والكتابة والإشارة والرسالة والإفهام كلها وحي)) [٤] وقال : ((والوحي يحصل بواسطة الملك٠٠٠ وقد يراد بالإلهام التعليم)) [٥] فقد عرَّف ابن فارس الوحي بأنَّه يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره ، فكل ما حصل بهذه الطريقة يُسمَّى وحيًا

---

(١) لسان العرب ٦/١١٨ .

(٢) االعين ص ١٠٣٨-١٠٣٩ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٤٩-٩٥٠.

(٤) الكليات ص ٧٧٣ .

(٥) الكليات ص ١٤٤ .

، وهذا ما ينطبق على جبريل والإلهام والرؤيا والكتابة والقول والإشارة والرسالة والتعليم والإفهام والأمر ونحو ذلك ، ويمكن جعل هذه وما شابهها من الالفاظ المرادفة للوحي ؛ لأنَّه كما تبيَّن أنَّ المعنى العام ، لا يرادفه لفظ واحد بل عدة ألفاظ ، جميعها تكون قريبة من معناه ، أو تُعدُّ هذه الأمور ونحوها من طرق الوحي وأنواعه .

وقد اختلق مقاتل وأصحاب كتب الوجوه من بعده من طرق الوحي وأنواعه أو مرادفاته أوجهًا ، فذكروا أنَّ الوحي في القرآن الكريم جاء على سبعة أوجه ، هي : جبريل ، والإلهام ، والكتاب ، والأمر ، والقول ، وإعلام في المنام ، وإعلام بالوسوسة[١]

فكل ما ذكره أهل الوجوه ، هو من طرق الوحي أو مرادفاته ، وليست أوجهًا له .

٥٧-**الجبار** : ذكر أهل اللغة أنَّ ((الجبار : العاتي على ربه ، القتال لرعيته ، والجبار من الناس العظيم في نفسه الذي لا يقبل موعظة أحد ، وقلب الجبار الذي قد دخله الكِبْر)) [٢] وقال ابن فارس : ((الجيم والباء والراء أصل واحد ، وهو جنس من العظمة والعلو٠٠٠ فالجبار الذي طال

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٦٨-١٦٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٨-١٠٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣٥-٣٣٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٩-٤٧٠ ونزهة الأعين ص ٣٠٢ ومنتخب قرة العيون ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) العين ص ١٢٤ .

وفات اليد ، يقال : فرس جبار ونخلة جبارة)) (١) ((والجبار في أسماء الله عز وجل بمعنى أنَّه لا ينال بالأذى ، وبمعنى الكبرياء والعظمة)) (٢)

وقد تبيَّن أنَّ أهل اللغة يعرِّفون اللفظ بما يرادفه من الألفاظ ، وقد اختلق أهل الوجوه من هذه الألفاظ المرادفة ونحوها أوجهًا للجبار ، فذكروا أنَّه ورد في القرآن الكريم على أربعة أوجه ، هي : القهار الخالق ، وهو الله تعالى ذكره ، والجبار من المخلوقين ، يعني القتَّال في غير حق ، والمتكبر عن عبادة الله ، والطويل العظيم القوة (٣)

فهذه الأوجه التي ذكرها أصحاب الوجوه ألفاظ مرادفة للجبار ، وليست أوجهًا له .

٥٨-السوي : مر الكلام على تعريف لفظ (السواء) رقم (٤) ونصه : قال الخليل : ((والسواء ممدود : وسط كل شيء٠٠٠ والسوي : الذي سوَّى الله خلقه ، لا دمامة فيه ولا داء)) (٤) وقال ابن فارس : ((السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين ، يقال : هذا لا يساوي كذا ، أي : لا يعادله ، وفلان وفلان على سوية من هذا الأمر ، أي : سواء ، ومكان سُوى ، أي : مَعْلَم ، قد علم القوم الدخول فيه والخروج منه ، ويقال : أسوى الرجل : إذا كان خَلَفُه وولده سَوِيًّا)) (٥)

---

(٣) مقاييس اللغة ص ١٨٢ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٠.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٠وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٠-٦١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٩-١١٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٠-١١١والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٧-١٥٨ومنتخب قرة العيون ص٩٠.

(٤) العين ص ٤٥٧ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٢٠-٤٢١ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ السوي ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، هي : الصحيح من الداء أو السليم من الآفة ، وسوي الخلق في صورة البشر ، والعدل ، والمهتدي[١]

وهذه الأوجه التي ذكرها أهل الوجوه ، كما ترى ، تُعدُّ من معنى السوي أو من مرادفاته ، وليست أوجهًا له .

٥٩-**اللغو** : قال الخليل : ((لغا يلغو لغْوًا يعني : اختلاط الكلام في الباطل)) [٢] وقال ابن فارس : ((اللام والغين والحرف المعتل : أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يُعتدُّ به ، والآخر على اللهج بالشيء ، فالأول اللغو ما لا يعتدَّ به من أولاد الإبل ... يقال منه : لغا يلغو لغوًا ، وذلك في لغو الإيمان ... قال الله تعالى : (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ){البقرة : ٢٢٥} فيمينه لغو ، لأنَّه لم يتعمد الكذب)) [٣] وقال العسكري : ((ويقال للفحش لغوًا ؛ لأنَّه ساقط من الكلام مطرح لا يُلتَفَت إليه... وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنَّه لا إثم فيه ، فكأنَّه ساقط لا معنى له))[٤]و((اللغو في الأصل : الكلام الذي لا فائدة فيه)) [٥]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧١-١٧٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٦١-٦٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٠-١١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٢-٢٦٣ ونزهة الأعين ص ١٥٧ .

(٢) العين ص ٨٧٩ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٣٦ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٩٦ .

(٥) نزهة الأعين ص ٢٥٣.

ومما يعنيه اللغو ، كما عرَّفه أهل اللغة ، اختلق أصحاب كتب الوجوه ثلاثة أوجه هي : اليمين الكاذبة ، وهو يرى أنَّه صادق ، والباطل ، ومكروه الكلام عند شرب الخمر [١]

فهذه الأوجه تعني اللغو بعينه ، أو هي من مرادفاته ، وليست أوجهًا له .

٦٠–ظلّ : قال الخليل : ((ظل فلان نهاره صائمًا ، ولا تقول العرب : ظَلَّ يَظَلُّ إلّا لكل عمل بالنهار)) [٢] وقال ابن فارس : ((ظَلَّ يفعل كذا : ذلك إذا فعله نهارًا ٠٠٠ ولا يقال : ظَلَّ يفعل كذا ليلاً)) [٣]

وقال مقاتل : ((تفسير (ظلَّ) على وجهين : فوجه منهما : ظلوا يعني مالوا ، فذلك قوله في الحجر : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ){الحجر : ١٤} يعني مالوا فيه (يَعْرُجُونَ)٠٠٠ والوجه الثاني ظل يعني إقامة٠٠٠ يعني أقمت عليه)) [٤]

وقال هرون : ((تفسير (ظلَّ) على وجهين : فوجه منهما : ظلوا يعني مالوا ، فذلك قوله في الحجر : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ){الحجر : ١٤} فمالوا فيه يعرجون٠٠٠ والوجه الثاني : ظل يعني إقامة))[٥]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٢والوجوه والنظائر لهرون ص ١١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠٨–٤٠٩ ونزهة الأعين ص ٢٥٣–٢٥٤ .

(٢) العين ص ٥٥٨٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٥١ ، وينظر : لسان العرب ١٨٨/٩ ، والتاج ١٨٨/٢٩ .

(٤) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٢ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ١١١–١١٢ .

وقال الدامغاني : ((تفسير (ظلَّ) على وجهين : فوجه منهما : ظل يعني مال ، قوله تعالى في سورة الحجر : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ){الحجر : ١٤} يعني فمالوا فيه ٠٠٠ والوجه الثاني : ظل يعني أقام))[١]

نقلتُ هذه النصوص الثلاثة ؛ لأبين تقليد هرون والدامغاني لمقاتل ، وهذا هو الغالب في كتب الوجوه والنظائر ، فالأسلوب والمنهج واحد ، والشواهد واحدة ، والوجوه واحدة ، إن أصاب مقاتل أصابوا وإن أخطأ أخطؤوا ، إلاَّ عددًا من الألفاظ والوجوه ، كما ذكرتُ من قبل ، أضافوها أو حذفوها أو تصرفوا فيها بعض الشيء

جعل ظلَّ بمعنى أقام ، كما جاء في الوجه الثاني لا يصح ؛ لأنَّه من مرادفاته ، أمَّا الوجه الأول ، وهو جعله ظل بمعنى مال ، فلا أدري من أين أتى مقاتل بهذه الدلالة وألصقها بالفعل (ظل) فأهل اللغة كما تقدم كلامهم قد أجمعوا على أنَّ (ظلَّ) تعني فعل الشيء في النهار ، وقد قيل : إنَّها قد تجيء بمعنى (صار) ، أمَّا جعلها بمعنى (مال) فهذا ما لم يشر إليه أحد من أهل اللغة ، لا من قريب ولا من بعيد[٢]وكذلك أهل التفسير ، فقد رجعتُ لمعرفة معنى قوله تعالى : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ) إلى كتب التفاسير : تفسير الطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية الأندلسي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبي حيان الأندلسي ، وابن عادل الدمشقي ، والآلوسي ، وابن عاشور، فلم أجد أحدًا منهم من فسَّر (فَظَلُّواْ) بـ(مالوا) مما يدل دلالة قاطعة على أنَّ التفسير الذي قال به مقاتل ومن تابعه ، لم يقل به أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٣١ .

(٢) ينظر : لسان العرب ١٨٨/٩ ، والتاج ١٨٨/٢٩ .

من الذين عاصروه ؛ لأنَّه لو قال به أحد من قبله أو ممن عاصره لنقل قوله المفسرون ، فتفسيره لقوله تعالى (فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ) بقوله : فمالوا فيه يصعدون ، مخالف لما أجمع عليه أهل اللغة والتفسير ؛ لأنَّه تفسير خاطئ بعيد عما تدل عليه الآية ، قال الواحدي في تفسير الآية : (فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ)((ظل كذا : إذا فعله في النهار، والعروج الصعود)) (١) ومثل هذا قال ابن الجوزي ، وابن عادل الدمشقي (٢) والقرطبي (٣) وقال أبو حيان : ((وجاء لفظ (فَظَلُّواْ) مشعرًا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا)) (٤) من عجائب ما خلق الله في السماء ، وقال الآلوسي : ((يصعدون حسبما تيسره لهم فيرون ما فيها من الملائكة والعجائب طوال نهارهم مستوضحين لما يرونه كما يفيده (فَظَلُّواْ) لأنَّه يقال : ظل يعمل كذا : إذا فعله في النهار حيث يكون للشخص ظِل)) (٥) وقال ابن عاشور : ((ظل : تدل على الكون في النهار ، وكان ذلك في وضح النهار ، وتبيِّن الأشباح وعدم التردد في المرئي)) (٦)

فمقاتل وهرون والدامغاني حرَّفوا اللغة والتفسير ، وقالوا ما ليس له أصل ، ذلك من أجل أن يختلقوا الوجه اختلاقًا

٦١-**الأسباب** : قال الخليل : ((السبب : الحبل ، والسبب كل ما تسببت من رحم أو يد أو دين ، والإسلام أقوى سبب٠٠٠ويقال للرجل

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/٤-٤١ .

(٢) ينظر : زاد المسير ٢٩٤/٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٤٣٧/١١ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/١٠.

(٤) البحر المحيط ٥٧٦/٥ .

(٥) روح المعاني ٢٦٦/٧ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٢/١٣.

الفاضل في الدين : ارتقى في الأسباب٠٠٠والسبب : سبب الأمر الذي يوصل به٠٠٠والسبب : الطريق ؛ لأنَّك تصل به إلى ما تريد))[١] وقال ابن قتيبة : ((السبب : أصله الحبل ، ثم تتفرع منه معان ترجع إلى هذا الاصل))[٢] وقال العسكري : ((السبب : أصله الحبل ، ثم قيل لكل شيء وصلتَ به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب ، تقول : فلان سببي إليك ، أي : وصلني ، وما بيني وبينك سبب ، أي : وصلة ورحم٠٠٠وسبب الشيء ما يتوصل به)) [٣]

فالأسباب معنى عام يُطلَق على كل شيء توصلتَ به إلى ما تريد ، فتكون هذه الأشياء لا حد له ولا يمكن حصرها ، وقد ذكر أهل الوجوه أنَّ الأسباب وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : الأبواب يعني أبواب السموات ، والمنازل التي كانوا يجتمعون فيها على معصية الله ، والعلم ، والحبل ' واستبدل العسكري الطريق بالمنازل ، وأجاز أن يكون الهواء سببًا بدلاً من الأبواب [٤]

والأسباب كما تبيَّن من تعريفها اسم جنس يُطلَق على كل شيء تتوصل به إلى ما تريد ، وقد تعددت وجوهها عند أهل الوجوه ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بين الأسباب وما تدل عليه دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يوصف الأسباب بالأبواب أو المنازل أو العلم أو الحبل أو الهواء أو الطريق

---

(١) العين ص ٤٠٤ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٤٠٢ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٦.

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٨١ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٢-١١٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٨١-١٨٢والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٩-٤٧٠ ومنتخب قرة العيون ص ٢٣٧-٢٣٨ .

، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنما وصف كل أمر من هذه الأمور بالأسباب ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صح أنَّ القرآن الكريم أراد من الأسباب هذه الأشياء ، وإلاَّ فإنَّ الأسباب في هذه المواضع أريد بها الأسباب بعينها .

٦٢-**الحق** : الحق : نقيض الباطل ، وحقَّ الشيء : وجبَ[1]والحق في الدين ما شهد به الدليل[2] والحق : الصواب والصحيح [3]

وقد ذكر أهل الوجوه للحق وجوهًا كثيرة منها : الله تعالى- القرآن- الإسلام- العدل- التوحيد- الصدق- الوجوب-الحاجة التي يستحقها صاحبها-الحق بعينه-الحظ-البيان-أمر الكعبة-إيضاح الحلال والحرام-الجرم الذي يستوجب القتل-المال-انقضاء الأجل-الزكاة- شهادة لا إله إلّا الله [4]

مما يدل على أنَّ الحق ليس من الألفاظ المشتركة ، جعل أحد الوجوه المنسوبة إليه يعني الحق بعينه ، لأنَّ هذا يدل على أنَّ للحق معنى مستقلاًّ يميزه من معاني الوجوه المنسوبة إليه ، والحق كاللقظ السابق الأسباب تعددت وجوهه عند أهل الوجوه ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بين الحق وما يدل عليه دراسة معكوسة ؛ فالقرآن الكريم لم يوصف الحق مثلًا بالله والقرآن والعدل والصدق والمال٠٠٠الخ ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ،

---

(١) ينظر : العين ص ٢٠١ ، ومقاييس اللغة ص ١٩٢ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٣٠-١٣١.

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٩ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٠٠ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٥-١٧٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٣-٦٥والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٣-١١٥ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٣٠-١٤٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٧٦ ونزهة الأعين ص ١٠٩-١١١

وإنما وصف كل أمر من هذه الأمور بالحق ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صح أنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ الحق ما ادعاه أصحاب كتب الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ الحق أريد به في جميع المواضع الحق بعينه .

فالحق اسم جنس ينطبق على ما لا حصر له من الأمور ، لا يمكن قصرها على عدد معيَّن ، فكل ما فرض الله سبحانه من فرائض حق ، وكل ما أمر الله به ورسوله حق ، وكل ما هو فضيلة من الأخلاق حق ، وكل ما ثبت لك من حق على غيرك فهو حق ، وكل ما ثبت وجوده وصدقه وصوابه وصحته ، غائبًا كان أم مشهودًا ، حاضرًا كان أم مستقبلاً ، فهو حق ، فالله حق ، والقرآن الكريم ، وكل كتبه المنزَّلة حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكل رسل الله حق ، وجبريل وكل ملائكة الله حق ، والموت حق ، وعذاب القبر حق ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، والقيامة حق ، والبعث والنشر حق ، والحشر حق ، والحساب حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل ما أخبر به الله ورسوله حق ، فما ينطبق عليه الحق أمور كثيرة لا يمكن إحصاؤها ، فلو اتبعنا الطريقة التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه ، أي : طريقة الدراسة المعكوسة ، لكان بوسعنا أن نجعل للحق ألف وجه ، ولكن ما هكذا تورد يا أهل الوجوه الإبل .

٦٣-سريع : قال مقاتل : ((تفسير سريع على وجهين : فوجه منهما ، سريع الحساب ، يقول كأنَّه قد جاء الحساب ، فذلك قوله في المائدة : (وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ){المائدة : ٤}...

والوجه الثاني : سريع الحساب : يعني سريع الفراغ من الحساب ، إذا فرغ من حساب الخلائق ، فذلك قوله في حم المؤمن : ((الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ){غافر : ١٧}))[١]

جاز في تفسير (سَرِيعُ الْحِسَابِ) شاهد الوجه الأول ثلاثة احتمالات :

١-أنَّ الله سبحانه لا يبطئ في حساب الخلائق .

٢-التعبير عن قرب قيام الساعة بسرعة الحساب .

٣- جزاؤهم في الدنيا [٢].

والصحيح التفسير الأول ، قال العسكري : ((وقال : (سَرِيعُ الْحِسَابِ) ومعنى ذلك أنَّه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه ... وقيل الحساب : أنَّ تأخذ ما لك وتعطي ما عليك ، والله تعالى قد أحصى الأعمال ، فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة))[٣] فلا يبطئ حسابه للناس انتظار الشهود والتثبت من صدق أقوالهم ، والإتيان بالأدلة والتحقق من صحتها ، كما يحصل هذا في محاكمة القضاة للناس في الدنيا ؛ لأنَّه تعالى ذكره ، قد أحاط بكل شيء علمًا ، فهو يعلم بعمل كل إنسان ، والجزاء الذي يستحقه ، وهو يحاسب الخلائق كلها في وقت واحد ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا حساب عن حساب ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الله تعالى ذكره ، إذا أخذ في حساب الناس يوم الحساب ، لم ينتصف حتى يقيل

---

(١)الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٧٨-١٧٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٦ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١١٥-١١٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٢ ونزهة الأعين ص ١٥١-١٥٢.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز ١٥٨/٢.

(٣)الوجوه والنظائر ص ١٣٦

(من القيلولة) المؤمنون في الجنة والكافرون في النار[١] فهذه هي دلالة قوله تعالى (سَرِيعُ الْحِسَابِ) أينما ورد في القرآن الكريم .

٦٤-**الحساب** : قال الخليل : ((والحساب عدُّك الأشياء ٠٠٠ واحتسبتُ أيضًا من الحساب ، مصدر احتسابك الأجر عند الله)) [٢] وقال ابن فارس : ((الحاء والسين والباء أربعة أُصول : فالأول : العدُّ ، تقول : حسَبْتُ الشيءَ أحسُبُه حَسْبًا وحُسْبانًا قال الله تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ){الرحمن : ٥}٠٠٠ والحِسبان (بكسر الحاء) الظن٠٠٠ والأصل الثاني : الكفاية ، تقول شيء حساب ، أي : كافٍ يقال : أحسَبْتُ فلانًا : إذا أعطيته ما يرضيه)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((الحساب في عموم التعارف : إحصاء الأعداد جملاً وتفصيلاً)) [٤]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الحساب ورد في القرآن الكريم على عشرة وجوه هي :

١-الجزاء كقوله تعالى : (إِنْ حِسَابُهُمْ إلا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ){الشعراء : ١١٣} وقوله : (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ){الغاشية : ٢٦} وقوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا){النبأ : ٢٧}

٢-العدُّ كقوله تعالى : (وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ){الإسراء : ١٢} يعني حساب الأيام والشهر والسنين وقوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا){الأنعام : ٩٦} يعني لتعلموا عدد السنين والحساب

---

(١) ينظر : الكشاف ١٥٣/٤ .والمحرر الوجيز ١٥٨/٢ ، ٥٥١/٤ ، وأنوار التنزيل ٥٤/٥ ، والبحر المحيط ٦٠٢/٣ ، وروح المعاني ٣١٠/١٢

(٢) العين ص ١٨٨-١٨٩ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٠٨ .

(٤) نزهة الأعين ص ١٠١ .

٣–الجزاء الكافي

٤–العطاء الكثير

٥–العذاب

٦–الشهيد على نفسه

٧–المحاسبة

٨– ما لا يحصيه عدٌّ ، أي : من غير تقتير ولا منة ، كقوله تعالى : (يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ){غافر : ٤٠} قال العسكري : ((إنَّ هذا موضوعه للكثرة : يقال : أعطاه بغير حساب ، أي : أعطاه كثيرًا ، وذلك أنَّ الحساب للإحاطة والحصر ، وكأنَّه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة ، ومثله قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ){آل عمران : ٣٧} ويجوز أن يكون تفضل عليه بغير استحقاق ، والتفضل غير محسوب)) (١)

٩–الحسبان بمعنى المنازل قال الله تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ){الرحمن : ٥} وقد أدخل ابن فارس كما تقدم هذا الشاهد في الأصل الأول ، أي : في معنى العد .

١٠–الظن كقوله تعالى:(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ){البقرة : ٢٧٣} (٢)

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٣٦ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص ١٧٩–١٨٠وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٦–٦٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٦ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٣٥–١٣٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٧٠–١٧١ ، ونزهة الأعين ص ١٠١–١٠٢ ومنتخب قرة العيون ص ٩٤–٩٥ .

الجزاء ، والجزاء الكافي ، والعطاء الكثير ، والعذاب ، معان مترادفة ، يجمعها معنى واحد هو الجزاء ، والجزاء ومرادفاته لا تصح أن تكون من أوجه الحساب ؛ لأنَّ الجزاء لا يكون إلّا بعد الحساب ؛ إذ سُمِّي يوم الحساب ؛ لأنَّه يوم فيه يُحسَب على الإنسان حسناته وسيئاته فإن زادت الحسنات على السيئات كان جزاؤه الجنة ، وإلاَّ كان جزاؤه النار ، والعدَّ ، والشهيد على نفسه ، والمحاسبة ، وما لا يحصيه عدٌّ ، معان مترادفة يجمعها معنى واحد هو الحساب بمعنى الذي يعدُّ على نفسه أو على غيره ما عنده من حسنات وسيئات ، وكذلك المنازل كما جاء في الوجه التاسع ، يدخل أيضًا في معنى العد ، كما جاء في مقاييس اللغة ، أمَّا الظن كما جاء في الوجه العاشر ، فهو من الفعل : حسِب يحسَب ، ومصدره حِسبان (بكسر الحاء) ، وليس من الفعل حَسَبَ يحسُبُ ، ومصدره الحِساب أو الحُسبان (بضم الحاء) فهو خارج من أوجه الحِساب ؛ لأنَّه من صيغة أخرى .

وقد استشهد مقاتل لوجه العد بقوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا){الأنعام : ٩٦} واستشهد ابن فارس لهذا الوجه نفسه بقوله تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ){الرحمن : ٥} وقال فيما يتعلق بالأصل الثالث : ((ومن هذا الباب الحُسبان : سهام صغار يُرمى بها عن القسي الفارسية الواحدة حُسبانة ... ومنه قولهم : أصاب الأرض حُسبان ، أي : جراد ، وفُسِّر قوله تعالى : (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء){الكهف : ٤٠} بالبرد)) [١] و((قال النضر بن شميل : الحسبان سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع في القوس ، ثم يرمي بعشرين منها دفعة ، والمعنى :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٠٨ –٢٠٩.

يرسل عليها مرامي من عذابه ، إمَّا برَدًا ، وإمَّا حجارة ، أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب)) [١]

فللحُسبان إذن وجهان : العدُّ ، والعذاب ، وهذان الوجهان لم يتطرق إليهما أصحاب كتب الوجوه وهما كما ترى معنيان متباينان ، وليس بينهما صلة ترادف أو مجاز أو وصف ، ولا غيرها من الصلات التي وجدناها في وجوه الألفاظ السابقة .

فأهل الوجوه تطرقوا إلى الحساب الذي لا أوجه له ، وغفلوا عن الحسبان الذي له الوجهان المذكوران [٢].

٦٥-**الماء** : قال مقاتل : ((تفسير الماء على ثلاثة أوجه :

فوجه منها يعني مطر ٠٠٠

والوجه الثاني : الماء يعني النطفة ٠٠٠

والوجه الثالث الماء يعني القرآن ، فذلك قوله في النحل : (وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ الْسَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ){النحل : ٦٥})) [٣]وأضاف ابن الجوزي وجهين آخرين هما : ما العيون والأنهار ، والمال الكثير .

كيف يصح أن نجعل المطر والنطفة وماء العيون والأنهار أوجهًا للماء ، وهي من جنس الماء ؟! أمَّا جعلهم الماء بمعنى القرآن في الآية التي

---

(١) الوسيط للواحدي ١٤٩/٣ ، وينظر : جامع البيان للطبري ٢٨٧/١٥ .

(٢) وقد تبيّن لي فيما بعد أنّ هذين الوجهين للحسبان تطرّق إليهما الحيري في كتابه : وجوه القرآن ص ١٨٥-١٨٦ .

(٣) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٠-١٨١وباسم الوجوه والنظائر ص٦٧وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١١٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٨ ونزهة الأعين ص ٢٦٤-٢٦٥ .

استشهدوا بها ، فلا يستند إلى شيء ، فمن الواضح أنَّ المراد به المطر ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يعني مطرًا يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عشب ولا نبت))(١) وقد عدتُ إلى تفاسير كثيرة ، فلم أجد أحدًا من المفسرين القدامى أو المحدثين من ذكر أنَّ المراد من الماء في الآية القرآن ؛ أو نقل القول بذلك ؛ بل السياق يقطع بأنَّ المراد هو المطر لا غير ، وإذا كان مقاتل وقع في هذا السهو الكبير فما بال هرون والدامغاني يقعان فيه أيضًا ؟! بل الدامغاني استشهد بآية أخرى وهي قوله تعالى : (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ){الرعد : ١٧} أيصح أن يكون الماء في هذه الآية يعني القرآن؟! لا يقول بذلك إلّا من وقع في تقليد لا مسوغ له ، وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعل الماء في هذه الآية بمعنى القرآن في كتابه النزهة ، لم يعيِّنه في تفسيره بل أجاز ((ثلاثة أقوال : أحدها : أنَّه القرآن٠٠٠والثاني : أنَّه الحق والباطل٠٠٠والثالث : أنَّه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر))(٢)والجدير بالذكر أنَّه عقَّب على القول الأول بقوله ((أراد القرآن ، وهو مثل ضربه الله تعالى ، فكما أن الماء حياة النفوس فالقرآن حياة القلوب ، وهذا الوجه مذكور عن مقاتل بن سليمان ، ويقال : إنَّه انفرد به))(٣) ومع ذلك حتى لو صح مجيء الماء بمعنى المال الكثير ،

---

(١) جامع البيان ١٥٦/١٤ ، وينظر : أنوار التنزيل تفسير البيضاوي ٢٣١/٣.

(٢) زاد المسير ٢٤٦/٤ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٦٥.

والقرآن الكريم ، لما صحَّ جعلهما وجهين له ؛ لأنَّهما ليسا معنيين حقيقيين ، بل يدخلان في باب المجاز.

٦٦-**الكبير** : قال ابن الجوزي : ((الكبير من باب المتضايفات لا حدَّ له في نفسه ، وإنَّما يعرف بالإضافة إلى غيره ، ويقال في الجسم كبير ، إذا كان ضخمًا ، وفي السن إذا كان عاليًا ، وفي النسب إذا كان شريفًا))[١] وذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الكبير جاء في القرآن الكريم على ثمانية أوجه ، هي :

١-الشديد .

٢-الكبير في السن .

٣-الكبير في الرأي والعلم .

٤-الكثير .

٥-العظيم .

٦-الكبرياء يعني الملك والسلطان ، كقوله تعالى : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ){يونس : ٧٨}

٧-كبير يعني ثقل ، كقوله تعالى : (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ){الأنعام : ٣٥}

٨-الطويل [٢]

---

(١) نزهة الأعين ص ٢٤٧.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨١-١٨٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٧-٦٨والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٧-١١٩والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٨٥-٢٨٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٩٤-٢٩٥ ونزهة الأعين ص ٢٤٧ .

هذه الأوجه مع شواهدها التي اتفق عليها أصحاب كتب الوجوه ألفاظ مرادفة للكبير وليست أوجهًا له ، فضلًا عن أنَّ السادس والسابع ليسا من نظائر الكبير ، وكثيرًا ما يأتي مقاتل بأوجه لنظائر مختلفة ، ويوافقه على ذلك من تابعه بدلاً من أن ينبهوا على خروجه عن منهج النظائر ، إنَّه التقليد.

٦٧-**يوزعون** : قال الخليل : ((وَزَعَ : كفَّ النفس عن هواها٠٠٠ والوازع : الحابس للعسكر ، قال عز وجل : (فَهُمْ يُوزَعُونَ){النمل : ١٧} أي : يكف أولهم على آخرهم))[١] ((ويقال : أوزع الله فلانًا الشكر : ألهمه إياه)) [٢]وقال ابن الجوزي : ((الأصل في الوَزَع : الجمع المانع من التفرق))[٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ (يوزعون) ورد في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : يوزعون يعني يساقون كقوله تعالى : (فَهُمْ يُوزَعُونَ){النمل : ١٧}

والوجه الثاني : أوزعني : يعني ألهمني [٤]

لا شك في أنَّ هذين الوجهين معنيان متباينان إلّا أنهما لنظيرين مختلفين ، فالأول من الفعل الثلاثي وزع ، والثاني من الفعل الرباعي أوزع ، فلا وجوه إذن ولا نظائر ؛ فالنظائر ما تطابقت من حيث الصيغة والحركة ،

---

(١) العين ص ١٠٤٧ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٩٥٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٥٤ ، وينظر : لسان العرب ٢٠٣/١٥ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٩٤.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٣-١٨٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٨-٦٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١١٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٨٣ ونزهة الأعين ص ٢٩٤ .

ف(من) مثلًا بكسر الميم هي غير (من) بفتح الميم ؛ فلا يصح أن نجعلهما نظيرًا واحدًا ؛ إذ هي بالكسر حرف جر ، وبالفتح اسم موصول ، والبرُّ يكون على ثلاثة نظائر ، فهو بفتح الباء يعني الفلاة وخلاف البحر ، وبضمها يعني الحنطة ، وبكسرها يعني الصدق والطاعة والخير[(١)] وقد جعل مقاتل نفسه لصيغة البر (بكسر الباء) من دون الفتح والضم ثلاثة أوجه كما سيأتي[(٢)] أي : لم يشرك معها الصيغتين الأخريين .

٦٨-**الفرار** : الفرار : يعني الروغان والهرب ، وأصله من الخفة والسرعة[(٣)] وذكر أهل الوجوه أنَّ الفرار ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه ، هي :

١-الهرب ٢-الكراهية ٣-لا يلتفت إليه ٤-التباعد -٥-التوبة [(٤)]

وهذه الأوجه كما ترى معان مرادفة للفرار وليست أوجهًا له ، وكذلك التوبة إنَّما استنتجت من معناه ؛ لأنَّ من فرَّ إلى الله أو هرب إليه دلَّ على أنَّ المراد الرجوع إلى الله سبحانه بالتوبة ، وهذا ما عبَّر عنه العسكري عندما استشهد للتوبة بقوله تعالى : (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ){الذاريات : ٥٠} بقوله : ((أي : توبوا إليه ولا تعدلوا عن سبيله ، وإنَّما

---

(١) ينظر : لسان العرب ٢/٥٨-٦٠ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر ص ٣١٠-٣١١ ، وباسم الوجوه والنظائر ١٤٦-١٤٧ رقم ١٦٤ .

(٣) ينظر : العين ص ٧٣٤ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٠ ، ولسان العرب ١١/١٥٠.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٩والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٠والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٩-٣٧٠ ونزهة الأعين ص ٢١٦ .

عبَّر عن هذا المعنى بالفرار ؛ لأنَّ من يفر إلى الإسلام لا يعرج إلى غيره))[١]

٦٩-**جعلوا** : قال الراغب : ((جعل : يتصرَّف على خمسة أوجه : الأول : مجرى صار وطفق٠٠٠ والثاني مجرى أوجد٠٠٠والثالث : في إيجاد شيء مكان شيء ٠٠٠ والرابع في تصيير الشيء على حالة دون حالة ٠٠٠ والخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقًّا كان أو باطلاً)) [٢]

وجاء في اللسان : ((جعلَ الشيء : وصفه ٠٠٠وجعله : صنعه٠٠٠وجعله : صيَّره ٠٠٠وجعلتُ متاعك بعضه فوق بعض : ألقيته٠٠٠وجعل البصرة بغداد : ظنها٠٠٠وجعل يفعل كذا : أقبل وأخذ ٠٠٠وجعلتُ زيدًا أخاك : نسبته إليك ، وجعل : عمل وهيَّأ ، وجعل : خلق ، وجعل : قال ٠٠٠قد جعلتُ زيدًا أعلم الناس ، أي : وصفته ، وجعلوا ٠٠٠سموا)) [٣] ويكون جعل بمعنى بيَّن ، واعتقد ، وبدَّل[٤]

واشتمال (جَعَلَ) على هذه المعاني ، جاء لأنَّها كما قال الراغب : ((لفظ عام في الأفعال كلها ، وهو أعم من (فعل) و(صنع) وسائر أخواتها)) [٥]

وكل هذه المعاني ليس واحد منها يعني (جعل) بعينه ؛ لأنَّ ما يذكره أهل اللغة من ألفاظ مرادفة للفظ المراد تعريفه ، لا تكون البتة مطابقة له في المعنى ، وإنما تكون قريبة من معناه ، وهذه حقيقة أدركها أهل اللغة أنفسهم

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٦٠ .

(٢) المفردات ص ٩٩ .

(٣) ١٥٥٨/٣-١٥٩ .

(٤) ينظر : تاج العروس ١٢٠/٢٨ ،

(٥) ص ٩٩.

، وإن لم يكونوا يصرحون بها دائمًا ، فقد قال الخليل مثلًا : ((جَعَلَ جَعْلاً : صَنَعَ صَنْعًا ، وجَعَلَ أعم من صَنَعَ ؛ لأنَّك تقول : جعل يأكل ، وجعل يصنع ، ولا تقول : صنع يأكل))[1] فالخليل حين ذكر أنَّ (جعل) بمعنى (صنع) رجع فاستدرك أنَّ بينهما فرقًا في الدلالة ، أوضحه بضرب الأمثلة ، لأنَّه لم يستطع أن يوضحه بلفظ مرادف آخر غير صنع ؛ مما يدل على أنَّه ليس في اللغة ، ولا سيما في لغة القرآن الكريم لفظ يطابق معنى لفظ آخر إلّا اللفظ نفسه .

وكذلك الحال نفسه فيما يتعلق بما يذكره أهل الوجوه ، فقد ذكر مقاتل وهرون والدامغاني أنَّ (جعل) جاء في القرآن الكريم على وجهين هما :

جعل بمعنى وصف ، وجعل بمعنى فعل[2]وجعله العسكري ستة أوجه ، هي : الوصف ، والتسمية ، والحكم ، والخلق ، والتخلية ، ومنع الإلطاف[3] وذكر ابن الجوزي أنَّ الجعل المضاف إلى الله تعالى يكون على وجهين : الخلق ، والتصيير[4]

وكذلك هذه الأوجه ليس واحد منها يعني (جعل) بعينه ، بل هي ألفاظ مرادفة له ، بمعنى أنَّه لا بد من أن يكون ثمة فرق في الدلالة بينها وبين جعل ، فقد تقدم أنَّ الوجه الثاني من وجهي جعل عند مقاتل وهرون والدامغاني ، هو معنى فعل ، وقد قال العسكري أنَّ بينهما فرقًا هو : ((أنَّ

---

(١) العين ص ١٤٥ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٤–١٨٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ٦٩–٧٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٧ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١١٣–١١٤ .

(٤) نزهة الأعين ص ٩٠–٩١.

جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه كجعلك الطين خزفًا ، وفعل الشيء إحداثه لا غير)) [1]

وقد وجدتُ أهل الوجوه يتكلفون أحيانًا في التأويل من أجل أن يختلقوا الوجه اختلاقًا ، فقد استشهد العسكري لمعنى التخلية بقوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء){الأنعام : ١٢٥} وقال : ((أي : يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر)) [2] وهذا خلاف التفسير الصحيح ، فالله سبحانه في هذه الآية بيَّن لنا أنَّ الإنسان يضيق صدره معنويًّا عند ابتعاده عن هدى الله ، وشبَّه هذا الضيق بالضيق الذي يصيب الإنسان في صدره ونفسه حين يصعد إلى السماء ، وقد اكتشف حديثًا أنَّ هذا الضيق ناجم من أنَّ نسبة الأوكسجين والضغط الجوي يقلان كلما ارتفعنا إلى أعالي الجو ، فلا يخفى إذن أنَّ العسكري تكلف في تأويل الآية من أجل اختلاق الوجه الذي ذكره .

وكذلك فَعَلَ في الوجه الذي جعله بمعنى منع الإلطاف ، فقد استشهد له بقوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا){الإسراء : ٤٥} وقال : ((أي : تمنعه ألطافنا فيعرض عن القرآن ، ولا ينتفع به)) [3] وهذا التأويل إن صح فهو تأويل لما تدل عليه الآية بصفة عامة ، والمتعلق بدلالة قوله تعالى : (حِجَابًا مَّسْتُورًا) لا بقوله تعالى : (جَعَلْنَا)

٧٠–**السبيل** : قال ابن فارس : ((السين والباء واللام : أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى أسفل ، وعلى امتداد شيء٠٠٠والسبيل

(١) الوجوه والنظائر ص ١١٢ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ١١٣ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١١٣ .

هو الطريق ، سُمِّي بذلك لامتداده))[١] وقال ابن الجوزي : ((السبيل في اللغة : الطريق ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ السبيل ورد في القرآن الكريم على أربعة عشر وجهًا ، هي : سبيل الله ، والبلاغ ، والمخرج ، والمسلك ، والعلل ، والدين ، والهدى ، والحجة ، والطريق ، وطريق الهدى ، والملة ، والعدوان ، والإثم ، والطاعة[٣]

تقدم من تعريف السبيل أنَّه يعني الطريق ، ويراد به الموصل إلى الأمر المنشود خيرًا كان أم شرًّا ، وهذه الأوجه منها ما هو ألفاظ مرادفة للسبيل ، وهي : سبيل الله ، والبلاغ ، والمخرج ، والمسلك ، والطريق ، وطريق الهدى ، ومنها ما هو مشبَّه بالسبيل ، وهي : العلل ، والدين ، والهدى ، والحجة ، والملة ، ومنها ما يؤدي إليه السبيل ، وهي : العدوان ، والإثم ، والطاعة ، فأهل الوجوه اختلقوا هذه الوجوه بثلاث طرق : الترادف ، والاستعارة والتشبيه ، وتسمية السبيل بما ينتهي إليه

٧١-**الطعام** : قال الخليل : ((الطعام : اسم جامع لكل ما يؤكل ٠٠٠وكل ما يسد جوعًا فهو طعام)) [٤] وقال ابن فارس : ((والطعام هو المأكول)) [٥]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٢٨.

(٢) نزهة الأعين ص ١٦٣ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٥-١٨٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٠-٧١والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢١والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٨٧-١٨٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٩-٢٦١ ونزهة الأعين ص ١٦٣-١٦٤ .

(٤) العين ص ٥٧٠ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٥٣٢ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ الطعام جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي :

١-الذي يأكله الناس .

٢- الدبائح .

٣-مليح السمك .

٤-الشرب : قال مقاتل : ((والوجه الرابع : طعموا يعني شربوا٠٠٠ كقوله تعالى : (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي){البقرة : ٢٤٩} يعني : ومن لم يشربه فإنَّه مني)) [١]

أليست الأوجه الثلاثة الأولى مما يؤكل؟! أو ليست تعني الطعام بعينه؟!

وما قاله مقاتل في الوجه الرابع ، قال به هرون والدامغاني والعسكري وابن الجوزي ، على الرغم من أنَّه خلاف ما جاء في اللغة والتفسير ، قال الخليل : ((طَعْمُ كل شيء : ذوقه)) [٢] وقال ابن فارس : ((الطاء والعين والميم ، أصل مطرد منقاس في تذوق الشيء ٠٠٠والإطعام يقع في كل ما يُطْعَم حتى الماء ، قال الله تعالى : (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي){البقرة : ٢٤٩} وقال عليه الصلاة والسلام في زمزم : إنَّها طعام طُعْمٍ وشِفاء سُقْمٍ ، وعيب خالد بن عبد الله القسري ، بقوله : أطعموني ماءً ، وقال بعضهم في عيبه بذلك شعرًا ، وذلك عندنا ليس بعيب لما ذكرناه٠٠٠والتطعم : التذوق

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٨-١٨٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٧١-٧٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٣والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٢٢-٢٢٤والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٢-٣٢٣ ، ونزهة الأعين ص ١٨٩ ومنتخب قرة العيون ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) العين ص ٥٧٠ .

يقال : تَطَعَّمْ تَطْعَمْ ، أي : ذق الطعام تشتههْ وتأكلْهُ)) [١] وقال العسكري : ((دلَّ على أنَّ الشرب من النهر الكرع فيه ، وهو أن يضع شفته عليه فيشرب منه ، ومن اغترف بيده فليس بشارب من النهر ، وهو يدل على صحة قول أبي حنيفة فيمن قال : إن شربتَ من الفرات فعبدي حرٌّ ، أنَّه على الكرع ، وإذا شرب بيده ، أو بإناء فلم يحنث)) [٢]

فليس المراد إذن من قوله تعالى : (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ) ومن لم يشربه ، بل : ومن لم يذقه ، واستنادًا إلى ما ذكره أهل اللغة جاء تفسير الآية ، قال الطبري : ((ومعنى قوله (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ) لم يذقه ، يعني : ومن لم يذق ماء ذلك النهر فهو مني)) [٣]

والذي أوقع مقاتل في هذا الوهم ظنه أنَّ سياق الآية هو : نهاهم عن الشيء ففعلوه ، أي : نهاهم عن الشرب من ماء النهر فشربوا منه ، وليس الأمر كذلك بل السياق يعني : أنَّهم نهاهم عن أدني الشيء ففعلوا أكبره ، أي : نهاهم عن تذوق ماء النهر ، فشربوا منه ، وهو الوهم نفسه الذي وقع فيه من قبل في قوله تعالى : (هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الأعراف : ٧٣} عندما فسر المس بالعقر ، فرأى أنَّ المعنى : نهاهم عن عقر الناقة فعقروها ، وإنَّما المعنى : نهاهم عن مسها بأدني سوء كان ، فارتكبوا أشنعه ، وهو أنَّهم عقروها ، والغرض من هذا التعبير كان لبيان أنَّ العقاب الذي حل بهم يستحقونه ، ولا لبس فيه ولا حيف .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٣٢ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) جامع البيان ٧٣٩/٢ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٢/١ ، والوسيط للواحدي ٣٥٩/١ ، وروح المعاني للآلوسي ٥٦١/١ .

فإذا وقع مقاتل في هذا الوهم في تفسير الوجه الرابع ، فما بال أصحاب الوجوه من بعده يقعون في الوهم نفسه؟! ، أليس مرَدُّ ذلك هو التقليد؟!

٧٢–**في** : قال ابن الجوزي : ((في : حرف موضوع في الأصل للظرفية ، تقول : زيد في الدار ، وقد يستعار في مواضع تدل عليها القرينة ، قال أبو زكريا : وقولهم : زيد في العلم ، وعمرو في الشغل ، مستعار غير حقيقة ، وقد يتسع فيها حتى يقال : في يد فلان ضيعة نفيسة ، ومن المحال أن تكون يده وعاء لما هو أكثر منها ، ولكن هذا اتساع كأنَّه بشدة تمكنه من الضيعة ، وقوة تصرفه فيها بمنزلة الشيء الذي في يده ، وهذا كله اتساع في الكلام ،وقد كثر فيه وأنس به))(١)

وذكر أصحاب كتب الوجوه ومن تابعهم أنَّ (في) في القرآن الكريم جاءت على وجوه كثيرة أشهرها :

١–بمعناها .

٢– بمعنى نحو .

٣– بمعنى إلى .

٤–بمعنى عن .

٥–بمعنى مِن .

٦–بمعنى عند .

٧–بمعنى مع كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ){العنكبوت : ٩} يعني مع الصالحين في الجنة .

---

(١) نزهة الأعين ص ٢٢٢.

٨-بمعنى على كقوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} أي : على جذوع النخل .

٩-بمعنى اللام كقوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ){الحج : ٧٨} يعني وجاهدوا لله .

١٠-بمعنى الباء

١١-للتعليل كقوله تعالى : (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ){النور : ١٤}

وفي الحديث : أنَّ امرأة دخلت النار في هرَّة حبستها[١]

الادعاء بمجيء في للتعليل كما جاء في الوجه الأخير ، جاء من إسقاط دلالة السياق عليها ، قال الزمخشري : ((والمعنى : لولا أني قضيتُ أن أتفضل عليكم في الدنيا٠٠٠لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه)) [٢] ف(في) في الآية لم تستعمل للتعليل ، وإنَّما هي على بابها للوعاء والظرفية ، ولكن لوقوعها في هذا السياق التعليلي أوهم أهل اللغة والتفسير أنَّها جاءت لمعنى التعليل ، والدليل على ذلك أنَّه لو استُعملتْ أحرف غيرها لحصل الوهم نفسه ، ولاختلقوا هذا المعنى لـ(مِن) لو قيل : مِمَّا أفضتم ، وللباء لو

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٩-١٩١وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٢-٧٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٤-١٢٥والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٠-٢٦٢والأزهية للهروي ص ٢٧٧-٢٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٢-٣٦٣، ونزهة الأعين ص ٢٢٢-٢٢٣ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٩٠-١٩٢ ورصف المياني للمالقي ص ٤٥٠-٤٥٤ والجنى الداني للمرادي ص ٢٥٠-٢٥٢ ومغني البيب لابن هشام ص ١٦٨-١٧٠ والبرهان في علوم القررآن للزركشي ص ٨٥٤-٨٥٥ ، والكليات للكفوي ص ٥٧٢-٥٧٣ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٥٤-٢٥٥ والحديث : دخلت امرأة النار في هرة رواه البخاري ينظر صحيح البخاري ص ٨٤٥ رقم الحديث ٣٣١٨ .

(٢) الكشاف ٢١٣/٣ .

قيل : بما أفضتم ، ولللام لو قيل : لِما أفضتم ، ولـ(على) لو قيل : على ما أفضتم ، وقد فسَّرها الزمخشري بهذا المعنى ، وكذلك حال (في) في قوله صلى الله عليه وسلم : دخلت امرأة النار في هِرَّةٍ حبستها ، فلو استعمل اللام لكان المعنى : من أجل هرة ، ولو استعمل الباء لأفاد إلصاق العلة بالهرة ، ولو استعمل على لأفاد تسليط العلة عليها ، ولو استعمل (مِن) لأفاد أنَّ علة دخولها النار ابتدأت منها ، ولكن لمَّا أراد الإخبار بأنَّ علة دخولها النار كانت كامنة في الهرة ، ومتمكنة فيها استعمل (في) لأنَّها أقوى الحروف وأقربها للتعبير عن هذا المعنى المراد ؛ لكونها تفيد معنى الدخول في الشيء .

فلكل حرف في اللغة معناه المستقل عن غيره ، والقرآن الكريم ما عبَّر عن المعاني إلّا بألفاظها الخاصة بها ، فلو أراد معنى اللام كما جاء في الوجه التاسع في قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لاستعمل اللام وقال : وجاهدوا لله ، كما استعملها في قوله تعالى : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ){العنكبوت : ٦} ولو أراد معنى المعية كما جاء في الوجه السابع في قوله تعالى : (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) لاستعمل مع وقال : لندخلنهم مع الصالحين ، كما استعملها في قوله تعالى : (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ){يوسف : ٣٦} ولأنَّ القرآن ما عبَّر عن المعانى إلّا بألفاظها ، فقد يجمع بينها في التركيب نفسه كقوله تعالى : (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ){النمل : ١٩} فـ(في) تفيد معنى الدخول في الشيء ، والباء تفيد معنى الواسطة والسببية ، وهذا المعنى يلزم منه الإلصاق بما اتخذ وسيلة للدخول في عباد الله الصالحين ، وهذا يدل على أنَّ مرتبة الصالحين أعلى من مرتبة المرحومين .

فلقد طال ما نوَّهتُ على أنَّ الحرف لم يستعمل في القرآن الكريم إلّا لمعناه الموضوع له ، ولم يؤتَ به إلّا للحاجة إلى دلالته للتعبير به عن

المعنى المراد ، والذي مكَّن أصحاب كتب الوجوه ، وأصحاب كتب حروف المعاني ، من اختلاق الأوجه والمعاني للحروف ، هو أنَّه كثيرًا ما يجوز أن يُستبدل بعضها ببعض في التركيب من دون أن يختل معناه ، أي : اتبعوا طريقة ذكر ما أفاد من الأوجه والمعاني وإن خالف المعنى المراد ، وهذه حقيقة نبَّه عليها الزجاج ، فقد قال فيما يتعلق بجعل إلى بمعنى مع في قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ){آل عمران : ٥٢} : ((جاء في التفسير : مَن أنصاري مع الله ، و(إلى) ههنا قاربت (مع) معنًى ، بأن صار اللفظ لو عُبِّر عنه بـ(مع) أفاد مثل هذا المعنى ، لا أنَّ (إلى) في معنى (مع) لو قلتَ : ذهب زيد إلى عمرو ، لم يجز: ذهب زيد مع عمرو ؛ لأنَّ (إلى) غاية و(مع) تضم الشيء إلى الشيء ، فالمعنى يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله ، وقولهم : إنَّ (إلى) في معنى (مع) ليس بشيء ، والحروف قد تقاربت في الفائدة ، فيُظنُّ الضعيف في اللغة أنَّ معناهما واحد)) (١)

وهذا الذي حصل ، فلأنَّ (في) والحروف التي عدوها من وجوهها أو معانيها تقاربت في الفائدة ظنوا أنها جاءت بمعناها .

فـ(في) لم ترد في القرآن الكريم إلّا بدلالتها ، ولم يكن لها في كل مواضعها غير وجه واحد ، ولم ترد بمعنى حرف آخر في كتاب الله ؛ ليكون لها وجوه ، كما زعم أصحاب الوجوه وغيرهم ، قال المالقي : ((اعلم أنَّ (في) حرف جر لما بعده ، ومعناها الوعاء ، حقيقة أو مجازًا ، فالحقيقة نحو :٠٠٠قوله تعالى : (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ){البقرة : ٣٩} والمجاز كقولك : دخلتُ في الامر ، وتكلمتُ في شأن حاجتك ، ومنه قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً){البقرة : ٢٠٨} وقوله تعالى : (وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ){الأنفال : ٤٣} فهذا حقيقة أمرها ، ثم تجيء

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

بمعنى حروف أُخر ، إذا حُقِّقَت رجع معناها إليها ، كما ذُكِر في غير موضع من هذا الكتاب ، فمن ذلك مجيئها بمعنى (إلى) كقولك : رددتُ يدي في فيَّ قال الله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩} أي : إلى أفواههم ؛ لأنَّ ردَّ يتعدَّى بـ(إلى)٠٠٠لكن إذا تحققت هذا فالمعنى : أنَّهم إذا ردوا أيديهم إلى أفواههم ، فقد أدخلوها فيها ، ومن ذلك مجيئها بمعنى (على) ٠٠٠كقوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} ٠٠٠وقالوا : أدخلتُ الخاتم في إصبعي ، قال بعضهم : المعنى في ذلك كله (على) وكل هذه المواضع إذا تأمَّلتها وجدتَ فيها معنى (في) الذي هو الوعاء ، الا ترى أنَّ معنى في جذوع النخل الوعاء ، وإن كان فيها العلو ؛ فالجذع وعاء للمصلوب ؛ لأنَّه لا بد من الحلول في جزء منه ، ولا يلزم في الوعاء أن يكون خاويًا من كل جهة ، ألا ترى أنَّ قوله تعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا){الملك : ١٥} يعني الأرض إنَّها لا تحوي الماشين ، وإنَّما يحلون في جزء منها٠٠٠وأمَّا قولهم : أدخلتُ الخاتم في إصبعي ، فهو من المقلوب ؛ لأنَّ المراد : أدخلتُ إصبعي في الخاتم ، فـ(في) باقية على موضوعها من الوعاء ، والقلب في كلام العرب على معنى المجاز كثير ، كقولهم فيما نحن بسبيله : أدخلتُ القلنسوة في رأسي ، أي : رأسي في القلنسوة٠٠٠ومن ذلك مجيئها بمعنى الباء ٠٠٠ومن ذلك مجيئها بمعنى .(مِن) ٠٠٠ومن ذلك مجيئها بمعنى (مع) ٠٠٠وكل ما يرد عليك من وضعها مكان غيرها ، فإلى معناها يرجع ، فتأمله تجده إن شاء الله)) (١) وهذا ((مذهب سيبويه والمحققين من أهل البصرة أنَّ (في) لا تكون إلّا للظرفية حقيقة أو مجازًا، وما أوهم خلاف ذلك رُدَّ بالتأويل إليه)) (٢)

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ٤٥٠-٤٥٤.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص ٢٥٢-٢٥٣ .

وبعد الذي تقدم ذكره أقول : إنَّ في الادعاء بأنَّ (في) جاءت بمعاني الحروف التي ذكرها أصحاب الوجوه مآخذ أجملها فيما يأتي :

١-القول بأنَّ (في) جاءت في القرآن الكريم بمعاني الحروف التي ذكرها أصحاب الوجوه ، يعني أنَّ القرأن الكريم عبَّر عن هذه الحروف بغير الحروف الدالِّة عليها بالأصالة ، بل بما ناب عنها .

٢-القول بأنَّ (في) جاءت بمعاني هذه الحروف يعني إبعادها عن دلالتها الذي هو الوعاء والظرفية ، والقرآن الكريم ما استعمل (في) إلّا لإرادة هذه الدلالة فيها التي لا تفارقها في كل أحوالها ، وهم يذهبون إلى أنَّه أراد منها المعاني التي ذكروها .

٣- هذا الذي ذهب إليه أهل الوجوه ومن تابعهم أدَّى إلى الظن بتساوي دلالة (في) ودلالات الوجوه المذكورة ؛ مما جعلهم وأهل اللغة والتفسير يعزفون عن ذكر الفرق بين دلالة (في) ودلالات الوجوه التي نُسَبتْ إليها ، بل لم يشيروا البتة إلى سر استعمال (في) من دونها ، وسر إعجاز القرآن قائم على مثل هذه القضايا التعبيرية .

أوجه الحرف والتضمين :

يزعم أهل اللغة أنَّ حروف المعاني تجيء بعضها بمعى بعض ، وقد جعل ابن قتيبة لهذا الموضوع بابًا سماه : ((باب دخول حروف الصفات مكان بعض)) (١) وقال الهروي : ((باب دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض ، اعلم أنَّ حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض ، قد جاء ذلك في القرآن وفي الشعر)) (٢) وجعل حرف بمعاني أحرف أُخَر ، هو مما يدخله النحاة في باب تناوب الحروف بصفة حاصة ، أو في باب التضمين

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٨ .

(٢) الأزهية ص ٢٧٧ .

بصفة عامة ، وقد تناولتُ هذه القضية مفصلة في كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، وقد كان جَعْلُ في بمعنى على في قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} أحد شواهد التضمين التي درستها في هذه الكتاب : وإليك نص ما قلته هناك : ((قال مقاتل ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والمبرد : ((أي : على جذوع النخل))[1]وقال الهروي : (باب دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض ، اعلم أنَّ حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض ، قد جاء ذلك في القرآن الكريم والشعر ، فمنها (في) ، ولها ستة مواضع ، تكون مكان (على) ، كما قال الله عز وجل : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[2] وقال المرادي : ((في : حرف جر ، وله تسعة معان٠٠٠٠الخامس : أن تكون بمعنى (على) نحو قوله تعالى : ((وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[3] وقال ابن هشام : ((في : حرف جر ، له عشرة معان ٠٠٠ الرابع : الاستعلاء ، نحو قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[4]

هذا الذي قيل من لدن أساطين اللغة والنحو عن تضمين(في) ، معنى (على) ، لم يثبت عند التحقيق لدى آخرين ، قال الزجاج : ((معناه : على جذوع النخل ، ولكنَّه جاز أن تقع (في) ، ههنا ؛ لأنَّه في الجذع على

---

(١) تفسير مقاتل ، تفسير الآية ٣٨ من سورة الطور ٢٨٦/٣ ، والوجوه والنظائر له ص ٧٢ ، ومجاز القرآن ص١٨١ ، وتفسير غريب القرآن ص ٢٩٨ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٩٨ والمقتضب تحقيق هرون ٣١٩/٢-٣٢٠ ، وتحقيق بديع ٥٨٥/١-٥٨٧ .

(٢) الأزهية في علم الحروف ص ٢٧٧ .

(٣) الجنى الداني ص ٢٥١ .

(٤) مغني اللبيب ١٦٨/١ .

جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه، فقد صار فيه))[١] ومثل هذا قال التبريزي[٢] وقال ابن فارس : ((وكان بعضهم يقول : إنَّما قال : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) لأنَّ الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ؛ فلذلك جاز أن يقال فيه هذا ، وأنشدوا :

هُمُ صلبوا العبْدِيَّ في جذع نخلة   فلا عطستْ شيبان إلّا بأجْدَعا)) [٣]

والأجدع : السجين أو الأقطع أو الشيطان ، وقال الزمخشري : ((شبَّه تمكُّن المصلوب في الجذع تمكُّن الشيء الموعى في وعائه ؛ فلذلك قيل : في جذوع النخل)) [٤] وقال ابن عطية : ((اتساع من حيث هو مربوط في الجذع ، وليست على حد قولك : ركبتُ على الفرس)) [٥] وقال العكبري : ((في : هنا على بابها ؛ لأنَّ الجذع مكان للمصلوب ، ومحتو عليه))[٦] وقال المالقي : ((ومن ذلك مجيئها بمعنى(على) ، ... ومنه قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) وكل هذه المواضع لو تأولتها وجدتَ فيها معنى : (في) الذي هو الوعاء ، ألا ترى أنَّ معنى : (فِي جُذُوعِ النَّخْل) الوعاء ، وإن كان فيها العلو ، فالجذع وعاء للمصلوب ؛ لأنَّه لا بد من الحلول في جزء منه ، ولا يلزم في الوعاء أن يكون خاويًا من كل جهة ، ألا ترى أنَّ قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا){الملك : ١٥} يعني الأرض ، إنَّها لا تحوي الماشي ، وإنَّما يحلون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ .

(٢) ينظر : ملخص إعراب القرآن ص ٢٧١ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ١١٤.

(٤) الكشاف ٧٤/٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٥٣/٤ .

(٦) التبيان في إعراب الفرآن ١٨٨/٢ .

في جزء منها)) [(١)] وقال أبو حيان : ((وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ، ولمَّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب ، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عُدِّي الفعل بـ (في) التي للوعاء ، وقيل (في) ، بمعنى (على) ، وقيل : نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله ، فصار ظرفًا لهم ، حتى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا)) [(٢)]

فـ(في) إذن في قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) جاءت على بابها ؛ تعبيرًا عن شدة الغضب التي اعترتْ فرعون ، وشدة وعيده بسحرته الذين آمنوا بموسى ، عليه السلام ، بأنَّه سيصلبهم في جذوع النخل ، لا على جذوع النخل ، فهو أشد تنكيلاً ، وأشفى لغليله))[(٣)] فقد ((آثر كلمة (في) للدلالة على استقرارهم كاستقرار المظروف في الظرف)) [(٤)]

٧٣-مِن : قال مقاتل : ((تفسير (مِن) على أربعة وجوه :

فوجه منها صلة ، (والصلة مصطلح كوفي يعنون بها الزائدة) فذلك قوله في سورة نوح : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){نوح : ٤} فإنَّ (مِن) ها هنا صلة يقول : يغفر لكم ذنوبكم جميعًا ...وقال في النور : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ){النور : ٣٠} و(مِن) ها هنا صلة ، يقول : يغضوا أبصارهم جميعًا عن المعاصي ، وكذلك قال : (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ){النور : ٣١} و(مِن) ها هنا صلة ...

---

(١) رصف المباني ص ٤٥١-٤٥٢ .

(٢) البحر المحيط ٢٢٣/٦ .

(٣) النصب على نزع الخافض والتضمين ص ١٠٩-١١١ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٤٦٥/٣.

والوجه الثاني : من أمره ، يعني بأمره٠٠٠وكقوله في الرعد : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ){الرعد : ١١} يعني بأمر الله٠٠٠

والوجه الثالث : (مِن) يعني (في)٠٠٠

والوجه الرابع : (مِن) يعني على ، فذلك قوله في الأنبياء : (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا){الأنبياء : ٧٧}))[١]

وأضاف ابن الجوزي ألى هذه الأوجه ثلاثة أوجه أُخَر هي :

((والخامس : بمعنى التبعيض ، ومنه في البقرة : (أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ){البقرة : ٢٦٧}٠٠

والسادس بمعنى (عن) ٠٠٠

والسابع : لبيان الجنس)) [٢]

وقد ذكر أصحاب كتب حروف المعاني هذه المعاني وغيرها التي من بينها : ابتداء الغاية وانتهاؤها ، والفصل ، والعموم ، وتوكيد العموم ، والزيادة ، والمصاحبة ، ومعنى (في) ومعنى (على) أو الاستعلاء ، والتعليل ، ومرادفة ربما ، ومرادفة عند[٣]، والمعاني التي ذكرها الفريقان يمكن جعلها على قسمين : معان مجردة ، وألفاظ ، والنحاة يعبرون أحيانًا عن المعنى من

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٩١-١٩٢وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٣-٧٤ وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٥-١٢٦والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠٢-٣٠٤والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٦-٤١٧ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٧٨-٢٧٩ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٢٢٤-٢٢٥ .

(٣) ينظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٢ والأزهية ص ٢٣٢-٢٣٩ ، ورصف المباني ٣٣٩-٣٨٨ ، والجنى الداني ص ٣٠٨-٣١٤ ، ومغني اللبيب ٣١٨/١-٣٢٧ .

دون لفظه أو بلفظه ، كالاستعلاء ولفظه (على) فمرة يذكرون هذا المعنى ويريدون لفظه أيضًا ، ومرة يذكرون لفظه ويريدون معه معناه ، فوجوه (مِن) إذا ذُكرت بمعانيها ، فهي ليست معاني (مِن) وإنَّما هي معاني السياقات المختلفة التي وردت فيها ، وإذا ذُكِرَتْ بألفاظها فهي ألفاظ ضُمِّنتْ معناها ، وما أدراك ما التضمين؟! فقد تبيَّن أنَّه مطية العجزة ، وقد بيَّنتُ أنَّ من طرق اختلاق الأوجه والمعاني للحرف إسقاط معنى السياق عليه ، أمَّا الأوجه المعبرة عنها بألفاظها كالباء و(في) و(على) و(عن) فقد تجيء في تراكيب ، وقد تقاربت مع (مِن) في الفائدة ، فيظن الضعيف في اللغة أنَّها بمعناها وهي ليست بمعناها كما قال الزجاج ، بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى ، ، بمعنى أنَّه لا بد من أن يكون فرق في الدلالة بين (مِن) ومعاني هذه الأحرف ، من ذلك مثلًا أنَّ أصحاب الوجوه كما تقدم ، ومن تبعهم استشهدوا جميعًا بقوله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ){الرعد : ١١} على أنَّ (مِن) فيها بمعنى الباء والتقدير : يحفظونه بأمر الله [(١)] والحقيقة أنَّ (مِن) في هذا الموضع باقية على معناها .

قال الفراء : ((والمعقبات من أمر الله عز وجل يحفظونه ، وليس يحفظ من أمره ، إنَّما هو تقديم وتأخير ، والله أعلم ، ويكون ويحفظونه ذلك الحفظ من الله وبأمره وبإذنه عز وجل)) [(٢)] والتقدير عنده : له معقبات من أمر الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ، وقال أبو عبيدة ((أي : بأمر الله

---

(١) ينظر : المقتضب للمبرد تحقيق هرون ٣١٩/٢-٣٢٠ ، وتحقيق بديع ٥٨٥/١-٥٨٧ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢٩٣، والكليات للكفوي ص ٧٠٢ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٩٠٤.

(٢) معاني القرآن ٣٦٩/١ .

يحفظونه من أمره))[1]وجاء في جامع البيان للطبري : ((مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله ٠٠٠ ملائكة يحفظونه من بين يديه وخلفه ، فإذا جاء قدره خلوا عنه ٠٠٠ بل عنى بالمعقبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير٠٠٠المواكب من بين يديه ومن خلفه ٠٠٠هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك ٠٠٠وأنَّ المعقبات من بين يديه ومن خلفه ، هي حرسه وجلاوزته٠٠٠ثم أخبر أنَّ الله ، تعالى ذكره ، إذا أراد بقوم سوءًا لم ينفعهم حرسهم ، ٠٠٠وقوله : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم في تأويل قوله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هي الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضًا الملائكة ، ومن قال : المعقبات هي الحرس والجلاوزة من بني آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس ، واختلفوا أيضًا في معنى قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) فقال بعضهم : حفظهم إياه من أمره ، وقال بعضهم : يحفظونه من أمر الله بأمر الله٠٠٠فالمعقبات هي من أمر الله ، وهي الملائكة٠٠٠يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمري ، فإني إذا أردتُ بقوم سوءًا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال ، وقال آخرون : معنى ذلك يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله الجن ، ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خلوا بينه وبينه٠٠٠عن مجاهد أنَّه قال : ما من عبد إلّا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلاَّ قال : وراءك ، إلاَّ شيئًا بإذن الله فيصيبه٠٠٠عن كعب الأحبار قال : لو تجلَّى لابن آدم كل سهل وحزْن ، لرأى على كل شيء من ذلك شياطين ، لولا أنَّ

---

(١) مجاز القرآن ص ١٢٥ .

الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لَتُخُطِّفْتُم)) [١]

وقال الزجاج : ((المعنى : حفظهم إياه من أمر الله ، أي : مما أمرهم الله تعالى به لا أنَّهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله))[٢] وقال الزمخشري : ((وليس (من أمر الله) بصلة للحفظ ، كأنَّه قيل له معقبات من أمر الله ، أو يحفظونه من أجل أمر الله ، أي : من أجل أنَّ الله أمرهم بحفظه ٠٠٠أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب ، وقيل : المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله ، أي : من قضاياه ونوازله ، أو على التهكم به)) [٣]

وقال ابن عطية ؛ (((يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) يحتمل أن يكون صفة لـ(مُعَقِّبَاتٌ) ، ويحتمل أن يكون المعنى : يحفظونه من كل ما جرى القدر باندفاعه ، فإذا جاء المقدور الواقع أسلم المرء إليه)) [٤]

وابن الجوزي الذي عيَّن جعل (مِن) بمعنى الباء في النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) [٥] تقليدًا لمقاتل في الأشباه قال في تفسيره : ((وفي قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) سبعة أقوال :

أحدها : يحرسونه من أمر الله .

---

(١) جامع البيان ١٣/١٣٩-١٤٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٥ .

(٣) الكشاف ٢/٤٩٧-٤٩٨ .

(٤) المحرر الوجيز ٣/٣٠١ .

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢٢٤.

والثاني : حفظهم له من أمر الله٠٠٠فيكون التقدير : هذا الحفظ مما أمرهم الله به .

والثالث : يحفظونه بأمر الله ٠٠٠قال اللغويون : والباء تقوم مقام (مِن) .

والرابع : يحفظونه من الجن .

والخامس : أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، والمعنى : له معقبات من أمر الله يحفظونه.

والسادس . يحفظونه لأمر الله فيه ، حتى يسلموه إلى ما قدر له ٠٠٠وروى عكرمة عن ابن عباس أنَّه قال : يحفظونه من أمر الله ، حتى إذا جاء القدر خلوا عنه .

والسابع : يحفظون عليه الحسنات والسيئات)) (١)

وقال القرطبي : ((في تأويل (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) وجهان : أحدهما : يحفظونه من الموت ما لم يأت أجل ، قاله الضحاك ، الثاني : يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر قاله أبو أمامة وكعب الأحبار ، فإذا جاء المقدور خلوا عنه)) (٢)

فقول من قال بأنَّ (مِن) جاءت بمعنى الباء تحريف للغة وللتفسير، وهو قول من لم يتحقق من قوله ، ولم يمعن النظر في تفسير الآية ودراستها ؛ فـ(مِن) باقية على معناها ؛ لأنَّه سبحانه لو أراد معنى الباء لجاء بلفظها وقال : بأمر الله .

وكذلك الوجه الرابع الذي جعلوا (مِن) فيه بمعني (على) ، في قوله تعالى في الأنبياء : (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا){الأنبياء : ٧٧}

---

(١) زادالمسير ٢٣٨/٤-٢٣٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٩.

والجدير بالذكر أنَّ هذا ما اصطلح عليه النحاة بالتضمين ، وقد قلتُ : تحت عنوان : التضمين وبلاغة القرآن الكريم : ((إنَّ من ادعى وجود التضمين في القرآن الكريم ، وادعى أنَّه يمثل صورة من صور البلاغة فيه ، فقد وهم هذا المدعي كائنًا من يكون ، إذ تبيَّن أنَّ التضمين قائم على أساس ترادف الألفاظ [1] وهذا ما صرَّح به ابن جني ، وغيره وقد مرَّ كلامه في هذا الباب [2] وبلاغة القرآن الكريم قائمة على اساس أنَّه لا ترادف بين ألفاظه ، فالقول بالتضمين ، والقول ببلاغة القرآن الكريم قولان متناقضان ، ولا يمكن التوفيق بينهما البتة ، بل إثبات أحدهما ، لا يتمُّ إلّا بعد أن يتمَّ إلغاء الآخر ؛ وهذا ما حصل .

يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((فللتضمين غرض بلاغي لطيف ، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب ، وذلك بذكر فعل ، وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر فتكسب بذلك معنيين ، معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني ، وذلك نحو قوله تعالى : (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا){الأنبياء :٧٧} فقد ذهب قوم إلى أنَّ (من) ههنا بمعنى (على) وهذا فيه نظر ؛ فإنَّ هناك فرقًا في المعنى بين قولك : نصره من ، ونصره عليه ؛ فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء والغلبة قال تعالى : (وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ){التوبة : ١٤} وقال تعالى : (فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ){البقرة : ٢٨٦} أي : مكنَّا منهم وليس هذا معنى نصره منه ، أمَّا نصرناه منهم ، فإنَّه بمعنى نجَّيناه منهم ، قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ) {هود :٣٠} فليس المعنى : من ينصرني على الله ، بل

---

(١) كنتُ استعمل مصطلح الترادف من قبل بالمعنى الشائع عند النحاة وهو التطابق في المعنى .

(٢) ينظر : الخصائص : ٢/٩٢-٩٤

من ينجيني ويمنعني منه)) [1] تأمَّل كيف أكَّد أنَّ (من) دلَّتْ على معناها الذي وضعت له ، وأنَّها ليست بمعنى (على) وأقول لا حاجة لتأكيد هذه الحقيقة لـ(مِن) بالاستعانة بإلباس (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) والدليل على ذلك أنَّ الدكتور فاضل السامرائي بعد أن ضمَّن (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) ، عاد بسرعة فنزع منه هذا التضمين ، وبكلام صريح ، وبنص قوله : ((وقد تقول : ما الفرق بين قولنا : نجيناه من القوم ، وقولنا : نصرناه من القوم ، والجواب أنَّ التنجية تتعلق بالناجي فقط ؛ فعندما تقول : نجيته منهم ، كان المعنى : أنَّك خلَّصته منهم ، ولم تذكر أنَّك تعرَّضتَ للآخرين بشيء ؛ كما تقول : أنجيته من الغرق ، ولا تقول نصرته من الغرق ؛ لأنَّ الغرق ليس شيئًا يُنتَصف منه ، أمَّا النصر منه ، ففيه جانبان في الغالب ، جانب الناجي ، وجانب الذين نُجِّي منهم ، فعندما تقول : نصرته منهم ، كان المعنى : أنَّك نجَّيته وعاقبتَ أولئك، أو أخذتَ له حقَّه منهم)) [2]

إذن (مِن) هي بمعنى (مِن) وليست بمعنى (على) ، و(نصرناه) هو بمعنى (نصرناه) وليس بمعنى (نجَّيناه) ، فتأمَّل كيف أنَّه نفى تضمين (نصرناه) معنى (نجيناه) بعد أن نفى ترادفهما ، هذا ما أكَّده الدكتور الفاضل على الرغم من أنَّه أقر بالتضمين واستحسنه وجعله من لطائف البلاغة في بدء كلامه ، إلّا أنَّه نسفه نسفًا في آخر كلامه من حيث لم يشعر .

فالدكتور فاضل السامرائي ، حين أقرّ بالتضمين أول مرة ، كان استنادًا إلى أنَّ (نصرناه) و(نجيناه) مترادفان ، فاضطر إلى القول بترادفهما ؛ لأنَّ التضمين قائم على أساس هذا الترادف ، لكنَّه لما أراد أن يبيِّن بلاغة القرآن في هذا المقام نفسه ، اضطر إلى القول بعدم ترادفهما ، لأنَّ بلاغة

---

(١) معاني النحو ١٢/٣

(٢) معاني النحو ١٢/٣–١٣ .

القرآن قائمة على إلغاء هذا الترادف ، ومن هنا نؤكد ما قلناه : إنَّ القول بالتضمين ، والقول ببلاغة القرآن الكريم قولان متناقضان ، ولا يمكن التوفيق بينهما البتة ، بل إثبات أحدهما ، لا يتمُّ إلّا بعد أن يتمَّ إلغاء الآخر

فاستنادًا إلى ما تقدَّم يكون الفعل (نصر) كما يتعدى إلى مفعوله بـ(على) يتعدى إليه بـ(مِن) ، وكل من حرفي الجر هذين ، يُؤتى به من دون الآخر في مقامه ، وحسب المعنى الذي يراد التعبير عنه)) [1]

وكذلك من ادعى أنَّ فيه حروفًا زائدة ، فقد قال الأخفش : في((باب زيادة (مِن)٠٠٠وإن شئت جعلته على قولك : ما رأيتُ من أحد ، تريد : ما رأيتُ أحدًا ، وهل جاءك من رجل ، تريد : هل جاءك رجل ، فإن قلتَ : إنَّما يكون هذا في النفي والاستفهام ، فقد جاء في غير ذلك ، وقال تعالى : (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ){البقرة : ٢٧١} فهذا ليس باستفهام ولا نفي))[2]

و(مِن) هنا ليست زائدة كما ادعى الأخفش بل هي تبعيضية ، وقد تقدَّم ادعاء أصحاب الوجوه بأنَّ (مِن) صلة ، أي : زائدة في قوله تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {٣٠} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ){النور : ٣٠-٣١}

والغض يعني : إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية [3] فلو قال سبحانه : قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عما حرَّم الله ، لوجب عليهم أن يحجبوا أعينهم عن الرؤية ، كلمَّا وقع بصرهم على الحرام ، فلا يرونه ، ولا يرون ما حوله ، لذلك لم يأمر الله المؤمنين بغض البصر كله ، بل بحجب

---

(١) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) معاني القرآن ص ٧٩-٨٠.

(٣) ينظر : الدر المصون ٣٩٧/٨ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٩/١٤ .

بعضه ؛ لكي لا يرى به ما حرم الله ، ويطلق بعضه الآخر ؛ ليرى به ما يحتاج إلى رؤيته فقيَّده بجره بـ(مِن) التبعيضية ، فقال : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولهذا نسب الطبري إلى ابن زيد قوله : ((يغض من بصره ٠٠٠إذا رأى ما لا يحل له غضَّ من بصره ، لا ينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كلَّه ، إنَّما قال الله : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))) (١) وهذا ما قال به المفسرون بعد أن جعلوا (مِن) تبعيضية وليست زائدة ، وقد نسبوا إلى الأخفش أنَّه قال بزيادتها(٢) .

وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب أن تكون (مِن) صلة (زائدة) في قوله تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)(٣) تقليدًا لمقاتل في الأشباه ، قال في تفسيره : ((في (مِن) قولان : أحدهما : أنَّها صلة ، والثاني : أنَّها أصل ؛ لأنَّهم لم يؤمروا بالغض مطلقًا ، وإنَّما أُمروا بالغض عما لا يحل)) (٤)

فـ(مِن) تبعيضية أريد بها حجب بعض البصر؛ لذلك لم يستعملها مع الفروج فقال : (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وقال : (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) ولم يقل كما قال في البصر : ويحفظوا من فروجهم ، ويحفظن من فروجهنَّ ؛ لأنَّه أراد حفظ الفروج كلها .

والصحيح أنَّ (مِن) ليست من الألفاظ المشتركة ، قال المبرد : ((ومنها (مِن) وأصلها ابتداء الغاية ، وكونها في التبعيض راجع إلى هذا ؛ وذاك أنَّك تقول : أخذتُ مال زيد ، فإذا أردت البعض قلتَ : أخذتُ من ماله

---

(١) جامع البيان ١٤٠/٢.

(٢) ينظر : الكشاف ٢٢٣/٣ ،والمحرر الوجيز ١٧٧/٤ ، والبحر المحيط ٥٤٦/٦ ،

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢٢٣،

(٤) زاد المسير ٣٧٧/٥.

، فإنَّما رجعتَ إلى ابتداء الغاية ، وقولك : زيدٌ أفضل من عمرو ، إنَّما جعلتَ غاية تفضيله عمرًا ؛ فإذا عرفت فضل عمرو علمت أنَّه فوقه ، وأمَّا قولهم : إنَّها تكون زائدة فلستُ أرى هذا كما قالوا ، وذاك أنَّ كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى ، فإنَّما حدثت لذلك المعنى ، وليست بزائدة ، فذلك قولهم : ما جاءني من أحد ، ما رأيتُ من رجل ، فذكروا أنَّها زائدة ، وأنَّ المعنى : ما رأيتُ رجلًا ، وما جاءني أحد ، وليس كما قالوا ؛ وذلك لأنَّها إذا لم تدخل جاز أن يقع النفي بواحد دون سائر جنسه ، تقول : ما جاءني رجل ، ما جاءني عبد الله ، إنَّما نفيت مجيء واحد ، وإذا قلتَ : ما جاءني من رجل ، فقد نفيت الجنس ، ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني من عبد الله ، لم يجز ؛ لأنَّ عبد الله معرفة ، فإنَّما موضعه موضع واحد))[١] والجدير بالذكر أنَّ الهروي على الرغم من أنَّه قال بمجيء (مِن) زائدة [٢] أكَّد عدم زيادتها بقوله : ((واعلم أنَّ (مِن) الزائدة للتوكيد لا تدخل على المعرفة ، ولا تدخل في الإيجاب ، لا تقول : ما جاءني من عبد الله ، ولا تقول : جاءني من رجل٠٠٠واعلم أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني من رجل ، فإنَّ فيه فائدة ، ومعنى زائدًا على قولك : ما جاءني رجل ، وذلك أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني رجل ، احتمل أن يكون نافيًا لرجل واحد ، وقد جاءك أكثر من رجل ، واحتمل أن يكون نافيًا لجميع جنس الرجال ، وإذا أدخلتَ (مِن) فقلتَ : ما جاءني من رجل ، كنتَ نافيًا لجميع الجنس ، فمن هنا توجب استغراق الجنس ، وكذلك ما أشبهه)) [٣]

---

(١) المقتضب تحقيق هرون ٤٤/١ وتحقيق بديع ٨٦/١-٨٧ .

(٢) الأزهية في علم الحروف ص ٢٣٤.

(٣) الأزهية في علم الحروف ص ٢٣٩.

والمرادي بعد أن ذكر أنَّ لـ(مِن) الجارة أربعة عشر معنى ، استدرك على ما ذكره فقال : ((ولم يثبت أكثر النحويين لـ(مِن) جميع هذه المعاني ، وتأولوا كثيرًا من ذلك على التضمين أوغيره ، وقد ذهب المبرد وابن السراج والأخفش الأصغر وطائفة من الحذاق والسهيلي إلى أنَّها لا تكون إلّا لابتداء الغاية ، وأنَّ سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى ؛ ألا ترى أنَّ التبعيض من أشهر معانيها ، وهو راجع إلى ابتداء الغاية ؛ فإنَّك إذا قلت : أكلتُ من الرغيف ، إنَّما أوقعت الأكل على أول أجزائه فانفصل ، فمآل معنى الكلام إلى ابتداء الغاية ، وإلى هذا ذهب الزمخشري في مفصله ، فـ(مِن) لابتداء الغاية ، كقولك : سرتُ من البصرة ، وكونها مبعضة ، نحو : أخذتُ من الدراهم ، ومبينة (للجنس)٠٠٠ ومزيدة ، في نحو : ما جاءني من أحد راجع إلى هذا (المعنى))) [1] وقال ابن يعيش : ((وأمَّا كونها للتبعيض ، فنحو قولك : أخذتُ درهمًا من المال ، فدلت (مِن) على أنَّ الذي أخذت بعض المال٠٠٠لأنَّ قوله : أخذتُ من ماله ، إنَّما جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ ، فدلَّ على التبعيض ، من حيث صار ما بقي انتهاء له ، والأصل واحد))[2]

إنَّ من ادعى أنَّ في كتاب الله حروفًا زائدة ، أو استعملت بمعاني حروف أُخَر، فقد كذب وافترى على الله ، واتهم كلام الله بالعجز والتقصير وسوء التعبير

٧٤-**الأمر (بمعنى الحال والشأن ، جمعه الأمور)** : قال الخليل : ((الأمر : نقيض النهي ، والأمر واحد الأمور)) [3] وقال ابن الجوزي :

---

(١) الجنى الداني ص ٣١٦ ، وينظر : المفصل في علم العربية للزمخشري ص ٣٦٧ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٤/٤٥٩-٤٦٠ .

(٣) العين ص ٣٧ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٣ .

((الأمر يقال على وجهين : أحدهما : الذي جمعه أوامر ، وهو استدعاء الفعل بالقول من الأعلى إلى الأدنى، وذلك نحو قولك : افعل ، والثاني : الذي جمعه أمور ، وهو الشأن ، والقصة ، والحال)) [١]

وذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الأمر ورد في القرآن الكريم على وجوه كثيرة منها : الدين ، والقول ، والعذاب ، وعيسى عليه السلام ، والسلام ، والقتل ببدر ، وفتح مكة ، وقتل أهل قريضة وجلاء أهل النضير ، والقيامة ، والنصر ، والذنب ، والشأن والحال ، والخصب ، والغرق ، والحذر ، والمشورة ، والموت ، والقول ، والقضاء ، والوحي ، والنصر ، والذنب ، والأمر بعينه [٢]

ومما يدل على أنَّ الأمر ليس من الألفاظ المشتركة ، جعل أحد الوجوه المنسوبة إليه يعني الأمر بعينه ، لأنَّ هذا يدل على أنَّ للأمر معنى مستقلاً يميزه من معاني الوجوه المنسوبة إليه ، والأمر كالحق ونحوه تعددت وجوهه عند أهل الوجوه ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بين الأمر وما يدل عليه دراسة مقلوبة ؛ فالقرآن الكريم لم يوصف الأمر مثلًا بالدين ، والقول ، والعذاب ، وعيسى عليه السلام ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنما وصف كلاً منها بالأمر ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صح أنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ الأمر ما ادعاه أصحاب الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ الأمر أريد به في جميع المواضع الأمر بعينه .

---

(١) نزهة الأعين ص ٥٩.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٩٢–١٩٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٤–٧٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٦–١٢٨ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٦–٢٧٧ الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠–٤٣ ونزهة الأعين ص ٥٩–٦١ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ٦٢–٦٥.

قال ابن قتيبة : ((ويكنى عن كل شيء بالأمر ؛ لأنَّ كل شيء يكون فإنَّما يكون بأمر الله ؛ فسميت الأشياء أمورًا ؛ لأنَّ الأمر سببها)) (١) فالأمر اسم جنس يُطلق على كل شيء ، فكل ما ذكره أهل الوجوه ، بل كل ما قام ويقوم به الإنسان ، وكل ما أصابه أو يصيبه ، وكل ما حدث ويحدث ، وكل ما خلق الله ، تدخل جميعها في معنى الأمر ، بل هل مِن شيء لا ينطبق عليه اسم الأمر ومعناه ؟! ، حتى إنَّ الله جل وعلا جمع أشياء العالمين كلها بالخلق والأمر قال تعالى : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){الأعراف : ٥٤}

فلو اتبعنا الطريقة التي اتبعها أهل الوجوه ، أي : طريقة الدراسة المعكوسة ، لكان بوسعنا أن نجعل للأمر ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى من الوجوه ، ولكن ما هكذا تورد يا أهل الوجوه الإبل؟!

٧٥-الوليّ : قال ابن فارس : ((الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب ، من ذلك الولْيُ : القرْبُ ، يقال : تباعد بعد ولْي ، أي : قرب ، وجلس مما يليني ، أي : يقاربني ، والولَيُّ : المطر ، يجيء بعد الوسْمِيِّ ؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّه يلي الوسْمي ، ومن الباب : المولى : المُعْتِق ، والمُعتَق ، والصاحب ، والحليف ، وابن العم ، والناصر ، والجار ، كل هؤلاء من الولْي ، وهو القرْب ، وكل من ولي أمر آخر)) (٢) و((الولي : من ولي الأمر ، فكل من ولي أمرك ، فهو وليُّك)) (٣)

وذكر أهل الوجوه أنَّ الولي جاء في القرآن الكريم على وجوه عديدة منها : الولد ، والصاحب ، والقريب ، والرب تبارك وتعالى ، والناصر ،

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٧

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٦٦-٩٦٧ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٩٨.

والمـــانع ، والـــوثن ، والآلهـــة ، والعصـــبة ، والمـــولى الـــذي تعتقـــه ، والمؤمنون(الولاية في الدين) والكافرون (الولاية في الكفر) [١]

والولي كما تبيَّن من تعريفه اسم جنس يُطلَق على كل ما كان قريبًا منك ، وقد تعددت وجوهه عند أهل الوجوه ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بين الولي وما يدل عليه دراسة مقلوبة ، فالقرآن الكريم لم يوصف الولي مثلًا بالولد ، أو الصاحب ، أو القريب ، أو الرب تبارك وتعالى ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنما وصف كلًّا من هذه الأسماء بالولي ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صح أنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ الولي ما ادعاه أصحاب كتب الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ الولي أريد به الولي بعينه ، أينما ورد في القرآن الكريم .

٧٦-**صيحة** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الصيحة وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، هي :

الوجه الأول : صيحة جبريل في الدنيا بالعذاب .

والوجه الثاني : النفخة الأول من إسرافيل ، وهي نفخة القيامة .

والوجـه الثالـث : النفخـة الثانيـة مـن إسـرافيل ، وهـي نفخـة البعـث والنشور [٢]

أيها الوجوهيون : أهذه أوجه للصيحة أم الصيحة بعينها **؟؟؟!!!**

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٩٥-١٩٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٦-٧٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٨-١٣٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣٧-٣٣٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧٠-٤٧٢ ونزهة الأعين ص ٢٩٨ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٩٨-١٩٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٧-٧٨والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠١-٢٠٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٨-٢٩٩ ونزهة الأعين ص ١٧٦ .

٧٧-**الزبــر** : قـال الخليـل : ((الزَّبـور : الكتــاب ، والزَّبـور : اسـم الكتـاب الـذي أُنـزِل علـى داود)) [١] وقـال ابـن فـارس : ((الـزاء والبـاء والـراء أصـلان : أحدهما : يدل علـى إحكام الشـيء وتوثيقه ، والآخر : يدل علـى قراءة وكتابـة ومـا أشبه ذلك ، فالأول : زبرْتُ البئر : إذا طويتها بالحجارة ، ومنه زبْرة الحديد ، وهي القطعة منه ، والجمع زُبَر ... والأصل الآخر : زبرتُ الكتاب : إذا كتبته ، ومنه الزبور ، وربما قالوا : زبرتَه : إذا قرأتَه)) [٢]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ){المؤمنون : ٥٣} بضم الزاي والباء ((اختلف القراء فـي قراءة قولـه (زُبُرًا) فقرأتـه عامـة قراء المدينـة والعراق(زُبُرًا) بمعنـى جمـع الزبور فتأويل الكلام ...(زُبُرًا) كتبًا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان بـه الفريق الآخر ، كاليهود الذين زعموا أنَّهم دانوا بحكم التوراة ، وكذَّبوا بحكم الإنجيل والقرآن ، وكالنصـارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذَّبوا بحكم القرآن...وقال آخرون من أهل هذه القراءة : إنَّما معنـى الكلام : فتفرقوا دينهم بينهم كتبًا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم...وقرأ عامة قراء الشام (زُبَرًا) بضم الزاي وفتح الباء[٣] بمعنى : فتفرقوا أمرهم بينهم قطعًا كزُبَر الحديد ، وذلك القطع منها ، واحدتها زُبْرَة من قوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ){الكهف : ٩٦} فصار بعضهم يهودًا وبعضهم نصارى ، والقراءة التي نختار في ذلك ، قراءة من قرأ بضم الزاي والباء ، لإجماع أهل

---

(١) العين ص ٣٨٤ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٩٥ .

(٣) وهذه القراءة لا وجود لها في القراءات السبعة ولا العشرة ، فهي قراءة شاذة نُسِبَت إلى الأعمش ، ينظر : لسان العرب ٩/٧ .

التأويل على ذلك على أنَّه المراد به الكتب٠٠٠لأنَّ الزُّبُر هي الكتب)) [1]
وقال الزجاج : ((ويُقرأ (زُبَرًا) فمن قرأ (زُبُرًا) فتأويله : جعلوا دينهم كتبًا مختلفة ، جمع زبور ٠٠٠ ومن قرأ (زُبَرًا) أراد قطعًا)) [2]

وقيل : المعنى في زُبَر وزُبُر واحد ، وردَّ هذا القول بأنَّ زُبَر جمع زُبْرَة ، وفُعْلَة لا تُجْمَع على فُعُل[3]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الزبر جاءت في القرآن الكريم على خمسة أوجه :

الوجه الأول : الزبر يعني حديث الأمم وأمرهم الذي في الكتب

الوجه الثاني : الزبر يعني الكتب .

الوجه الثالث : الزبر يعني اللوح المحفوظ .

الوجه الرابع : الزبر يعني قطع .

الوجه الخامس : الزبور يعني زبور داود [4]

حديث الأمم ، والكتب ، واللوح المحفوظ ، وزبور داود ، ألفاظ مرادفة للزُّبُر (بضم الزاي والباء) جمع زبور ، وليست أوجهًا لها ، أمَّا القطع فهو لفظ مرادف للزُبَر (بفتح الباء) جمع زُبْرَة ، فهو معنى للفظ مختلف .

---

(١) جامع البيان ٣٩/١٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٤/٤ ، وينظر : لسان العرب ٩/٧ .

(٣) ينظر : لسان العرب ٩/٧ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٩٩-٢٠٠وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٨والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٧٣-١٧٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٧ ونزهة الأعين ص ١٤٨-١٤٩ .

٧٨-**الفــرح** : الفـرح معـروف ، وهـو خـلاف الحـزن[١] وذكـر أهـل الوجوه أنَّ الفرح ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، هي : البطر والمرح ، والرضا ، والفرح بعينه[٢]

البطر والمرح والرضا ألفاظ مرادفة للفرح وليست أوجهًا له ، ومما يدل على أن الفرح ليس من الالفاظ المشتركة جعلهم إياه في الوجه الثالث بمعنى الفرح بعينه ، وقد تبين أن من علامات اللفظ المشترك أن لا يكون له معنى يميزه من معاني الوجوه المنسوبة إليه .

٧٩-**الأرض** : الأرض معروفة ، وهي اسم جنس ، يطلق على كل أرض تمشي عليها قدم إنسان أو بهيمة ، ويطلق على ظاهر الأرض وباطنها ، وقد ذكر أصحاب كتب الوجوه للأرض ثمانية عشر وجهًا هي : أرض الجنة ، وأرض الشام ، وأرض المدينة ، وأرض مكة ، وأرض مصر ، وأرض فارس ، وأرض الأردن ، وأرض الحجر ، وأرض الروم ، وأرض بني قريضة ، وأرض المسلمين ، وأرض التيه ، وجميع الأرضين ، وساحة المسجد ، وأرض القيامة ، والقبر ، والقدم ، والقلب[٣].

أهذه أوجه للأرض أم هي جميعها تعني الأرض بعينها؟! أمَّا القدم فقد استشهد الدامغاني لهذا الوجه بقوله تعالى : (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٣٦ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠٠-٢٠١وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٢ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٥٩-٣٦٠ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠١-٢٠٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٩-٨٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٢-١٣٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٥٢،٥٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩١-٩٤ ونزهة الأعين ص ٥٧-٥٩ ومنتخب قرة العيون ص ٥٩-٦٢

تَمُوتُ){لقمان : ٣٤} والمعنى كما قال : بأي قدم تموت ، والصحيح أنَّ المعنى : بأي مكان من الأرض تموت[1]واستشهد الدامغاني وابن الجوزي للقلب بقوله تعالى : (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ){الرعد : ١٧} فقد شبه انتفاع القلوب السليمة بالقرآن كانتفاع نبات الأرض بماء المطر ، وشبَّه ما يستقر في القلوب المؤمنة من عقائد صحيحة بما يستقر في الأرض من معادن نفيسة كالذهب والفضة وغيرها مما يصنع منه من آلات نافعة ، فالمراد من الأرض هاهنا إذن الأرض بعينها [2].

والجدير بالذكر أنَّ الأرض من الألفاظ المشتركة في اللغة ، وقد تقدم أنَّ السيوطي ذكر أمثلة لمعاني اللفظ المشترك فقال : ((وفي الصحاح : الأرض : المعروفة ··· والأرض : أسفل قوائم الدابة ، والأرض : النفْضة والرَّعْدة ··· والأرض : الزكام ، والأرض : مصدر أرضت الخشبة تُؤرَض فهي مأروضة : إذا أكلتها الأَرَضَة))[3] وهذه المعاني هي حقًّا أوجه للأرض ، وهي كما ترى ، جميعها معان حقيقية ، ومتباينة ، ولا تربط بينها أية صلة كانت ، سوى صلة اللفظ المشترك ، إلّا أنَّ هذه الأوجه وردت في اللغة ، ولم ترد في القرآن الكريم ؛ فالأرض إذن إذا كانت في اللغة من الألفاظ المشتركة ، فهي ليست كذلك في كتاب الله العزيز .

---

(١) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ١٧٦/٦ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٨/٣-١١٩ ، وزاد المسير ٢٤٦/٤ .

(٣) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٦٩/١-٣٧٥ ، وينظر : الصحاح ص ٣٧ .

٨٠-**الفتح** : الفتح خلاف الإغلاق ، والفتح : القضاء بين الناس ، والفتح : النصر[١] وقال ابن الجوزي : ((والفتح : النصر؛ لأنَّه يفتح بابًا مطلقًا ، والفتح : القضاء ؛ لأنَّه فتْحٌ لما أشكل من الأمور)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الفتح ورد في القرآن الكريم على عشرة وجوه ، هي :

القضاء ، والإرسال أو التخصيص ، والفتح بعينه ، والنصر ، والهداية إلى الإسلام ، والتخلية ، والبعث ، وفتح الباب ، والظفر بالمكان ، وضد الإغلاق[٣]

وقد تبيَّن أنَّ أصحاب كتب الوجوه ، اتبعوا طرقًا عديدة لاختلاق الوجوه ، منها طريق الترادف ، فالقضاء ، والنصر ، والهداية إلى الإسلام ، وفتح الباب ، وضد الإغلاق ، والظفر بالمكان ألفاظ مرادفة للفتح .

وقد توسعوا في هذه الطريقة فراحوا يختلقون أي وجه كان ، ما دام يدل على معنى مفيد ، وإن كان غير المعنى المراد أو خلافه ، كالإرسال ، والتخلية ، والبعث .

فقد استشهد مقاتل وهرون والدامغاني وابن الجوزي للإرسال بقوله تعالى : (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها){فاطر : ٢} والمعنى عندهم : ما يرسل الله للناس من رزق ، أمَّا العسكري فقد استبدل التخصيص بالإرسال ، مستشهدًا بالآية نفسها ، وقال : ((يعني : ما يخصهم به من

---

(١) ينظر : العين ص ٧٢٧ ، ومقاييس اللغة ص ٧٢٦ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢١٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٥.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠٤-٢٠٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٨١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٤-١٣٥ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٩٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٢-٢٦٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٥٧-٣٥٨ ، ونزهة الأعين ص ١٥-١٦ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٥-١٨٦ .

رزق)) واستشهد للبعث بقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾{المؤمنون : ٧٧} وقال : ((أي : بعثنا عليهم عذابًا ، ولما ذكر الباب ذكر الفتح)) بينما جعل مقاتل وهرون والدامغاني الفتح في هذه الآية نفسها بمعنى الإرسال ، والمعنى كما قالوا : حتى إذا أرسلنا عليهم بابًا ، والصواب لا هذا ولا ذاك ، وإنَّما معنى فتحنا ، هو فتحنا ، والدليل على ذلك قول العسكري نفسه : ((ولما ذكر الباب ذكر الفتح))

لقد بيَّنَّا من قبل أنَّ أوجه اللفظ المشترك لا يُختلَف فيها ؛ لأنَّها تمثل معاني حقيقية موضوعة لغة لا اجتهادًا ، ومما يدل على أنَّ الفتح ليس من الألفاظ المشتركة جعلهم إياه في أحد الأوجه بمعنى الفتح بعينه ، لأنَّ من علامات أوجه اللفظ المشترك أن تكون جميعها علاقتها باللفظ واحدة ، والحقيقة أنَّ المراد من الفتح في هذه المواضع وغيرها الفتح بعينه .

٨١–**الكريم** : قال ابن فارس : ((شَرُف : أصل يدل على علو وارتفاع ، فالشرف هو العلو ، والشريف : الرجل العالي ...ومنكب أشرف : عال)) [١] و((كرُم : شَرُف في الشيء في نفسه ، أو شَرُف في خلق من الأخلاق)) [٢] وقال العسكري : ((أصل الكرم الشرف والفضل ، ومنه سُمِّي الكرْمُ لتفضله على غيره من الشجر ...ثم جاء الكرم بمعنى العز ، قالوا : هو أكرم علينا ، أي : أعز ، وتسمية الله تعالى بأنَّه كريم يعني أنَّه عزيز من صفات ذاته ، وقد يكون أيضًا بمعنى الجواد المفضال ، فيكون من

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٧٦ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٠٦ .

صفات فعله)) [1] فـ((الكريم : الشريف الفاضل ، ويقال الكريم ويراد به الصفوح ، ويقال الكريم ويراد به الحَسَن ، وأصله كله الشرف)) [2]

يتبين مما قاله أهل اللغة أنَّ الكرم اسم جنس ، جامع لمعاني الصفات العليا والحميدة ؛ مما يؤهله أن تكون له مرادفات كثيرة ، وأن يكون صفة لكل من كان أهلاً لها ، وقد ذكر أهل الوجوه للكريم الأوجه الآتية :

١-الكريم : يعني الحَسَن ، كما في قوله تعالى : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ){النمل : ٢٩}

٢- والكريم : يعني الكريم على الله في المنزلة ، كما في قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ){التكوير : ١٩}

٣-الكريم : يعني المتكرم ، كما في قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ){الدخان : ٤٩}

٤-كرامًا : يعني مسلمين ، كما في قوله تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ){الانفطار : ١٠-١١}

٥-الكريم : يعني الرب تبارك وتعالى ، يتجاوز ويصفح ، أي : يعني الصفوح ، كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الأنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ){الانفطار : ٦}

٦-كريم : يعني فضيلة ، كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ){الإسراء : ٧٠}

٧-الصفوح كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الأنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ){الانفطار : ٦}[1]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٨٩ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢٤٧-٢٤٨.

وذكر العسكري أوجهًا أُخر هي :

٨–الأكرم : يعني الأفضل ، كما في قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ){الحجرات : ١٣}

٩–الكريم : يعني الصفوح ، كما في قوله تعالى : (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ){النمل : ٤٠}

١١–الكريم : يعني العزيز ، كما في قوله تعالى :

١٢–الكريم : يعني الجواد ، كما في قوله تعالى : ((ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ){الدخان : ٤٩} أي : كنتَ في الدنيا كذا قيل }[٢]

وجعْلُ العسكري الكريم بمعنى الأفضل في قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) كما جاء في الوجه الثامن ، لم يكن استنادًا إلى معنى الكريم ، بل كان استنادًا إلى معنى الصيغة ؛ لأنَّ (أَكْرَمَكُم) على وزن أفعل ، أي : على صيغة اسم التفضيل ، فقد اختلق من معنى الصيغة التي جاء عليها اللفظ وجهًا لِلَّفظ .

وهذه الوجوه جميعها كما ترى ألفاظ مرادفة للكريم وليست أوجهًا له ؛ ولهذا جاز أن تقع موقعه ؛ لأنَّها قريبة من معناه ، والوجوه الحقيقية تكون معانيها متباينة ترتبط فيما بينها بصلة اللفظ المشترك لا بصلة الترادف .

٨٢–**المثل** : قال الخليل : ((المَثَل : الشيء يُضرَب للشيء ، فيجعل مثله ، والمَثَل الحديث نفسه ، والمِثْل : شِبْه الشيء))[٣]وقال ابن

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠٥–٢٠٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٨١–٨٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٥–١٣٦ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٥ ونزهة الأعين ص ٢٤٧–٢٤٨ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٨٩.

(٣) العين ص ٨٩٦ .

فارس : ((المَثَلُ والمِثْلُ أيضًا كَشَبَه وشِبْه))[١] وقال ابن الجوزي : ((قال بعض أهل المعاني : المِثْلُ المشابه ، وحد المثلين ما قام كل واحد منهما مقام صاحيه وسدَّ مسدَّه)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ المَثَل ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه : هي : سير الأولين وسننهم ، والعذاب الذي أصابهم ، والشبه ، والعبرة ، والصورة والصفة [٣]

الشبه ، والعبرة ، والصفة ، ألفاظ مرادفة للمثل ، وليست أوجهًا له ، والمثل يستعمل في الكلام صفة للشيء لا موصوفًا به ، وهذا ما صرح به الخليل عندما عرَّفه بأنَّه الشيء يُضرَب للشيء ، وقد تعددت وجوهه عند أهل الوجوه ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بينه وبين ما يدل عليه دراسة مقلوبة ؛ فالقرآن الكريم لم يجعل المثل سير الأولين أو سننهم أو العذاب الذي أصابهم ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنما جعل كل أمر من هذه الأمور مثلًا ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صح أنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ المثل ما ادعاه أصحاب الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ المثل أريد به في جميع المواضع المثل بعينه .

وجعل الشبه بمعنى المثل من لدن أهل اللغة وأهل الوجوه يجب أن لا يعني أنَّ الشبه هو المثل بعينه ؛ لأنَّه كما بيَّنَّا من فبل ، ما من لفظ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٥١.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٦٥.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠٧-٢٠٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٢-٨٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٦-١٣٧وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦٩-٢٧٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣١٠-٣١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٥-٤١٦ ، ومنتخب قرة العيون ٢١٦-٢١٧ .

يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ؛ لذا فإنَّه لا بد من أن يكون ثمة فرق بينهما ، وإن دقَّ أو خفي ، فقد ذكر العسكري وغيره أنَّ الشبه يُستعمل فيما يشاهد ، ويكون في الكيفية والتساوي في الكمية ، والمثل عام [١] ((وأنَّ الشيء يُشبَّه بالشيء من وجه واحد ، لا يكون مثله في الحقيقة إلّا إذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته ، فكأنَّ الله تعالى لمَّا قال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١} أفاد أنَّه لا شبه له ولا مثل ... وقولنا : ليس كمثل زيد رجل ، مناقضة ؛ لأنَّ زيدًا مثل من هو مثله ، والتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات ، بعضها ببعض ، والمثل يفيد تشبيه الذوات بعضها ببعض ، تقول : ليس كزيد رجل ، أي : في بعض صفاته ؛ لأنَّ كل أحد مثله في الذات ، وفلان كالأسد ، أي : في الشجاعة دون الهيئة وغيرها من صفاته ، وتقول : السواد عرض كالبياض ، ولا تقول مثل البياض)) [٢] وقال الراغب في الآية المذكورة ((تنبيهًا على أنَّه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر ، فليس تلك الصفات له على حسب ما يُستعمَل في البشر)) [٣]

يتبيَّن مما تقدم أنَّ كاف التشبيه نظير الشبه في الدلالة ، وأنَّ القرآن الكريم استعمل الكاف عوضًا عنه ؛ لذلك لم يرد الشبه بصيغة المصدر في كتاب الله ؛ ولاستحالة أن يشتق فعل أو اسم فاعل من كاف التشبيه الجارة ، اشتقهما من الشبه ، كما في قوله تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ){النساء : ١٥٧} وقوله تعالى : (وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ){الأنعام : ٩٩}

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية ص ١٧٥، وفروق اللغات ، للحسيني الجزائري ص ١٥٣

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٧٥ .

(٣) المفردات ص ٤٨٢.

٨٣-**النشور** : قال الخليل : ((نشرتُ الثوب والكتاب : بسطتُه والنشور : الحياة بعد الموت)) (١) وقال ابن فارس : ((والنون والشين والراء : أصل يدل على فتح وتشعبه٠٠٠ ومنه : نشرتُ الكتاب خلاف طويته ، ونشر الله الموتى وأنشر الله الموتى))(٢) وقال ابن الجوزي : ((النشر في الأصل : بسط الشيء ومدُّه ، ونقيضه : الطيُّ ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة ، فيقال : نشر الله الموتى ، أي : أحياهم ، وانتشر الناس في حوائجهم : تفرقوا)) (٣) ويقال : نشر الميتُ ينشُرُ نُشورًا : إذا عاش بعد الموت ، ويقال : نشرهم الله ، أي : بعثهم ، وأنشره الله ، أي : أحياه ، ومنه يوم النشور ، والنشرُ : القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم نَشْرًا ، أي : متفرقين ، وانتشرت الأبل والغنم : تفرَّقتْ (٤)

فقد عرَّف أهل اللغة النشور بالبسط ، وبالبعث ، وبالإحياء بعد الموت ، وبالتفرق ، وقد أصبح من المعلوم أنَّ أصحاب المعاجم اللغوية يعرفون اللفظ بما يرادفه من الألفاظ ، وذكر أهل الوجوه أنَّ النشور جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه ، هي : الحياة بعد الموت ، والبعث ، والبسط ، والتفرق(٥)

---

(١) العين ص ٩٥٩ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٩٩ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٨٢.

(٤) ينظر : لسان العرب ١٤/٢٥٦-٢٥٧ .

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٠٨-٢٠٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٣-٨٤ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٧-١٣٨والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣١٠-٣١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٠-٤٥١ ونزهة الأعين ص ٢٨٢-٢٨٣ .

والأوجه التي ذكرها أصحاب كتب الوجوه للنشور ، هي كما ترى ، المعاني نفسها التي ذكرها أهل اللغة ، فهي ألفاظ مرادفة للنشور ، وليست أوجهًا له .

٨٤-**أرساها** : قال ابن فارس : ((الراء والسين والحرف المعتل أصل يدل على ثبات ، تقول : رسا الشيء يرسو : إذا ثبت ، والله جل ثناؤه : أرسى الجبال ، أي : أثبتها))(١) وذكر أهل الوجوه أنَّ (أرساها) جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، الأول : أرساها يعني أثبتها ، والثاني : مرساها يعني حينها ، كما في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا){الأعراف : ١٨٧} والثالث : مرساها يعني مستقرها(٢)

وهذه الأوجه ألفاظ مرادفة ، وليست أوجهًا ، ولأنَّها كذلك فقد جاز أن يحل محلها مرادفات غيرها ، من ذلك مثلًا أنَّ (مرساها) التي جعلها أهل الوجوه ، في الوجه الثاني بمعنى : أيان حينها في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) فسرها أبو عبيدة بقوله : ((أي : متى خروجها))(٣) وابن قتيبة بقوله : ((أي : متى ثبوتها))(٤) أمَّا الطبري فقد فسرها بقوله : ((متى قيامها٠٠٠وقال آخرون معنى ذلك منتهاها ؛ وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : قيامها ؛ لأنَّ انتهاءها بلوغها وقتها ، وقد بيَّنَّا أن

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٥.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٤-٨٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٨-١٣٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٩٤.

(٣) مجاز القرآن ص ٩٤ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ١٧٥ ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٧/٣.

أصل ذلك الحبس والوقوف))[1] وقال الزجاج : ((ومعنى مرساها مُثَبَّتُها)) [2]

فهذا هو شأن الألفاظ المترادفة ، جاز أن يقع بعضها موقع بعض ، بل جاز أن يُستبدَل بها غيرها من المرادفات ؛ لتقارب معانيها ؛ ولأنَّها لا تمثل معاني حقيقية .

٨٥-**أو** : ذكر أصحاب الوجوه أنَّ (أو) وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، الوجه الأول : أن تكون بمعنى (بل) كما في قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ){الصافات : ١٤٧} يعنى : بل يزيدون ، وقوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ){النحل : ٧٧} يعني : بل هو أقرب ، وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى){النجم : ٩} يعني : بل أدنى

والوجه الثاني : أن تكون بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} يعني لعله يتذكر ويخشى ، وقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا){طه : ١١٣} يعني : لعلهم يتذكرون ويحدث لهم ذكرا ، وقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا){المرسلات : ٥-٦} يعني : عذرًا ونذرًا .

والوجه الثالث : أن تكون بمعنى التخيير ، كما في قوله تعالى : (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ

---

(١) جامع البيان ٩/١٦٣-١٦٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣١٨ .

إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ){المائدة : ٨٩}[١]

ما قاله مقاتل في الأشباه قاله في تفسيره[٢]وما جاء في كتب الوجوه جاء في الأزهية في علم الحروف ، للهروي[٣] وجعْلُ (أو) بمعنى (بل) والواو ، لم يكن في الأصل مذهب الكوفيين ، كما نُسِب إليهم ، بل هذا ما قيل به قبل أن تكون هناك مدرسة كوفية ، فقد قال به كما تقدم مقاتل بن سليمان في أشباهه وتفسيره ، المتوفى سنة ١٥٠هـ والذي يُعدُّ أول من فسَّر القرآن ودوَّنه ، وهو مع ذلك بصري النزعة والنشأة والوفاة[٤] بل هذا ما جاء على لسان إمام المدرسة البصرية ، فقد قال الخليل : ((ويقال : (أو) تكون بمعنى الواو ، وتكون بمعنى (بل) وتفسر هذه : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) أي : بل يزيدون ، ومعناه : ويزيدون)) [٥] وهذا ما قال به بصري آخر ، فقد قال أبو عبيدة : (((أو) ها هنا ليس بشك ، وهي في موضع آخر : بل يزيدون ، وفي القرآن : (قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ){الذاريات : ٥٢} ليس بشك قالوهما جميعًا ، فهي في موضع الواو التي للموالاة)) [٦]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٣-٢١٤وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٣٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٣-٧٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٨-٩٩ ونزهة الأعين ص ٢٦-٢٧ ومنتخب قرة العيون ص ٤١-٤٢ .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل ١٠٨/٣ ، ٤٣٥.

(٣) ينظر : ص ١١٨، ١٢٧ .

(٤) ينظر : تاريخ الأسلام للذهبي ٣٠٠/٤ ، والأعلام للزركلي ٢٨١/٧ .

(٥) العين ص ٤٥ .

(٦) مجاز القرآن ص ٢٣٩-٢٤٠.

فهذا ما ما قاله مقاتل والخليل وأبو عبيدة من البصريين ، وقال الفراء في قوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا){الدهر : ٢٤}((فيكون المعنى فى (أو) قريباً من معنى الواو))[١] وقال : (((أَوْ يَزِيدُونَ) أو : ها هنا في معنى بل ، كذلك في التفسير مع صحته في العربية))[٢] وقال ابن قتيبة : (((أو) تأتي للشك ... وربما كانت بمعنى واو النسق كقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا){المرسلات : ٥-٦} يريد عذرًا ونذرًا ، وقوله : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} وقوله : (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا){طه : ١١٣} أي : لعلهم يتقون ويحدث لهم ذكرًا ، هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق ، وأمَّا قوله : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ){الصافات : ١٤٧} فإنَّ بعضهم يذهب إلى أنَّها بمعنى : بل يزيدون ، على مذهب التدارك لكلام غلطتَ فيه ، وكذلك قوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ){النحل : ٧٧} وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى){النجم : ٩} وليس هذا كما تأولوا ، وإنَّما هي بمعنى الواو في جميع هذه المواضع : وأرسلناه إلى مئة ألف ويزيدون ، وما أمر الساعة إلاَّ كلمح البصر وهو أقرب ، فكان قاب قوسين وأدنى))[٣] ومثل هذا قال ابن فارس[٤]

وفصل الخطاب فيما مرَّ ذكره أنَّ (أو) استعملت في الكلام ((حرف عطف تشرك في الإعراب لا في المعنى ؛ لأنَّك إذا قلتَ : قام زيدٌ أو عمروٌ

---

(١) معاني القرآن ١١٠/٣ .

(٢) معاني القرآن ٢٧٥/٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٠-٢٩١ ، وينظر : تفسير غريب القرآن له ص ٣٧٥ .

(٤) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٨-٩٠ .

، فالفعل واقع من أحدهما)) [١] أمَّا المعاني التي قيلت فيها ، كالشك والتخيير والإباحة والتقريب والتفصيل بعد الإجمال والإضراب ومطلق الجمع والاستثناء والتبعيض والشرط ، فهي جميعها متأتية من أنَّها تستعمل لأحد الشيئين أو الأشياء ، أمَّاهذه المعاني وغيرها فليست معاني أو ، بل هي معاني السياق ، أو هي مستفادة من القرائن كما قالوا [٢] والأحرف المعبرة عن هذه المعاني كـ(بل) والواو هما مما تقاربتا في تراكيب مع أو في الفائدة ، فيظن الضعيف في اللغة أنَّهما بمعناها ، وهما ليستا بمعناها بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى .

قال سيبويه : وإن نفيت هذا قلت : لا تأكل خبزًا أو لحمًا أو تمرًا ، كأنَّه قال : لا تأكل شيئًا من هذه الأشياء ، ونظير ذلك قوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا){الدهر : ٢٤} أي : لا تطع أحدًا من هؤلاء))[٣] وقال الأخفش : (((أَوْ يَزِيدُونَ) يقول : كانوا كذلك عندكم))[٤] وجعل (أو) بمعنى (بل) والواو مذهب نسبه النحاة إلى الكوفيين ، وشاع أنَّ البصريين منعوه ، فقد ردَّ المبرد هذا المذهب بقوله : ((فأمَّا قول الله عز وجل : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فإنَّ قومًا من النحويين (يعني الكوفيين) يجعلون (أو) في هذا الموضع بمنزلة (بل) ، وهذا فاسد عندنا من وجهين ، أحدهما : أنَّ (أو) لو وقعت في هذا الموضع موقع (بل) لجاز أن تقع في غير هذا الموضع ، وكنتَ تقول : ضربتُ زيدًا أو عمرًا ، وما ضربتُ زيدًا

---

(١) الجنى الداني ص ٢٢٧ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١/٦١-٦٧ ، والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٩ ، والكليات للكفوي ص ١٦٨-١٧١ .

(٣) كتاب سيبويه ٣/٢٠٨ .

(٤) معاني القرآن ص٢٧٣ .

أو عمرًا ، على غير الشك ، ولكن على معنى (بل) فهذا مردود عند جميعهم ، والوجه الآخر : أنَّ (بل) لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلّا للإضراب بعد غلط أو نسيان؛ وهذا منفي من الله عز وجل)) [١]

وقال الزجاج في تفسير الآية نفسها : ((وقال قوم : معناه معنى الواو ، و(أو) لا تكون بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليل على أنَّ أحد الشيئين قبل الآخر ، و(أو) معناها إفراد شيئين أو أشياء)) [٢]

وقال النحاس : ((وقول الفراء أنَّها بمعنى (بل) وقول غيره أنَّها بمعنى الواو ، وأنَّه لا يصح هذان القولان ؛ لأنَّ (بل) ليس هذا من مواضعها ؛ لأنَّها للإضراب من الأول ، والإيجاب لما بعده ، وتعالى الله جل وعز عن ذلك ، أو الخروج من شيء إلى شيء ، وليس هذا موضع ذلك ، والواو معناها خلاف معنى (أو) فلو كانت إحداهما بمعنى الأخرى لبطلت المعاني ، ولو جاز ذلك لكان : وأرسلناه إلى أكثر من مئة ألف ، أخصر ، وفي الآية قولان سوى هذين ، أحدهما أنَّ المعنى : وأرسلناه إلى جماعة ، لو رأيتموهم لقلتم : هم مئة ألف أو أكثر ، وإنَّما خوطب العباد على ما يعرفون ، والقول الآخر ، كما تقول : جاءني زيدٌ أو عمروٌ ، وأنت تعرف من جاءك منهما ، إلّا أنَّك أبهمتَ على المخاطَب)) [٣] وقال الزمخشري : (((أو يزيدون) في مرأى الناظر ، أي : إذا رآها الرائي ، قال : هي مئة ألف أو أكثر ، والغرض الوصف بالكثرة)) [٤]

---

(١) المقتضب تحقيق هرون ٣/٣٠٤–٣٠٥ ، وتحقيق بديع المجلد الثاني ص ٢٥١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٦ .

(٣) إعراب القرآن ص ٨٥٣ .

(٤) الكشاف ٤/٦٠ .

وفي ذلك قال الأنباري : ((وذهب الكوفيون إلى أنَّ (أو) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) وذهب البصريون إلى أنَّها لا تكون بمعنى الواو ولا بمعنى (بل) أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنَّما قلنا ذلك ؛ لأنَّه قد جاء ذلك كثير في كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فقيل في التفسير : إنَّها بمعنى (بل) أي : بل يزيدون ، وقيل : إنَّها بمعنى الواو ، أي : ويزيدون ... وقال تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا){الدهر : ٢٤} أي : وكفورًا ، وأمَّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الأصل في (أو) أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام بخلاف الواو و(بل) ؛ لأنَّ الواو معناها الجمع بين شيئين و(بل) معناها الإضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى (أو) والأصل في كل حرف أن لا يدل إلاَّ على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف آخر ؛ فنحن تمسكنا بالأصل ؛ ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ؛ ومن عدل عن الأصل بقي مرتَهَنًا بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه ، وأمَّا الجواب عن كلمات الكوفيين ، أمَّا احتجاجهم بقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فلا حجة لهم فيه ، وذلك من وجهين ، أحدهما : أن تكون للتخيير ، والمعنى : أنَّهم إذا رآهم الرائي تحيَّر في أن يقدرهم : مئة ألف ، أو يزيدون على ذلك ، والوجه الثاني : أن تكون بمعنى الشك ، والمعنى : أنَّ الرائي إذا رآهم شكَّ في عدتهم لكثرتهم ، أي : أنَّ حالهم حال من يشك في عدتهم لكثرتهم ، فالشك يرجع إلى الرائي ، لا إلى الحق تعالى ، كما قال الله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ){البقرة : ١٧٥} بصيغة التعجب ، والتعجب يرجع إلى المخاطبين لا إلى الله تعالى ، أي : حالهم حال من يُتَعَجَّب منه ؛ لأنَّ حقيقة التعجب في حق الله لا تتحقق...وأمَّا قول الله تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) فلا حجة لهم فيه ؛ لأنَّ (أو) فيها للإباحة ، أي : قد أبحتك كل واحد منهما كيف

شئتَ ، كما تقول في الأمر : جالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : قد أبحتك مجالسة كل واحد منهما كيف شئتَ ، والمنع بمنزلة الإباحة))(١)

وقال العكبري : (((أَوْ كَفُورًا) أو : ها هنا على بابها عند سيبويه وتفيد في النهي المنع من الجميع ؛ لأنَّك إذا قلتَ في الإباحة : جالس الحسن أو ابن سيرين ، كان التقدير : جالس أحدهما ، فإذا نهى قال : لا تكلم زيدًا أو عمرًا ، فالتقدير : لا تكلم أحدهما ، فأيهما كلمه كان أحدهما ، فيكون ممنوعًا منه ، فكذلك في الآية)) (٢) فـ((أو) في النهي نقيضة (أو) في الإباحة ؛ فيجب اجتناب الأمرين كقوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) فلا يجوز فعل أحدهما ، فلو جمع بينهما كان للمنهي عنه مرتين ؛ لأن كل واحد منهما أحدهما))(٣) وقال ابن الجوزي : ((وترد للإباحة ، تقول : جالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس الأخيار ، فإن جالسهما أو أحدهما فقد أطاعك))(٤)وقال ابن يعيش : فهذه (أو) هي التي تقع في الإباحة ؛ لأنَّ النهي قد وقع على الجمع والتفريق ، ولا يجوز طاعة الآثم على الانفراد ولا طاعة الكفور على الانفراد ولا جمعهما))(٥)وقال ابن هشام : ((الإباحة : وهي الواقعة بعد الطلب نحو : جالس العلماء أو الزهاد ، وتعلَّم الفقه أو النحو ، وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو قوله تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/١٦-٢٠ مسألة ٦٧ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/٤٨٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ص ٢٤٠.

(٤) نزهة الأعين ص ٢٧.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ٥/٢٠ .

رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) إذ المعنى : لا تطع أحدهما ، فأيهما فعله فهو أحدهما)) [١]

فعلى نحو تفسير قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) تُفسَّر شواهد الوجه الأول ، وعلى نحو تفسير قوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) تُفسَّر شواهد الوجه الثاني ، فقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) معناه : ((أنَّ الملقيات ذكرًا تجمع بين الإعذار والإنذار ، فتعذر في وقت وتنذر في وقت)) [٢]((أي : عذرًا للمحقين ، أو نذرًا للمبطلين)) [٣] وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) {طه : ٤٤} ((والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ؛ لذلك قدَّم الأول ، أي : إن لم يتحقق صدقكما ، ولم يتذكَّر ، فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى)) [٤] فـ(أو) هنا على بابها ؛ لأنَّ المعنى : إن لم تتحقق التذكرة تحققت الخشية ، وكذلك هي على بابها أينما وردت في القرآن الكريم .

٨٦–**أم** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (أم) وردت في القرآن على ثلاثة أوجه ، الوجه الأول : (أم) بمعنى همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ){الطور: ٣٥} والمعنى : أخلقوا من غير شيء

الوجه الثاني : (أم) بمعنى (بل) كقوله تعالى : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ){الزخرف : ٥٢} والمعنى : بل أنا خير ، وقوله تعالى : (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ

---

(١) مغني اللبيب ٦٢/١.

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٣ .

(٣) أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ٢٧٤/٥ .

(٤) أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ٢٨/٤.

الْقَوْلِ){الرعد : ٣٣} وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ){القمر : ٤٤}

والوجه الثالث : (أم) بمعنى (أو) كقوله تعالى : (أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ){الملك : ١٧} والمعنى : أو أمنتم[١]

ذكر النحاة أنَّ (أم) تكون عاطفة بعد ألف الاستفهام ، وبعد ألف التسوية ، وتكون بمعنى (بل) وبمعنى ألف الاستفهام ، وتكون متصلة ومنقطعة ، وقد فصلوا هذه المعاني لـ(أم) وضربوا لها الشواهد القرآنية واللغوية ، إلّا أنَّهم لم يعنوا بإبراز المعنى الأساسي الموضوع لها ، ولو أنَّهم فعلوا ذلك وتعرفوا إليه ، لوجدوا أنَّ جميع هذه الأوجه والمعاني راجعة إليه ، جاء في الجنى الداني : ((ذهب ابن كيسان إلى أنَّ أصلها (أو) والميم بدلاً من الواو ، وذكر النحاس في (أم) هذه خلافًا ، وأنَّ أبا عبيدة ذهب إلى أنَّها بمعنى الهمزة ، فإذا قال : أقام زيدٌ أم عمرو ، فالمعنى : أعمرو قام؟ فيصير على مذهبه استفهامين)) [٢]

وقد عرَّفها الزركشي بأنَّها ((حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ، وقيل تشرك بين متعاطفين كما تشرك بينهما (أو) ، وهي استفهام كالألف ، إلّا أنَّها لا تكون في أول الكلام ؛ لأجل معنى العطف))[٣]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٤–٢١٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٥–٨٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٤٠ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٩١–٢٩٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٣–٧٤ –٧٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٩ ونزهة الأعين ص ٢٤ ومنتخب قرة العيون ص٣٧–٣٨ .

(٢) ص ٢٠٥.

(٣) البرهان ص ٧٩٩

ففي (أم) هذه معنى الاستفهام والعطف و(أو) ، إلّا أنَّها تختلف عن واو العطف ؛ لأنَّها كـ(أو) لا تفيد إشراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، بل هي لأحد الشيئين ، وهي أيضًا تختلف عن (أو) لأنَّ فيها معنى الاستفهام عن أحقية أحدهما ، أو الاستفهام عن تعيينه ، قال الزمخشري في الفرق بينهما : ((والفصل بين (أو) و(أم) في قولك : أزيد عندك أو عمرو ، و: أزيد عندك أم عمرو ، أنَّك في الأول لا تعلم كون أحدهما عنده ، فأنت تسأل عنه ، وفي الثاني : تعلم أنَّ أحدهما عنده ، إلّا أنَّك لا تعلمه بعينه ، فأنت تطالبه بالتعيين)) [١] وقال ابن بعيش : ((فإذا قال : أزيد عندك أم عمرو ، فالمراد : أيهما عندك؟ فأنت تدري كون أحدهما عنده بغير عينه ، فأنت تطلب تعيينه ، فيكون الجواب : زيد أو عمرو ، ولا تقول نعم ولا (لا) لأنَّه لا يريد السائل هذا الجواب على ما عنده ، فقد تبيَّن أنَّ السؤال بـ(أو) معناه : أأحدها؟ وبـ(أم) معناه : أيهما ؟ فإذا قال : أزيد عندك أو عمرو ؟ فأجبت بـ(نعم) عُلِم أنَّه عنده أحدهما ، وإذا أراد التعيين وضع مكان (أو) (أم) وقال : أزيد عندك أم عمرو ، فيكون حينئذ الجواب : زيد أو عمرو)) [٢]

فـ(أم) إذن تستعمل عاطفة لأحد الشيئين أو الأشياء ، مع الاستفهام عن أحقية أحدهما أو أحده أو تعيينه ، والأوجه الثلاثة التي ذكرها أهل الوجوه لا تخرج جميعها عن هذا المعنى ، فقد جعلوها في الوجه الأول بمعنى همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ){الطور: ٣٥} والمعنى : أخلقوا من غير شيء ، وقد أشرت من قبل أنَّ مقاتل ومن تابعه غالبًا ما يذكرون الشاهد من دون ربطه بما قبله فـ(أم) هنا تقع بين آيات تكررت فيها (أم) معطوفة إحداها على الأخرى ، فهي

---

(١) المفصل في علم العربية ص ٣٩٥ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ١٨/٥.

ضمن قوله تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ {٢٩} أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ {٣٠} قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ {٣١} أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ {٣٢} أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ {٣٣} فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ {٣٤} أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ {٣٥} أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ {٣٦} أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ {٣٧} أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {٣٨} أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ {٣٩} أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ {٤٠} أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ {٤١} أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ {٤٢} أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ){الطور : ٢٩-٤٣} و(أم) الأولى في هذه الآيات ، لا بد من أن تكون معطوفة على استفهام سابق ، إن لم يكن ظاهرًا في اللفظ ، فهو مضمَّن فيه ، ولا أراه إلّا في الآية التي قبلها ، والتقدير : أيقولون بأنك كاهن ومجنون ، أم يقولون شاعر .

وقد جعلوها في الوجه الثاني بمعنى (بل) كقوله تعالى : ((أَمْ أَنَا خَيْرٌ) و(أم) هنا أيضًا متصلة بما قبلها ؛ إذ هي واقعة ضمن قوله تعالى : (أَفَلا تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ){الزخرف : ٥٢} وقيل في (أم) هذه بأنَّها منقطعة ، وقيل بأنَّها بمعنى (بل) ، وقيل بأنَّها منقطعة لفظًا متصلة معنى ، وقيل وضع قوله تعالى (أَنَا خَيْرٌ) موضع تبصرون ، كأنَّ المعنى : أفلا تبصرون أم تبصرون[1] وهذا هو الوجه الصحيح بعد أن نجعل الآية بمعنى ، أفلا تبصرون أم تبصرون أنا خير ؛ وهذا هو الموافق لمعنى (أم) التي تجمع بين العطف والاستفهام .

---

(١) ينظر : الدر المصون ٩/٥٩٧-٥٩٨ .

وكذلك جعلوها بمعنى (بل) في قوله تعالى : (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ) قال الحلبي : ((الظاهر أنَّها منقطعة ٠٠٠وقيل (أم) متصلة ، أي : أتنبئونه بظاهر لا حقيقة له)) [(١)] وما قيل هو الصواب ؛ لأنَّها متصلة بما قبلها عطفًا واستفهامًا ؛ فهي واقعة ضمن قوله تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ){الرعد ٣٣}) فهي معطوفة على (أم) التي قبلها ، والتي قبلها معطوفة على همزة الاستفهام التي بدأت بها الآية .

وكذلك جعلت بمعنى (بل) في (أم) الثانية في قوله تعالى : (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ {٤٣} أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ){القمر : ٤٣-٤٤} والظاهر أنَّها مثل (أم) السابقة معطوفة على (أم) الأولى المعطوفة على همزة الاستفهام .

أمَّا جعلهم (أم) في الوجه الثالث بمعنى (أو) ، فهو وجه اعتباطي لا معنى له ، فقد تقدَّم ذكر الفرق البيِّن بينهما ، وأنَّه لا يصح أن تقع إحداهما موقع الأخرى ؛ لذلك لم تذكر هذا الوجه كتب حروف المعاني ولا كتب التفاسير .

فـ(أم) ليست من الألفاظ المشتركة ، وهي كما تبيَّن تستعمل عاطفة لأحد الشيئين أو الأشياء ، مع الاستفهام عن أحقية أحدهما أو أحده أو تعيينه ، وهذا هو الغرض من استعمالها أينما وردت في القرآن الكريم ، كـ(أم) مثلًا في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٣٧} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){يونس : ٣٧-٣٨} جاء في الدر المصون : ((في (أم)

---

(١) الدر المصون ٥٧/٧ .

وجهان : أحدهما : أنَّها منقطعة فتتقدر بـ(بل) والهمزة عند الجمهور : سيبويه وأتباعه ، والتقدير : بل أتقولون ، انتقل عن الكلام الأول ، وأخذ في إنكار قول آخر ، والثاني : أنَّها متصلة ، ولا بد حينئذ من حذف جملة ؛ ليصح التعادل والتقدير : أيقرون به أم يقولون افتراه؟))(1) يعني : أيقرون ما جاء في الآية التي قبلها أنَّ هذا القرآن لم يُفترَ من دون الله أم يقولون افتراه ؟ حتى الوجه الأول فإنَّه يؤيد هذا المعنى ؛ فإنَّه لم يجعل فيه (أم) بمعنى (بل) وحدها ، وإنَّما جعلها بمعنى (بل) وهمزة الاستفهام ، مما يؤكد أنَّها ليست مثل (بل) التي تفيد الإضراب فحسب ، بل هي تجمع بين العطف والاستفهام .

٨٧-**(ما بين أيديهم وما خلفهم)** : قال ابن الجوزي : ((ما بين أيديهم : هو القدام ، وما خلفهم : هو الوراء والخلف ، والأصل معرفة هذا بالذوات ، وقد يذكر في غير ذلك على سبيل الاستعارة)) (2)

ذكر أهل الوجوه أن قوله تعالى : (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه ، هي :

١-ما كان قبل خلقهم وما كان بعد خلقهم .

٢-ما كان بين أيديهم من أمور الآخرة ، وما كان بين أيديهم من أمور الدنيا .

٣-ما كان قبلهم وما كان بعدهم .

٤-ما كان أمامهم وما كان وراءهم (3).

---

(١) نزهة الأعين ص ٢٦٣ .

(٢) الدر المصون ٢٠٤/٦ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٥-٢١٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٦-٨٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٤٠-١٤١ ونزهة الأعين ص ٢٦٣-٢٦٤ .

هذه الأوجه هي في الحقيقة تراكيب مرادفة لقوله تعالى : ((مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) وليست أوجهًا له ، أو أنَّه فُسِّر بها على سبيل المجاز أو التوسع في الكلام ، كما أنَّ الأوجه ينبغي أن تكون في الألفاظ المفردة لا في التراكيب .

٨٨-**العالمين** : قال ابن فارس : ((ومن الباب العالَمون ؛ ذلك أنَّ كل جنس من الخلق فهو في نفسه مَعْلَم وعَلَم ٠٠٠قال الله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قالوا : الخلائق أجمعون)) [(١)] وقال العسكري : ((العالَم : يقع على الملائكة والإنس والجن ، وقيل : أهل كل زمان عالَم ، وقيل كل ما يحوي الفلك عالَم ، والناس يقولون : العلَم العلوي ، يعنون السماء وما فيها ، والعالَم السفلي ، يريدون الأرض وما عليها٠٠٠قال المفضل : العرب تقول : العالَمِين في الرفع والنصب والجر ؛ لأنَّه جمع لا نظير له)) [(٢)]

وقال ابن الجوزي : ((قال ابن عباس : العالمون كل من يعقل من الإنس والجن والملائكة ، وقال في رواية أخرى : العالمون : كل ذي روح ، ويقال : فلان خير العالم ، ويراد بذلك أهل زمانه))

وذكر أهل الوجوه أنَّ العالمين جاء في القرآن الكريم على أوجه عديدة هي :

١-الإنس والجن .

٢-عالَم زمان بني إسرائيل .

٣-العالَم من لدن آدم إلى قيام الساعة .

٤-العالَم ما كان بعد نوح .

٥-أهل الكتاب

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٩٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٣٧-٢٣٨ .

٦-الأضياف .

٧-كل ذي روح

٨-عالمو أزمانهم .

٩-المؤمنون .

١٠-بعض أولاد آدم [١].

وهذه الأوجه كما ترى لا تخرج عن معنى العالَمِين ، فهى من مرادفاته وليست أوجهًا له .

٨٩-**الإنذار-النذر** : النذر أو الإنذار : كلمة تدل على تخويف مع إبلاغ [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ النذر أو الإنذار جاء في القرآن الكريم على الأوجه الآتية :

١-أنذر بمعنى حذَّر .

٢-أنذر بمعنى أخبر .

٣-والنُذُر يعني الرسل ، والنذير بمعنى الرسول .

٤-والنذير يعني الشيب .

٥-والنذر بعينه [٣].

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٧-٢١٨وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٧-٨٨والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٢-١٤٣ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٣٧-٢٣٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٧-٢٣٨ ونزهة الأعين ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٩٣ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢١٨-٢١٩وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٨-٨٩ والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٣-١٤٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤٧-٤٤٨.

مما يدل على أنَّ النذر ليس من الألفاظ المشتركة جعلهم إياه في الوجه الخامس بمعنى النذر بعينه ؛ لأنَّ من علامات اللفظ المشترك أن لا يكون له معنى مستقل يميزه من بين المعاني المنسوبة إليه ، و(حذَّر) و(أخبر) لفظان مرادفان للإنذار ، أمَّا الرسل والرسول فهو وجه معكوس ، وكذلك الشيب ؛ لأنَه ليس المراد تسمية النذير بالرسول والشيب ليكونا له وجهين ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما المراد تسمية كل من الرسول والشيب بأنَّه نذير .

٩٠-**المدّ-نمدّهم** : قال الخليل : ((المدُّ : الجذب ، ومَدَّ النهرُ وامتدَّ الحبلُ ، والمدد : ما أمددتَ به قومًا في الحرب)) [١]وقال ابن فارس : ((والميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول ، واتصال شيء بشيء في استطالة ...ومدُّ النهار : ارتفاعه إذا امتدَّ)) [٢]وقال ابن الجوزي : ((الأصل في المد : بسط الشيء إلى نهاية طوله ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة)) [٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ المدَّ جاء في القرآن على أوجه هي :

١-نمدهم يعني نلجهم ، كقوله تعالى : (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٥} هذا قول مقاتل وهرون ، أو نمد لهم العمر على قول العسكري ، أو نلجئهم من الإلجاء على قول الدامغاني .

٢-المد : يعني الذي لا انقطاع له .

٣-المد : يعني البسط .

---

(١) العين ص ٩٠٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٤٢ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٦٧.

٤–المد : يعني التسوية ، كقوله تعالى : (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ){الانشقاق : ٣} أي : إذا الأرض سُوِّيت .

٥–المد : يعني مدد الجيش .

٦– المد : يعني الدوام [1].

وهذه الأوجه والمعاني جميعها ألفاظ مرادفة للمد وليست أوجهًا له ، أو هي معان مستعارة كما ذكر ابن الجوزي .

٩١–**الطغيان** : قال الخليل : ((كل شيء يجاوز القدر فقد طغى ، مثل ما طغى الماء على قوم نوح ، وكما طغت الصيحة على ثمود ٠٠٠وأطغاه الله فهو طاغ)) [2] والطغيان هو ((مجاوزة الحد في العصيان ٠٠٠وطغى السيل إذا جاء بماء كثير ٠٠٠وطغى البحر إذا هاجت أمواجه)) [3] وقال العسكري في الطغيان بأنّ ((أصله مجاوزة الحد٠٠٠ثم استعمل في شدة الظلم ؛ لأنَّه تجاوز لحد الصفة)) [4]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الطغيان جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : الضلالة ، والعصيان ، وارتفاع الماء وكثرته ، والظلم[5]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢٠–٢٢١ وباسم الوجوه والنظائر ص ٨٩–٩٠والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٤–١٤٥، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠٤–٣٠٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٩–٤٢٠ ونزهة الأعين ص ٢٦٧–٢٦٨ .

(٢) العين ص ٥٧١ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣٣.

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٢٤ .

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢١–٢٢٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩١والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٥، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٢٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٣ ونزهة الأعين ص ١٩٠ .

أهذه أوجه للطغيان أم ألفاظ مرادفة له ؟ وقد عُرِّف الطغيان بأنَّه لا يعني العصيان ، بل مجاوزة الحد فيه ، وبأنَّه لا يعني الظلم ، بل يعني شدة الظلم ، وكذلك يقال الكلام نفسه في الضلالة ، ولهذا وصف القرآن الكريم ارتفاع الماء وكثرته بقوله : (لَمَّا طَغَى الْمَاء){الحاقة : ١١) فهذه الأوجه إذن التي ذكرها أهل الوجوه تُعدُّ تحريفًا لدلالة الطغيان الوارد في القرآن الكريم ؛ لأنَّها لا تعني الطغيان نفسه ، لذلك مثلًا جاء قوله تعالى : (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى){النجم : ٥٢} فقد عطف أطغى على أظلم ، لأنَّ الظلم غير الطغيان ، وهذا المأخذ الذي وقع فيه أهل الوجوه هنا ، ينطبق على كل لفظ اتخذوا من مرادفاته أوجهًا له .

٩٢-الاشتراء : قال الخليل : ((والعرب تقول : بعتُ الشيء بمعنى اشتريته ، ولا تبع بمعنى لا تشترِ ، والابتياع الاشتراء)) [(١)]وقال ابو بكر بن الأنباري : ((اشتريتُ حرف من الأضداد ، يقال : اشتريتُ الشيء على معنى قبضته ، وأعطيت ثمنه ، وهو المعنى المعروف عند الناس ، ويقال اشتريته إذا بعته٠٠٠وبعتُ من الأضداد ، يقال : بعتُ الشيء ، على المعنى المعروف عند الناس وبعتُ الشيء إذا ابتعته))[(٢)] ومثل هذا قال غيره : ((ومن الأضداد البيع ، يقال : بعتُ الشيء : إذا بعته من غيرك وأخذتَ ثمنه ٠٠٠وبعته أيضًا : إذا اشتريته))[(٣)] ((ومن الأضداد الشرى ، قال الأصمعي : اشتريتُ الشيء على وجهين ، وشريته أيضًا على وجهين٠٠٠وفي التنزيل : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ){يوسف : ٢٠} أي :

---

(١) العين ص ٩٧ .

(٢) الأضداد ص ٥٥ رقم ٣٦و٣٧ .

(٣) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص ٥٦

باعوه))[١] ((والمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشتري ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع ، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المُشتَرى)) [٢] وجاء في اللسان : ((الابتياع : الاشتراء ٠٠٠ وابتاع : اشترى)) [٣] و((إنَّما سُمِّي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأنَّ كل واحد منهما يأخذ شيئًا ويعطي شيئًا ؛ فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد)) [٤] فـ((الشراء والبيع يتلازمان فالمشتري دافع الثمن وآخذ المُثْمَن والبائع دافع المُثْمَن وآخذ الثمن ، هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناضٍّ وسلعة ، فأمَّا إذا كانت بَيْعَ سلعة بسلعة صح أن يُتَصَوَّر كلٌّ منهما مشتريًا وبائعًا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يُستعمل كلٌّ واحد منهما في موضع الآخر، وشريتُ بمعنى بعتُ أكثر ، وابتعتُ بمعنى اشتريتُ أكثر)) [٥]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الاشتراء جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، هي :

١-اشتروا بمعنى اختاروا .

٢-الاشتراء بمعنى الابتياع .

---

(١) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص ٢٥٣ .

(٢) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص ٦٠

(٣) ٢/١٩٣-١٩٤ .

(٤) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٥٦-٥٧ .

(٥) المفردات ص ٢٦٩ ، و((الناضُّ من المال٠٠٠ما كان عينًا ، وإلى هذا يذهب الفقهاء في الناض)) مقاييس اللغة ص ٨٧٣ .

٣- اشتروا بمعنى باعوا [١]

تبين مما ذكرته كتب معاجم اللغة والأضداد أنَّ الابتياع مرادف للاشتراء ، وأنَّ باعوا مرادف لـ(اشتروا) وهذا ما جاء في الوجهين الثاني والثالث ، أمَّا جعل اشترى بمعنى اختار في الوجه الأول ، فإنَّه يدخل في باب المجاز لا في باب الوجوه .

٩٣-النار : ذكر أهل الوجوه أنَّ النار وردت في القرآن الكريم على الأوجه الآتية : النور ، والنار بعينها ، وجهنم ، ونار القربان ، والنار التي تقدح من الزَّند ، والحرام ، والكفر ، ونار الحرب [٢]

قال العسكري : ((أصل النار والنور واحد ٠٠٠والعرب تشبه الحرب بالنار)) [٣]

وهذه المعاني جميعها ليست أوجهًا للنار ، بل هي إمَّا تعني نفس النار وهي : النار بعينها ، وجهنم ، ونار القربان ، والنار التي تقدح من الزند ، وإمَّا الفاظ مجازية وهي : الحرام ، والكفر ، ونار الحرب ، أمَّا النور فهو مرادف للنار ، أو هو من مستلزماتها ، ولا أوجه

٩٤-الأعمى : قال ابن الجوزي : ((الأعمى : الذاهب البصر ٠٠٠ويستعار فيمن ذهبت بصيرته ، وفيمن لم يهتد إلى حجته)) [٤]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢٢-٢٢٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٠-٩١والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٦-والوجوه والنظائر للعسكري ص ٥٧-٥٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩١-٢٩٢، ومنتخب قرة العيون ص ١٥٠.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص٢٢٣-٢٢٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩١والوجوه والنظائر لهرون ص ١٤٦-١٤٧، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٢١-٣٢٢والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٣٢١ .

(٤) نزهة الأعين ص ٣٣ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ الأعمى في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : أعمى القلب ، وأعمى البصر ، وأعمى عن الحجة ، والكافر [(١)]

وأعمى البصيرة هو الأعمى بعينه ، أمّا باقي المعاني فهي كما ترى معان مجازية .

٩٥-**البصر-البصير** : ذكر أهل الوجوه أنَّ البصير في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : البصير بالقلب ، والبصير بالعينين ، والبصير بالحجة ، والمعتبر [(٢)]

البصير بالعينين هو البصير نفسه ، أمَّا باقي المعاني فهي أيضًا وكما ترى معان مجازية .

٩٦-**السميع والسمع** : ذكر أهل الوجوه أنَّ السمع والسميع جاء في القرآن الكريم على وجهين : الأول : سميع الإيمان بالقلب ، أو سمع القبول والإجابة ، وهو قبوله للمسموعات ، والثاني : السميع بالأذنين ، أو سمع الصوت ، أو إدراك السمع المسموعات[(٣)].

ولا شك أنَّ الوجه الأول يعني السمع مجازًا ، والثاني يعني السمع حقيقة ، ولا أوجه

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص٢٢٤-٢٢٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٢ والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٨-١٤٩ ونزهة الأعين ص ٣٣ ومنتخب قرة العيون ص ٤٦-٤٧ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص٢٢٥-٢٢٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩١-٩٢ والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٧-١٤٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٦-٨٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٥-١٢٦ ونزهة الأعين ص ٧٤ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص٢٢٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٢ والوجوه والنظائر لهرون ص١٤٩ ونزهة الأعين ص ١٥٣ .

٩٧-**الموت** : ((الموت : حادث تزول معه الحياة))[١]ذكر أهل الوجوه للموت أوجه هي : الموت نفسه ، والنطف التي لم تُخلَق ، والضلالة ، وجدوبة الأرض ، وذهاب الروح ، والحرب ، والكفر ، والطاعون[٢]

وجعْلُ الموت بمعنى الطاعون ، هو من باب تسمية الشيء بما ينتهي إليه ، والموت نفسه ، والنطف التي لم تُخلَق ، وذهاب الروح ، تعني الموت حقيقة ، والضلالة ، وجدوبة الأرض ، والكفر ، والحرب ، تعني الموت مجازًا ، ولا أوجه .

٩٨-**الحياة** : ((الحياة : معنى يفيد في الحيوان الحس والتحرك)) [٣]

وذكر أهل الوجوه للحياة ستة أوجه :

الأول : الحياة بعد الخلق ونفخ الروح ، أو نفخ الروح في الحيوا بالحلق الأول .

الثاني : والمؤمن المهتدي ، أو الهدى .

والثالث : والبقاء .

والرابع : إحياء الأرض بالنبات .

والخامس : إحياء عيسى عليه السلام الموتى بإذن الله .

والسادس : الحياة يوم القيامة ، أو إحياء الموتى بعد خروج الأرواح منهم [١]

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٧٤.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢٦-٢٢٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٣-٩٤ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٤٩-١٥١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٠-٤٢١ ونزهة الأعين ص ٢٧٤-٢٧٥ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٠٣ .

لا وجوه فيما ذكروه ؛ لأنَّ الحياة بعد الخلق ونفخ الروح ، وإحياء عيسى الموتى بإذن الله ، والحياة في الآخرة ، تعني الحياة حقيقة ، دائمة كانت أم موقتة ، والحي بمعنى المؤمن ، وإحياء الأرض بالنبات ، والحياة بمعنى البقاء ، تعني الحياة مجازًا .

٩٩-**الضرب** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الضرب في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الضرب في الأرض يعني السير ، والضرب باليدين ، والضرب يعني الوصف ، وضَرَب يعني وصف وبيَّن[٢] وقال المبرد : ((وأمَّا اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فقولك : ضربتُ مثلًا ، وضربتُ زيدًا ، وضربتُ في الأرض : إذا أبعدتُ)) [٣]

قال الخليل : ((الضرب يقع على جميع الأعمال ، ضرب في التجارة ، وفي الأرض وفي سبيل الله ، يصف ذهابهم وأخذهم فيه ، والضرب : النحو والصنف ، يقال : هذا ضرب ذاك ، وضريب ذاك ، أي : مثله)) [٤]

وفي مقاييس اللغة : ((الضاد والراء والباء : أصل واحد ثم يُستعار ويُحمَل عليه ومن ذلك ، ضربتُ ضرْبًا : إذا أوقعت بغيرك ضربًا ، ويُستعار

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢٨-٢٣٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٤-٩٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥١-١٥٢والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٣٧-١٣٨والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٨٦-١٨٨ ونزهة الأعين ص ١٠٣-١٠٤ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٢٣-٢٣١ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٥-٩٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٢-١٥٣وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٩-٢١١والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٠٩ ونزهة الأعين ص ١٨٣ .

(٣) المقتضب بتحقيق هرون ١/١٤٦ ، وبتحقيق بديع ١/٨٧-٨٨ .

(٤) العين ص ٥٤٥ .

منه ويُشبَّه به الضرب في الأرض تجارة ، وغيرها من السفر٠٠٠ومن الباب الضرب : الصيغة ، يقال : هذا من ضرب فلان ، أي : صيغته ؛ لأنَّه إذا صاغ شيئًا فقد ضربه ، والضرْب المِثل ؛ كأنَّهما ضُرِب ضرْبًا واحدًا ، وصيغا صيغة واحدة ، والضريب : الصقيع ؛ كأنَّ السماء ضربتْ به الأرض ، والضريب من اللبن : ما ضُرِب محضه بخليطه ؛ كأنَّ أحدهما ضُرِب على الآخر، والضريب : الشهد ؛ كأنَّ النحل ضربه ، ويقال للصنف من الشيء : الضرْب ؛ كأنَّه ضُرِب على مثال ما سواه من ذلك الشيء ، والضريبة : ما يُضرَب على الإنسان من جزية وغيرها والقياس واحد ؛ كأنَّه قد ضُرِب ضرْبًا ، ثم يتسعون فيقولون : ضرب فلان على يد فلان : إذا حجر عليه ؛ كأنَّه أراد بسط يده ، فضرب الضارب على يده ، فقبض يده٠٠٠وأضرب فلان عن الأمر : إذا كفَّ ، وهو من الكف ؛ كأنَّه أراد التبسط فيه ثم أضرب ، أي : أوقع بنفسه ضربًا فكفها عما أرادت)) (١)

فإذا كان الضرب قد استعير وتُوسِّع في معناه إلى هذا الحد الذي بيَّنه ابن فارس ، حتى صار يقع على جميع الأعمال كما قال الخليل ، فهل يمكن بعد ذلك أن يجد أهل الوجوه للضرب أوجهًا تخرج عن معناه المذكور توسُّعًا أومجازًا ؟!

١٠٠–فوق : وذكر أهل الوجوه أنّ فوق في القرآن الكريم على تسعة أوجه : أكبر ، وأفضل ، وأرفع ، وأكثر ، و(على) ، وفوق في الظفر ، وفوق رؤوسهم ، وأعلى الوادي ، وفوق في السلطان(٢)

---

(١) ص ٥٢٧ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٢–٢٣٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٦–٩٧ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٤–١٥٥والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٣–٢٦٥والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٨–٢٥٩ ونزهة الأعين ص ٢٢١ ومنتخب قرة العيون ١٨٨–١٨٩ .

وهذه الألفاظ مرادفة لما يدل عليه لفظ فوق ، بل لا تخرج جميعها عن معنى الفوقية ؛ لأنَّ ((فوق يُستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة ...باعتبار العلو...وباعتبار الفضيلة والمنزلة الدنيوية والأخروية ...وباعتبار القهر والغلبة)) [١] أو أنَّها تدخل في باب المجاز ، قال ابن الجوزي : ((الأصل في فوق : أنَّه ظرف من ظروف المكان ، ويقابله التحت ، ويستعار في مواضع ، فيقال في الرتبة ، والمنزلة ، والصغر ، والكبر ، ونحو ذلك)) [٢]

وقد نوهنا غير مرة بأنَّ من علامات وجوه اللفظ المشترك أن تكون معانيها متباينة ، لا ترتبط فيما بينها بصلة ترادف ، أو مجاز ، أو وصف ، أو أصل ، أو قياس ، أو أية صلة أخرى غير صلة اللفظ المشترك.

١٠١-**الأزواج** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الأزواج في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الحلائل ، والأصناف ، والقرناء [٣] واستبدل ابن الجوزي الزوجات بالحلائل

قال الخليل : ((يقال : لفلان زوجان من الحمام ، أي : ذكر وأنثى)) [٤] وقال ابن فارس : ((الزاي والواو والجيم : أصل يدل على مقارنة شيء

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٤٠٤.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٢١ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٤-٢٣٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٧-٩٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٥-١٥٦وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٠-٢٧١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٧٥-١٧٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٨ ونزهة الأعين ص ١٤٧ ومنتخب قرة العيون ١٣٩-١٤٠.

(٤) العين ص ٤٠٠ .

لشيء)) [1] وقال ابن الجوزي : ((الزوج : ما كان له قرين من جنسه ، فهو اسم يقع على كل واحد من المقترنين ، يقال للرجل زوج ، وللمرأة زوج ويقال لفلان زوجان من الحمام أي : ذكر وأنثى))[2]

والأوجه التي ذكرها أهل الوجوه ، كما هو واضح لا تخرج معانيها عما ذكره أهل اللغة ، فالأصناف ، والقرناء مرادفان للأزواج ، امَّا الحلائل فقد قُصِد بهنَّ الزوجات على سبيل الوصف ؛ لأنَّهنَّ أحلَّهنَّ الله على أزواجهنَّ .

١٠٢-**العلم** : ذكر أهل الوجوه للعلم ثلاثة أوجه :

١-يعلم بمعنى يرى ، كقوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ){آل عمران : ١٤٢} وقوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ){التوبة : ١٦}

٢-العلم بعينه .

٣-علم بمعنى أذن ، كقوله تعالى : (فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ){هود : ١٤} هذا ماذكره مقاتل وهرون والعسكري والدامغاني ، وأضاف ابن الجوزي أوجهًا أُخر هي : مجيء العلم بمعنى القرآن ، والكتاب ، والرسول ، والفقه ، والعقل ، والتمييز ، والفضل ، وما يعده أربابه علمًا ، وإن لم يكن كذلك ، كقوله تعالى : (فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ){غافر : ٨٣}[3]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٩٢.

(٢) نزهة الأعين ص ١٤٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٣٩ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٥-٢٣٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٦-١٥٧والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٤١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٨ ونزهة الأعين ص ٢٠٩-٢١٠ ومنتخب قرة العيون ١٨٠-١٨١.

مما يدل على أنَّ العلم ليس من الألفاظ المشتركة جعلهم إياه في الوجه الثاني بمعنى العلم بعينه ، لأنَّ من علامات اللفظ المشترك أن لا يكون له معنى مستقل يميزه من بين المعاني المنسوبة إليه ، والقرآن والكتاب والرسول أوجه معكوسة ؛ لأنَّه ما أريد تسمية العلم بهذه الأمور الثلاثة كما فعل ابن الجوزي تقليدًا لمنهج أهل الوجوه ، وإنَّما تسمية كلٍّ منها بالعلم ، والوجه الأخير أريد به العلم بعينه يعلمه أصحابه ، وقد استشهد للفضل بقوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي){القصص : ٧٨} وهذا الوجه مختلق ؛ لأنَّه يدخل في باب التفسير ؛ والدليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن جعل العلم بمعنى الفضل في النزهة والمنتخب ؛ ليصح أن يكون وجهًا ، لم يعيِّنه في الزاد فقد قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) يعني المال (عَلَى عِلْمٍ عِندِي) فيه خمسة أقوال : أحدها : على علم عندي بصنعة الذهب٠٠٠والثاني : برضى الله عني٠٠٠والثالث : على خير علِمَه اللهُ عندي ، قاله مقاتل[1] والرابع : إنَّما أُعطيته لفضل علمي ، قاله الفراء[2] قال الزجاج : ادعى أنَّه أُعطي المال لعلمه بالتوراة ، والخامس على علم عندي بوجوه المكاسب))[3]

كيف تسنى لابن الجوزي أن يجعل القول الرابع من أوجه العلم ؟! لأنَّه سيجوز لغيره بالقدر نفسه أن يجعله القول الأول ، أو القول الثاني ، أو الثالث ، أو الخامس على حد سواء ، إنَّه التقليد لمنهج مقاتل في اختلاق الوجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ ابن الجوزي اختلق طريقة

---

(١) تفسير مقاتل ٥٠٦/٢.

(٢) قال الفراء : ((على فضل عندي ، أي : كنتُ أهله ومستحقًّا له ؛ إذ أُعطيته لفضل علمي)) معاني القرآن ٢٠٣/٢.

(٣) زاد المسير ١١٩/٦.

لاختلاق الأوجه ، وهي أنَّه اتخذ مما جاز إضافته للشيء وجهًا له ؛ إذ عدَّ الفضل من أوجه العلم ؛ لجعل قوله تعالى : (عَلَى عِلْمٍ) بتقدير : على فضل علمي ، وبهذه الطريقة يمكن اختلاق أوجه أخرى للعلم ، كالإخلاص ، والكمال ، والتمام ، والكفء ، والجاه ، والشرف ، بعد جعله بتقدير : على إخلاص علمي ، وعلى كمال علمي ، وعلى تمام علمي ، وعلى كفء علمي ، وعلى جاه علمي ، وعلى شرف علمي ، لأمكن اختلاق هذه الأوجه ونحوها.

أمَّا جعل العلم بمعنى الإذن فهو وجه اعتباطي ، ولا يصح أن يُعدُّ وجهًا له ؛ لأنَّ الإذن بالشيء من مستلزماته العلم به ؛ لذلك فسَّر الطبري قوله تعالى : (أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ) ((إنَّما أُنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه)) [1] فقرن العلم بالإذن ، بل المعنى المراد هو العلم من دون الإذن ؛ لأنَّه جاء بلفظه من دونه ، قال الزجاج : ((ومعنى (أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ) أي : أُنزِل والله عالم بإنزاله وعالم أنَّه حق من عنده ، ويجوز أن يكون ، والله أعلم (بِعِلْمِ اللّهِ) أي : بما أنبأ الله فيه من غيب ودلَّ على ما سيكون ، وما سلف مما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم كتابًا ، وهذا دليل على أنَّه من عند الله)) [2] ومثل هذا قال الواحدي[3] وفسَّر البيضاوي الآية بقوله : ((فاعلموا أنَّما أُنزل (بِعِلْمِ اللّهِ) أي : أُنزِل ملتبسًا بما لا يعلمه إلّا الله ، ولا يقدر عليه سواه)) [4] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل العلم بمعنى الإذن تقليدًا لمقاتل وأهل الوجوه مستشهدًا بالآية

---

(١) جامع البيان ١٥/١٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥/٣ .

(٣) الوسيط ٥٦٧/٢.

(٤) أنوار التنزيل ١٣٠/٣ .

المذكورة[١] قال في تفسيرها في تفسيره : ((فيه قولان : أحدهما : أنزله وهو عالم بإنزاله وعالم بأنَّه حق من عنده ، والثاني : أنزله بما أخبر فيه من الغيب ودلَّ على ما سيكون وسلف ، ذكرهما الزجاج))[٢] فتأمَّل أنَّه تبنى هذين القولين وليس من بينهما الوجه الذي عيَّنه في النزهة والمنتخب .

وجعلهم العلم في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) بمعنى الرؤية تحريف لدلالة اللفظ ؛ لأنَّه سبحانه لو أراد الرؤية لجاء بلفظها ، ففي غير باب المجاز يكون من العبث أن يستعمل القرآن الكريم لفظًا وهو يريد معنى لفظ آخر ، لأنَّه به تبطل المعاني ويتعطل البحث في التفسير ؛ ولا يجوز أن ننسب مثل هذا التصرف في التعبير إلى كلام الله بطريق مباشر أو غير مباشر ، لذلك جاء تفسير الآية على أنَّ المراد من العلم العلم بعينه ، ففي تفسير قوله تعالى : (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) قال الزجاج : ((المعنى : ولمَّا يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين ، ولمَّا يعلم الله ذلك واقعًا منهم ؛ لأنَّه جل وعز يعلمه غيبًا ، وإنَّما يجازيهم على عملهم)) [٣] وقال الواحدي : ((والمعنى : ليقع ما علمه غيبًا٠٠٠وليعلم ذلك كائنًا موجودًا كما علمه غيبًا ، فالمجازاة إنَّما تقع بما يعلمه موجودًا ، لا بما علمه غيبًا)) [٤] وقال ابن عطية : ((وليعلم ، معناه : ليظهر في الوجود إيمان الذين قدعلم أزلاً أنَّهم يؤمنون ؛ وليساوق علمه إيمانهم ووجودهم ، وإلاَّ فقد علمهم في الأول ،

---

(١) ص ١٨٠ .

(٢) زاد المسير ٦٤/٤ ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٥/٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٩٧/١ .

(٤) الوسيط ٤٩٧/١.

وعلمه تعالى لا يطرأ عليه التغيير)) [١] وقال أبو حيان : ((والمراد بنفي العلم انتفاء متعلقه ؛لأنَّه منتف بانتفائه ، كما قال تعالى : (وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاسْمَعَهُمْ){الأنفال : ٢٣} المعنى : لم يكن فيهم خير ؛ لأنَّ ما لم يتعلق به علم الله تعالى موجودًا لا يكون موجودًا أبدًا)) [٢] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل العلم بمعنى الرؤية في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ){التوبة : ١٦}[٣] جعله بمعنى العلم بعينه في تفسيره ، فقال : (((وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ) أي : ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم ، وقد كان يعلم ذلك غيبًا ؛ فأراد إظهار ما علم ؛ ليجازي على العمل)) [٤] ولم يشر إلى معنى الرؤية .

فهذه هي حقيقة الوجوه العشرة المذكورة ، فجميعها مختلقة ، وقد اختلقها أهل الوجوه بأربعة طرق : بطريق الترادف ، والدراسة المعكوسة ، والوصف ، والتحريف ، هذا إن صح ما ادعوه ، وإلاَّ فإنَّه قد أريد من العلم في شواهد المواضع جميعها العلم بعينه .

١٠٣–نرى : ذكر مقاتل وهرون أنَّ نرى ومشتقاتها في القرآن الكريم على أربعة أوجه : العلم ، والمعاينة ، والنظر ، والخبر [٥]

وهذه الأوجه معان مرادفة للرؤية وليست أوجهًا لها ، هذا إن صح ما ادعياه ، وإلاَّ فإنه قد أريد من لفظ الرؤية في هذه المواضع الأربعة معنى

---

(١) المحرر الوجيز ٥١٤/١ .

(٢) البحر المحيط ٩٨/٣ .

(٣) منتخب قرة العيون ص ١٨٠ .

(٤) زاد المسير ١٨٠/٣.

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٦–٢٣٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٨–٩٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٨

الرؤية بعينها . وأضاف ابن الجوزي ثلاثة أوجه أُخر هي : ((الاعتبار ، ومنه قوله تعالى : (أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء){النحل : ٧٩} والسماع ، ومنه قوله تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ){الأنعام : ٦٨} والتعجب ، ومنه قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ){النساء : ٤٩}))[١]

والأوجه التي أضافها ابن الجوزي للرؤية أوجه اعتباطية ، والدليل على ذلك أنَّه لم يتطرق إلى تفسير الرؤية بمعنى الاعتبار ، والسماع ، في آيتي النحل ، والأنعام ، وقد تطرق إلى تفسيرها في آية النساء ، لكنه فسَّرها بغير المعنى الذي عيَّنه في النزهة ، فقال: ((قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ)٠٠٠وفي قوله (أَلَمْ تَرَ) قولانَ : أحدهما : ألم تُخبَرْ ، قاله ابن قتيبة ، والثاني : ألم تعلم ، قاله الزجاج)) [٢] ذكر هذين القولين ، ولم يشر البتة إلى معنى التعجب ، والتعجب لو صح ، فهو لم يأت من لفظ الرؤية ، بل من الاستفهام الذي كثيرًا ما يخرج إلى معان مجازية التي من بينها : الإنكار ، والتوبيخ ، والتعجب .

١٠٤–**حين** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (حين) ورد في القرآن الكريم على أوجه عديده هي :

١–سنة أو ستة أشهر ، كما قال ابن الجوزي .

٢–ومنتهى الآجال .

٣–والساعات .

٤–وزمان لم يُؤقت ، أو أربعون سنة أو زمان منكر ، كما قال ابن الجوزي

٥–ونصف النهار

---

(١) نزهة الأعين ص ١٣٨ .

(٢) زاد المسير ٦٣/٢ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٨/٢ .

٦–ونصف النهار .

٧–وخمس سنين .

٨–وابتداء القتال يوم بدر [١]

وأقول ما قلته في اللفظ السابق : أهذه أوجه للحين أم معان مرادفة له ؟! وأكبر دليل على ذلك أنَّ العسكري وابن الجوزي أنفسهما صرَّحا ضمنًا بترادفها وأنَّها تدخل جميعها في معنى الحين ، عندما عرَّف الأول (حين) بقوله : ((والحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل ، ويكون محدودًا أو غير محدود)) [٢] وعرفَّه الثاني بقوله : ((الحين : الزمان قليله وكثيره)) [٣]

وأقول أيضًا هذا إن صح ما ادعاه أهل الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ (حين) جاءت في شواهد المواضع المذكورة ، وأينما وردت في القرآن الكريم بمعنى (حين) بعينه .

١٠٥–**النسيان** : عرَّف العسكري النسيان بأنَّ ((أصله الترك (أو التأخير كما قال ابن الجوزي) وسُمِّي خلاف الذكر نسيانًا ؛ لأنَّ الناسي للشيء تارك له)) [٤]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ٩٩–١٠٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٣٨–١٤٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٨٥–١٨٦ ونزهة الأعين ص ١٠٤–١٠٥ ومنتخب قرة العيون ٩٥–٩٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٣٨–١٣٩ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٠٤ ومنتخب قرة العيون ٩٥ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ٣٢٢ ، وينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٢٦ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ النسيان في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : النسيان أو خلاف الذكر ، والترك ، والتخليد في النار [١]

النسيان أو خلاف الذكر هو النسيان بعينه ، والترك ، والتخليد في النار ، معنيان مرادفان للنسيان .

١٠٦-**النصر** : ((النصر : العون ، وانتصر فلان : انتقم ، والنصر : المطر ، والنصر : الإتيان)) [٢] والنصر عند أهل الوجوه على أربعة أوجه : المنع ، والعون ، والظفر ، والانتقام[٣]

وهذه الأوجه أيضًا معان مرادفة للنصر ، وليست أوجهًا له

١٠٧-**الصاعقة** : قال الخليل : ((الصاعقة : صيحة العذاب ، والصاعقة : الصوت الشديد من صوت الرعد ، يسقط منه قطعة من نار ٠٠٠والصعِق : المغشي عليه ، صعق صعقًا غُشِي عليه من صوت يسمعه ، أو حس أو نحوه ، وصعق صعقًا : مات)) [٤] ((كأنَّه أصابته صاعقة)) [٥]

والصاعقة عند أهل الوجوه على خمسة أوجه :

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٩ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٢٢-٣٢٣والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥١-٤٥٢ ونزهة الأعين ص ٢٨٠ ومنتخب قرة العيون٢٢٦.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٨٤ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٣٩-٢٤١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٠-١٠١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٥٩-١٦٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٣ .

(٤) العين ص ٥٢٠ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٨٥.

١-موت عقوبة يرجع صاحبه إلى الدنيا .

٢-موت عقوبة لا يرجع صاحبه إلى الدنيا .

٣-الموت بالآجال .

٤-النار التي تقع من السحاب .

٥-الغشي[1].

وهذه الأوجه كما ترى تدخل جميعها في معنى الصاعقة كماعرَّفها الخليل وابن فارس ؛ فهي إن لم تعن الصاعقة بعينها ، فإنَّها تُعد معاني مرادفة لها .

١٠٨-ما : ذكر أهل الوجوه أنَّ (ما) في القرآن على ثمانية أوجه ، هي : لا ، و(ليس) ، و(لم) ، وأن تكون خبرًا في التعجب ، وأن تكون نكرة موصوفة ، وأن تكون للشرط والجزاء ، وأن تكون مصدرية ، وبمعنى : أي شيء في الاستفهام ، و(من) الموصولة ، و(الذي) ، و(كما) ، وصلة (زائدة)[2] والنكرة الموصوفة هي الموصولة نفسها .

هذا هو اللفظ الثامن بعد المئة الذي يُعدُّ أول لفظ من الألفاظ المشتركة حقًّا ، إلّا أنَّ أهل الوجوه اتبعوا أيضًا طريقة الترادف ؛ ليختلقوا لـ(ما) أوجهًا وهمية ، تضاف إلى أوجهه الحقيقية ؛ فجعلوها بمعنى (لا) و(ليس) و(لم) وهذه الأوجه الثلاثة ألفاظ مرادفة لـ(ما) وليست أوجهًا له ،

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤١-٢٤٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠١-١٠٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٠-١٦١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٨ ونزهة الأعين ص ١٧٦-١٧٧ ومنتخب قرة العيون ١٦٠ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤٢-٢٤٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٢ -١٠٤والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦١-١٦٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٩-٣٠٠ ونزهة الأعين ص ٢٧١-٢٧٣ ومنتخب قرة العيون٢٢٠-٢٢١.

فصحيح أنَّ (ما) لفظ مشترك ، وأنَّ من أوجهها معنى النفي ، لكن ليس صحيحًا أنَّها تجيء بمعاني أدوات النفي الأُخر ، وإن شاركتها في المعنى العام ، فأدوات النفي لكل منها دلالتها المستقلة التي تميزها من غيرها ، واستعمالاتها الخاصة بها ؛ لذلك لم أجد أحدًا من أصحاب كتب حروف المعاني والنحو واللغة من جعل (ما) بمعنى (لا) أو(ليس) أو(لم) ، بل درسوا كلاًّ منها على حدة ، وأكدوا أنَّ بينها فروقًا أساسية في الدلالة والاستعمال ، وهذا ما بسطته في كتابي : (ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية ، الذي هو في الأصل أطروحتي للدكتوراه ؛ لذا أعدُّ الأوجه الثلاثة الأولى وجهًا واحدًا ، هو النفي ، ويليه معنى الاستفهام .

وكذلك (منِ) الموصولة ، والذي ، هما لفظان مرادفان لـ(ما) فهما وجه واحد ، يشتركان معها بمعنى الموصولية .

أمَّا جعل (ما) بمعنى (كما) فهو وجه لم يقل به النحاة ولا المفسرون ، وقد استشهد له مقاتل وهرون وابن الجوزي بقوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ){يس : ٦} والتقدير عندهم : لتنذر فومًا كما أُنذر آباؤهم ، واستشهد الأول والثاني بشاهد ثان هو قوله تعالى : (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ){هود : ١٠٧، ١٠٨} والتقدير خالدين فيها كما دامت السموت والأرض .

والدليل على التقليد من لدن أصحاب كتب الوجوه لمقاتل أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن في نزهته ومنتخبه أن تكون (ما) بمعنى (كما) في قوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) قال في تفسيرها في تفسيره : ((في (ما) قولان : أحدهما : أنَّها نفي وهو قول قتادة والزجاج في

الأكثرين ، والثاني : أنَّها بمعنى (كما) قاله مقاتل ، وقيل هي بمعنى (الذي))) [١]

وقد كان هذا الشاهد القرآني أحد الشواهد التي درستها في كتابي : (ما) في القرآن الكريم/دراسة نحوية ، وفيما يأتي نص ما قلته فيه وبهوامشه : ((وأجازوا ان تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) [يس:٦] والتقدير : بما أنذر آباؤهم[٢]وأجاز بعضهم أن تكون مصدرية ، والتقدير : لتنذر قوما إنذارًا مثل إنذار آبائهم[٣]، ومنهم من ذهب إلى زيادتها[٤] ورجَّح أكثر النحاة والمفسرين أن تكون نافية ؛ بدلالة قوله تعالى (فَهُمْ غَافِلُونَ)، وقوله تعالى في سورة [القصص:٤٦] : (لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) والمعنى: لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم ، والمقصود بالآباء الأدنون منهم لا الأباعد[٥])) [٦]

أمَّا وجه الصلة ، أي : الزيادة ، فهو وجه لا وجود له في كتاب الله ، وهذه القضية قد تناولتها مفصلة قي كتابي المذكور في الفصل الثالث من الباب الثاني[٧]

---

(١) زاد المسير ٢٧٢/٦ .

(٢) جامع البيان ١٥٠/٢٢.

(٣) مشكل إعراب القرآن٥٩٩/٢،والبيان في غريب إعراب القرآن٢٩١/٢.

(٤) التبيان في إعراب القرآن١٠٧٩/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء٣٧٢/٢، ومعاني القرآن للأخفش ٤٤٩/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٧٠٩/٢ والبغداديات ص٣٥٦، والكشاف ٤/٤-٥، ومفاتيح الغيب ٤٢/٢٦-٤٣ ومغني اللبيب ٣١٥/١.

(٦) ص ١٥٦-١٥٧ .

(٧) تحت عنوان (ما) الزائدة ص ١٦٠-٢٠٩

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ أوجه اللفظ يجب أن يُعبَّر عنها بالمعاني لا بالألفاظ ، فعندما نجعل من أوجه (ما) مجيئها بمعنى (لا) ، و(ليس) ، و(لم) ، وبمعنى : أي شيء في الاستفهام ، و(من) الموصولة ، و(الذي) ، و(كما) فقد أدخلنا (ما) وهذه المعاني في باب التضمين ، لا في باب وجوه اللفظ المشترك ، ولا تضمين في كتاب الله ؛ لأنَّه ما من لفظين في كتاب الله متطابقين في المعنى ، فاللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فتكون الأوجه الصحيحة التي ذكرها أهل الوجوه هي : النفي ، والاستفهام ، والموصولية ، والشرطية ، والتعجبية ، وهذه الأوجه هي كما ترى معان متباينة ، لا تربط بينها صلة ترادف أو مجاز أو وصف ، ولا أية صلة أخرى غير صلة اللفظ المشترك .

١٠٩–**المسّ** : قال ابن فارس : ((الميم والسين أصل واحد يدل على جس الشيء باليد ، والممسوس الذي به مسسٌ كأنَّ الجنَّ مسته))[(١)]((والمسُّ : الجنون)) [(٢)] ((ومسِّ المرأةَ : جامعها)) [(٣)]

وذكر أهل الوجوه أنَّ المسَّ في القرآن الكريم على أربعة أوجه ، هي : الإصابة ، والتقاء البشرتين ، والخبل ، والجماع[(٤)]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٤٢ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠٠ .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٥٩٦.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤٥–٢٤٦وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٤–١٠٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٣–١٦٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص٣٠٠–٣٠١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢١–٤٢٢ ومنتخب قرة العيون ص ٢١٥ .

الإصابة معنى مرادف للَّمس ، والتقاء البشرتين هو المس بعينه ، وكذلك الخبل ؛ لأنَّه من مس الجن ، وقد شاع في كتاب الله استعمال المس كناية عن الجماع ؛ لأنَّه يمثل أوسع حالات المس وأشده .

١١٠-**الزخرف** : قال الخليل : ((الزُّخرف : الزينة ٠٠٠والزُّخرف : الذهب))[١]وقال العسكري : ((الزخرف : أصله الذهب ثم استعمل في التزيين ، فيقال : زخرفتُ البيت : إذا زيَّنته ، وزخرفت القول : إذا زوَّرته وحسَّنته))[٢] وقال ابن الجوزي : ((الأصل في الزخرف : الحسن والتزيين)) [٣]

وذكر أهل الوجوه : أنَّ الزخرف في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الذهب ، والحسن والزينة ، وتزيين من القول يغرون به [٤]

أهذه أوجه للزخرف أم هي الزخرف بعينه ؟!

١١١-**يصدون** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (يصدون) جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

الأول : يصدون : يعني يعرضون كقوله تعالى : (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا){النساء : ٦١}

والثاني : يصدون : يعني يمنعون كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ){الحج : ٢٥}

---

(١) العين ص٣٨٧ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٧٣ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٤٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٣٩ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤٦-٢٤٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص١٧٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٨-٢٤٩ ونزهة الأعين ص ١٤٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٣٩ .

الثالث : تصدَّى له يعني أقبل إليه كقوله تعالى : (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى {٥} فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى){عبس : ٥-٦}

الرابع : يصدون : يعني يضحكون كقوله تعالى : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ){الزخرف : ٥٧} [١]

صد فعل لازم ومتعد ، تقول : صدَّ فلان عن الأمر : أعرض عنه ، وصدَّ فلانًا عن الأمر : منعه [٢] وتصدى فلان لفلان : تعرَّض له وأقبل عليه[٣] وصدَّ يصُدّ(بالضم) : أعرض ، وصدَّ يصِدّ(بالكسر) ضجَّ وضحك ، وبالضم والكسر قُرِئ قوله تعالى : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ){الزخرف : ٥٧} قرأ نافع وابن عامر والكسائي (يَصُدُّونَ) بضم الصاد ، والباقون بكسرها ، وحجة من قرأ بالضم جعل الفعل بمعنى : يعدلون ويعرضون ، وحجة من قرأ بالكسر جعله بمعنى : يضحكون ويعجون ويضجون [٤] وقال الكسائي : ((يصِدون ويصُدون لغتان بمعنى واحد ، كما يقال : نمَّ وينِمُّ وينُمُّ ، وشدَّ يشِدُّ ويشُدُّ)) [٥]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٥ – ١٠٦والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٤-١٦٥والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٠٦ ونزهة الأعين ص ١٧٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٨٣ ، ونزهة الأعين ص ١٧٣ وتاج العروس ١٥٤/٨

(٣) ينظر : لسان العرب ٢٠٨/٨-٢٠٩ .

(٤) ينظر : العين ص ٥١٠ ، ومجاز القرآن ٢٥١ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن طالب القيسي ٢٦٠/٢ ، وإعراب القراءات السبع ، لابن خالويه الأصبهاني ص ٤٠٤ .

(٥) معاني القرآن للكسائي ص ٢٢٧-٢٢٨.

والصحيح أنَّ معنى (يصدون) في القراءتين يضحكون ويضجون ؛ لأنَّ هذا المعنى غير متأتٍّ إليه من كسر صاد (يصِدون) ، بل من تعديه إلى مفعوله بحرف الجر (مِن) ، وكثيرًا ما يجيء حرف الجر موجِّهًا لمعنى الفعل المتعلق به ، فصدَّ فلان عن الأمر : أعرض عنه ، وهكذا جاء شاهد الوجه الأول الذي جُعل بمعنى يعرضون فعلًا لازمًا متعديًا إلى مفعوله بـ(عن) وهو قوله تعالى (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا) وصدَّه عن الأمر : جعله يعرض عنه ، بمعنى منعه ، وهكذا جاء شاهد الوجه الثاني الذي جُعل بمعنى يمنعون ، فعلًا متعديًا إلى مفعوله الثاني بـ(عن) وهو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ) أي : ويصدون الناس عن سبيل الله ، وتصدَّى له : تعرَّض له وأقبل عليه ، وهكذا جاء شاهد الوجه الثالث الذي جُعل بمعنى الإقبال إلى الشيء ، فعلًا لازمًا متعديًا إلى مفعوله باللام ، وهو قوله تعالى : (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى {٥} فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى) وصدَّ منه : ضحك منه وعجَّ وضجَّ ، وهكذا جاء شاهد الوجه الرابع الأخير الذي جُعل بمعنى يضحكون ، فعلًا لازمًا متعديًا إلى مفعوله بـ(مِن) وهو قوله تعالى : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)

يتبيَّن مما تقدَّم ذكره أنَّ الأوجه الأربعة التي ذكرها أهل الوجوه جاءت بمعنى (يصدون) بعينه بحسب تعديه ولزومه ، وحسب الحرف الذي تعدى به إلى مفعوله ، أي : تعدد الأوجه جاء من اختلاف التركيب ؛ لذ لا أوجه ولا نظائر كما زعم أهل الوجوه .

١١٢-**كان** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (كان) في القرآن الكريم على ستة أوجه هي :

١-كان : بمعنى ينبغي ، كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا){النساء : ٩٢}

٢–كان : صلة في الكلام ، أي : زائدة كقوله تعالى : (وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا){النساء : ١٠٠} يعني : والله غفور رحيم .

٣–كان : يعني هو كقوله تعالى : (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا){مريم : ٢٩} يعني : من هو في المهد .

٤–كان : بمعنى هكذا كان كقوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا){مريم : ٥٤}

٥–كان : يعني صار .

٦–كان : يعني وُجِد كقوله تعالى : (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ){البقرة : ٢٨٠} (١)

القول بالزيادة كما جاء في الوجه الثاني يجب أن يستبعد جملة وتفصيلاً من أوجه كل لفظ ؛ لأنَّه لا زيادة في كتاب الله ، وهذا مما يجب الإيمان به

قال ابن فارس : ((الكاف والواو والنون : أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء ، إمَّا في زمان ماض ، أو زمان راهن يقولون : كان الشيء يكون كونًا : إذا وقع وحضر ، قال الله تعالى : (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ){البقرة : ٢٨٠} أي : حضر وجاء ، ويقولون : قد كان الشتاء ، أي : جاء وحضر)) (٢) وهذا هو شأن (كان) المسنَد إلى البشر وإلى كل مخلوق ، فهو يدل على كينونة حادثة ، أمَّا (كان) المسند إلى الله تعالى

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٤٨–٢٥٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٦–١٠٧والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٥–١٦٧والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٨٤–٢٨٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٩٣ ونزهة الأعين ص ٢٤٥–٢٤٦ ومنتخب قرة العيون ص ٢٠٧–٢٠٨.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٩٧

فإنَّه يفيد الكينونة الأزلية الأبدية ، فقوله تعالى : (وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) تقديره : كان الله منذ الأزل ولم يزل غفورًا رحيمًا ، لأنَّ صفات الله من ذات الله ، وهي ملازمة له جل وعلا ، لا تنفك عنه ، وقوله تعالى مثلاً (وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ٢١٨} من دون (كان) يفيد وصف الله سبحانه بهاتين الصفتين ، وباستعمال (كان) لا يفيد وصف الله تعالى ذكره بأنَّه غفور رحيم فحسب ، بل يفيد أيضًا بأنَّ هاتين الصفتين متحركتان متكررتا الحدوث على عباده وخلقه باستمرار وكلما احتاجوا إليهما.

أمَّا (كان) في الوجه الرابع في قوله تعالى (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) فهو يعني (كان) بعينه أيضًا في زمان ماض ، قال ابن فارس : ((وأمَّا الماضي فقولنا : كان زيد أميرًا ، يريد أنَّ ذلك كان في زمان سالف)) [١]

فـ(كان) ليس صلة ، أو بمعنى ينبغي ، أو هو ، أو هكذا ، أو (صار) ، أو (وُجِد) بل هو في كل موضع وشاهد بالمعنى الموضوع له، وكما بيَّنه ابن فارس ، أمَّا الأوجه المذكورة فهي جميعها معان مرادفة لـ(كان) وليست أوجهًا له ، أي : أنَّها لا تدل على (كان) بعينه ، بل على معان قريبة منه ، فيكون جعله بهذه الأوجه تحريفًا لدلالته ، من ذلك مثلاً جُعله بمعنى ينبغي في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا) والتقدير عندهم : وما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا ، ويمكن أن نعدَّ (ينبغي) مرادفًا لـ(كان) في مثل هذا الموضع ، وهذا يعني أنَّه لا بدَّ من أن يكون هناك فرق بينهما في الدلالة ، قال ابن فارس : ((بغيتُ الشيء أبغيه : إذا طلبته ، ويقال : بغيتك الشيء : إذا طلبته لك ، وأبغيتك الشيء : إذا أعنته على طلبه٠٠٠وتقول : وما ينبغي لك أن تفعل كذا ، وهذا من أفعال

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٦٣ .

المطاوعة ، بغيتُ فانبغى ، كما تقول كسرته فانكسر)) [١] وقال الراغب : ((وقولهم ينبغي مطاوع بغى ، فإذا قيل : ينبغي أن يكون كذا ، فيقال على وجهين ، أحدهما : ما يكون مُسَخَّرًا للفعل ، نحو : النار ينبغي أن تحرق الثوب ، والثاني : على معنى الاستئهال ، نحو : فلان ينبغي أن يُعطى لكرمه ، وقوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ){يس : ٦٩} على الأول ، فإنَّ معناه : لا يتسخَّر ولا يتسهَّل له ؛ ألا ترى أنَّ لسانه لم يكن يجري به)) [٢]

فبان الآن الفرق بينهما ، فقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا) تقديره : وما كان قتل مؤمن لمؤمن ؛ لأنَّ (أَن يَقْتُلَ) في محل رفع اسم (كان) مؤخر في تأويل المصدر ، و(لِمُؤْمِنٍ) شبه جملة في محل نصب خبر مُقدَّم ، فهو مجرد نفي ، والمعنى : وما كان قتل مؤمن واقعًا لمؤمن ، أو حاصلاً له إلاَّ خطأً ، ولو قيل في الكلام : وما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا ، أفاد أنَّ طلب قتل مؤمن غير متيسَّر أمره لمؤمن ، ولا مُهيَّأ حصوله له ؛ أي : أنَّ أسبابه ودوافعه غير متوافرة ذاتيًّا وكونيًّا، بمعنى : أنَّ قتل مؤمن لا يليق لمؤمن ، وإنما يليق لغير المؤمن ، فالنار مثلاً ينبغي لها أن تحرق الزرع ، والماء لا ينبغي له أن يفعل ذلك .

وقد ورد هذان التركيبان في حق الله تعالى ذكره ، قال الله تعالى : (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ){مريم : ٣٥} والمعنى : ما كان اتخاذ الولد واقعًا لله تعالى أو حاصلاً له ، فهو نفي كينوني محض لا غير ، وقال الله تعالى في السورة نفسها : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا {٨٨} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا {٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٠١ .

(٢) المفردات ص ٦١ .

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {٩٠} أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا){مريم : ٨٨-٩١}

فاعل ينبغي هو (أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) والمعنى : ما كان اتخاذ الولد مُسخَّرًا أمره كونيًّا ؛ لذلك كادت حين دعوا به ، أن تتفطَّر له السماوات ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدًّا ، والمعنى أنَّه لا يليق لله أن يتخذ ولدًا .

فيبدو أنَّ النفي بـ(ما ينبغي) يكون جوابًا للنفي بـ(ما كان) أو علة له ، فإذا قيل مثلاً لماذا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ) ؟ يكون الجواب : لأنَّه (مَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) كقوله تعالى المذكور (وَمَاعَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ) كأنَّ المعنى : ما كان محمد شاعرًا ؛ لأنَّه ما ينبغي له ذلك .

فالأوجه التي ذكرها أهل الوجوه تُعدُّ في الحقيقة تفسيرات لـ(كان) وللتراكيب التي ورد فيها ، ولا يصح أن نجعلها أوجهًا له ؛ لأنَّها لا تعني (كان) بعينها ، وفي جعلها أوجهًا له تحريف لدلالته الذي يعني تحريفًا لكتاب الله .

١١٣-كأن : قال مقاتل : ((وأمَّا قوله كأنْ يعني لكأنَّما فذلك قوله في النساء : (كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ){النساء : ٧٣} يعني : لكأنما لم تكن)) [١] وقال هرون : (وأمَّا قوله كأنْ يعني كأنَّما فذلك قوله في النساء : ((كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ){النساء : ٧٣} يقول : كأنَّما لم تكن بينكم وبينه مودة)) [٢] والظاهر أنَّ كلام مقاتل على (كأنْ) تابع لكلامه على أوجه (كان) على الرغم من الفرق الكبير بينهما ، فـ(كان) فعل ماض ناقص ، و(كأنْ) مؤلفة من كلمتين : كاف التشبيه و(أنِ) المخففة من الثقيلة ، وقد جعلها بمعنى لكأنَّما ، المؤلفة من لام التوكيد وكاف التشبيه و(أنَّ) الثقيلة

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٢٥٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٧.

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٦٧.

و(ما) الكافة ، وتأمَّل تقليد هرون لمقاتل في هذا الموضع ، وهو على شاكلة هذا التقليد في كل موضع .

١١٤-الأخذ : ((الأخذ : التناول))[١] وأصل معناه ((حوز الشيء وجبيه وجمعه))[٢] وقال ابن الجوزي : ((الأصل في الأخذ : التناول باليد ثم يستعار في مواضع)) [٣] وذكر أهل الوجوه أنَّ (الأخذ) في القرآن على خمسة أوجه : القبول ، والحبس ، والعذاب ، والقتل ، والأسر [٤]

القبول ، والحبس ، معنيان مرادفان للأخذ وليسا وجهين له ، وكذلك العذاب ، والقتل ، والأسر ليست أوجهًا له ، بل هي من مستلزماته ؛ لأنَّ أخذ أناس بمعنى حوزهم وجمعهم لا يكون إلّا لأسرهم ، أو عذابهم ، أو قتلهم .

١١٥-بإذن الله : قال الخليل : ((وفعله بإذني ، وهو في معنى : بأمري)) [٥]

وذكر أهل الوجوه أنَّ قوله تعالى (بِإِذْنِ اللَّهِ) جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

١-بإذن الله : يعني بإذن الله في الشيء ، أي : نفس الإذن .

٢-بإذن الله : يعني بعلم الله .

---

(١) العين ص ١٩.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٩-٣٠.

(٣) نزهة الأعين ص ٣٩.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٠-٢٥١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٧-١٠٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٧-١٦٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٥-٢٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٨-١٠٩ ونزهة الأعين ص ٣٩-٤٠ .

(٥) العين ص ٢١ وينظر مقاييس اللغة ص ٣٣ .

٣–بإذن الله : يعني بأمر الله .

٤–بإذن الله : يعني بإرادة الله . [١]

وهذه الأوجه كما ترى معان مرادفة لقوله تعالى(بِإِذْنِ اللَّهِ) وليست أوجهًا له .

١١٦–**السلطان** : قال الخليل : ((السلطان في معنى الحجة ٠٠٠والسلطان قدرة الملك)) [٢] وقال ابن فارس : ((السين واللام والطاء : أصل واحد وهو القوة٠٠٠والسلطان : الحجة)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((السسُّلطان : فُعلان من السلاطة ، وهي الانبساط بالقوة)) [٤]

وذكر أهل الوجوه أنَّ السلطان في القرآن الكريم على وجهين : الحجة ، والملك القاهر [٥]

وهذان الوجهان كما ترى أيضًا معنيان مرادفان للسلطان وليسا وجهين له ، واختلاق الوجوه عن طريق الترادف أمر مُيسَّر لكل باحث ؛ لأنَّه ما من لفظ إلاَّ وله ألفاظ قريبة من معناه ، ليس من الصعب معرفتها .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٨–١٠٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٨–١٦٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٦–٧٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٥ ونزهة الأعين ص ٢٠ .

(٢) العين ص ٤٣٩ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٤١٤.

(٤) نزهة الأعين ص ١٥٢.

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٢–٢٥٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٨٢–١٨٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٨ ونزهة الأعين ص ١٥٢–١٥٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٤١–١٤٢.

١١٧-**الرقيب** : قال الخليل : ((رقبتُ الشيء : انتظرته ٠٠٠والرقيب : الحارس ٠٠٠ورقيب الميسر : الأمين الموكل بالضريب ٠٠٠والرقيب : الحافظ)) [١] وكذلك عرَّف ابن فارس الرقيب بمعنى المنتظر وبمعنى الحافظ[٢]

وذكر أهل الوجوه للرقيب وجهين : الحفيظ ، والانتظار [٣] وهما كما ترى معنيان مرادفان للرقيب وليسا وجهين له .

١١٨-**إلى** :

ذكر أهل الوجوه أنَّ (إلى) وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : بمعنى (مع) واللام ، والباء ، وبمعنى (إلى) بعينها [٤]

والوجه الأخير يدل على أنَّ (إلى) ليست من الألفاظ المشتركة ، لما سبق ذكره غير مرة ، وفي كتب حروف المعاني أنَّ (إلى) ترد لتسعة معان : انتهاء الغاية ، والتبيين ، وبمعنى (مع) ، واللام ، والباء ، و(في) ، و(مِن) ، و(عند) ، وزائدة [٥]

---

(١) العين ص ٣٦٣.

(٢) مقاييس اللغة ٣٤٨ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٠٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٦٩-١٧٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٢-٢٤٣ونزهة الأعين ص ١٣٣ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٢-٨٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٤-٩٥ ومنتخب قرة العيون ص٣٩-٤٠.

(٥) ينظر : الأزهية ص ٢٨٢-٢٨٤ ورصف المباني ص ١٦٦-١٦٩ والجنى الداني ص ٣٨٥-٣٩٠ ومغني اللبيب ص ٧٤-٧٦.

ولو تتبعنا هذه الأوجه والمعاني عند الفريقين بالدراسة والتحقق منها ، لوجدناها جميعها ترجع إلى معناها الأصلي ، وهو أنَّها موضوعة لانتهاء الغاية ، وفيما يأتي دراسة لأهم الشواهد التي استشهد بها أهل الوجوه وشاركهم فيها أهل الحروف .

١-جعل (إلى) بمعنى (مع) : ذكر الفريقان أنَّ (إلى) بمعنى (مع) في قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ){النساء : ٢} وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ){آل عمران : ٥٢}[١]

عرّف المالقي (إلى) بأنَّها((تكون للغاية في الأسماء ، واختلف النحويون : هل يدخل ما بعدها فيما قبلها ، أو لا ؟ فذهب بعضهم إلى أنَّه يدخل٠٠٠وذهب بعضهم إلى أنَّه إذا كان الثاني من جنس الأول دخل فيما قبله ٠٠٠وإن لم يكن من الجنس لا يدخل كقوله تعالى : (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ){البقرة : ١٨٧}))[٢] وعرَّفها المرادي بقوله بأنَّها تُستعمل لـ((انتهاء الغاية في الزمان والمكان وغيرهما ، وهو أصل معانيها ، وفي دخول ما بعدها في حكم ما قبلها أقوال ، ثالثها : إن كان من جنس الأول دخل ، وإلاَّ

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ وتفسير مقاتل ١٧١/١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ وينظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٠ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٦ والخصائص لابن جني ٩٣/٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص٨٣ والأزهية للهروي ص ٢٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٤-٩٥ ومنتخب قرة العيون ص ٤٠ ، ورصف المباني للمالقي ص ١٦٩ والجنى الداني ص ٣٨٦ ومغني اللبيب ٧٥/١ .

(٢) رصف المباني ص ١٦٦-١٦٧.

فلا)) [١] وهذا هو المعنى الذي أفادته (إلى) بأصل معناها في قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)

أمَّا قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) فقد قال الفراء : ((المفسرون يقولون : مَن أنصاري مع الله ، وهو وجه حسن ، وإنَّما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه ، كقول العرب : إنَّ الذَّوْدَ إلى الذَّوْدِ إبل ، أي : إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلاً ، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى) ألا ترى أنَّك تقول : قدم فلان ومعه مال كثير ، ولا تقول في هذا الموضع : قدم فلان وإليه مال كثير ، وكذلك تقول : قدم فلان إلى أهله ، ولا تقول : مع أهله ، ومنه قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) معناه : لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم))[٢] ونقل المرادي قول الفراء ثم قال : ((والمعنى في قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) من يضيف نصرته إلى نصرة الله))[٣]

فقد جعلوا (إلى) بمعنى (مع) لأنَّها أفادت هنا ضم نصرتهم إلى نصرة الله ، وهذا المعنى بعيد عندي ؛ وكيف يصح ، وكيف يقول به نبي ؟! لأنَّ نصرة الله كافية ((والذَّوْدُ : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع ...وقيل : ما بين الثنتين والتسع ، ولا يكون إلّا من الإناث دون الذكور ، وقولهم : الذَّود إلى الذَّود إبل ، يدل على أنَّها في موضع اثنتين ؛ لأنَّ الثنتين إلى الثنتين جمع))[٤]

---

(١) الجنى الداني ص ٣٨٥ .

(٢) معاني القرآن ١/١٥٥ .

(٣) الجنى الداني ص ٣٨٦ .

(٤) لسان العرب ٦/٥١.

فقول الفراء يعني أنَّ(إلى) لا تكون بمعنى (مع) إلّا إذا صحَّ فيها معنى الإضافة ، ولا يصح فيها هذا المعنى إلّا إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها ، فهي إذن في هذه الحال لا تحتاج إلى جعلها بتقدير (مع) على نحو ما بيَّنه المالقي والمرادي في الشاهد الأول السابق .

وجعل (إلى) بمعنى (مع) يدخل في باب التضمين ، وهو مما اصطلح عليه أيضًا بـ(تناوب الحروف) قال ابن جني في الباب الذي سماه : استعمال الحروف بعضها مكان بعض : ((اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر ، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ...وكذلك قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) أي : مع الله ، وأنت لا تقول : سرت إلى زيد ، أي : معه ، لكنه إنَّما جاء (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) لمَّا كان معناه : مَن ينضاف في نصرتي إلى الله ؛ فجاز لذلك أن تأتي هنا (إلى) وكذلك قوله عز اسمه : (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى){النازعات : ١٨} وأنت إنَّما تقول : هل لك في كذا ، لكنَّه لما كان على هذه دعاء منه ، صار تقديره : أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى...وفيه أيضًا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد ، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقًا بين قعد وجلس)) [١] وهذا ما قاله المبرد من قبل في هذين الفعلين: ((وأمَّا اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فنحو : جلس وقعد))[٢]

بيَّنتُ في كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين : أنَّ التضمين قائم على أساس تطابق الألفاظ في معانيها ، وهذا ما لا وجود له في كتاب الله ، وما ادعاه المبرد وابن جني بوجود

---

(١) الخصائص ٢/٩١-٩٤ ، وينظر لسان العرب ١/١٤٤ .

(٢) المقتضب بتحقيق هرون ١/٤٦، وبتحقيق بديع ١/٨٧ .

ألفاظ متطابقة في معانيها ، الذي على أساسه سوَّغ ابن جني استعمال الأسماء والأفعال والحروف بعضها مكان بعض في القرآن الكريم ، مستشهدين بلفظي جلس وقعد ، كلام ينمُّ عن عدم إدراك حقيقة أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فالألفاظ المتطابقة في معانيها شائعة في لغة العرب ، لكن لا وجود لها في كتاب الله عز وجل ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّه قد يظهر الفرق الدلالي بينها بعد التحقيق والدراسة ؛ فجلس وقعد ، ليسا بمعنى واحد كما ادعى المبرد وابن جني فالفعلان المذكوران ، وإن ترادفا فبينهما فرق في الدلالة والاستعمال : قال الخليل : ((الجَلْسُ : ما ارتفع عن الأرض من غور نجد ، وتقول : أغاروا وأجلسوا ، وغاروا وجلسوا)) (١)وقال ((وأغار الرجل : دخل الغور ، وغور كل شيء بعد قعره)) (٢) فالجلوس يكون عن انخفاض ، وقال : ((وقعد يقعد قعودًا : خلاف قام)) (٣) أي : أنَّ القعود يكون عن قيام ، وقال ابن فارس : ((الجيم واللام والسين : كلمة واحدة وأصل واحد ، وهو الارتفاع في الشيء ، يقال : جلس الرجل جلوسًا ، وذلك يكون عن نوم واضطجاع ، وإذا كان قائمًا كانت الحال التي تخالفها القعود ، يقال : قام وقعد)) (٤) وقال الراغب : ((أصل الجَلْس : الغليظ من الأرض ، وسمي النجد جلسًا لذلك٠٠٠وجلَسَ أصله أن يقصد جَلْسًا من الأرض٠٠٠والمجلس لكل موضع يقعد فيه الإنسان قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ

---

(١) العين ص ١٥٠ .

(٢) العين ص ٧٢٣.

(٣) العين ص ٨٠٣ .

(٤) مقاييس اللغة ص ١٧٣ .

فَافْسَحُوا){المجادلة : ١١}))[١] وقال الفيروزآبادي : ((وأصل الجلوس أن يقصد وضع مقعده في جَلْسٍ من الأرض ، وقيل : الجلوس هو لمن كان مضطجعًا ، والقعود لمن كان قائمًا ؛ باعتبار أنَّ الجالس من يقصد الارتفاع ، أي : مكانًا مرتفعًا ، وإنَّما هذا يتصور في المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسبه القائم))[٢] وقال : ((وقد يفرقون بينهما ، فتقول لمن كان قائمًا : قعد ، ولمن كان مضطجعًا أو ساجدًا : جلس)) [٣] فقد بان الآن الفرق بينهما ، فالقعود يكون عن قيام ، ولهذا يقال : قعد عن الجهاد ، ولا يقال : جلس عن الجهاد ، كما قال تعالى : (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا){النساء : ٩٥} ولذلك قرن القعود بالقيام لا بالجلوس ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ){آل عمران :٩١} وقال الله تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا){النساء : ١٠٣}

ولمَّا كان القعود عن قيام ، فهو أشد تمكنًا من الجلوس الذي يكون عن نوم واضطجاع ، بل قد يُؤثَر على القيام لممارسة الأعمال التي تتطلَّب التمكن من أدائها ، والاستمرار عليها ؛ ولهذا قال سبحانه : (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ){الأعراف : ١٦} قال : (لأَقْعُدَنَّ) ولم يقل : لأجلسنَّ ، ولأنَّ الجلوس كان لما تقدم ذكره ، فإنَّ الغرض منه طلب الراحة والاسترخاء ، والمسامرة الأسرية والجماعية ، والاستماع لأحاديث

---

(١) المفردات ص ١٠١.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٨٨.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤/٢٨٥.

الآخرين ، فهو حالة عامة ، لذلك استعمل المجالس من دون المقاعد في قوله تعالى : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا) ويقال : قعد للجهاد ، ولا يقال جلس للجهاد ، والقعود أخص من الجلوس ، فهناك مجلس الأمن ، ومجلس الأمة ، ومجلس الشورى ، وفي كل مجلس مقاعد ، قد خُصِّصَ كل مقعد فيه لعضو من أعضائه ، ومن هنا كان القعود أشد تمكنًا من الجلوس ، واستعمل للحالات المهمة والخاصة ؛ لذلك استعمل المقاعد من دون المجالس في قوله تعالى : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ){آل عمران : ١٢١} وقوله تعالى : (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الأنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا){الجن : ٩}

فقد ظهر أنَّ دلالة القعود في القرآن الكريم أهم من دلالة الجلوس ؛ لذلك استعمل القعود في مواضع كثيرة ، بينما استعمل الجلوس في موضع واحد ، هو الموضع المذكور : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا)

فبعد أن ادعى ابن جني وجود لفظين بمعنى واحد كـ(قعد) و(جلس) بنى على أساس هذا الادعاء قوله بأنَّ الحروف تُستعمل بعضها مكان بعض ، وهو مما اصطلح عليه بتناوب الحروف ، أو التضمين ، وقد مرَّ في هذا الباب قوله : ((وكذلك قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) أي : مع الله ، وأنت لا تقول : سرت إلى زيد ، أي : معه ، لكنه إنَّما جاء (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) لمَّا كان معناه : مَن ينضاف في نصرتي إلى الله ؛ فجاز لذلك أن تأتي هنا (إلى))) والحقيقة أنَّ في كلام ابن جني هذا لبسًا وتداخلًا ، وهو أنَّ التضمين لا يكون بين الحروف فحسب ، بل يكون كذلك بين الأفعال والأسماء قال الزركشي : ((التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف ، فأمَّا في الأسماء فهو أن تُضمِّن اسمًا معنى اسم ... وأمَّا الأفعال فأن تُضمِّن فعلًا معنى فعل آخر ...وذهب المحققون إلى أنَّ التوسع في الفعل وتعديته بما لا

يتعدى ؛ لتضمنه ما يتعدى بذلك الحرف أولى ؛ لأنَّ التوسع في الأفعال أكثر ، مثال قوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){ الإنسان : ٦} فضمن (يشرب) معنى (يروى) ؛ لأنَّه لا يتعدى بالباء ؛ فلذلك دخلت الباء ٠٠٠وقيل التجوز في الحرف ، وهو الباء ، فإنَّها بمعنى (من)) [١]

أي : أنَّ التضمين إمَّا أن يكون في الحرف ، ويبقى العامل على وضعه ، والتقدير : يشرب منها ، أو يكون في العامل ، ويبقى الحرف على وضعه ، والتقدير : يروى بها ، أمَّا ما فعله ابن جني فهو أنَّه أوقع التضمين على كلا الطرفين ، وكان عليه إمَّا تضمين الحرف ، ويبقى ما تعلق به الحرف على وضعه ، والتقدير : مَن أنصاري مع الله ، أو تضمين ما تعلق به الحرف ، ويبقى الحرف على وضعه ، والتقدير كما قال : من ينضاف في نصرتي إلى الله ، ثم يبين أنَّ (إلى الله) متعلق بـ(ينضاف) لا بـ(نصرتي) والأدق أن يجعله بتقدير : من يضيف نصرته إلى نصرة الله ، أي : أنَّ (إلى) على بابها تدل على انتهاء الغاية حسب تضمين الإضافة الذي ذكره .

وقال الزمخشري : (((إِلَى اللّهِ) من صلة (أَنصَارِي) مضمنًا معنى الإضافة ، كأنَّه قيل : مَن الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ، ينصرونني كما ينصرني ، أو يتعلق بمحذوف حالًا من الياء ، أي : مَن أنصاري ذاهبًا إلى الله ملتجئًا إليه))[٢] أي : أن (إلى) تكون على بابها بالتضمين المذكور حسب المعنى الأول ، وعلى بابها أيضًا من دون تضمين حسب المعنى الثاني ، والمعنى الأول غير مقبول لما ذكرته ، وقال ابن عطية : ((وقوله

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٦٥٣ .

(٢) الكشاف ٣٥٩/١ وينظر : مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ١٦٢ وينظر فتح القدير ٤٣٣/١ .

(إِلَى اللّهِ) يحتمل معنيين ، أحدهما : مَن ينصرني في السبيل إلى الله ، فتكون (إلى) دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها ، والمعنى الثاني ، أن يكون التقدير : مَن يضيف نصرته إلى نصرة الله ؟٠٠٠فإذا تأمَّلتها وجدتَ فيها معنى الغاية ؛ لأنَّها تضمنت إضافة شيء إلى شيء)) [1] أي : أنَّ (إلى) على بابها حسب المعنى الأول ، وهي كذلك حسب المعنى الثاني ، وقد أنكر العكبري معية (إلى) على كل حال فقال : ((وقيل : هي بمعنى (مع) وليس بشيء ؛ فإنَّ (إلى) لا تصلح أن تكون بمعنى (مع) ولا قياس يعضده)) [2]

وقال ابن كثير : ((قال مجاهد ، أي : من يتبعني إلى الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي : من أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب ، والظاهر أنَّه أراد : من أنصاري في الدعوة إلى الله ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج فبل أن يهاجر: مَن رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي ، فإنَّ قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي ، حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه وهاجر إليهم٠٠٠وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه)) [3]

والقول بالتضمين قد شغل مساحة واسعة في كتب اللغة والنحو والتفسير ، ولا بأس في أن نُعرِّف اللفظ باللفظ المرادف له ، أي : أن نُعرِّفه بالمعنى القريب منه ، بل هذا مما لا مناص منه ، عندما تكون غايتنا هي التعليم عن طريق إيضاح معنى اللفظ بالمعاني القريبة منه ، لكن البأس كل

---

(١) المحرر الوجيز ٤٤٢/١ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢١٤/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٤/٢.

البأس أن ندَّعي أنَّ اللفظ المُفسِّر هو بمعنى اللفظ المفسَّر ، وهذا الادعاء هو الذي قام على أساسه التضمين كله في أغلب وجوه كتب الوجوه ، وأغلب معاني الحرف في كتب حروف المعاني ، والذي أوقع أهل اللغة والنحو بوجود التضمين والوجوه والمعاني المتعددة للحرف الواحد ، هو ما أفصح عنه الزجاج الذي تقدَّم ذكره ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : ((مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) : ((جاء في التفسير : مَن أنصاري مع الله ، و(إلى) ههنا قاربت (مع) معنًى ، بأن صار اللفظ لو عُبِّر عنه بـ(مع) أفاد مثل هذا المعنى ، لا أنَّ (إلى) في معنى (مع) لو قلتَ : ذهب زيد إلى عمرو ، لم يجز: ذهب زيد مع عمرو ؛ لأنَّ (إلى) غاية و(مع) تضم الشيء إلى الشيء، فالمعنى يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله ، وقولهم : إنَّ (إلى) في معنى (مع) ليس بشيء ، والحروف قد تقاربت في الفائدة ، فيُظنُّ الضعيف في اللغة أنَّ معناهما واحد)) [١]

فـ(إلى) في قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) تعني (إلى) بعينها والمعنى : من أنصاري في طريق الدعوة إلى الله ؟ كما قال الله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ){فصلت : ٣٣}

٢-**جعل (إلى) بمعنى اللام** : وهذا ما ذكره أهل الوجوه ، كقوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ){النساء : ٨٧} يعني ليوم القيامة[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٥ ونزهة الأعين ص ٢٣ ومنتخب قرة العيون ص٤٠ .

جعل الطبري الآية بمعنى : ((ليحشرنَّكم جميعًا إلى موقف الحساب))[١] ، إلّا أنَّ الحشر يكون من القبور ، لذلك فسَّرها البيضاوي بقوله : ((ليحشرنَّكم من قبوركم إلى يوم القيامة)) [٢] أي : أنَّ التعدي بـ(إلى) كان لتضمن الجمع معنى الحشر ، وقال العكبري : ((قيل التقدير : في يوم القيامة ، وقيل : هي على بابها ، أي : ليجمعنَّكم في القبور ، أو من القبور ٠٠٠أي : يجمعنكم مفضين إلى حساب يوم القيامة)) [٣] وقد جعل المرادي وابن هشام (في) من معاني (إلى) مستشهدين بقوله تعالى (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) والتقدير : ليجمعنَّكم في يوم القيامة [٤] وجاء في الدر المصون : ((قوله (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّها على بابها من انتهاء الغاية ٠٠٠يعني أنَّه إذا ضُمِّن الجمع معنى الحشر لم يحتج إلى تقدير مجموع فيه ٠٠٠والثاني : أنَّها بمعنى (في) ، أي : في يوم القيامة ٠٠٠والثالث : أنَّها بمعنى (مع) وهذا غير واضح المعنى))[٥]

فجعل (إلى) بمعنى اللام كما ذكر أهل الوجوه ، ليس له مسوغ لغوي أو دلالي ؛ لأنَّ الفعل (جمع) في الأكثر والأصل يتعدَّى إلى مفعوله الثاني بـ(في) لا باللام ؛ لذلك لم يقل به أهل اللغة والتفسير ، وقد عالج النحاة والمفسرون كما رأيت تعديه في الآية بـ(إلى) عن طريق تضمين (إلى) معنى (في) والتقدير : ليجمعنَّكم في يوم القيامة ، وهذا التضمين يجب أن يُستبعد ، لآنَّ فيه تحريفًا لدلالة الحرف ، فـ(إلى) تفيد انتهاء الغاية ، و(في)

---

(١) جامع البيان ٢٢٦/٥.

(٢) أنوار التنزيل ٧١/٢ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢٨٩/١.

(٤) ينظر : الجنى الداني ص ٣٨٧-٣٨٨ ومغني اللبيب ٧٥/١.

(٥) ٥٨/٤-٥٩.

تفيد معنى الظرفية ، والحق أنَّ (إلى) على بابها ، ولكن من دون تضمين ليجمعنَّكم معنى ليحشرنَّكم ؛ لآنَّ فيه أيضًا تحريفًا لدلالة الفعل ؛ فقد جاء في ((الفرق بين الجمع والحشر أنَّ الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ){الشعراء : ٣٦} أي : ابعث من يجمع السحرة ، ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر ؛ لأنَّ الخلق يُجمعون فيه ويساقون إلى الموقف))[١]والذي أريد أن أنوَّه به في هذا المقام أن الحرف يُؤتى به مع الفعل للتعبير عن دلالته من دون أن يغير دلالة الفعل ، فقد جُعِل الأصل في الفعل (جمع) أن يتعدى إلى مفعوله الثاني بـ(في) لأنَّ احتياج هذا الفعل إلى معنى الظرفية في المفعول الثاني هو الشائع ؛ لذا شاع أن يقال مثلاً : جمع المدير الطلاب في الساحة أو في الصفوف ، لكن إذا أريدت معنى المعية بدلاً من الظرفية وجب استعمال (مع) ، وأن يقال : جمع المدير الطلاب مع المعلمين ، وإذا أريدت معنى العلة ، وجب استعمال اللام وأن يقال : جمع المدير الطلاب لنصحهم وإرشادهم أو لتحية العلم ، وإذا أريد معنى الوسيلة ، وجب استعمال الباء وأن يقال : جمع المدير الطلاب بالبوق ، وإذا أريد جمعهم في مكان بعيد خارج المدرسة ، كان من المناسب استعمال (إلى) وأن يقال : جمع المدير الطلاب إلى ملعب المدينة ، وهذا هو المعنى الذي من أجله استعملت (إلى) في قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) إذ الخطاب موجه إلى الناس في الدنيا ، فبينهم وبين قيام الساعة أعمار وأجيال وأطوار وأهوال ، فاستعملت (إلى) التي هي أطول تركيبًا من اللام للتعبير عن طول هذه المسافة الزمانية والمكانية ، والتي سيتم فيها نقلهم من أسواقهم وهم فيها يلعبون إلى يوم القيامة وهم فيه مجتمعون للحساب .

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٦٢ .

٣-**جعل (إلى) بمعنى الباء** : كقوله تعالى : {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ}[البقرة : ١٤] والتقدير : إذا خلوا بشياطينهم ، وهذا ما تفرَّد به ابن الجوزي من أهل الوجوه[١] وقد جعلت بمعنى (مع) والتقدير : وإذا خلوا مع شياطينهم[٢]

((وفلان خلا لفلان : أي : خادعه)) [٣] ((ويقال : خلا لي الشيء ، وخلا به : إذا سخر به)) [٤] ((وخلا الرجل بصاحبه وإليه ومعه٠٠٠وخلوت به ومعه وإليه وأخليت به : إذا انفردت به)) [٥] فإذا جاز في اللغة تعدي (خلا) إلى مفعوله بـ(إلى) والباء ، وعلى حد سواء ، والمعنى واحد ، فهل يبقى بعد ذلك أي مسوغ كان من جعل الباء من أوجه (إلى) في الشاهد القرآني المذكور ، أم هو الولع في اختلاق الوجوه ؟! بل جاء في الدر المصون : ((والأكثر في (خلا) أن يتعدَّى بالباء وقد يتعدى بـ(إلى) ، وإنَّما تعدى في هذه الأية بـ(إلى) لمعنى بديع ، وهو أنَّه إذا تعدَّى بالباء احتمل معنيين ، أحدهما الانفراد ، والثاني السخرية والاستهزاء ، تقول : خلوتُ به ، أي : سخرتُ منه ، وإذا تعدى بـ(إلى) كان نصًّا في الانفراد فقط٠٠٠وقيل هي هنا بمعنى (مع) ٠٠٠وقيل هي بمعنى الباء ، وهذان القولان إنَّما يجوزان عند الكوفيين ، وأمَّا البصريون فلا يجيزون التجوز في الحروف لضعفها)) [٦]

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣ ومنتخب قرة العيون ص ٤٠ .

(٢) ينظر : الأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢٨٢.

(٣) العين للخليل ص ٢٦٦.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢٦٥.

(٥) لسان العرب ١٤٩/٥.

(٦) ١٤٩/٥.

ولكن أجازه قدامى البصريين : مقاتل والخليل وأبو عبيدة كما تقدَّم في (أو) .

عُرِّفت (إلى) كما تقدم بأنَّها لانتهاء الغاية ، وأنَّ ما بعدها يدخل في جكم ما قبلها إن كان من جنسه وإلاَّ فلا يدخل ، وعُرِّفت أيضًا بأنَّها تستعمل لإضافة شيء إلى شيء ، وهذا يعنى أنَّ معنى (إلى) يقع بين طرفي هذين التعريفبن ، هذه هي الحقيقة فيما يبدو التي يمكن على أساسها تفسير استعمالها في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم كقوله تعالى : (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ){البقرة : ١٨٧} فما بعد (إلى) لم يدخل هنا فيما قبلها ؛ لأنَّه ليس من جنسه ، وقوله تعالى : (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ){المائدة : ٦} جاء في لسان العرب : ((إلى : حرف خافض وهو منتهى لابتداء الغاية ، تقول : خرجت من الكوفة إلى مكة ، وجائز أن تكون دخلتها ، وجائز أن تكون بلغتها ولم تدخلها ، لأنَّ النهاية تشمل أول الحد وآخره ، وإنَّما تمنع من مجاوزته ٠٠٠وقال المبرد وهو قول الزجاج : اليد من أطراف الأصابع إلى الكتف ، والرِّجل من الأصابع إلى أصل الفخذين ، فلما كانت المرافق والكعبان داخلة في تحديد اليد والرِّجل كانت داخلة فيما يُغسل وخارجة مما لا يُغسل ، قال : ولو كان المعنى : مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة ، وكانت اليد كلها يجب أن تُغسل ، ولمَّا قيل : إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حد المرفق)) [١]

وجا في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ((إلى : حرف جر له معان ، أشهرها : انتهاء الغاية ، وزاد ابن مالك وغيره تبعًا للكوفيين معاني

---

(١) ١٤٤/١.

أُخَر ۰۰۰والتحقيق أنَّها للانتهاء ۰۰۰وقال غيره : ما ورد من ذلك مؤول على تضمين العامل)) [١]

يتبيَّن مما تقدَّم ذكره أنَّ كل الأوجه والمعاني التي قيلت في **(إلى)** ترجع جميعها عند التحقيق إلى معنى واحد ، وأنَّ **(إلى)** ليست من الألفاظ المشتركة ، كما زعم أصحاب كتب الوجوه ، واصحاب معاني الحروف .

١١٩-العزيز : قال ابن فارس : ((العين والزاء أصل صحيح واحد يدل على شدة وقوة ، وما ضاهاهما من غلبة وقهر))[٢]و((قال أبو سليمان الخطابي : العزيز : المنيع الذي لا يُغلَب)) [٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ العزيز جاء في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي :

١-عزيز بمعنى منيع ، أو القوي الممتنع .

٢-عزيز بمعنى عظيم .

٣-العزة يعني الحمية ، كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ){البقرة : ٢٠٦}

٤-أعزة بمعنى غلاظ ، كقوله تعالى:(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة : ٥٤}

٥- عززنا بمعنى قوينا ، كقوله تعالى : (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ){يس : ١٤}

٦-عزيز يعني شديد

٧-خلاف الذل[١]

(١) ص ٢٣٢ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٧٠ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٠١.

وهذه المعاني السبعة معان مرادفة للعزيز وليست أوجهًا له ، فقد قال الشيخ أبو حاتم الرازي : ((فالعزيز يكون على وجوه يقال : عزَّ إذا امتنع فلم يُقدَر عليه ٠٠٠والوجه الآخر فمعناه الغلبة والقهر ٠٠٠قال أبو عبيدة في قوله تعالى:(فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أي : قوَّينا٠٠٠والوجه الثالث ، فالعز : المنعة ممن يناوبه ويكيده والاحتراز منه٠٠٠والعزة الأنفة والحمية ٠٠٠فهذه المعاني كلها قريبة بعضها من بعض)) [٢] أي : أنَها مترادفة .

فلفظ العزيز في شواهد هذه الأوجه جميعها وغيرها يعني العزيز بعينه ، وجعله بهذه المعاني المرادفة له تحريف لدلالته في كل مواضع وروده في القرآن الكريم .

١٢٠-**هلك** : قال ابن فارس : ((الهاء واللام والكاف يدل على كسر وسقوط ، منه الهلاك : السقوط ، ولذلك يقال للميت : هلك)) [٣]

من الحقائق التي طالما أشرتُ إليها أنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وإذا أردنا أن نعرِّفه ، عرَّفناه بذكر اللفظ المرادف له ، أي : بالمعنى القريب منه ، وقد لا يكفي اللفظ المرادف الواحد للإحاطة بالمعنى الذي يعنيه ، أو نقول بتعبير آخر أنَّ اللفظ قد يقع معناه على مفترق الطرق من المعاني المحيطة به ، مما يستلزم أن نعرِّفه بأكثر من لفظ وبأقرب المعاني التي تحوم حوله ، وهذا ما حصل فيما يبدو بلفظ (هلك) ، فقد عرَّفه

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٥-٢٥٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠-١١١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧١-١٧٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٤١-٢٤٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٣-٢٣٤ ونزهة الأعين ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ص ٧٦-٨٠.

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٤٠ .

العسكري بقوله : ((يقال : هلك الرجل : إذا وقع في أمر شديد ، وإذا مات أيضًا))[١] وقد عرَّف الأصفهاني الهلاك بأنَّه : ((افتقاد الشيء عندك ، وهو عند غيرك موجود ، وهلاك الشيء باستحالة وفساد ، ويقال : هلك الطعام ، والموت ، وبطلان الشيء من العالم وعدمه ، ويقال للعذاب والخوف والفقر الهلاك)) [٢] وقال ابن الجوزي : ((الهلاك والفساد يتقاربان ، إلّا أنَّ الفساد يكون مع بقاء العين ، والهلاك يكون مع بقاء العين وعدمه ، ويستعار في مواضع يجتمع فيها الفساد والهلاك ، كالموت ، والعدم ، ونقض البينة ، وتعطيل المنافع))[٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الهلاك في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : الموت ، والعذاب ، والضلال أو الذهاب ، والفساد ، والفناء[٤]

وهذه الأوجه كما ترى معان مرادفة للهلاك وليست أوجهًا له .

١٢١-**القوة** : القوة : تدل على الشدة ، وخلاف الضعف[٥] وذكر أهل الوجوه أنَّ القوة وردت في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : العدة أو عدد من الرجال ، والجد والمواظبة ، والبطش ، والشدة ، والسلاح والرمي[١]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٤٣ .

(٢) المفردات ص ٥٦٩-٥٧٠ .

(٣) نزهة الأعين ص ٣٠٤.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٦-٢٥٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١١-١١٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٢-١٧٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٤٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٤-٤٥٥ ونزهة الأعين ص ٣٠٤-٣٠٥ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٥٥ .

وهذه الأوجه أيضًا كما ترى معان مرادفة للقوة وليست أوجهًا له .

١٢٢-**البأس** : البأس : الشدة وما ضارعها ، فالبأس : الشدة في الحرب ، ورجل ذو بأس وبئيس ، أي : شجاع ، وقد بأس بأسًا ، فإن نعتَّه بالبؤس ، قلت : بؤس ، والبؤس : الشدة في العيش، والمبتئس المفتعل من الكراهة والحزن)) [٢]وذكر أهل الوجوه أنَّ البأس في القرآن على ثلاثة أوجه : العذاب ، والفقر ، والقتال أو الحرب أو السطو والنكاية [٣]

وهذه الأوجه أيضًا معان مرادفة للبأس وليست أوجهًا له ، ولأنَّ هذه الأوجه قائمة على الترادف فكثيرًا ما يُعبِّرون عن الوجه الواحد بأكثر من مرادف ، فمنهم من عبَّر عن الوجه الثالث مثلاً بالقتال ، وآخر عبَّر عنه بالحرب ، وثالث عبَّر عنه بالسطو والنكاية .

١٢٣-**التفصيل** : قال ابن فارس : ((الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء ، وإبانته عنه يقال : فصلت الشيء فصلاً ، والفيصل : الحاكم ، والفصيل ولد الناقة إذا افتصل عن أمِّه ، والمِفصَل : اللسان ، لأنَّه به تُفصَل الأمور وتُميَّز ، والمفاصل : مقاصل العظام ، والمَفصِل : ما بين الجبلين ٠٠٠وفي بعض الحدبث : مَن أنفق نفقة فاصلة ، فله من الأجر كذا ، وتفسيره في الحديث : أنَّها التي فصلت

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٧ –٢٥٨وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٣-١٧٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧١-٢٧٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨٧-٣٨٨ ونزهة الأعين ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٢) ينظر : مقابيس اللغة ص ١٢١

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٨-٢٥٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٢-١١٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٥والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٨-٨٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٨-١٢٩ ونزهة الأعين ص ٦٦ .

بين إيمانه وكفره)) [١] فدلالة الفصل على البيان جاءت من تمييز الشيء من الشيء لئلا يختلط بعضه ببعض فينبهم أمره .

ذكر مقاتل وهرون أنَّ التفصيل جاء في القرآن الكريم على وجهين : البيان ، والبينونة ، واستشهدا على البينونة بقوله تعالى : (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ){يوسف : ٩٤} والمعنى عند مقاتل : فاتت الرفقة من مصر ، وعند هرون : بانت الرفقة من مصر [٢]

وقسَّم الدامغاني وابن الجوزي الوجه الثاني على ثلاثة أوجه : الخروج ، والقضاء ، والفطام ، واستشهدا على الخروج بقوله تعالى:(وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ){يوسف : ٩٤} والمعنى عندهما : ولما خرجت العير من العريش ، وهي قرية بين مصر وكنعان [٣]

فهذه الأوجه لو كانت أوجهًا حقيقية لما حصل فيها هذا الخلط في تقسيمها وعددها ، واختلف فيها هذا الاختلاف .

١٢٤-أحد : ذكر ابن فارس أنَّ ((أحد) ((أصل يدل على الانفراد)) [٤] وقال أبو حاتم الرازي : ((وقلنا : إنَّ الأحد أكمل من الواحد ، ألا ترى أنَّك لو قلتَ : فلان لا يقوم له واحد ، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهما ، وإذا قلت : فلان لا يقوم له أحد ، فقد جزمت أنَّه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما ، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ، تقول : ليس في الدار واحد ، فيجوز أن يكون واحدًا من الدواب أو

---

(١) مقاببس اللغة ص ٧٣٨ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٩-٢٦٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٣-١١٤ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٥-١٧٦

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٨-١٢٩ ونزهة الأعين ص ٢١٥ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٩ ، ٩٤٨-٩٤٩

الطير أو الوحش أو الإنس ، فكأنَّ الواحد تعم الناس وغير الناس ، وإذا قلت : ليس في الدار أحد ، فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم)) [(١)]

وذكر أهل الوجوه أنَّ (أحد) جاء في القرآن الكريم على ثمانية أوجه ، هي :

١–الله سبحانه ، كقوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي كَبَدٍ {٤} أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ){البلد ٤–٥}

٢–النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لاخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا){الحشر : ١١}

٣–بلال رضي الله عنه ، كقوله تعالى : (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى {١٧} الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى {١٨} وَمَا لاحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {١٩} إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى {٢٠} وَلَسَوْفَ يَرْضَى){الليل : ١٧–٢١}

٤–تمليخا ، كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا){الكهف : ١٩} والمقصود (أحد) في قوله تعالى (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم)

٥– دقيانوس : كقوله تعالى : (وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

٦–ساقي الملك : كقوله تعالى : (قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا){يوسف : ٣٦}

٧–زيد بن حارثة : كقوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا){الأحزاب : ٤٠}

---

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٣٣/٢

٨–أحد من الخلق : كقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا){الكهف : ١١١}[١]

تبيَّن من تعريف (أحد) أنَّه لفظ عام يصح أن يوصف به كل آدمي ، فهو اسم جنس يطلق على كل فرد من الناس والجن والملائكة ، وقد أريد به هذا المعنى العام في كل شواهد الأوجه المذكورة ، فقد أريد به هذا المعنى في الوجه الأول في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((فقال جل ثناؤه : أيحسب هذا القوي بجلده وقوته أن لن يقهره أحد ، فالله غالبه وقاهره)) [٢] وجاء في تفسيرها أيضًا : ((أي : أفيظنُّ أنَّه في تلك الحالة لا يقدر عليه شيء فهو استفهام على سبيل الإنكار)) [٣]

فلفظ (أحد) في الوجه الأول وفي كل وجه نكرة عامة فكيف يصح أن يراد به الله سبحانه ، وهو أعرف الأعلام والمعارف؟! وإنَّما المعنى : أيحسب أن لن يقدر عليه أي أحد كان؟! بلى هناك أحد قادر عليه ، وهو الله سبحانه وتعالى

وكذلك هو بهذا المعنى في الوجه الثاني الذي في قوله تعالى : (وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا) ونقول ما قلناه في الوجه الأول : كيف يصح أن نجعل لفظ (أحد) وهو نكرة عامة بمعنى محمد صلى الله عليه وسلم ، العلم المعرفة؟!

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر ص ٢٦٠–٢٦١ وباسم الوجوه ص ١١٤ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٦–١٧٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٥٨–٥٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣–٤٥ ونتخب قرة العيون ص ٤٤ ونزهة الأعين ص ٣٠

(٢) جامع البيان ٢٤٠/٣٠ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٣٤٤/٢٠.

وإنَّما المعنى : ولا نطيع فيكم أي أحد منكم ، سواء كان محمدًا صلى الله عليه وسلم ، أو أدنى الناس منكم .

وكذلك نقول في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَمَا لاحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى) أنَّه ما أريد من (أحد) هنا بلالًا فحسب ، بل أي أحد كان من الناس ، سواء كان بلالًا أم غيره .

وهذا هو المعنى المراد في الوجه الرابع في قوله تعالى : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم) أنَّه ليس المراد تمليخا وحده ، بل أي أحد كان من الفتية ، وهذا هو المعنى أيضًا في الوجه الخامس في قوله تعالى : (وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) فلم يكن المراد دقيانوس بعينه من دون سواه ، بل أي أحد كان من الناس في بلادهم وزمانهم .

بيَّنَّا أن (أحد) لفظ عام وكثيرًا ما جاء مضافًا ، فإذا أضيف يتحدد عمومه حسب حدود المضاف إليه ، كما مرَّ في قوله تعالى : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم) والمعنى : أي رجل كان من أصحاب الكهف السبعة ، وقد جاء مضافًا إلى مثنى كما جاء في الوجه السادس في قوله تعالى : (قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) فالمراد واحد من الرجلين اللذين سألا يوسف عليه السلام عن تعبير ما رآه كل منهما في المنام ، من دون أن يكون المراد تعيين أحدهما ، فلو أراده لصرَّح باسمه ، وقال : وقال فلان ، وكيف يصح أنَّه أراد ساقي الملك ، وهو لم يكن بعد ساقيه؟!

وكيف يصح أن يكون (أحد) بمعنى زيد بن حارثة في الوجه السابع في قوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ)؟! لأنَّه عند تعيينه سيثبت النفي الخاص المتعلق بزيد بن حارثة ويلغى النفي العام المراد من لفظ (أحد) ، ويجعل الباب مفتوحًا على مصراعيه لاحتمال أن يكون المعنى : ما كان محمد أبا زيد ، بل هو أبو غيره ، لكن باستعمال (أحد)

قطع أي احتمال كان من هذا القبيل ، وصار المعنى : ما كان محمد أبا أي أحد كان من رجالكم .

وقد جاء لفظ (أحد)على دلالته العامَّة في الوجه الثامن الأخير في قوله تعالى : (وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) أي : لا يشرك بعبادة ربه أيَّ مخلوق كان .

إلّا أنَّه جاء في موضع واحد دالًّا على البارئ عز وجل ، لم يذكره مقاتل ، لذلك لم يخطر ببال من قلَّده : هرون بن موسى ، والعسكري ، والدامغاني ، وابن الجوزي ، وهو قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ){الإخلاص : ١} والمعنى عند ابن عباس رضي الله عنهما كما نُسِب إليه : قل هو الله ((الواحد الذي ليس كمثله شيء)) [١] وقال أبو حاتم الرازي : ((إنَّ (الأحد) يجيء في الكلام بمعنى الأول وبمعنى الواحد ، فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد ، جاز أن يتكلم به في الخبر كقولك : هذا واحد وأحد ، قال الله عز وجل: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أي : واحد وأول)) [٢]

ومع ذلك فإنَّ هذا المعنى لا يُعدُّ وجهًا لـ(أحد) لأنَّه ما أريد وصف (أحد) بأنَّه الله جل جلاله ، وهي الدراسة المعكوسة التي اتبعها أهل الوجوه لاختلاق الوجوه ، وإنَّما أريد وصف البارئ تعالى ذكره بأنَّه أحد .

فلفظ (أحد) إذن ليس من الألفاظ المشتركة ، وقد دلَّ على معناه العام فيما تقدَّم ذكره ، وجعله بمعاني الأوجه المذكورة باستثناء الوجه الثامن تحريف صريح لدلالته .

١٢٥ –الخلق : جعل أهل الوجوه للخلق الأوجه الآتية :

---

(١) الوسيط للواحدي ٥٧١/٤ .

(٢) الزينة ٣٨/٢.

١–الخلق : يعني الدين ، أي : تغيير خلق الله يعني تغيير دين الله .

٢–خلق الشيء يعني اختلاقه .

٣–خلق الشيء يعني خلق تصويره .

٤–خلقكم يعني خلق إنطاقكم .

٥–خَلَقَ يعني جَعَلَ .

٦–الخلق يعني البعث ، يعني خلق الإنسان من جديد .

٧–الخلق يعني الخلق في الدنيا .

٨–الخلق يعني البناء ، أي : ما خلق الإنسان من بناء القصور .

٩–الخلق يعني الموات ، أي : ما خلق الله من الموات كالحجر والحديد(١)

فهذه الأوجه كما تراها قد تعمَّد أهل الوجوه اختلاقها من المعاني المرادفة للخلق .

١٢٦–أذان : قال ابن فارس : ((الهمزة والذال والنون : أصلان متقاربان في المعنى متباعدان في اللفظ ، أحدهما : أُذُن كل ذي أُذُن ، والآخر : العلم ، وعنهما يتفرع الباب كله ، فأمَّا التقارب ، فبالأُذُن يقع كل مسموع٠٠٠والأصل الآخر : العلم والإعلام ، تقول العرب : قد أَذِنْتُ بهذا الأمر ، أي : علمتُ ، وآذنني فلان : أعلمني)) (٢) وقال ابن الجوزي :

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦١–٢٦٢وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٤–١١٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٧–١٧٨والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٨–١٥٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠١–٢٠٢ ونزهة الأعين ص ١١٩–١٢٠ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٧–١٠٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٢–٣٣.

((الأذان : نداء يُقصَد به إعلام المنادى بما يراد منه ، ومنه الأذان للصلاة ، فإذا أصغى إليه المنادى بالاستماع والإجابة ، قيل : قد أذن ومنه قوله تعالى : (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ){الانشقاق : ٥} وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : ما أذن الله لشيء ، ما أذن لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن يجهر به . أي : ما استمع)) [١]

وذكر أهل الوجوه للأذان ثلاثة أوجه هي : الإسماع ، والإعلام والنداء[٢] وهذه المعاني كما تراها ليست أوجهًا ، بل معان مرادفة للأذان الذي عُرِّف بأنَّه نداء قُصد به إعلام المنادى وإسماعه

١٢٧-**نأى** : قال مقاتل : ((تفسير (نأى) على وجهين ، فوجه منهما ، أي : يعني تباعد ، فذلك قوله في بني إسرائيل : (وَنَأَى بِجَانِبِه){الإسراء : ٨٣} يعني تباعد ، كقوله في الأنعام : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ){الإسراء : ٢٦} يعني يباعدون عنه .

والوجه الثاني : لا تنيا يعني لا تضعفا ، فذلك قوله في طه : (وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي){طه : ٤٢} يقول : لا تضعفا ، وقال في القصص : (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ){القصص : ٧٦} يعني لتضعف فتعجز عن حمل المفاتيح لأبواب بيوت أموال قارون)) [٣] ومثل هذا قال هرون والدامغاني مستشهدين بالآيات القرآنية نفسها من غير زيادة ولا نقصان [٤]

---

(١) نزهة الأعين ص ١٤.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٢-٢٦٣وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٥ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٨-١٧٩، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٧٧

(٣) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٦ .

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٤٨ .

ومقاتل في هذين الوجهين خلط بين ثلاثة أبواب ، فالوجه الأول الذي جعله بمعنى البعد هو من باب نأى ، قال ابن فارس : ((وأمَّا النأي فالبعد ، يقال : نأى ينأى نأيًا، وانتأى افتعل منه ، والمنتأى : الموضع البعيد)) (١)

والوجه الثاني الذي جعله بمعنى الضعف ، فشاهده الأول هو من باب ونى ، قال ابن فارس : ((الواو والنون والحرف المعتل : يدل على ضعف ، يقال : ونى يني ونْيًا ، والواني : الضعيف ، قال الله تعالى : (وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي){طه : ٤٢}))(٢) وشاهده الثاني من باب ناء ، قال ابن فارس : ((وبالهمز: كلمة تدل على النهوض ، وناء ينوء نوءًا : نهض ٠٠٠وكل ناهض بثقل فقد ناء ، وناء البعير بحمله ، والمرأة تنوء بها عجيزتها ، وهي تنوء بها ، فالأول تثقل بها ، والثانية تنهض)) (٣)

فمقاتل بن سليمان خلط بين معاني ثلاثة ألفاظ : نأى ، وناء ، وونى ، فإذا جاز أن نعذر مقاتل في هذا الخلط بين دلالات أبواب ثلاثة ليختلق منها الوجهين المذكورين لكونه أول من دوَّن كتابًا في الوجوه ، فما بال هرون بن موسى والدامغاني يقعان في هذا الخلط نفسه؟! إنَّه التقليد ، وهذا هو حال كتب الوجوه بعامة .

١٢٨-**الرجم** : قال ابن فارس : ((الراء والجيم والميم : أصل واحد يرجع إلى وجه واحد ، وهو الرمي بالحجارة ثم يستعار ذلك ، من ذلك٠٠٠قولهم : رجمتُ فلانًا بالكلام : إذا شتمته ، وذكر في تفسير ما حكاه عز وجل في قصة إبراهيم : (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لارْجُمَنَّكَ){مريم : ٤٦} أي :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٨٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٦٨ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٧٦.

لأشتمنَّك ، وكأنَّه إذا شتمه فقد رجمه بالكلام ، أي : ضربه به كما يُرجَم الإنسان بالحجارة ، وقال قوم : لأرجمنَّك لأقتلنَّك ، والمعنى قريب من الأول)) [١] وقال ابن الجوزي : ((وصار هذا الأمر رجمًا ، أي : ظنًّا لا يوقف على حقيقة أمره)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الرجم جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه : القتل ، والرمي بعينه ، والظنُّ ، واللعن ، والشتم أو السب[٣]

الوجه الذي جُعِل بمعنى الرمي بعينه يمثل معنى الرجم في الأصل ، وباقي المعاني مستعارة كما صرح بذلك ابن فارس بقوله : ((أصل واحد ٠٠٠وهو الرمي ثم يستعار)) والعسكري بقوله : ((الرجم : أصله الرمي ، ثم قيل للقتل رجم ، والشتم رجم تشبيهًا))[٤]وابن الجوزي بقوله : ((الرجم في الأصل إلقاء الحجر بشدة الدفع ثم استعير في مواضع)) [٥] فلا أوجه إذن لأنَّ الأوجه هي التي لا ترتبط فيما بينها بصلة مجاز ، وبأي صلة أخرى غير صلة اللفظ المشترك .

١٢٩-**الصلاح** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الصلاح ورد في القرآن الكريم على عشرة وجوه ، هي : الإيمان ، وجودة المنزلة ، والرفق ، وتسوية

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٧٣-٣٧٤ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٣٧.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٤وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٦ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٩-١٨٠والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٧٠-١٧١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٣-٢٤٤ ونزهة الأعين ص ١٣٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٢٧-١٢٨ .

(٤) الوجوه والنظائر ص١٧٠

(٥) نزهة الأعين ص ١٣٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٢٧.

الخلق والصورة ، والإحسان ، والطاعة ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحج [1]

والصلاح خلاف الفساد[2] وهو كما قال العسكري : ((نفع يلتئم به الأمور ، والإصلاح : تقويم العمل على ما ينفع بدلاً مما يضر)) [3] وقال ابن الجوزي : ((الصلاح : التغيير إلى الاستقامة في الحال ، وضده الفساد)) [4] فهو من المعاني العامة ، والوجوه المذكورة تدخل جميعها ضمن معناه العام ، أو ضمن مرادفاته ، وليست كذلك وجوه اللفظ المشترك .

١٣٠-**الإظهار أو الظهور وما يتصرف منه** : ذكر أهل الوجوه أن الظهور ورد في القرآن الكريم على ثمانية أوجه هي :

١-ظهر يعني بدا .

٢-أظهر يعني أطلع .

٣-التظاهر يعني التعاون .

٤-يظهرون يعني يرتقون .

٥-الإظهار يعني العلو .

٦-الظاهر يعني الباطل ، كقوله تعالى : (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ){الرعد : ٣٣}

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٥-٢٦٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٦-١١٧والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٠-١٨١والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٣-٢٠٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٩١ .

(٣) الوجوه والنظائر ٢٠٣.

(٤) نزهة الأعين ص ١٨٠-١٨١.

٧-إظهار مثل ضربه ، كقوله تعالى : (كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ){البقرة : ١٠١}

٨-يظهرون يعني نصف النهار [١]

قال ابن فارس : ((الظاء والهاء والراء : أصل صحيح يدل على قوة وبروز ، من ذلك : ظهر الشيء يظهر ظهورًا فهو ظاهر: إذا انكشف وبرز ؛ ولذلك سُمِّي وقت الظهر والظهيرة : وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها ، والأصل فيه كله ظَهْرُ الإنسان ، وهو خلاف بطنه ، وهو يجمع البروز والقوة٠٠٠ومن الباب : أظهرنا : إذا سرنا وقت الظهيرة ، ومن ظهرتُ على كذا : إذا اطلعتُ عليه ٠٠٠والظهير : المعين ، كأنَّه اسند ظهره إلى ظهرك ، والظهور : الغلبة٠٠٠والظهار قول الرجل لامرأته : أنت علي كظهر أمي ، وهي كلمة كانوا يقولونها يريدون بها الفراق ، وإنَّما اختصوا الظهر لمكان الركوب ، وإلاَّ فسائر أعضائها في التحريم كالظهر ، والظِّهري : كل شيء تجعله بظهر ، أي : تنساه ، كأنَّك قد جعلته خلف ظهرك إعراضًا عنه وتركًا له قال الله سحانه : (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا){هود : ٩٢ ٠٠٠ومن الباب : هذا أمر ظاهر عنك عاره : ، أي : زائل ، كأنَّه إذا زال فقد صار وراء ظهرك ، وحكى ابن دريد : تظاهر القوم : إذا تدابروا ، وكأنَّه من الأضداد ، وهذا المعنى الذي ذكره ابن دريد صحيح ؛ لأنَّه أراد أن كل واحد منهما أدبر عن صاحبه ، وجعل ظهره إليه والله أعلم)) [٢]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٦-٢٦٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٧-١١٩والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٢-١٨٣والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٣١-٢٣٣والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٢٩-٣٣٠ ونزهة الأعين ص ١٩٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٥٤ .

وكذلك جعل الظاهر بمعنى الباطل كما جاء في الوجه السادس في قوله تعالى : (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ) جُعِل الظاهر هنا خلاف الباطن : أي : خلاف الحقيقة ، فمعاني هذه الأوجه المذكورة تدخل جميعها في معنى واحد ، هو معنى الظهور .

١٣١-حتى : ذكر أهل الوجوه أنَّ (حتى) جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي :

الوجه الأول : حتى بمعنى إلى ، وهذا ما قال به أيضًا أصحاب كتب حروف المعاني مستشهدين جميعًا بقوله تعالى : (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ {٤} سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) يعني إلى مطلع الفجر[١]

الوجه الثاني : قال مقاتل شيخ أهل الوجوه : ((الوجه الثاني : حتى يعني فلمَّا فذلك قوله تعالى في يوسف : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ){يوسف : ١١٠} يعني فلمَّا استيأس الرسل من إيمانهم ، وقال في الأنبياء : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ){الأنبياء : ٩٦} وقال في هود : (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ){هود : ٤٠}))[٢] وهذا عين ما قال به مقلدوه : هرون بن موسى [٣] والعسكري [٤] والدامغاني[١] وابن الجوزي[٢]مستشهدين بالآيات نفسها .

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٩والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٤والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٨-١٦٩ ونزهة الأعين ص ٩٩ وينظر أيضًا : الأزهية ص ٢٢٣ورصف المباني ص ٢٥٨-٢٥٩ والجنى الداني ص٥٤٢ ومغني اللبيب ١/١٢٢-١٢٣ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٤٢ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٤٦.

(٢) الأشباه والنظائر ص ٢٦٩ ، وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٩ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٨٤.

(٤) الوجوه والنظائر ص ١٤٣.

وهذا الوجه لا يصح لـ(حتى) لأمرين ، الأول : أنَّ (فلمَّا) لم تكن وجهًا لـ(حتى) وحدها ، بل هي وجه لـ(حتى) و(إذا) مجتمعتين كما هو ظاهر من التقدير ، والثاني : أنَّ هذا الوجه متأتٍّ من دلالة (إذا) التي جُعلَتْ شريكة لـ(حتى) فيه ؛ لاتحادهما في أسلوب عام واحد ، هو أسلوب الشرط ، قال المرادي : ((اعلمْ أنَّ (لمَّا) المشددة لها في الكلام ثلاثة أوجه : ٠٠٠الموضع الثالث : أن تكون حرف وجوب لوجوب ، نحو : لمَّا قمتَ أكرمتك ، ولمَّا جئتني أحسنتُ إليك ٠٠٠وفيها معنى الشرط لا يفارقها ، ولا تدخل إلاَّ على الماضي لفظًا ومعنىً أو معنى دون لفظ)) [٣] لذلك فإنَّ هذا الوجه الذي قاله مقاتل لم أجده في كتب حروف المعاني ، ولا في كتب التفسير ، وقد قال به أهل الوجوه من بعده تقليدًا له[٤]

وقد عدَّ النحاة (حتى) في نحو المواضع التي استشهد بها أهل الوجوه حرف ابتداء ، وهذا لا يعني أنَّها عندهم منقطعة عما قبلها من حيث الدلالة ، بل سموها ابتدائية لانقطاعها عمَّا قبلها من جهة الإعراب ، قال ابن هشام : ((من أوجه (حتى) أن تكون حرف ابتداء٠٠٠وكذا قال (يعني ابن مالك) في (حتى) الداخلة على (إذا) في نحو : (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ){آل عمران : ١٥٢} إنَّها الجارة وإنَّ (إذا) في موضع جر بها ، وهذه

---

(١) االوجوه والنظائر ص ١٦٩.

(٢) نزهة الأعين ص ٩٩ .

(٣) الجنى الداني ص ٣٥١-٣٥٤ .

(٤) ينظر : الأزهية ص ٢٥٥ ورصف المباني ص ٢٥٧ والجنى الداني ص ٥٥١-٥٥٢ .

المقالة سبقه إليها الأخفش وغيره ، والجمهور على خلافها ، وأنَّها حرف ابتداء ، وأنَّ (إذا) في موضع نصب بشرطها أو جوابها)) (١)

الوجه الثالث : قال شيخ الوجوهيين : ((والوجه الثالث : حتى ، تفسيره إقرار وهو وقت لشي يكون ، فذلك قوله في براءة : (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ){التوبة : ٢٩} يقول : قاتلوهم أبدًا حتى يقروا بالجزية هذا وقت لهم)) (٢) وهذا الوجه لا يصح أيضًا لـ(حتى) لأنَّه لو صح فهو لم يجئ من (حتى) بل من مضمون الجملة التي بعدها ، والدليل على ذلك أنَّ مقاتل نفسه استعمل (حتى) في التقدير ، وجعل (يقروا) مكان (يعطوا) فالإقرار إذن إن صح فهو وجه لـ(يعطوا) لا لـ(حتى) ، مما يدل على أنَّه وجه مختَلَق ، لذلك لم أجده أيضًا في كتب حروف المعاني ولا في كتب التفسير، وقد قال به هرون والدامغاني تقليدًا لشيخهما (٣)

معاني (حتى) في كتب النحو : قال الهروي : ((مواضع (حتى) : اعلم أنَّ لها أربعة مواضع : تكون حرفًا جارًّا على جهة الغاية بمعنى (إلى) ٠٠٠وتكون حرفًا من حروف العطف بمنزلة الواو٠٠٠وتكون ناصبة للفعل المستقبل بمعنيين : بمعنى (كي) وبمعنى (إلى أن) ٠٠٠والموضع الرابع : تكون حرفًا من حروف الابتداء)) (٤)وقال ابن هشام : ((لـ(حتى) الداخلة على

---

(١) مغني اللبيب ١/١٢٨-١٢٩.

(٢) لأشباه والنظائر ص ٢٦٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٩

(٣) ينظر الوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٤ وللدامغاني ص ١٦٩ .

(٤) الأزهية ص ٢٢٣ .

الفعل المضارع ثلاثة معان : مرادفة (إلى) ٠٠٠ومرادفة (كي) التعليلية ٠٠٠ومرادفة (إلاَّ) في الاستثناء)) [١]

فقد جُعِلت (حتى) بمعنى : واو العطف و(إلى) و(إلى من) و(كي) و(إلاَّ) وقد أكدنا غير مرة أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، ف(حتى) لا يطابق معناها إلاَّ (حتى) نفسها ، أمَّا هذه الأحرف التي جُعِلت بمعناها ، فإنَّماهي كما قال الزجاج[٢] قد تقاربت في الفائدة مع (حتى) في تراكيب ؛ فيظن الضعيف في اللغة أنَّها في هذه التراكيب بمعناها ، وهي ليست بمعناها ، بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى ؛ وهذا هو الذي أوهم أهل اللغة والنحو بوجود الوجوه والمعاني المتعددة للحرف الواحد .

فهذه الأحرف التي جُعِلَت أوجهًا لـ(حتى) لا بدّ من أن يكون بينها وبين (حتى) فرق في المعنى والاستعمال ، فقد أجمع أهل اللغة مثلًا على أنَّ (حتى) الجارة هي بمنزلة (إلى) ؛ لأنَّ كليهما لانتهاء الغاية ، لكنهما مع ذلك أكدوا أنَّ بينهما فرقًا ، فقد قال المرادي : ((وللمعطوف بـ(حتى) شرطان ، الأول : أن يكون بعض ما قبلها ، أو كبعضه ٠٠٠قلتُ هذا الشرط ذكره النحويون في باب العطف ، ولم أرهم ذكروه في باب الجر إلاَّ ابن مالك فإنَّه قال : ومجرورها يعني (حتى) إمَّا بعض لما قبلها من مفهم جمع إفهامًا صريحًا ، أو غير صريح ، وإمَّا كبعض ، قال : عنيت بالصريح كونه بلفظ موضوع للجمعية ، فيدخل في ذلك الجمع الاصطلاحي واللغوي ، كرجال وقوم ، وعنيتُ بغير الصريح ما دل على الجمعية بلفظ غير موضوع لها

---

(١) مغني اللبيب ١٢٥/١ ، وينظر : الجنى الداني ص ٥٥٤–٥٥٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

كقوله تعالى : (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ){يوسف : ٣٥} فإنَّ مجرور (حتى) فيه منتهى لأحيان مفهومة غير مصرح بذكرها))[١]

وقال أيضًا : ((فإن قلتَ : (حتى) و(إلى) كلاهما لانتهاء الغاية ، فهل بينهما فرق ؟ قلتُ : بينهما فروق))[٢] وقال ابن هشام : ((وتستعمل (حتى) على ثلاثة أوجه أن تكون بمنزلة (إلى) في المعنى والعمل ، ولكنَّها تخالفها في ثلاثة أمور ، أحدها أنَّ لمخفوضها شرطين ، وهو أن يكون ظاهرًا لا مضمرًا ٠٠٠والشرط الثاني خاص بالمسبوق ، بذي أجزاء وهو أن يكون المجرور آخرًا ٠٠٠أو ملاقيًا لآخر جزء نحو (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ))) [٣]

نردد ما قلناه غير مرة : إنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فـ(حتى) إذن هي غير (إلى) حتمًا ، فهذا ابن هشام على الرغم من أنَّه جعل (حتى) ((حرفًا جارًّا بمنزلة (إلى) في المعنى والعمل))[٤] فرق بينها وبين (إلى) بقوله : ((فلأنَّ (حتى) موضوعة لإفادة تقصي الفعل قبلها شيئًا فشيئًا إلى الغاية ، و(إلى) ليست كذلك))[٥]

وهذا التعريف يُعدُّ وصفًا دقيقًا لـ(حتى) ، بيد أنَّه لم يشتهر ، ولم يُوضَّح ، ولم يُؤخذ به في شرح شواهدها ، وأرى أنَّه هو المعوَّل عليه في التفريق بينها وبين (إلى) في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم ، فالأكثر والأنسب أن يقال مثلاً : سافر زيد من الموصل إلى بغداد ، والمعنى معروف

---

(١) الجنى الداني ص ٥٤٧-٥٤٨.

(٢) الجنى الداني ص ٥٤٦ .

(٣) مغني اللبيب ١٢٣/١ .

(٤) مغني البيب ١٢٣/١ .

(٥) مغني البيب ١٢٤/١ .

، ولكن لو قلنا : سافر زيد من الموصل حتى بغداد ، أردنا استقصاء مواضع هذا السفر ، وأنَّ زيدٍا انتقل فيه من قرية إلى قرية ، ومن قضاء إلى قضاء ، ومن مدينة إلى مدينة ، أي : أردنا أنَّ هذا السفر تتابع من لدن زيد حتى بلغ به بغداد ، وفي قولنا : سافر زيد من الموصل إلى بغداد ، أردنا أنَّ هذا السفر تم بنقلة واحدة ، بخلاف استعمال (حتى) التي تفيد توالي السفر وتعدد تنقلاته المتعاقبة حتى بلوغ الغاية ، فـ(إلى) تكون متصلة بما ابتدأ به عاملها ، أمَّا حتى فتكون متصلة بأقرب جزء قبلها ، وعلى هذا النحو يُفَسَّر استعمال (حتى) ، ويُفرَّق بينها وبين (إلى) في القرآن الكريم ، فقوله تعالى مثلاً : (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) يفيد أنَّ سلام الملائكة ظل يتنزَّل على المؤمنين المقيمين طَوال ليلة القدر ، سلامًا يتصل بسلام من دون انقطاع حتى انفضاء الليل ، ولم يتعيَّن هذا المعنى لو استعمل (إلى) وقيل : إلى مطلع الفجر ، بل (إلى) ليس هذا موضعها ، أي : باستعمال (إلى) يكون لسلام الملائكة موضعان ، الأول في مبتدأ الليل ، والثاني في منتهاه ، وباستعمال (حتى) تتكرر مواضع بداياته المتعاقبة ، والتي تعقبها غاياتها ، ويستمر هذا الحال حتى مطلع الفجر .

و(حتى) في أفسامها الثلاثة ، وفي جميع حالاتها تدل على انتهاء الغاية ، وهذا ما صرح به النحاة ، فقد قال الهروي : ((تكون حرفًا جارًّا على جهة الغاية بمعنى (إلى))) [1] وقال المالقي : ((حتى...حرف عطف...معناها الغاية ، نحو قولك : ضعف الناس حتى السلطان)) [2] وقال أيضًا : ((اعلم أنَّ (حتى) معناها الغاية في جميع الكلام إلّا أنَّها تكون تارة حرفًا جارًّا للأسماء ، وتارة ينتصب بعدها الفعل المضارع ، وتارة

---

(١) الأزهية ص ٢٢٣ .

(٢) رصف المباني ص ٢٥٨ .

عاطفة)) [١] وتقدم قول المرادي : ((فإن قلتَ : (حتى) و(إلى) كلاهما لانتهاء الغاية ، فهل بينهما فرق ؟ قلتُ : بينهما فروق))[٢] وهذا ما صرح به أيضًا بقوله : ((و(حتى) هذه أعني الابتدائية تدخل على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها فتشارك الجارة والعاطفة في معنى الغاية))[٣]

هذه هي الحقيقة الأولى أنَّ (حتى)لانتهاء الغاية في جميع حالاتها ، والحقيقة الثانية : أنَّها عاطفة في جميع حالاتها ، فقد تقدَّم أنَّ النحاة قسّموا (حتى) على ثلاثة أقسام : جارة ، وعاطفة ، وابتدائية ، إلّا أنَّهم أدخلوا الابتدائية في معنى العطف ، قال المالقي : ((تكون حرفًا من حروف الابتداء٠٠٠وتارة تقع بعدها الجمل الاسمية ، والفعلية ، فلا تعمل فيها ، فترجع إلى باب العطف وإلى باب حروف الابتداء))[٤] وقال : ((القسم الأول : التي هي حرف ابتداء تليها الجملة الاسمية والفعلية من غير عمل ، نحو : قام القوم حتى يخرجُ عمرو ، بالرفع ، وقام القوم حتى عمرو خارج٠٠٠القسم الثاني : التي هي حرف عطف هي التي تشرك بين المفردين والجملتين ، كقولك : قام القوم حتى قام زيدٌ)) [٥] وكذلك (حتى) التي عدوها جارة بمنزلة (إلى) فهي عاطفة أيضًا ، إلّا أنَّها ليست بمنزلة واو العطف كما ادعوا ، فكما أنَّ انتهاء الغاية في (حتى) هو غير انتهاء الغاية في (إلى) ، فكذلك العطف في (حتى) هو غير العطف في الواو ، وهذه حقيقة تضمنها كلام النحاة ، قال الهروي : ((وتكون حرفًا من حروف العطف بمنزلة الواو ،

---

(١) رصف المباني ص ٢٥٧.

(٢) الجنى الداني ص ٥٤٦ .

(٣) الجنى الداني ص٥٥٢–٥٥٣.

(٤) رصف المباني ص ٢٥٧ .

(٥) رصف المباني ص ٢٥٧–٢٥٨ .

وتقع في تعظيم أو تحقير ، فالتعظيم كقولك : مات الناس حتى الانبياء والملوك ، والتحقير كقولك : قدم الحاج حتى المشاة والصبيان)) [١] فـ(حتى) العاطفة تقع في تعظيم أو تحقير ، وواو العطف لبست كذلك ، وقال المرادي : ((وللمعطوف بـ(حتى) شرطان ، الأول : أن يكون بعض ما قبلها ، أو كبعضه٠٠٠الثاني : أن يكون غاية لما قبلها ، في زيادة أو نقص ، والزيادة تشمل القوة والتعظيم ، والنقص يشمل الضعف والتقصير)) [٢] وواو العطف ليست كذلك ، وقال ابن هشام : ((من أوجه (حتى) أن تكون بمنزلة الواو إلّا أنَّ بينهما فرقًا من ثلاثة أوجه)) [٣] وهذا يعني أنَّ العطف في (حتى) هو غير العطف في الواو.

فـ(حتى) عاطفة في جميع أقسامها وحالاتها ؛ ولأنَّها كذلك جاز رفع الاسم بعدها ونصبه وجره في الشاهد نفسه لجواز وقوع المعطوف عليه في هذه الحالات الثلاث ، قال المرادي : ((و(حتى) هذه أعني الابتدائية تدخل على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها فتشارك الجارة والعاطفة في معنى الغاية ، وقد اجتمعت الثلاثة في قول الشاعر :

ألقى الصحيفة كي يُخفِّفَ رحله   والزادَ حتى نعله ألقاها

يروى بجر النعل على أنَّ (حتى) جارة ، وبنصبها على وجهين ، أحدهما أنَّها عاطفة٠٠٠ والنصب بفعل مقدر يفسره الظاهر ، والرفع على أنَّها ابتدائية و(نعله) مبتدأ و(ألقاها) خبره)) [٤]وقال ابن هشام : ((وقد يكون الموضع صالحًا لأقسام (حتى) الثلاثة ، كقولك : أكلتُ السمكة حتى رأسها ، فلك أن

---

(١) الأزهية ص ٢٢٣ .

(٢) الجنى الداني ص ٥٤٧–٥٤٨.

(٣) مغني اللبيب ١/١٢٧ .

(٤) الجنى الداني ص٥٥٢–٥٥٣.

تخفض (رأسها) على معنى (إلى) ، وأن تنصب على معنى الواو ، وأن ترفع على الابتداء)) [١]

رفع الاسم بعد (حتى) في قول الشاعر ، والمثال ، مرفوع على الابتداء ، يؤلف مع خبره المذكور أو المقدر جملة اسمية معطوفة على ما قبلها ، فتكون الواو عاطفة ، وهذا ما صرح به النحاة .

وكذلك هي عاطفة عند نصب الاسم ، إلّا أنَّها ليست بمنزلة الواو ومعناها كما ادعوا ، لأننا إذا جعلنا البيت بتقدير :

ألقى الصحيفة كي يُخفِّفَ رحله   والزادَ ونعله ألقاها

جعلنا (نعله) معطوفًا على الصحيفة والزاد ، وحددنا أنَّه ألقى ثلاثة أشياء : الصحيفة والزاد ونعله ، أمَّا باستعمال (حتى) صار ما ألقاه غير محدد وغير مصرح به ، وصار (نعله) معطوفًا على آخر الأشياء التي ألقاها بعد الزاد وقبل النعل ، والمعنى : ألقى الصحيفة والزاد وكل ما كان يثقله متاعًا بعد متاع ، وكان آخر الأمتعة التى ألقاها نعله ، فمعنى العطف في (حتى) هو غير معنى العطف في الواو .

وكذلك هي عاطفة في حال الجر، وأنَّها ليست بمنزلة ((إلى) ؛ والدليل على ذلك عدم صحة تقديرها بـ(إلى) في البيت ، إذ ما معنى أن يقال : والزادَ إلى نعله ألقاها ، وإنَّما جاز العطف نصبًا وجرًّا استنادًا إلى المعنى المذكور : ألقى الصحيفة والزاد وكل ما كان يثقله متاعًا بعد متاع ، فجاز النصب عطفًا على (متاعًا) وجاز الجر عطفًا على (متاعٍ) .

وكذلك الحال في المثال : أكلتُ السمكة حتى رأسها ، فالرفع هو على عطف مضمون ما بعدها على مضمون ما قبلها ، والنصب والجر على جواز العطف على منصوب ومجرور مفهوم من الكلام ؛ إذ المعنى :

---

(١) مغني اللبيب ١/١٣٠ .

أكلتُ السمكة عضوًا عضوًا ، أو عضوًا بعد عضوٍ حتى كان رأسها آخر هذه الأعضاء التي أكلتها ، فالنصب عطفًا على (عضوًا) والجر عطفًا على (عضوٍ) و(حتى) هنا في حال النصب ليست بمنزلة واو العطف ؛ لأنَّه عند العطف بالواو وقولنا : أكلتُ السمكة ورأسَها ، يكون من باب عطف الجزء على الكل ، وهذا النوع لم يكن هو المراد كما هو واضح ، ولم تكن بمنزلة (إلى) في حال الجر ؛ لأنَّ (إلى) لا تفيد كـ(حتى) تقصِّي المأكول شيئًا فشيئًا ، أو شيئًا بعد شيء حتى بلوغه الرأس .

فـ(حتى) عاطفة في جميع حالاتها حتى التي سميت ابتدائية ، فإنَّها تكون متصلة بما قبلها في كل موضع عند التحقيق ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {١٠٩} حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ){يوسف : ١٠٩-١١٠} جاء في التفسير أنَّ ((المعنى متعلق بالآية الأولى فتقديره : وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالًا ، فدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا ، وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل))[١]

(حتى) الناصبة للفعل المضارع : تناولت هذا الموضوع في بحث لي بعنوان : نواصب الفعل المضارع في القرآن الكريم ، ونصه : (((حتى) حرف جر عند البصريين ، وينصب الفعل المضارع بعدها بـ (أنْ) مضمرة وجوبًا، وهي بمعنى : إلى أن[٢] كقوله تعالى: (حتى تتبع ملتهم) [البقرة: ١٢٠] ، وقوله تعالى: (حتى يأتيَ وعدُ الله) [الرعد: ٣١] ، والتقدير: إلى أنْ

(١) زاد المسير ٢٢٨/٤.

(٢) ينظر: المقتضب للمبرد ٣٨/٢ .

تتبع ملتهم ، والى أنْ يأتي وعد الله ، وكذلك جميع ما في القرآن من (حتى)[1] ، وهذا لا يعني أنَّ (حتى) حرف مركب من حرفين ، ((وإنما هو حرف واحد يعمل بتأويل حرفين)) [2] ، ويذهب الكوفيون إلى أنَّ (حتى) تنصب الفعل المضارع بنفسها[3] ولا تنصب الفعل بعدها إلّا إذا أفاد معنى الاستقبال[4] .

وذكر النحاة أنَّ (حتى) وردت في اللغة والقرآن الكريم بمعنى : (إلى) ، و (كي) التعليلية، وبمعنى (إلّا) في الاستثناء ، وذكروا أنّ من أمثلة (حتى) التي وردت في القران الكريم بمعنى (إلى)، قوله تعالى: (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) [طه: ٩١] وبمعنى: (كي) التعليلية، قوله تعالى: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا) [المنافقون: ٧] وقوله تعالى: (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات: ٩] ، وبمعنى: (إلّا)، قوله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) [البقر: ١٠٢] وذكروا أيضًا أنَّ (حتى) في قوله تعالى :(حتى تفيء) يحتمل أنْ تكون بمعنى : (إلى أنْ) ، وكذلك في قوله تعالى : (حتى يقولا) [5].

([1]) ينظر: كتاب سيبويه، ٣/ ٥، ٧، ومعاني القرآن للأخفش، ص٩٣، والمقتضب، ٢/ ٧، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور، ١/ ٥١٧، وشرح الكافية الشافية لابن مالك، ٣/ ١٥٤٢.

([2]) الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلة ص ١٣٠

([3]) ينظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، ٢/ ١٤١، وشرح الرضي على الكافية، ٤/ ٥٣، وحاشية الصبان، ٣/ ٤٣٦.

([4]) ينظر: مغني اللبيب، ١/ ١٢٦، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، ٣/ ٤٦٨.

([5]) ينظر: كتاب سيبويه ٥/٣، ومعاني القرآن للأخفش ص ٩٣-٩٤،والمقتضب للمبرد ٧/٢، والأُصول في النحو لابن السراج ١٥٦/٢، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٥١٧/١، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٥٤٢/٣،ومغني اللبيب ١٢٥/١.

وقد جعل البصريون المضارع منصوبًا بـ(أنْ) استنادًا لما ذهبوا إليه بأنَّ (حتى) كما قال المبرد : ((من عوامل الأسماء ؛ ولهذا يقدر (أنْ) بعدها قبل الفعل ، فإذا وقعت عوامل الأسماء على الأفعال لم يستقم وصلها بها إلاَّ على إضمار (أنْ) ؛ لأنَّ (أنْ) والفعل اسم)) [1].

وهذا الذي صرح به المبرد يدل على أنَّ القول بنصب المضارع بـ(أنْ) قول مختلق ؛ لأنّه جاء لتسويغ مذهب البصريين بأنَّ (حتى) من عوامل الأسماء .

والذي نراه أنَّ (حتَّى) هذه لا تنصب الفعل المضارع بـ(أنْ) مضمرة بعدها، كما ذهب البصريُّون ، ولا بنفسها كما ذهب الكوفيّون ، بل تنصبه بما دلَّت عليه من معنى ، وقد صرَّح بعض النحاة بهذا العامل المعنوي ، فقد قال الهرمي مثلا : ((وأمَّا (حتى) فمعناها الغاية ، وهي تنصب الفعل المستقبل على معنيين : أحدهما : معنى (إلى أن) والثاني : معنى (كي)))[2][3]

وأضيف إلى ما قلته هناك أنَّ أصحاب كتب حروف المعاني ، سلكوا طريقين في تعليل نصب الفعل بـ(حتى) :

الأول : قال الهروي : ((وتكون ناصبة للفعل المستقبل بمعنيين ، بمعنى (كي) وبمعنى (إلى أن) ، قولك : سرتُ حتى أدخل المدينة ، تريد : كي أدخل المدينة ، وأمَّا نصبها بمعنى (إلى أن) فقولك : وقفتُ حتى تطلع الشمس ، أي : إلى أن تطلع الشمس))[4] وقال المالقي : ((إنَّ كل موضع

([1]) المقتضب ٣٨/٢ ..

([2]) المحرر في النحو ١٠٨١/٣.

([3]) دراسات في النحو القرآني ص ٥٧-٥٩.

(٤) الأزهية ص ٢٢٤ .

صلحت فيه بمعنى (إلى أن) أو (كي) انتصب ما بعدها ، وإن لم تصلح فالرفع)) [1]

الثاني : قال المرادي : (((وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ){البقرة : ٢١٤} لأنَّ التقدير : حتى أن ، هذا مذهب البصريين ، وزاد ابن مالك في أقسام مجرورها أن يكون مصدرًا مؤولاً من (أن) وفعل ماض نحو قوله تعالى : (حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ){الأعراف : ٩٥} قال الشيخ أبو حيان : ووهم في هذا ؛ لأنَّ (حتى) ههنا ابتدائية و(أن) غير مضمرة بعدها)) [2] وقال ابن هشام : ((ومما انفردت به (حتى) أنَّه يجوز وقوع المضارع المنصوب بعدها ، نحو : سرتُ حتى أدخلها ، وذلك بتقدير : حتى أن أدخلها ، و(أن) المضمرة والفعل في تأويل مصدر مخفوض بـ(حتى) ولا يجوز : سرتُ إلى أدخلها ، وإنَّما قلنا إنَّ النصب بعد (حتى) بـ(أن) مضمرة بعد (حتى) لا بنفسها كما يقول الكوفيون ؛ لأنَّ (حتى) قد ثبت أنَّها تخفض الأسماء ، وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال)) [3]

القول الأول لا يصح لما يأتي :

١-القول بأنَّ (حتى) تنصب المضارع بمعنى (كي) وبمعنى (إلى أن) مردود لما ذكرناه أنَّ (حتى) لا يطابق معناها إلاَّ حتى نفسها ، إلّا أنَّهما مما يتقاربان في الفائدة معها في تراكيب ؛ فيظن الضعيف في اللغة أنَّهما بمعناها في هذه التراكيب ، وهما ليستا بمعناها بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى

---

(١) رصف المباني ص ٢٦١ .

(٢) الجنى الداني ص ٥٤٣ .

(٣) مغني اللبيب /١٢٤-١٢٥ .

٢–أليس من الحمق أن نجعل (حتى) تنصب المضارع بعدها بمعاني غيرها من الأحرف ، ونمنع أن تنصبه بمعناها؟! أليس لـ(حتى) معنى؟! أو ليس من الحمق أيضًا أن نجعل المضارع بعدها منصوبًا بمعاني أحرف مقدَّرة غير ظاهرة ، ونمنع أن يكون منصوبًا بـ(حتى) الظاهرة والمذكورة في الكلام؟!

وكذلك القول الثاني لا يصح لما يأتي :

١–العلة التي استند إليها النحاة : ((وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال)) لمنع أن تعمل (حتى) في الأفعال ، هو مجرد كلام ، فـ(إنَّ) وأخواتها عند النحاة تعمل في اسمها وخبرها وكثيرًا ما يجيء خبرها جملة فعلية ، وكذلك (كان) وأخواتها ، واللام تدخل على الأسماء فتجرها ، وتدخل على الأفعال المضارعة فتجزمها ، وهي المصطلح عليها بلام الأمر .

٢–أثبت النحاة أنفسهم أنَّه قد يجيء الحرف عاملاً في الاسم ، وعاملاً في الفعل ، وهذا ما ذهبوا إليه في (كي) ، فقد عدوها حرفًا مشتركًا ، فتكون عندهم تارة حرف جر من عوامل الأسماء وتارة حرفًا بمنزلة (أن) من عوامل الأفعال[١]

٣–القول بعمل (أن) وهي مضمرة وجوبًا إشكال كبير ، إذ كيف يصحُّ أن تعمل (أنْ) وهي مضمرة وجوبًا لا جوازًا فحسب ، بل ذهب النحاة إلى أنَّ (أنْ) لا تعمل مع الحذف ، وفي هذه المسألة قال أبو البركات بن الأنباري : ((و(أنَّ) المشددة لا تعمل مع الحذف فـ(أنِ) الخفيفة أولى أن لا تعمل لوجهين :

أحدهما : أنَّ (أنَّ) المشددة هي الأصل و(أنِ) الخفيفة فرع عليها ، ولا خلاف أنَّ الأصل أقوى من الفرع ، فإذا لم يعمل الأصل مع الحذف ،

---

(١) ينظر : علل النحو لابن الوراق ص ٢٧١، والأشباه والنظائر للسيوطي ٢/٢٤٦.

مع كونه أقوى ، فلا يعمل الفرع مع كونه أضعف ، كان ذلك من طريق أولى .

والوجه الثاني : أنَّ (أنَّ) المشددة من عوامل الأسماء ، و(أنِ) الخفيفة من عوامل الأفعال ، ولا خلاف أنَّ عوامل الأسماء ، أقوى من عوامل الأفعال ، وإذا لم تعمل (أنَّ) المشددة مع الحذف ، وهي أقوى ، فلا تعمل (أنِ) الخفيفة مع الحذف ، وهي أضعف ، كان ذلك أولى))[1].

٤-ونحن حين نجعل (حتى) بمعنى (إلى أن) من أجل أن نزعم أنَّ المضارع منصوب بـ(أن) مضمرة بعدها وليس بـ(حتى) نفسها ، نكون قد عمدنا إلى تحريف دلالة الحرف القرآني من أجل أن نثبت قولًا خاطئًا ، فلو كان المراد من (حتى) مثلاً في قوله تعالى : (وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) معنى (إلى أن) لاستُعمِلَت ، ولأفادت نقلة مرة واحدة ، مبتدؤها يوم (زلزلوا) ومنتهاها يوم (يقول) ، وأنت تشعر أنَّ (إلى أن) ليس هنا موضعها ، بل هذا موضع (حتى) ؛ لأنَّ الرسول لا يجزع لأول زلزال يصيبه ، أو يكون ثمة انقطاع أو فراغ بين الزلزال والقول ؛ لأنَّ (حتى) ليست مثل (إلى أن) لانتهاء الغاية فحسب ، بل فيها مع ذلك معنى العطف ليكون المراد أنَّ حدوث الزلزلة ليس له بداية واحدة ، بل بدايات متعاقبة توالت حتى حدوث القول ؛ ليكون قول الرسول معطوفًا على آخر هذه البدايات المتتالية المتصل بها ، فهي كما عرفها ابن هشام وفرَّق بينها وبين (إلى) فقد مر قوله : ((فلأنَّ (حتى) موضوعة لإفادة تقصي الفعل قبلها شيئًا فشيئًا إلى الغاية ، و(إلى) ليست كذلك)) [2] ولو استعمل محلها : (إلى) أو (إلى أن) أو (كي) أو (أو) أو(إلاَّ) ، فهذه الأحرف وإن أفاد الكلام باستعمالها ، لكن لا يفيد استعمال أي

([1]) الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلَّة في أُصول النحو ص ١٣٨.

([2]) مغني البيب ١/١٢٤ .

منها المعنى الذي أفادته (حتى) ، ولكان خلاف المعنى المراد ، قال ابن هشام : ((ولـ(حتى) الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان مرادفة (إلى)۰۰۰ومرادفة (كي) التعليلية۰۰۰ومرادفة (إلاّ) في الاستثناء ، وهذا المعنى ظاهر من قول سيبويه في تفسير قوله : والله لا أفعل إلّا أن تفعل، وصرَّح به ابن هشام الخضراوي وابن مالك ونقله أبو البقاء عن بعضهم في (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) [البقر: ١٠٢] والظاهر في هذه الآية خلافه ، وأنَّ المراد معنى الغاية۰۰۰وجعل ابن هشام من ذلك الحديث : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه ، إذ زمن الميلاد لا يتطاول فتكون (حتى) فيه للغاية ، ولا كونه يولد على الفطرة علته اليهودية والنصرانية فتكون فيه للتعليل ، ولك أن تخرجه على أنَّ فيه حذفًا ، أي : يولد على الفطرة ويستمر على ذلك حتى يكون)) (١)

وعلى هذا النحو يُفَسَّر دخول (حتى) على الفعل المضارع في القرآن الكريم نصبته أم لا ؛ لأنَّه لا فرق بين الحالين في إرادة المعنى المذكور ، ففي حال النصب يكون المراد الفعل المضارع بذاته ، مجرَّدًا عن معنى الجملة ، وعند رفعه يكون المراد الفعل المضارع بِعَدِّه جملة فعلية ، ومن المعروف في اللغة أنَّ علامة الإعراب تظهر على الفعل ، لكنَّها لا تظهر على الجملة الفعلية ، سواء كان فعلها مضارعًا أم ماضيًا أم أمرًا

فـ(حتى) ناصبة للفعل المضارع بنفسها ، وهي لم تنصبه بمعنى (كي) ، أو (إلى أن) ، أو (إلاَّ) بل بمعنى الغاية الذي هو معناها في جميع أقسامها وحالاتها ، فهي ليست من الألفاظ المشتركة ، وليس لها إلّا الوجه المذكور .

---

(١) مغني اللبيب ١/١٢٥ .

١٣٢-**الأنفس** : قال الخليل : ((النفس وجمعها النفوس ، لها معان : النفس : الروح الذي به حياة الجسد ، وكل إنسان نفس حتى آدم عليه السلام، والذكر والأنثى سواء ، وكل شيء بعينه نفس)) [١]

وذكر أهل الوجوه : أنَّ الأنفس أو النفس وردت في القرآن على الوجوه الآتية : آدم ، الأمُّ ، والأهل ، وأهل الدين . والبعض ، والنفس بعينها ، والقلوب ، والإنسان ، أنفسكم يعني أهل دينكم ، أنفسكم يعني منكم أو الإخوان ، النفس يعني روح الإنسان ، تقتلون أنفسكم يعني يقتل بعضكم بعضًا ، اقتلوا أنفسكم يعني أن يقتل الرجل نفسه ، النفس يعني آدم عليه السلام ، والأنفس يعني أمهات المؤمنين ، ونفسي يعني غيبي[٢]

أهذه أوجه للنفس والأنفس أم شروح وتفسيرات لها؟!

١٣٣-**آل** : قال الخليل : ((وآل الرجل ذو قرابته ، وأهل بيته))[٣]

وقال ابن الجوزي : ((الآل : اسم لكل من رجع إلى معتمد فيما رجع فيه إليه ، فتارة يكون بالنسب ، وتارة يكون بالسبب ، والأصل في ذلك قولنا : آلَ ، بمعنى رجعَ ، وبمعنى صار)) [٤]

---

(١) العين ص ٩٧٧

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٠-٢٧١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٠-١٢١والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٥والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٢٤-٣٢٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤٩-٤٥٠ ونزهة الأعين ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٣) العين ص ٥١ وينظر : مفاييس اللغة ص ٦٢.

(٤) نزهة الأعين ٣٣.

وذكر أهل الوجوه أنَّ للـ(آل) في القرآن الكريم ثلاثة أوجه هي : القوم والأتباع ، وأهل بيت الرجل ، وذرية الرجل[1]

أهذه أوجه للـ(آل) أم مرادفات له ؟!

١٣٤-النجم : ((النجم : اسم يقع على الثريا ، وكل منزل من منازل القمر سُمِّي نجمًا ، وكل كوكب من أعلام الكواكب يُسمى نجمًا ، والنجوم وظائف الأشياء ، وكل وظيفة نجم قال الله عز وجل : (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ {٧٥} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ){الواقعة : ٧٥-٧٦} يعني نجوم القرآن ، أُنزل جملة إلى السماء ، ثم أُنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة آيات متفرقة ، والنجم من النبات : ما لم يقم على ساق كساق الشجر)) [2] وقال ابن فارس : ((النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع ، ونَجَمَ النجم : طلع ، ونجم السن والقَرن : طلعا٠٠٠والنجم من النبات : ما لم يكن له ساق)) [3] ((والشجر ما له ساق)) [4]

وذكر أهل الوجوه أنَّ النجم ورد في الكريم على ثلاثة أوجه هي :

١-النجم يعني الكوكب .

٢-النجم : يعني نجوم القرآن ، فقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم آيات آيات ، كقوله تعالى : (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ {٧٥} وَإِنَّهُ

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧١-٢٧٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢١والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٦ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٦٠-٦٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٧٧-٧٨ ونزهة الأعين ص ٣٣-٣٤.

(٢) العين ص ٩٤٣-٩٤٤ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٨٧.

(٤) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٣٠ .

لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[الواقعة ٧٥-٧٦] وقوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)[النجم : ١]

٣-النجم : يعني النبت الذي ليس له ساق[(١)]

هذا هو اللفظ الرابع والثلاثون بعد المئة الذي يُعدُّ ثاني لفظ مشترك حقيقة له ثلاثة أوجه ، وهي المذكورة ، وإن جمعها أصل واحد ، والأول كان لفظ (ما) الذي يحمل رقم (١٠٨) ، إلّا أنَّ الوجه الثاني فيه نظر ، فقد قال الطبري في تفسير الشاهد الأول : ((وقوله تعالى : (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن ، وقالوا : أنزل القرآن على رسول الله نجومًا متفرقة٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك بمساقط النجوم٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك بمنازل النجوم٠٠٠وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك فلا أقسم بمساقط النجوم ومغاييها في السماء٠٠٠وذلك أنَّ المواقع جمع موقع ٠٠٠فالأغلب من معانيه والأظهر ما قلنا في ذلك)) [(٢)]

وهذا هو المعنى الصحيح والمراد ، لأنَّه قد ثبت في علم الفلك أنَّ المسافات بين مواقع النجوم كبيرة جدًّا لا يمكن تخيلها ، فشمسنا مثلًا تُعدُّ واحدة من ملايين ملايين النجوم ، وأقرب نجم إليها يبعد عنها أربع سنوات ضوئية ، أي : أنَّ الضوء الذي تبلغ سرعته في الفضاء (٣٠٠) ألف كيلو متر في الثانية ، الذي يصل إلى القمر في أقل من ثانيتين ، فإنَّه يستغرق

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٢-٢٧٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢١-١٢٢والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٦-١٨٧والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٣٠-٢٣١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤٤ ونزهة الأعين ص ٢٨٠-٢٨١ ومنتخب قرة العيون ص ٢٢٧ .

(٢) جامع البيان ٢٧/٢٣٧-٢٣٩ .

أربع سنوات حتى يصل إلى أقرب نجم ، فهذه النجوم ومواقعها التي هي من خلق الله تستحق أن يقسم بها البارئ عز وجل ، ويصف هذا القسم بأنَّه عظيم

وقال في تفسير الشاهد الثاني : ((واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) فقال بعضهم عنى بالنجم : الثريا ، وعنى بقوله : (إِذَا هَوَى) : إذا سقط ، قالوا : وتأويل الكلام : والثريا إذا سقطت٠٠٠وقال آخرون : معنى ذلك : والقرآن إذا نزل٠٠٠وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : عنى بقوله : (وَالنَّجْمِ) : والنجوم ، وقال : ذهب إلى اللفظ الواحد ، وهو في معنى النجوم واستشهد لقوله ذلك بقول راعي الإبل : فباتت تعد النجم في مستحيرة٠٠٠ والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنَّه عنى بالنجم في هذا الموضع : الثريا ؛ ذلك أنَّ العرب تدعوها الثريا)) [١]

حرص أهل الوجوه على أن يجعلوا وجوههم مما يتعيَّن فيها المعنى ، فإذا احتملت لمعنى آخر لم يشيروا إليه ؛ لأنَّهم قد أيقنوا أن من علامات وجوه اللفظ المشترك أن تكون معاني حقيقية ، فإذا كانت كذلك وجب أن لا يختَلَف فيها ؛ ومما يدل على وجود هذه النية أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن هذا الوجه في كتابيه نزهة الأعين ومنتخب قرة العيون ؛ إذ قال فيهما : ((والنجم في القرآن على ثلاثة أوجه٠٠٠والثالث : ما كان ينزل من القرآن متفرِّقًا ومنه : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى){النجم : ١} ومثله : بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ){الواقعة : ٧٥}[٢] هذا ما قاله في النزهة والمنتخب ، وقال في تفسيره : ((في المراد في النجم خمسة أقوال : أحدها أنَّه الثريا٠٠٠والثاني : الرجوم من النجوم ،

---

(١) جامع البيان ٢٧/٥٠-٥١ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢٨٠-٢٨١ ومنتخب قرة العيون ص ٢٢٧.

يعني ما يرمى به الشياطين٠٠٠والثالث : القرآن أُنزل نجومًا متفرقة٠٠٠والرابع : نجوم السماء كلها٠٠٠والخامس أنَّها الزهرة))[1] وقال : ((وفي النجوم قولان : أحدهما : نجوم السماء ، قاله الأكثرون٠٠٠والثاني : أنَّها نجوم القرآن)) [2]

فإذا قال الأكثرون : إنَّ المراد من النجوم نجوم السماء ، كما قال ابن الجوزي في الزاد ؛ فلماذا أغفل هذا القول في النزهة والمنتخب ، وعيَّن فيه ما قاله الأقلون؟! وكذلك فعل في الشاهد الأول عيّن له في نزهته ومنتخبه قولًا واحدًا ، وأجاز له في زاده خمسة أقوال ، لم يرجح قولًا منها ، إنَّه التقليد ومشاركة مقاتل في اختلاق هذا الوجه ، وما يرجِّح أنَّ المراد بالنجم نجم السماء في قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى){النجم : ١} أنَّ سورة النجم تلتها سورة القمر ، وقد تكرر لفظ النجم مفردًا ومجموعًا في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة ، جاء بمعنى الكوكب في اثني عشر موضعًا من ذلك قوله تعالى : (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٦} {١٦} وبمعنى النبت الذي لا ساق له ، في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ){الرحمن : ٦} فيكون للنجم وجهان وليست ثلاثة أوجه .

١٣٥-النشوز : قال ابن فارس : ((النون والشين والزاء : أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو ، والنشز المكان العالي المرتفع ، والنشز والنشوز : الارتفاع ، ثم استعير فقيل نشزت المرأة : استصعبت على بعلها ، وكذا نشز بعلها : جفاها وضربها))[3]

---

(١) زاد المسير ٢٧٣/٧ .

(٢) زاد المسير ٣٣٧/٧ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٠٠ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ النشوز ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

١-عصيان المرأة لزوجها .

٢-الإثرة وهو تفضيل الرجل على زوجته امرأة أخرى .

٣-الارتفاع للقيام ، أو النهوض من المجلس .

٤-قال مقاتل وهرون والدامغاني : ((الوجه الرابع : النشوز يعني الحياة ، فذلك قوله في البقرة : (وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا){البقرة : ٢٥٩} يعني كيف نحييها)) (١)

الأوجه الثلاثة الأولى معان مرادفة للنشوز ، وليست أوجهًا له ، أمَّا الوجه الرابع فليس صحيحًا أنَّ (ننشزها) بالزاي بمعنى نحييها ، وأهل الوجوه لا يشيرون إلى القراءات ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو(ننشرها) بالراء ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (ننشزها) بالزاي ، قال الطبري في تفسير (ننشرها) بالراء : ((فكان أول شيء أحياه رأسه ، فجعل ينظر إلى سائر خلقه يُخلق)) وقال في تفسير (ننشزها) بالزاي : ((أنَّه أول ما خُلِق منه عيناه ، ثم قيل انظر ، فجعل ينظر إلى العظام يتواصل بعضها إلى بعض)) (٢) وقال الواحدي : (((كَيْفَ ننشرها) أي : نحييها ، يقال : أنشر الله الميت ، وقرأ حمزة والكسائي (ننشزها) بالزاي من الإنشاز ، وهو الرفع ، يقال : أنشزته فنشز، رفعته فارتفع ٠٠٠ومعنى الآية : كيف نرفعها من الأرض ،

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٣-٢٧٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٢والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٧-١٨٨والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٠ وينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣٢ ونزهة الأعين ص ٢٨٢-٢٨٣ .

(٢) جامع البيان ٥١/٣ .

فنردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض)) [١] ولم يجعل العسكري من أوجه النشوز الحياة كما فعل غيره بل قال : ((أصل النشوز : الارتفاع ، والنشز : الأرض المرتفع ، وقرئ : (وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا) (يعني بالزاي) أي : نرفع بعضها على بعض حتى تستوي الفامة ، فكأن المرأة إذا نشزت عن زوجها ، كأنَّها ارتفعت عنه ؛ فلم ينلها الزوج)) [٢]

وقد رجعتُ إلى كتب معاني القرآن ، وكتب التفسير والقراءات غير التي تقدم ذكرها : معاني القرآن للفراء ، ومجاز القرأن لأبي عبيدة ، ومعاني القرآن للأخفش ، ومعاني الفرآن وإعرابه للزجاج ، والكشاف للزمخشري ، والمحرر لابن عطية ، وزاد المسير لابن الجوزي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، والدر المصون ، للسمين الحلبي ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ، وروح المعاني للآلوسي ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، وكتب القراءات : معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، وإعراب القراءات السبع ، لابن خالويه الأصبهاني ، وهم جميعًا قد ذكروا القراءتين ، ومعنى كل منهما ، فلم أجد أحدًا منهم من ذكر أنَّ (ننشزها) بالزاي ، بمعنى نحييها ، بل أجمعوا على أنَّها بمعنى نرفعها ونركب بعضها على بعض ، وأنَّ (ننشرها) بمعنى نحييها .

حتى ابن الجوزي الذي عيَّن جعل (ننشزها) بالزاي بمعنى نحييها في النزهة والمنتخب[٣] تقليدًا لشيخه مقاتل قال في الزاد : ((قوله تعالى : (كَيْفَ

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٧٤/١ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٣٢.

(٣) ينظر : النزهة ص ٢٨٣ .

ننشرها) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (ننشرها) بضم النون وكسر الشين وراء مضمومة ومعناه نحييها يقال : أنشر الله الميت فنشرهم ، وقرأ عاصم وابن عامر ، وحمزة والكسائي (ننشزها) بضم النون مع الزاي ، وهو من النشز الذي هو الارتفاع والمعنى : نرفع بعضها إلى بعض للإحياء ، وقرأ الأعمش (ننشزها) بفتح النون ورفع الشين مع الزاي ، وقرأ الحسن ، وأبان عن عاصم (ننشرها) بفتح النون٠٠٠كأنَّه من النشر عن الطي ، فكأنَّ الموت طواها ، والإحياء نشرها))[١]

فقد قال ابن الجوزي في نزهته بخلاف ما قاله في تفسيره ، فغيَّر الحقيقة من أجل أن يقلد منهج مقاتل في اختلاق الوجوه ، وهي هاهنا طريقة : ذكر ما أفاد وإن خالف المعنى المراد ، ولم يتبعه إلا مقلدوه هرون والدامعاني وابن الجوزي .

وقد ذكرتُ في كتابي : دروس إسلامية ، تحت عنوان : نزول القرآن على سبعة أحرف ، الحكمة من تعدد القراءات ، فقلتُ عن الحكمة الرابعة : ((والحكمة الرابعة : الجمع بين معنيي القراءتين من ذلك قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){ البقرة: ٢٥٩} ، والنشز (بالزاي) : يعني رفع العظام بعضها فوق بعض ، والمراد جمعها وإرجاعها إلى ما كانت عليه وبكون ذلك تمهيدا لبعث الروح فيها ، وقرئت : ننشرها (بالراء) ، والنشر ، معناه : البعث والإحياء ، فعند

---

(١) زاد المسير ٢٥٨/١.

جمع هاتين القراءتين يكون تفسير الآية : وانظر إلى حمارك الذي مات قبل مئة سنة وتفسخت عظامه وتناثرت هنا وهناك ، كيف نجمعها ونعيدها إلى مواضعها ، وانظر كيف نحييها)).

١٣٦-الباطل : قال الخليل : ((الباطل : نقيض الحق ٠٠٠وأبطلتُ : جئتُ بكذب وادعيت غير الحق)) [(١)] وقال ابن فارس : ((الباء والطاء واللام أصل واحد ، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه٠٠٠وسُمِّي الشيطان : الباطل)) [(٢)] وذكر أهل الوجوه أنَّ الباطل ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه : الكذب ، والإحباط ، والشرك ، والظلم ، وخلاف الحق[(٣)]

الباطل : اسم جنس ، وهذه الأوجه جميعها تدخل في معناه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّ أهل الوجوه اختلقوا للباطل الأوجه المذكورة عن طريق دراسته دراسة معكوسة ، وقول ابن فارس يدل على هذه الدراسة المعكوسة فقال ((سُمِّي الشيطان : الباطل)) ولم يقل : وسُمِّي الباطل الشيطان ؛ إذ ما أُريد تسمية الباطل ووصفه بالكذب ، والإحباط ، والشرك ، والظلم ، وإنَّما تسمية كل أمر من هذه الأمور الأربعة ووصفه بالباطل ، ، هذا إن صح ما زعمه أهل الوجوه ، وإلاَّ فإنَّ الباطل قد أُريد به الباطل بعينه

---

(١) العين ص ٦٧ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٦ .وذكر أهل الوجوه أنَّ الباطل ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٤-٢٧٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٣والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٨والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٩-٩٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٣١-١٣٢ونزهة الأعين ص ٧٢-٧٣ .

في كل المواضع ، والدليل على ذلك الوجه الخامس الأخير الذي جُعِل بمعنى خلاف الحق الذي يعني الباطل نفسه .

١٣٧-**التوفي** : قال الخليل : ((كل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم ٠٠٠وتقول أوفيته حقه ، ووفيته أجره كله وحسابه، ونحو ذلك ، والوفاة المنية وتوفى فلان ، وتوفاه الله: إذا قبض نفسه)) (١) وقال ابن فارس : ((الواو والفاء والحرف المعتل : كلمة تدل على إكمال وإتمام ، ومنه الوفاء : إتمام العهد، وإكمال الشرط٠٠٠ويقولون : أوفيتك الشيء : إذا قضيته إياه وافيًا ، وتوفيتُ الشيء واستوفيته : إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئًا ، ومنه يقال للميت : توفاه الله))(٢)((والوفاة : اسم للموت ؛ لأنَّه يكون عند استيفاء العمر)) (٣)

وذكر أهل الوجوه أنَّ التوفي جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : قبض الحس والذهن ، أو الإنامة ، أي : النوم ، وقبض عيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء ، وقبض الأرواح (٤)

والعلاقة بين النوم والموت أنَّ الإنسان عند نومه تخرج منه روحه ، وتبقى نفسه ، فمن الأدعية المشهورة أنَّ الرسول ﷺ، كان يقول عند استيقاظه من نومه : الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، ومن الأدعية

---

(١) العين ص ١٠٦٠ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٦٢ .

(٣) نزهة الأعين ص ٨١.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٥-٢٧٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٣-١٢٤والوجوه والنظائر لهرون ص ١٨٩-١٩٠والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٥-١٠٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤٢ونزهة الأعين ص ٨١-٨٢ ومنتخب قرة العيون ص ٨٤ .

المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، أن يقول المسلم إذا استيقظ صباحًا : الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره .

وقد أدرك علماء المسلمين القدامى هذه الحقيقة ، فقد ذكر مثلا أبو حامد الغزالي أن للإنسان روحين، روحًا إنسانية ، وروحًا بهيمية ، وأنَّ الإنسان عند نومه تصعد روحه الإنسانية التي لا تحتاج لتعيش ، وتحيا إلى الأكل والشرب والتنفس ، وتبقى الروح البهيمية التي تحتاج إلى ذلك، ، ومنهم من ذكر أنَّ الإنسان ثلاثة أقسام : جسد وروح ونفس ، وأنَّ الإنسان إذا نام صعدت روحه ، وبقيت نفسه وجسده .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي (بضم الراء، أي: ألقى في قلبي) أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ احد منكم رزقه (أي: إذا تأخر عنه رزقه فليصبر) فلا يطلبه بمعصية الله فان الله لا ينال فضله بمعصيته، رواه الحاكم.

فالموت إذن هو فبض الروح والنفس ، والنوم هو قبض الروح من دون النفس ، والوفاة هو استكمال الرزق والأجل ، فمن أكمل وأتمَّ الله عمله وعمره ورزقه حتى الهواء والنَّفَس ، أي : وفَّى الله له ذلك كله ، أماته الله في الحال من غير إمهال ، فالموت لا يعني الوفاة ، بل هو ملازم للوفاة ويجيء بعدها متصلا بها ،

فالله سبحانه وتعالى لا ينيم الإنسان إلّا بعد أن يوفيه كل ما كُتب له من رزق في ذلك اليوم ، ولم يرفع عيسى عليه السلام إليه في السماء إلّا بعد أن وفَّاه الله كل ما كُتِب له من عمل من يوم ولادته إلى يوم رفعه إليه ، وكذلك لا يميت الله أيَّ إنسان ، ولا يقبض نفسه وروحه إلّا بعد أن يوفيه كل ما كتب الله له من رزق وعمر وأولاد وأموال ، لذلك فإن الوفاة تسبق الموت ؛

كما قلتُ ؛ لأنَّ موت الإنسان لا يكون إلّا بعد أن يوفي الله ما لهذا الإنسان عند الله . فالتوفي أريد به التوفي بعينه في كل المواضع .

١٣٨-**اللام** : قال مقاتل : ((تفسير اللام المكسورة على ثلاثة وجوه :

فوجه منها : اللام المكسورة يعني (لكي) ... (وكما قال هرون ، أو بمعنى (كي) كما قال الباقون)

والوجه الثاني : اللام المكسورة تفسيره (أن) فذلك قوله : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ){آل عمران : ١٧٩} يعني أن يطلعكم على الغيب ، وقال في الأنفال : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ){الأنفال : ٣٣} يعني ما كان الله أن يعذبهم وأنت فيهم ، وقال في سورة إبارهيم : (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ){إبراهيم : ٤٦} يعني أن تزول منه .

والوجه الثالث : تفسيرها لئلّا ، فذلك قوله في النحل : (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ){النحل : لئلّا يكفروا ، مثلها في العنكبوت)) ومثل هذا قال هرون والعسكري والدامغاني وابن الجوزي[(١)]

جُعلتْ اللام في الوجه الأول بمعنى (لكي) و(كي) وهذان الحرفان مرادفان للام وليسا وجهين لها ؛ إذ تشترك جميعها في معنى واحد هو التعليل[(٢)]

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٥وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٩٠والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٧-٢٩٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠٩ ونزهة الأعين ص ٢٥٦-٢٥٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢١٠-٢١٣ .

(٢) ينظر : دراسات في النحو القرآني ص ٣٦-٤٨ .

وجُعلت في الوجه الثاني بمعنى (أن) إلّا أنَّ اللام في الشواهد الثلاثة التي استشهد بها مقاتل وأصحاب الوجوه من بعده ، هي التي أجمع النحاة على تسميتها بلام الجحود ويُنصب الفعل المضارع بعد لام الجحود عند البصريين بـ(أن) مضمرة بعدها وجوبًا ، وعند الكوفيين باللام نفسها ، وهذه اللام هي الواقعة بعد (كان) الناقصة المنفية ، وسُميت لام الجحود لاختصاصها بالنفي ، وقد أثبتُ أنَّها تفيد التعليل[(١)]

أمَّا جعل اللام في الوجه الثالث بمعنى (لئلّا) في قوله تعالى : (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) فلا يصح ؛ لأنَّ اللام تفيد الإثبات ولئلّا تفيد النفي ، فبه يتغير معنى الآية المراد إلى ضده ؛ لذلك اتخذ النحاة والمفسرون من معنى (لئلّا) وسيلة لتأويل الآيات المثبتة التي تبدو في الظاهر بمعنى النقي ، كقوله تعالى : (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){النساء : ١٧٦} فقالوا إنَّ الله لا يبين لنا ما نجهله من أجل أن نضلَّ ، وإنَّ (أن) هنا بمعنى لئلاَّ ، والتقدير : يبين الله لكم لئلاَّ تضلوا ، أي : أنَّهم جعلوا (أن) وليس اللام بهذا المعنى في هذا الشاهد القرآني ونحوه [(٢)]

فإذا جعلنا اللام بمعنى (لئلّا) في قوله تعالى : ((لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) عكسنا معنى الآية ، ولهذا لم يقل أحد بهذا غير مقاتل ومقلديه من أصحاب كتب الوجوه ، قال الأخفش : ((فمعناه ، والله أعلم : فعلوا ذلك ليكفروا)) [(٣)] وقال الطبري : (((لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم)) [(٤)] وقال القرطبي : ((أي : ليجعلوا النعمة سببًا

---

(١) ينظر : دراسات في النحو القرآني ص ٥٤-٥٧.

(٢) ينظر : دراسات في النحو القرآني ص ١٧-٢٤.

(٣) معاني القرآن ص ٢٦٧.

(٤) جامع البيان ١٤٦/١٤ ، وينظر : الوسيط للواحدي ٦٦/٣ .

للكفر)) [١] وقال البيضاوي في النحل : ((ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم ، كأنَّهم قصدوا بشركهم كفران النعمة ، أو إنكار كونها من الله)) [٢] وقال في العنكبوت : (((لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) اللام فيه لام (كي) ، أي : يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة)) [٣] وقال في الروم : (((لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) اللام فيه للعاقبة ، وقيل للأمر بمعنى التهديد)) [٤] وقال السمين الحلبي في النحل : ((قوله تعالى : (لِيَكْفُرُواْ) في هذه اللام ثلاثة أوجه ، أحدها : أنَّها لام (كي) ، وهي متعلقة بـ(يشركون) أي : أنَّ إشراكهم سببه كفرهم به ، الثاني : أنَّها لام الصيرورة ، أي : صار أمرهم إلى ذلك ، الثالث : أنَّها لام الأمر)) [٥] وقال في الروم : (((لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يجوز أن تكون لام (كي) وأن تكون لام الأمر ومعناه التهديد نحو : (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ){فصلت : ٤٠}))[٦]

والدليل على بطلان هذا الوجه أنَّ ابن الجوزي قال في نزهته ومنتخبه : ((اللام على ضربين : مفتوحة ومكسورة٠٠٠أمَّا المكسورة فهي في القرآن على اثني عشر وجهًا٠٠٠والثامن بمعنى (لئلّا) ومنه في النحل (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) ومثلها في العنكبوت ٦٦ والروم ٣٤)) [٧] وقال في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٠.

(٢) أنوار التنزيل ٢٣٠/٣ .

(٣) أنوار التنزيل ١٩٩/٤.

(٤) أنوار التنزيل ٢٠٧/٤ .

(٥) الدر المصون ٢٤١/٧ .

(٦) الدر المصون ٤٦/٩ .

(٧) نزهة الأعين ص ٢٥٦–٢٥٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢١٠–٢١٢ .

تفسيره : ((قال الزجاج : ليكفروا بأنَّا أنعمنا عليهم ، فجعلوا نعمنا سببًا إلى الكفر ...ويجوز أن يكون (ليكفروا) أي : ليجحدوا نعمة الله في ذلك))[١] وقال في العنكبوت : ((هذه لام الأمر ، ومعناه التهديد والوعيد ، كقوله تعالى : (اعْمَلُوا مَا شِئْتُ) والمعنى ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إياهم)) [٢]

فابن الجوزي في النزهة والمنتخب جعل قوله تعالى : (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ) بمعنى : لئلّا يكفروا بما آتيناهم ، وجعله في الزاد بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد قال بالتفسير الأول تقليدًا لمقاتل ، ولم يقل به في تفسيره ، بل لم يشر إليه ؛ لأنَّ جعل اللام بمعنى (لئلّا) يقلب تفسير الآية رأسًا على عقب ، فيكون المعنى : من أجل أن لا يكفروا ، وهو ضد المعنى المراد تمامًا ، إلّا أنَّ التقليد هو الذي أوقع ابن الجوزي في هذا المأخذ ، وفي هذا التناقض ، وقد يُعذَر في ذلك ، لأنَّه قال بمعنى النفي في كتاب ، وقال بمعنى الإثبات في كتاب آخر ، لكن ما بال العسكري يقع فيهما في الكتاب نفسه ، بل في الصفحة نفسها ، فتأمَّل معي الآن قول العسكري واسمع منه العجب العجاب ، فقد قال : ((اللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه ، الأول : بمعنى (كي) ...الثاني : بمعنى (أن) ...الثالث : في موضع (لأن لا) قال (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ){النحل آية : ٥٥} أي : لأن لا تكفروا ، وهو مثل قوله (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ){النساء : ١٧٦} قيل : لأن لا تضلوا ، وليس (لا) عند المحققين النحويين مما يُحذَف في هذا الموضع ، وإنَّما المعنى في ذلك : كراهة أن تضلوا ، ومعنى قوله : (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ){العنكبوت : ٦٥-٦٦} أنَّهم أشركوا معنا

(١) زاد المسير ٣٤٨/٤.

(٢) زاد المسير ١٤٥/٦ .

غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا نعمنا عليهم۰۰۰وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببًا إلى الكفر)) [١]

فالعسكري فسَّر الآية بمعنى النفي فقال : ((في موضع (لأن لا) قال (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ){النحل آية : ٥٥} أي : لأن لا تكفروا)) لكن سرعان ما رجع ففسَّر الآية بمعنى الإثبات فقال : ((ومعنى قوله : (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أنَّهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا نعمنا عليهم۰۰۰وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببًا إلى الكفر)) فقال بهذا التناقض في المقام نفسه ، ولم يشر إليه ، أو يسوغه بسبب معقول أو غير معقول ، أقول : أيقول أحد بمثل هذا التناقض رجل واع لما قال؟! أم إنَّه التقليد ؟!

فلا أوجه ولا نظائر فيما اتفق عليه مقاتل وهرون والعسكري والدامغاني وابن الجوزي ، إلّا أنَّ الأخير أضاف تسعة أوجه ، هي وغيرها مذكورة في كتب حروف المعاني من أشهرها : الملك ، والتمليك ، وشبه الملك ، والاستحقاق ، والاختصاص ، وبمعنى (عند) وبمعنى (على) وبمعنى (مع) وبمعنى (مِن) وبمعنى (في) وبمعنى (بعد) وبمعنى اللام ، ومعنى السبب والعلة ، ومعنى الأمر ، وزائدة [٢]

القول بالزيادة يجب استبعاده ؛ إذ هو قول المنهزمين والعجزة ، ويجب أن لا يكون له مكان في عقول أهل اللغة والنحو والتفسير . وكذلك يجب استبعاد المعاني المبنية على تناوب الحروف ؛ لأنَّ الحرف لا يطابق

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٩٨ .

(٢) ينظر : الأزهية ص ٢٩٨-٣٠٠ ومنتخب قرة العيون ص ٢١١-٢١٢ ورصف المباني ص ٢٩٣-٣٠١ ومغني اللبيب ٢٠٧-٢١٣ واليرهان في علوم القرآن ٧٦٨-٨٧١ .

معناه إلّا الحرف نفسه ، وقد تكرر إثبات هذه الحقيقة ، أمَّا الملك ، والتمليك ، وشبه الملك ، والاستحقاق ، والاختصاص ، فهي جميعها معان مترادفة ، ويكفي اختيار أقربها لمعنى اللام ، والاستغناء به عن الباقي ، فيكون للام المكسورة ثلاثة أوجه هي :

الوجه الأول : الملك والاختصاص ، كقوله تعالى : (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ){البقرة : ١١٦} وقوله تعالى : (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ){الأعراف : ١٢٨} .

والوجه الثاني : العلة كقوله تعالى : (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ){التوبة : ١٢٢} والشاهد : لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ ، وقوله تعالى : (لإِيلافِ قُرَيْشٍ {١} إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ {٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ){قريش : ١-٣}} والشاهد : اللام في (لإِيلافِ قُرَيْشٍ)

والوجه الثالث : معنى الأمر كقوله تعالى : (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ){الطلاق : ٧}

١٣٩-الخاطئين أو الخطأ : ذكر أهل الوجوه أنَّ الخطأ جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الذنب ، والشرك ، والخطأ ما لم يتعمد[1]

قال ابن فارس : ((الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء والذهاب عنه ، يقال : خطوت أخطو خُطوة ، والخُطوة ما بين الرجلين ، والخَطوة : المرة الواحدة ، والخطاء من هذا ؛ لأنَّه مجاوزة حد الصواب يقال : أخطأ : إذا تعدى الصواب ، وخطئ يخطأ إذا أذنب ، وهو

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٥وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٩١والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٥١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٤ ونزهة الأعين ص ١١٣ .

قياس من الباب ؛ لأنَّه يترك الوجه الخير)) [١] وقال ابن الجوزي : ((الخطأ في اللغة : عبارة عن وقوع الفعل على خلاف مقصود الفاعل ، وفي الشريعة عبارة عن ارتكاب المحظور مع قصد المخطئ ، قال شيخنا علي بن عبيد الله ، يقال : خطِئ خِطْأً وخَطَأً : إذا أصابه ولم يرده ، فهو خاطئ ، فأمَّا إذا أراده ولم يصبه ، قيل : أخذ يخطئ إخطاء ، فهو مخطئ)) [٢]

لذلك أطلق الخطأ على الذنب والشرك والخطأ عير المتعمد فيه ؛ لأنَّ في جميعها معنى مجاوزة حد الصواب ، فهي إذن جميعها معان مترادفة ولا أوجه ، وهي من جانب آخر تعد وجهًا واحدًا ، وليست ثلاثة أوجه ؛ لأنَّه المراد تسمية هذه المعاني الثلاثة بالخطأ ، وليس العكس كما فعل أصحاب كتب الوجوه على نحو ما تقدم مما سميناه الدراسة المعكوسة

١٤٠-**المثوى أو الثواء** : ذكر أهل الوجوه أأنَّ المثوى ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : المأوى ، والمنزلة ، والإقامة [٣]

قال ابن فارس : ((الثاء والواو والياء كلمة واحدة صحيحة تدل على الإقامة ...وأم مثوى الرجل : صاحبة منزلة)) [٤]

أهذه أوجه للمثوى أم معان مرادفة له ؟!

١٤١-**الكلام** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الكلام ورد في القرآن الكريم على الأوجه الآتية :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٢ .

(٢) نزهة الأعين ص ١١٣ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٨-٢٧٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٥-١٢٦وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص١٩١-١٩٢والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٨-١٠٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ١٤٤ .

١-كلام الله لموسى عليه السلام .

٢-القرآن ، وهو كلام الله

٣-كلام المخلوقين عند الموت لا يسمعه بنو آدم .

٤-كلمات الله يعني علم الله ، والعلم يُعبَّر عنه بالكلمات .

٥-الكلام بالإيمان من الكفار عند معاينة العذاب في الدنيا .

٦-الكلمات يعني مناسك الحج ، والمناسك يُعبَّر عنها بالكلام

٧-الكلمة يعني عيسى عليه السلام ، أنَّه خُلق بكلمة كن فكان ،

٨-قول العبد : لا إله إلّا الله .

٩-قول آدم : ربنا ظلمنا أنفسنا . (١)

أهذه أوجه للكلام أم هي الكلام بعينه؟!

١٤٢-إلّا : ذكر أهل الوجوه أنّ (إلّا) جاءت في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي :

١-الاستثناء

٢-الاستئناف وهو الذي يشبه الاستثناء وليس باستثناء ولكنه مستأنف الكلام كقوله تعالى : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا) البتة ثم انقطع الكلام ثم استأنف (إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ){الأعراف : ١٨٨} وهذا نص كلام مقاتل

٣-إلاَّ خبر يخبر عن شيء ، كقوله تعالى : (إِنْ أَنتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا){الإبراهيم : ١٠}

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٧٩-٢٨١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٦-١٢٧وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص١٩٢-١٩٣والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٠-٢٩١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠١-٤٠٢ ونزهة الأعين ص ٢٤٨-٢٥٠ .

٤-إلاَّ يعني غير : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا){الأنبياء : ٢٢} يعني غير الله .

٥-بمعنى لكن[١]

وهذا ما ذكرته كتب حروف المعاني وأضافوا إليها معنى الواو[٢]

وجعل ابن فارس من أوجهها أن ((تكون بمعنى بل كقوله جل ثناؤه : (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢} إِلا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى){طه : ٢} بمعنى : بل تذكرة))[٣]

و(إلّا) لم ترد في القرآن الكريم إلّا بمعنى (إلّا) وهو المشار إليه في الوجه الأول بمعنى الاستثناء ، وكذلك وجه الاستئناف في الوجه الثاني في قوله تعالى : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ){الأعراف : ١٨٨} وهذا الاستئناف هو ما اصطلح عليه بالاستثناء المنقطع ، جاء في الدر المصون : ((قوله : (إِلّا مَا شَاء اللّهُ) في هذا الاستثناء وجهان : أظهرهما أنَّه متصل ، أي : ما شاء تمكيني منه فإني أملكه ، والثاني٠٠٠أنَّه منفطع ، ولا حاجة تدعو إليه أنَّه منقطع)) [٤] وكذلك المشار إليه في الوجه الثالث ، فهو استثناء أيضًا إلّا أنَّه استثناء مفرغ كما سماه النحاة الذي فيه الاسم بعد (إلاَّ) يُعرب حسب موقعه من الجملة ، وقد وقع خبرًا في شاهد

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٢-٢٨٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٧-١٢٩وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص١٩٤-١٩٦والوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٨-٧٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص٧٨-٧٩ ونزهة الأعين ص ٣٤-٣٥ ومنتخب قرة العيون ص ٤٩-٥٠ .

(٢) ينظر : الأزهية ص ١٨٢-١٨٨ والجنى الداني ص ٥١٠ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ٩٤.

(٤) ٥/٥٣٢.

الوجه الثالث في قوله تعالى : (إِنْ أَنتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا){الإبراهيم : ١٠} ولهذا جعله مقاتل وأتباعه بمعنى الخبر ، ولم ترد إلاَّ عند التحقيق إلّا بمعنى الاستثناء في المواضع الأُخَر ، أمَّاجعلها بمعنى (لكن) كما جاء في الوجه الخامس فإنَّ العسكري نفسه فرَّق بينهما على ((أنَّ الاستثناء تخصيص صيغة عامة ، فأمَّا (لكن) فهي تحقيق إثبات بعد نفي أو نفي بعد إثبات ، تقول : ما جاءني زيد لكن عمرو جاءني ، وأتى عمرو لكن زيد لم يأت ، فهذا أصل (لكن) وليس باستثناء في التحقيق وقال ابن السرَّاج : هو إخراج كل من بعض)) [١] أمَّا جعلها بمعنى الواو كقوله تعالى : (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ){البقرة : ١٥٠} ((قال أبو عبيدة : (إلّا) ها هنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة٠٠٠وقال المبرد : هذا خطأ ؛ لأنَّ الواو للعطف والإشراك و(إلّا) للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر)) [٢] وهو مع ذلك نفاه الجمهور وتأولوها على الاستثناء المنقطع[٣] وأمَّا جعلها بمعنى (غير) كما جاء في الوجه الرابع فقد قال المرادي : ((اعلم أن أصل (إلاَّ) أن تكون استثناء ، وأصل (غير) أن تكون صفة ، وقد تُحمَل (إلاَّ) على (غير) فيوصف بها ، كما حُملت (غير) على (إلاَّ) فاستثني بها ، وللموصوف بـ(إلاَّ) شرطان أحدهما : أن يكون جمعًا أو شبهه ، والآخر أن يكون نكرة أو مُعرَّفًا بال الجنسية كقوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) فإن قلت : كيف يوصف بـ(إلاَّ) وهي حرف ؟ التحقيق أنَّ الوصف إنَّما هو بها وبتاليها لا بها وحدها وهي حرف ؛ ولذلك ظهر الإعراب في تاليها ومن قال : إنَّ (إلاَّ)

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧٦ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٨-٧٩ .

(٣) مغني اللبيب ٧٣/١ .

يوصف بها فقد تجوّز في العبارة ، وإنَّما صح أن يوصف بها وبتاليها ؛ لأنَّ مجموعهما يؤدي معنى الوصف وهو المغايرة ، واعلم أنَّ (إلاَّ) التي يوصف بها تفارق (غير) من وجهين : أنَّ أحدهما أنَّ موصوفها لا يُحذَف وتقام هي مقامه ، فلا يقال : جاءني إلاَّ زيد بخلاف غير ، والآخر أنَّها لا يوصف بها إلاَّ حيث يصح الاستثناء ، فلا يجوز : عندي درهم إلاَّ جيد ، بخلاف غير))[١] ((وتتخرج الآية على ذلك إذ المعنى : لو كان فيهما آلهة لفسدتا ، أي : أنَّ الفساد يترتب على تقدير تعدد الآلهة ، وهذا هو المعنى المراد)) [٢] فيكون معنى الآية : لو كان فيهما آلهة إلّا الإله الواحد الذي هو الله لفسدتا

أمّا جعلها بمعنى بل كقوله تعالى : (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢} إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى) كما زعم ابن فارس فقول لم يصح ، قال الفراء : ((قوله (إِلاَّ تَذْكِرَةً) نصبها على قوله : وما أنزلناه إلاَّ تذكرة)) [٣] وقال أبو عبيدة : ((ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وما أنزلناه إلاَّ تذكرة))[٤] وقال الأخفش : ((وقال : (إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى) بدلاً من قوله (لِتَشْقَى) فجعله : ما أنزلنا عليك القرآن إلاَّ تذكرة))[٥] وقال النحاس : ((إِلاَّ تَذْكِرَةً)٠٠٠إنَّه مفعول لأجله)) [٦] وقال العكبري : ((إلاَّ تذكرة) هو استثناء منقطع)) [٧]

---

(١) الجنى الداني ص ٥١٨ .

(٢) مغني اللبيب ٧١/١ .

(٣) معاني القرآن ٩٢/٢.

(٤) مجاز القرآن ص١٦٤ .

(٥) معاني القرآن ص ٢٤٩ .

(٦) إعراب القرآن ص ٥٧٧، وينظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي ٦٥/٢ .

(٧) التبيان في إعراب القرآن ١٧٨/٢ .

والقول بأنَّ الأدوات يجيء بعضعها بمعنى بعض تكرر التحقق من بطلانه فيما سبق ، وذكرنا في ذلك قول الزجاج ، كما أنَّه قول المنهزمين والعجزة الذين آثروا القول به على التحقيق والدراسة ، فإذا كان الأمر كما يقولون بأنَّ (إلاَّ) مثلاً جاءت بمعنى (غير) في قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) أي :غير الله ، فلِمَ إذن استعمل القرآن (إلاَّ) ولم يستعمل (غير)؟ وهذا السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه أهل اللغة ولا أهل النحو ولا أهل التفسير ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ؛ لأنَّ الإجابة عنه لا تكون إلاَّ باتهام كلام الله باللحن ، بأنَّ الموضع موضع (غير) لا موضع (إلّا) وهم بالقول بتناوب الحروف والأدوات قد جعلوا أنفسهم بمثابة المقوم اللغوي لكتاب الله ، وإذا أرادوا أن يبرئوا أنفسهم من هذه التهمة فيجب عليهم أن يحرموا على أنفسهم القول بصحة وجود تناوب الحروف في القرآن الكريم .

١٤٣-وازرة : ذكر أهل الوجوه أنَّ الوازرة جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

١-الوازرة يعني الحاملة ، كقوله تعالى : (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى){الزمر : ٧} يعني لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى ، وقوله تعالى : (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ){الأنعام : ٣١}

٢-أزر يعني عون ، كقوله تعالى : (فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ){الفتح : ٢٩} يعني أعانه ، وقوله تعالى : (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي {٢٩} هَارُونَ أَخِي {٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي){طه : ٢٩-٣١}

٣-الوزر يعني الإثم ، كقوله تعالى : (لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ){النحل : ٢٥}[١]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٩وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص١٩٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧٣ .

قال الخليل : ((الوِزْرُ : الحمل الثقيل من الإثم))[١] وقال ابن فارس : ((الوِزْرُ : حمل الرجل إذا بسط ثوبه فحمل فيه المتاع ؛ ولذلك سُمِّي الذنب وزرًا ، وكذا الوزير سُمِّي به ؛ لأنَّه يحمل الثقل عن صاحبه)) [٢] وقال : ((الهمزة والزاء والراء : أصل واحد ، وهو القوة والشدة ، يقال : تأزَّر النبت : إذا قوي واشتد٠٠٠والأَزْرُ : القوة)) [٣] فـ((أصل الوِزْر : الحِمْل ، يقال : وَزَرَ يَزِرُ ، أي : حمل دَينًا أو شيئًا ثقيلاً ومنه : (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ) وقوله : (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا) أي : معينًا والوزير : فعيل بمعنى مفاعل كالجليس والخليط بمعنى المجالس والمخالط ، سمي ذلك لمعاونته الملك ، وقيل لأنَّه يحمل أثقال الملك وأعباءه٠٠٠وقيل هو مأخوذ من الأَزْر، أي : القوة من قوله : (فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ))) [٤]

فأصل الوزر هو الحمل ، وهذا ما جاء في الوجه الأول ، والوِزْر لا يعني الإثم كما جاء في الوجه الثالث ، بل هو على الأصل ، فقوله تعالى : (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ) معناه : ألا ساء ما يحملون من الآثام والذنوب ((يقال : وَزَرَ يَزِرُ ، أي : حمل دَينًا أو شيئًا ثقيلاً ومنه : (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ))) [٥] أمَّا العون كما جاء في الوجه الثاني ، فهو من الأزر وليس من الوزر ، ولا وجوه .

١٤٤–**معجزين** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (معجزين) في القرآن الكريم على وجهين : معجزين يعني سابقين ، ومعجزين يعني مثبطين[١]

---

(١) العين ص ١٠٤٧ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٥٥ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٤١.

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣٠٦/٤.

(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣٠٦/٤.

المعجز من أعجز يدل ((على مؤخِّر الشيء٠٠٠ويقال : أعجزني فلان : إذا عجزت عن طلبه وإدراكه)) [٢]

والسابقان والمثبطان معنيان مرادفان لمعجزين وليسا وجهين له .

١٤٥-الدعاء : ذكر أهل الوجوه أنَّ الدعاء ورد في القرآن الكريم على ستة أوجه هي : القول ، والعبادة ، والاستغاثة ، والنداء ، والسؤال والاستفهام ، والسؤال في طلب[٣] وأضاف الدامغاني وابن الجوزي وجهًا سابعًا هو العذاب واستشهدا له بقوله تعالى : (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى){المعارج : ١٧} وقالا : ((يعني تعذب))[٤] والدعاء لا يعني العذاب بل دعوتهم للعذاب ، والمعنى أنَّ النار تنادي من أدبر وتولى لتعذيبهم كما ينادي الحاكم المجرمين لسجنهم ، قال القرطبي : ((تدعو لظى من أدبر في الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الإيمان ، ودعاؤها أن تقول : إليَّ يا مشرك ، إليَّ يا كافر ، وقال ابن عباس : تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح : إليَّ يا كافر إليَّ يا منافق ، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب))[٥]والجدير بالذكر أنَّ ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعل الدعاء بمعنى العذاب في النزهة قال في تفسيره : ((قوله تعالى : ((تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ)

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٢٩-١٣٠وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص١٩٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٤ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٤٠ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٥-٢٨٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٠-١٣١ والوجوه والنظائر لهرون ص١٩٧-١٩٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٤ ونزهة الأعين ١٢٣-١٢٤ .

(٤) ينظر :الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٤ ونزهة الأعين ١٢٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢١٣/١٨ .

عن الإيمان (وَتَوَلَّى) عن الحق ، قال المفسرون : تقول : إليَّ يا مشرك ، إليَّ يا منافق))[1]

فهذه الأوجه إذن جميعها معان مرادفة للدعاء وليست أوجهًا له .

١٤٦–اعبدوا والعباد : ذكر أهل الوجوه أنّ (اعبدوا) وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه : اعبدوا بمعنى وحدوا ، ويعبدون بمعنى يطيعون ، وبمعنى السجود للأصنام ، والعباد بمعنى المماليك[2]

المماليك معنى مرادف للعباد والأوجه الباقية معان مرادفة لـ(اعبدوا) ولا وجوه.

١٤٧–الصراط : ((الصراط في اللغة : الطريق)) [3]

وقد جعل أهل الوجوه الصراط في القرآن الكريم على وجهين : الطريق ، والدين[4]

الطريق معنى مرادف للصراط ، وقد سمي الدين بالصراط ؛ لأنَّه يُعدُّ الطريق الذي يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولا وجوه .

١٤٨–آووا : أوى الرجل إلى منزله ، وأوى غيرَه ، والتأوِّي : التجمع ، يقال : تأوَّت الطير : إذا انضم بعضها إلى بعض[1] وقال العسكري :

---

(١) زاد المسير ١١٩/٨.

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٨ وباسم الوجوه والنظائر ص١٣١–١٣٢والوجوه والنظائر لهرون ص١٩٩–٢٠٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٣–٢٤٤ ونزهة الأعين ص ١٩٩ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٧٤.

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٢والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٠٠–٣٠١ ونزهة الأعين ص ١٧٤

((أوى : أصله الميل ، ومأوى االرجل : منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه ، أويتُ أنا وأويتُ غيري : إذا ضممته إليك ، كأنَّك أملته إليك بعطفك ورحمتك)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ (آووا) جاءت في القرآن الكريم على وجهين بمعنى ضموا ، وبمعنى انتهوا كقوله تعالى : (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ){الكهف : ١٦} أي : فانتهوا إلى الكهف[٣] وأجاز العسكري جعل الوجهين بمعنى الميل ، وأقرب من معنى الانتهاء والميل ما قاله المفسرون ، قال الطبري : ((فإنَّه يعني فصيروا إلى غار الجبل))[٤] وقال الزجاج : ((أي : اجعلوا الكهف مأواكم)) [٥] وقال الواحدي : ((صيروا إليه واجعلوه مأواكم)) [٦]

ها هم أهل الوجوه تركوا المعنى الأدق وأخذوا ما دونه وجعلوه وجهًا ، ومع ذلك فإنَّ إدخال معنى الانتهاء في باب التفسير كما فعل المفسرون جائز ومعمول به في كتب المعاجم والتفسير ، أمَّا جعله وجهًا لقوله تعالى : (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) فهو تحريف متعمد وصريح للفظ القرآني ، وهذا هو المأخذ العام الذي اتبعه مقاتل وقلده في ذلك كل من صنَّف كتابًا في الوجوه ، وهو أنَّهم جعلوا من التعابير المُفَسِّرة وجوهًا للفظ القرآني المُفَسَّر ، واللفظ

---

(١) ينظر : العين ص ٤٩ ، ومقاييس اللغة ص ٥٨ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٦٢-٦٣ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٨٩ وباسم الوجوه والنظائر ص١٣٢-١٣٣والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٠-٢٠١ والوجوه والنظائر للعسكري ٦٢-٦٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨١-٨٢

(٤) جامع البيان ٢٤١/١٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٢/٣ .

(٦) الوسيط ١٣٨/٣ وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٣/٥ .

القرآني جاز تفسيره بألفاظ فصيحة قريبة من معناه ، لغرض توضيح دلالته ، وجاز أيضًا تفسيره بألفاظ عامية لغرض توضيح دلالته للعوام والأميين الذين يصعب عليهم فهمه بغير لغتهم المحلية ، بل جاز تفسيره بألفاظ أعجمية لتوضيح معناه لمن لا يعرف العربية ، كل هذا جائز في باب التفسير ، لكنه لا يجوز أن نجعل هذه الألفاظ مهما بلغت فصاحتها وجوها للفظ المُفَسَّر ، ومن تعمَّد ذلك فقد حرَّف دلالة اللفظ القرآني

١٤٩-الجهاد : قال ابن فارس : ((الجيم والهاء والدال أصله المشقة ثم يُحمل عليه ما يقاربه ، جهَدت نفسي وأجهدت والجُهد (بضم الجيم) الطاقة)) [١] ((والجَهد بفتح الجيم : المشقة)) [٢] وذكر أهل الوجوه أنَّ الجهاد جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي :

١-الجهاد بالقول .

٢-الجهاد بالسلاح .

٣-الجهاد في أعمال الخير [٣]

أهذه أوجه للجهاد أم هي الجهاد بعينه ؛ لأن الجهاد يكون بالسلاح وباللسان وبالقلم ، ويكون بعمل الخير وبالصبر على طاعة الله ، وكل شيء فيه بذل جهد في سبيل الله فهو جهاد ، ومنها أن يجاهد المرء نفسه من السقوط في معصية الله .

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٧٧ .

(٢) نزهة الأعين ص ٩٢.

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٩٠ وباسم الوجوه والنظائر ص-١٣٣والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠١ والوجوه والنظائر للعسكري ١١٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٩ ونزهة الأعين ص ٩٢ .

١٥٠-المستضعفين : ذكر أهل الوجوه أنَّ المستضعفين وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : بمعنى المقهورين ، والضعفاء ، والعجزة الذين لا قوة لهم [١]

يا أهل الوجوه أهذه أوجه للمستضعفين ، أم تعابير مفسرة لهم ؟!

١٥١-أول : ذكر أهل الوجوه أنَّ (أول) جاءت في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

١-أول : يعني أول من آمن من أهل مكة .

٢-أول : يعني أول المؤمنين بأنَّ الله لا يرى في الدنيا .

٣-أول : يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل بموسى وهرون .

٤-أول : يعني أول من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم [٢]

أهذه أوجه ؟! هذا من جانب ومن جانب آخر أنَّه قد أريد من (أول) في هذه المواضع وغيرها الأول بعينه ؛ لأنَّ المراد تسمية كل موضع من هذه المواضع الأربعة ووصفه بأنَّه الأول في صنفه المذكور وليس العكس ، فهم جميعًا وجه واحد ، أي : تعدد الأوجه جاء من الدراسة المعكوسة التي اتبعها أهل الوجوه على نحو ما تقدم في كثير من أسماء الجنس التي مر ذكرها .

١٥٢-قليل : ((القليل : لا حدَّ له في نفسه ، وإنَّما يُعرَف بالإضافة إلى غيره ، ومثله الكثير)) [٣]

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ٢٩٠-٢٩١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٣-١٣٤والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٣-٤٢٤

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ٢٩١-٢٩٢ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٤-١٣٥والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨١

(٣) نزهة الأعين ص ٢٣٢ .

وذكر أهل الوجوه أنَّ (قليل) جاء في القرآن الكريم على ثمانية أوجه ، هي :

١–قليل يعني يسير .

٢–قليل يعني رياء وسمعة كقوله تعالى : (وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً){النساء : ١٤٢}

٣–قليل يعني لا شيء كقوله تعالى : (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ){الأعراف : ١٠} يعني أنَّهم لا يشكرون البتة ، وجعله العسكري بمعنى النفي ، وأدخله ابن الجوزي في باب الزيادة .

٤–يعني القليل في الكثرة ، أو يعني الأقل ، أي : يعني القليل بعينه .

٥–قليل يعني ثلاثمئة وثلاثة عشر كقوله تعالى : صلى الله عليه وسلم . (فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ){البقرة : ٢٤٩} يعني ثلاثمئة وثلاثة عشر كعدة أصحاب النبي يوم بدر

٦–قليل يعني ثمانين كقوله تعالى في هود لأصحاب نوح عليه السلام : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ){هود : ٤٠}

٧–قليل يعني عبد الله بن عباس كقوله تعالى في سورة الكهف : (مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ){الكهف : ٢٢}[١]

هذا ما ادعاء أصحاب كتب الوجوه ، وهي كادعاءاتهم السابقة نردها عليهم بما يأتي :

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ٢٩٣–٢٩٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٥–١٣٦والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٣–٢٠٥ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧٧–٢٧٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٧٤ ونزهة الأعين ص ٢٣٢–٢٣٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٩٦–١٩٧ .

١-ما ذكره أهل الوجوه هي في الحقيقة تفسيرات للفظ القليل وليست أوجهًا له .

٢-هذه الوجوه غير مقطوع بها باستثناء الوجه الخامس ، فـ(يسير) في الوجه الأول ، لفظ مرادف للقليل ، والرياء والسمعة في الوجه الثاني غير متفق عليه ، وقيل به تقليدًا لمقاتل ، فها هو ابن الجوزي الذي جعل الرياء والسمعة وجهًا للقليل في قوله تعالى : (وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)[١] قال في تفسير هذه الآية نفسها : ((وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال : أحدها أنَّه سُمِّي قليلاً لأنَّه غير مقبول٠٠٠والثاني أنَّه رياء٠٠٠والثالث أنَّه قليل في نفسه))[٢]وكذلك النفي أو الزيادة الذي قال به أهل الوجوه كما جاء في الوجه الثالث وقال به ابن الجوزي في النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)[٣] قال في تفسير الآية نفسها : ((أي : شكركم قليل وقال ابن عباس : أنَّكم غير شاكرين))[٤]وجاء الوجه الرابع بمعنى القليل بعينه ، والوجه السادس الذي جعله أهل الوجوه بمعنى العدد ثمانين وقال به ابن الجوزي في النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)[٥] قال في تفسير الآية نفسها : ((وفي عددهم ثمانية أقوال : أحدها ، أنَّهم كانوا ثمانين رجلًا ومعهم أهلوهم٠٠٠والثاني : أنَّ نوحًا حمل معه ثمانين إنسانًا وبنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه وامرأة نوح٠٠٠والثالث : أنَّهم كانوا ثمانين إنسانًا٠٠٠والرابع : كانوا أربعين٠٠٠والخامس : كانوا ثلاثين

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣٣ ومنتخب قرة العيون ص١٩٧.

(٢) زاد المسير ١٤٠/٢ .

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣٣ ومنتخب قرة العيون ص١٩٧.

(٤) زاد المسير ١٣٢/٣ .

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣٣ ومنتخب قرة العيون ص١٩٧.

رجلًا٠٠٠والسادس : كانوا ثمانية٠٠٠والسابع : كانوا سبعة٠٠٠والثامن : كانوا عشرة سوى نسائهم))[١] والوجه السابع : فقد جعله الدامغاني بمعنى عبد الله بن عباس[٢] ، وجعله ابن الجوزي بمعنى بعض أهل الكهف في النزهة والمنتخب [٣] ويردُّ هذين القولين ما ورد عن ابن عباس بسند صحيح أنَّه قال : ((أنا من أولئك القليل)) [٤] بمعنى أنَّه يعلمهم عدد من الناس لا شخص معين واحد ، وهو واحد منهم ، ويردهما كذلك أنَّ ابن الجوزي نفسه أجاز القولين في تفسيره[٥]

فكيف يصح أن نجعل هذه التأويلات المختلف فيها أوجهًا للقليل؟! والوجوه الحقيقية يجب أن تتعيَّن معانيها من دون اختلاف .

٣–الدراسة المعكوسة : جعل القليل في الوجه الخامس بمعنى ثلاثمئة وثلاثة عشر في قوله تعالى : (فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ) استند إلى حديث صحيح ، لكن مع ذلك يدخل هذا المعنى في باب التفسير لا في باب وجوه اللفظ المشترك ، أي : ليس المراد البتة كما هو واضح وصف القليل بهذا العدد ؛ لأنَّ القليل لفظ مبهم لا يدل على عدد مُعيَّن ، بل يُطلق على ما يصح وصفه بالقليل بالقياس إلى كثرة ما اقترن به ، فأهل بدر مثلاً الذين كان عددهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلًا يُعدون قليلين بالقياس إلى عدد المشركين الذين كانوا أكثر من ثلاثة آلاف رجل ، لكنهم يُعدون كثيرين لو كان عدد المشركين مئة رجل ، فلفظ القليل اسم جنس كاللفظ السابق (أول)

---

(١) زاد المسير ٨٢/٤ .

(٢) الوجوه والنظائر ص٣٧٥ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٣٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٩٧.

(٤) فتح القدير ٣٤٧/٣ .

(٥) ينظر : زاد المسير ٩٣/٥ .

فقد أريد من القليل في هذه المواضع وغيرها القليل بعينه ؛ لأنَّ المراد تسمية كل موضع من هذه المواضع السبعة ووصفه بأنَّه قليل وليس العكس ، فهي جميعًا وجه واحد ، أي : تعدد الأوجه جاء من الدراسة المعكوسة التي اتبعها أهل الوجوه على نحو ما تقدم في كثير من أسماء الجنس التي مر ذكرها .

١٥٣-**قضى** : ذكر أهل الوجوه لـ(قضى) الوجوه الآتية : وصَّى ، وأخبر ، وفرغ ، وفعل ، ومات ، ووجب ، والمقضي : الكتاب ، وفصل في الحكم ، والأمر ، والعلم ، والإتمام والفراغ ، والفعل ، والإرادة ، وأتم ، وخلق كقوله تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ){فصلت : ١٢} يعني خلقهن(١)

قال ابن قتيبة : ((أصل قضى : ختم٠٠٠ثم يصير الختم بمعان كقوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ){الأسراء : ٢٣} أي : أمر ؛ لأنَّه لمَّا أمر ختم بالأمر ، وكقوله: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ){الإسراء : ٤} أي : أعلمناهم ؛ لأنَّه لمَّا خبَّرهم أنَّهم سيفسدون في الأرض ، ختم بوقوع الخبر٠٠٠وقال الآخر في عمر رضي الله عنه :

قضيتَ أمورًا غادرتَ بعدها بوائجَ في أكمامها لم تُفَتَّقِ

أي : عملتَ أعمالًا ؛ لأنَّ كل من عمل عملاً وفرغ منه ، فقد ختمه وقطعه ، ومن هنا قيل للحاكم قاض ؛ لأنَّه يقطع على الناس الأمور ويختم ، وقيل قضي قضاؤك ، أي : فُرِغ من أمرك ، وقالوا للميت : قد قضى ، أي : فرغ ، وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد)) (٢)

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ٢٩٤-٢٩٧وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٦-١٣٨والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٥-٢٠٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧٢-٢٧٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٧٢-٣٧٤ ونزهة الأعين ص ٢٤٠-٢٤١ ومنتخب قرة العيون ص١٩٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٧-٢٤٨

وقال ابن فارس : ((القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته قال الله تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) أي : أحكم خلقهن والقضاء : الحكم ، ولذلك سمي القاضي قاضيًا ؛ لأنَّه يحكم الأحكام وينفذها ، وسميت المنية قضاء ؛ لأنَّه أمر يُنفَّذ في ابن آدم وغيره من الخلق)) (١) فـ((أصل القضاء : الختم٠٠٠والقضاء في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه ، فمنه الختم ، كقوله في الأنعام (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى){الأنعام : ٢} أي : ختم ذلك وأتمَّه ، ومنه الأمر ، وهو قوله في الإسراء : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ){الأسراء : ٢٣} أي : أمرَ أمرًا قاطعًا قطعًا وختمًا ، ومنه الإعلام ومنه قوله تعالى في سورة الإسراء : (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ){الإسراء : ٤} أعلمناهم إعلامًا قاطعًا ، ومنه الفصل في الحكم ، ومنه قوله تعالى : (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ){يونس : ١٩} ومنه قولهم : قضى القاضي بين الخصوم ، أي : قطع بينهم في الحكم)) (٢)

قد أريد من لفظ قضى أينما ورد في كتاب الله القضاء بعينه وليس ما زعموا ، نذكر على سبيل المثال قولهم بمجيء قضى بمعنى خلق مستشهدين بقوله تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) فـ(قضى) هنا وفي كل موضع هي بمعنى قضى وليس بمعنى خلق ؛ لأنَّه ليس المراد الخلق فحسب ، بل المراد الخلق مع إتمامه من كل نفص ، وقد جعلوا قضى بمعنى حكم ، وقد أكد العسكري نفسه الفرق بينهما فقال ((الفرق بين الحكم والقضاء ، أنَّ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك : قضاه : إذا أتمه وقطع عمله ، ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً){الأنعام : ٢} أي : فصل الحكم

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٧٩ .

(٢) نزهة الأعين ص ٢٤٠ .

به (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ){الإسراء : ٤} أي : فصلنا الإعلام به ، وقال تعالى : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ){سبأ : ١٤} أي : فصلنا أمر موته (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) أي : فصل الأمر به، والحكم يقتضي المنع من الخصومة من قولك : أحكمته : إذا منعته ، قال الشاعر (جرير من الكامل)

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا)) (١)

فكل الوجوه التي ذكرها أهل الوجوه لا تخرج عن هذا المعنى ، فهي جميعًا معاني مرادفة للقضاء وليست وجوهًا له ، وإذا وُجِد في بعضها ما خرج عن هذا الترادف فهو على باب ذكر ما أفاد وإن خالف المراد ، كل ذلك من أجل اختلاق الوجوه .

١٥٤-**يسير** : قال مقاتل : ((تفسير يسير على ثلاثة وجوه : فوجه منها : يسير يعني هيِّن...والوجه الثاني : يسير يعني سريعًا ، فذلك قوله في يوسف : (ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ){يوسف : ٦٥} يعني سريعًا لا حبس فيه ، والوجه الثالث : يسير ، يعني خفيًّا ، فذلك قوله في الفرقان : (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا){الفرقان : ٤٦} يعني خفيًّا)) (٢)

قال الخليل : ((يقال : إنَّه ليَسْرٌ : خفيف ، ويسر ، أي : ليِّن الانقياد)) (٣) وقال ابن فارس : ((الياء والسين والراء : أصلان يدل أحدهما على انفتاح شيء وخفته ، والآخر على عضو من الأعضاء ، فالأول ،

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢١٥ .

(٢) الأشباه والنظائر لمقاتل ٢٩٧وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٨وينظر: الوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٤٦-٣٤٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧٨-٤٧٩ ونزهة الأعين ص ٣١١-٣١٢ .

(٣) العين ص ١٠٧٤.

اليسر ضد العسر)) [١]وقال العسكري : ((أصل اليسير السهولة ونقيضه العسير، واليسار : الغني ؛ لأنَّ صاحبه في سهولة من العيش ، والفقر : العسر ؛ لأنَّ صاحبه في صعوبة ، وياسرت الرجل : ساهلته ، واليد اليسرى ؛ لأنَّها لا تعاني ما تعانيه اليمنى ، وكأنَّ اليمنى في صعوبة ، واليسرى في سهولة)) [٢] هذا ما قاله العسكري ، ولكن مع ذلك ضرب هذه الحقيقة اللغوية التي قال بها عرض الحائط وتابع مقاتل ، وقال : ((وجاء اليسير في القرآن على ثلاثة أوجه٠٠٠الهيِّن٠٠٠يعني خفيًّا٠٠٠قالوا : معناه سريع)) [٣]

يا سبحان الله لِمَ هذا التقليد لمقاتل ؟! وهذا هو شأن كل من صنَّف من بعده كتابًا في الوجوه .

ما جاء في اللغة في تعريف اليسر يدل على أنَّ معنى الهيِّن كما جاء في الوجه الأول هو معنى مرادف لليسير ، أمَّا الخفي والسريع كما جاء في الوجهين الثاني والثالث فهما معنيان دخيلان ، والعسكري نفسه وإن قال بهما فقد عقَّب على الوجه الثاني بقوله : ((يعني خفيًّا ، ويجوز أن يكون معناه السهولة ، أي : قبضًا سهلاً لا صعوبة فيه علينا)) [٤] وعقَّب على الوجه الثالث بقوله : ((قالوا معناه سريع ، قال أبو هلال رحمه الله : معنى ذلك أنَّ الملك يكيل لنا بيسر وسهولة ، ولا يحبسنا كما يحبس غيرنا ، وفيه وجه آخر وهو أنَّ الذي حملناه من الميرة يسير في جنب ما تحملنا)) [٥] وكذلك عدد من المفسرين ، وإن قالوا بالخفي فقد عللوا القول به قال

---

(١) مقاييس اللغة ص٩٧١.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٤٦.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) الوجوه والنظائر ص ٣٤٧.

(٥) الوجوه والنظائر ص ٣٤٧.

الطبري : ((لأنَّ الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنَّما يقبض ذلك الظل قبضًا خفيًّا شيئًا بعد شيء ، ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام)) [١] وقال القرطبي : ((وقيل يسيرًا ، أي : سريعًا قاله الضحاك ، قتادة : خفيًّا ، إذا غابت الشمس قبض الظل قبضًا خفيًّا ، كلما قبض جزءًا منه جعل مكانه جزءًا من الظلمة ، وليس يزول دفعة واحدة ، فهذا معنى قول قتادة ، وهو قول مجاهد)) [٢] أي : أنَّ قتادة ومجاهد قالا بالقبض الخفي ؛ لأنَّه يحصل بهذه الطريقة التي لا يحس بها الإنسان ، والمعنى ما قاله الشوكاني : ((على تدرج قليلاً قليلاً بقدر ارتفاع الشمس٠٠٠وقيل المعنى : يسيرًا علينا ، أي : يسيرًا فبضه علينا ليس بعسير))[٣] وقد فاتنا أن نذكر أنَّ في وقت الفبض قولين ، الأول : أنَّه عند طلوع الشمس ، والثاني : أنَّه عند غروب الشمس.

وصفوة القول أنَّ الهيِّن معنى مرادف لليسير ، أمَّا الخفي والسريع فهما معنيان دخيلان عليه ، وقد قيل بهما لأنَّهما من لوازمه ، وأنَّ المراد من اليسير أينما ورد في القرآن الكريم اليسر بعينه ، أي : بمعنى السهولة وهو أقرب المعاني إليه .

١٥٥-**الضلال** : ذكر أهل الوجوه للضلال وجوهًا كثيرة ، يمكن حصرها في المعاني الآتية : الكفر ، والاستذلال ، والاستزلال ، والخسران ، والشقاء والعناء ، والإبطال ، والخطأ ، والجهالة أو عدم العلم ، والنسيان ،

---

(١) جامع البيان ٢٦/١٩ ، وينظر : الوسيط للواحدي ٣٤٢/٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٧ .

(٢) فتح القدير ٩٩/٤.

والغفلة ، والصد عن سبيل الله ، والتفرق ، والحيرة ، والضلال بعينه ، وضد الهدى[١]

قال الخليل : ((ضل : إذا ضاع ، وضل : إذا جار عن القصد)) [٢] وقال ابن قتيبة : ((الضلال : الحيرة والعدول عن الحق والطريق)) [٣] وقال ابن فارس : ((والضاد واللام أصل واحد يدل على معنى واحد ، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه ، ضلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ لغتان ، وكل جائر عن القصد ، ومما يدل على أنَّ أصل الضلال ما ذكرناه ، قولهم : أُضِلَّ الميّت : إذا دُفِنَ ، وذلك كأنَّه شيء قد ضاع)) [٤] و((الضلال : الحيرة والعدول عن الصواب)) [٥]

كل ما ذكره أهل الوجوه من وجوه لا تخرج عن هذا المعنى ، والضلال يقع في مفترق معاني هذه الوجوه ، ولا يدل أي منها الضلال بعينه ، وإنَّما كل منها يدل على معنى قريب منه ، نقول هذا استنادًا إلى الحقيقة التي طال ما رددناها أنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ؛ لهذا فإنَّ جميع ما ذكره أهل الوجوه تعد معاني مرادفات للضلال وليست وجوهًا له ، أو تعد من لوازمه ، فمن ضل أصابه الشقاء والعناء ، ومن ضلَّ خسر ،

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل٢٩٧-٢٩٩وباسم الوجوه والنظائر ص ١٣٨-١٤٠والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٨-٢٠٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢١٣-٢١٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣١٠-٣١٢ ونزهة الأعين ص ١٨٦-١٨٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٦٤-١٦٧.

(٢) العين ص ٥٥١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٤.

(٤) مقاييس اللغة ص ٥١١ .

(٥) نزهة الأعين ص ١٨٦.

ومن ضلَّ تحيَّر وأصابه الجهل والنسيان والعفلة والخطأ ؛ وأكبر دليل على ذلك جعله في الوجه الأخير بمعنى الضلال بعينه ، فهو إذن بمعنى الضلال بعينه أينما ورد في القرآن الكريم ، وأقرب المعاني إليه الضياع والانحراف عن القصد .

١٥٦-**آية** : ((الآية : العلامة)) [١] و((الفرق بين العلامة والآية ، أنَّ الآية هي العلامة الثابتة ، من قولك : تأيَّيتَ بالمكان إذا تحبَّستَ وتثبَّتَّ))[٢] ((والعبرة : الاعتبار بما مضى)) [٣] والغرض من وجود الآيات أن تكون عبرة للناس ، وقد ذكر أهل الوجوه أنَّ الآية جاءت في القرآن الكريم على وجهين : العلامة ، والعبرة [٤] قال العسكري : ((وهي في القرآن على وجهين : الأول : العبرة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾{المؤمنون : ٥٠} أي : عبرة يُعتبر بها ، وتكون علامة لصدقه)) [٥]وذكر ابن الجوزي أوجًا أُخَر : هي : المعجزة ، وكتاب الله ، وأمر الله ونهيه ، والجزء المحدود من القرآن المسمى آية[٦]

فالآية والعلامة والعبرة وآية القرآن معان مترادفة ، والآية اسم جنس جاز أن يوصف بها كتاب الله وأمره ونهيه ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، يجمعها معنى واحد ، هو معنى الآية ، ولا وجوه .

---

(١) العين ص ٤٩ ومقاييس اللغة ص ٦٤.

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٣ .

(٣) العين ص ٥٩٤ ومقاييس اللغة ص ٦٣٢

(٤) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٠وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٠والوجوه والنظائر لهرون ص٢٠٩-٢١٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٦٦-٦٧ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ٦٦-٦٧ .

(٦) نزهة الأعين ص ٤٩-٥٠ .

١٥٧-**يوم** : ذكر أهل الوجوه أنَّ اليوم جاء في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي: الأيام الستة التي خلق الله عز وجل فيهن الدنيا ، ويوم من أيام الدنيا ، ويوم القيامة ، ويوم ظهور الروم على الفرس ، ويوم الحديبية ، ويوم طلوع الشمس من مغربها ، والحين [١]

أهذه أوجه لليوم أم هي اليوم بعينه ؟! والدليل على ذلك استعمال لفظ اليوم في كل منها ، ما عدا الحين ، والحين معنى مرادف لليوم ، فهما وجه واحد .

أمَّا العسكري فقد جعل لليوم وجهين ، فقال : ((وهو في القرآن على وجهين ، الأول : اليوم من أيام السنة٠٠٠الثاني : الحين قال الله تعالى : (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ){النحل : ٨٠} يعني حين ؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون الظعن ليلاً ، وإنَّما أراد حين الظعن ، فذكر اليوم لأنَّ اليوم حين))[٢]

وفي قول العسكري خلل أوضحه فيما يأتي :

١-حين جعل العسكري الوجه الأول لليوم هو اليوم بعينه دلَّ على أنَّ اليوم ليس من الألفاظ المشتركة .

٢-لذلك وجدنا العسكري يسوغ مجيء اليوم بمعنى الحين في قوله تعالى : ((يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) بقوله المذكور : ((لأنَّه لا يجوز أن يكون الظعن ليلاً)) يا سبحان الله ! ومن قال بأنَّ اليوم يعني الليل فما هذا الكلام ؟! بل العسكري نفسه قال في الفرق بين النهار واليوم : ((النهار اسم للضياء المنفسح لحصول الشمس٠٠٠وهذا حد النهار وليس هو في الحقيقة اسم

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٠-٣٠١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٠-١٤١والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٠-٢١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٨٢-٤٨٣ ونزهة الأعين ص ٣١٣ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٤٧ .

للوقت ، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا السنا)) [١] أي : أنَّ اليوم يمتد وقته طوال ضياء النهار مؤكدًا ما أجمع عليه أهل اللغة حتى قالوا : ((اليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها))[٢] فالمسوغ الذي استند إليه في جعل الحين وجهًا لليوم باطل كما رأيت ، مما يعني بطلان هذا الوجه ، وهو باطل من جانب آخر ، فقد عرَّف الخليل الحين بأنَّه ((وقت من الزمان)) [٣] وعرَّفه ابن فارس بقوله : ((فالحين الزمان قليله وكثيره))[٤] وقال العسكري نفسه : ((الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل))[٥] فالحين واليوم وإن ترادفا فبينهما الفرق المذكور ، مما يبطل جعله وجهًا لليوم من هذا الجانب أيضًا

وجعل ابن الجوزي من أوجه اليوم : ((النعمة ، ومنه قوله تعالى : {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ}[إبراهيم : ٥] أي : بنعمه))[٦] والمراد أيضًا الأيام بعينها ؛ لأنَّ المعنى : وذكرهم بأيام نعم الله عليهم ، وهذا هو المعنى الذي ذكره في تفسيره [٧]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٠٥.

(٢) الصحاح ص ١١٧٣ ، ولسان العرب ٣٢٩/١٥ ، وينظر : العين ص ١٠٧٧ ، وتهذيب اللغة ٣٩٩٠/٤ ونزهة الأعين ص ٣١٣ .

(٣) العين ٢٢٥

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٣٤ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ١٣٨.

(٦) نزهة الأعين ص ٣١٣.

(٧) زاد المسير ٢٦٤/٤.

١٥٨-الآخرة : ((الآخِر : ما قبله سابق ، وسميت الآخرة آخرة ؛ لأنَّها بعد الدنيا)) [١] **وذكر** أهل الوجوه أنَّ الآخرة وردت في القرآن الكريم على ستة أوجه ، هي : يوم القيامة ، والجنة ، وجهنم ، والقبر ، والآخير ، والملة الآخرة ، أي : ملة عيسى عليه السلام [٢]

الأخير معنى مرادف للآخرة ، وملة عيسى موصوفة بالملة الآخرة ، والوجوه الحقيقية يجب أن لا تكون قائمة على صلة الترادف أو الوصف ، أمَّا عن باقي الأوجه فنقول : البرزخ ، ويوم القيامة ، ويوم البعث ، ويوم الحشر ، ويوم الحساب ، ويوم عبور الصراط ، وغيرها من الأيام ، والجنة ، وجهنم وغيرها من المنازل والأحوال ، هي مما تحتوي عليها الآخرة ، فكيف يصح أن نجعل كُلاًّ من هذه المحتويات وجوهًا للمحتوي الذي تضمنها جميعها؟! كيف يصح أن نجعل من أجزاء الكل وجوهًا للكل ؟! فأصحاب كتب الوجوه لم يختلقوا الوجوه فحسب ، بل اختلقوا معها التداخل والخلط بين الألفاظ العامة والخاصة ، فأساؤوا أيما إساءة إلى اللغة بعامة وإلى لغة القرآن الكريم بخاصة .

١٥٩-النور : ذكر أهل الوجوه أنَّ النور ورد في القرآن الكريم على أثني عشر وجهًا هي : ١-الإسلام ٢-الإيمان ٣-الهدى ٤-القرآن ٥-بيان الحلال والحرام في التوراة ٦-بيان الحلال والحرام في القرآن ٧-النبي ٨-

---

(١) نزهة الأعين ص ٤٧ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٢-٣٠٣وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤١-١٤٢والوجوه والنظائر لهرون ص٢١١-٢١٢ والوجوه والنظائر للعسكري ٦٧-٦٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٢-٨٣ ونزهة الأعين ص ٤٧-٤٨ .

الضوء الذي يعطيه الله المؤمنين عند عبور الصراط ٩–ضوء الرب تبارك وتعالى١٠–عدل الله تبارك وتعالى ١١–ضوء النهار١٢–ضوء القمر (١)

إذا صح أنَّ المراد من النور ما جاء في الأوجه السبعة الأولى ، فهو على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة ، أمَّا النور في الوجه الثامن الذي جعل بمعنى الضوء الذي يصاحب المؤمنين عند عبور الصراط ، فلا يعلم حقيقته إلّا الله ، وقد سماه الله نورًا فليُسَمَّ كما سماه البارئ عز وجل ، وكذلك لا يصح أن نجعل نور الرب تبارك وتعالى بمعنى ضوء الرب وعدله كما جاء في الوجه التاسع والعاشر ، قال الله تعالى : **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**{الشورى : ١١} وكذلك صفاته جل وعلا ليست كمثلها شيء ؛ لذا يجب إبعاد الصفات الإلهية عن وجوه أي لفظ كان ، وضوء النهار ، وضوء القمر كما جاءا في الوجهين الأخيرين ، إن لم يكونا يعنيان النور بعينه ، فهما معنيان مرادفان للنور .

١٦٠–السلام : قال الخليل : ((السلام يكون بمعنى السلامة ، وقول الناس : السلام عليكم ، أي : السلامة من الله عليكم)) (٢)وقال ابن فارس : ((السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية٠٠٠فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى)) (٣)

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٣–٣٠٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٢–١٤٣والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٢–٢١٤ والوجوه والنظائر للعسكري ٣٣٣–٣٣٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٤٥–٤٤٧ ونزهة الأعين ص ٢٩١–٢٩٢ ومنتخب قرة العيون ص٢٢٩–٢٣١ .

(٢) العين ص ٤٤١ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٤١٢.

وذكر أهل الوجوه أنَّ السلام جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه ، هي : السلام هو الله ، والسلام هو الخير ، والسلام هو الثناء الحسن ، والسلام هو السلامة من الشر ، وهو التحية كقوله تعالى : (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً){النور : ٦١}[١]

سمى الله نفسه بالسلام كما جاء في الوجه الأول ، وقد ((قال أهل العلم : الله جل ثناؤه هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء))[٢]وما ذكره أهل الوجوه معان مرادفة للسلام ، ولا تعني السلام بعينه ، وجعلها بمعناه تحريف لدلالته ، فالسلام مثلاً ليس بمعنى التحية ؛ إذ لو صح أنَّه بمعناها لاستعمل القرآن الكريم أحدهما واستغنى عن الآخر ، وقد استعمل القرآن الكريم كُلًّا منهما في مواضع مختلفة ، بل وردا كلاهما في السياق نفسه في الشاهد المذكور : (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ) ، قال العسكري : ((السلام : وهو في القرآن على ستة أوجه٠٠٠السادس : التحية٠٠٠قال : (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ){النور : ٤٤}))[٣]

كيف تسنى لأصحاب كتب الوجوه والعسكري أن يجعلوا السلام بمعنى التحية في قوله : (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ)؟! كيف يصح أن يكون المعنى : سلامهم يوم يلقونه سلام؟! فالتحية تكون بألفاظ متعددة كقولك :

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٥-٣٠٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٣-١٤٤ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٤-٢١٥ والوجوه والنظائر للعسكري ١٨٣-١٨٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٣-٢٦٤ ونزهة الأعين ص ١٥٨-١٦٠ ومنتخب قرة العيون ص ١٤٤-١٤٥ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤١٢.

(٣)الوجوه والنظائر للعسكري ١٨٥ .

مرحبًا ، وأهلاً وسهلاً ، وحيَّاك الله وبياك ونحو ذلك ، لكن الله سبحانه أخبرنا أنَّ تحية أهل الجنة هي السلام ، والغريب أنَّ العسكري الذي وحَّد بينهما في كتابه الوجوه تقليدًا لمقاتل ، فرَّق بينهما في كتابه الفروق فقال : ((إنَّ التحية أعم من السلام ، قال المبرد : يدخل في التحية : حياك الله ، ولك البشرى ، ولقيت الخير ، وقال أبو هلال أيده الله ، ولا يقال لذلك سلام ، إنَّما السلام قولك : سلام عليك)) (١)

وقد أضاف العسكري وجهًا سادسًا ، وهو جعل السلام ((بمعنى تسليم الشيء إلى صاحبه ، قال تعالى : (ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ){الحجر : ٤٦}٠٠٠أي : قد سُلِّمَت إليكم فخذوها مهنأة)) (٢)

لو صح هذا المعنى لعُدَّ بحق الوجه الثاني للسلام ، لكنه لم يصح ، فقد جاء في تفسير (بِسَلاَمٍ) الأقوال الآتية :

١-(بِسَلاَمٍ) أي : بسلامة من عقاب الله وسخطه وناره .

٢-(بِسَلاَمٍ) أي : بسلامة من كل آفة .

٣-(بِسَلاَمٍ) أي : يُسلِّم بعضهم على بعض بقوله : سلام عليكم ، أو تُسلِّم عليهم الملائكة ، أو يسلِّم الله سبحانه عليهم بهذه التحية(٣)

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧١ .

(٢)الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٨٤-١٨٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٤٦/١٤ ، والوسيط للواحدي ٤٦/٣ ، والمفردات للراغب ص ٢٤٧ والكشاف للزمخشري ٥٥٧/٢ ، والمحرر لابن عطية ٣٦٣/٣ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٠٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦/١٠ ، وأنوار التزيل للبيضاوي ٢١٢/٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٨٨/٥ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ٢١٥/٢ ، وبصائر ذوي التمييز ٢٥٢/٣ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٦٣/١١١ ، وفتح القدير للشوكاني ١٦٤/٣ ، وروح المعاني لآلوسي ٣٠٢/٧ .

هذه هي الأقوال التي أجمع عليها أهل اللغة والتفسير في تفسير(ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ) ليس من بينها ما ادعاه العسكري .

فقد أريد من السلام في هذه المواضع الستة السلام بعينه ، فهي جميعًا وجه واحد ، ولا وجوه كما زعم أصحاب الوجوه

١٦١-**الأخ أو الإخاء ، أو الأخوة** : قال العسكري : ((وأصل اشتقاق الأخ من القصد ومن ثم قيل : توخَّيتُ الشيء : إذا قصدته ، وأصله تأخَّيتُ الشيء)) [(١)] وقال الراغب : ((أخ : الأصل أخو ، وهو المشارك آخرَ في الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما ، أو من الرضاع ، ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة ، أو في الدين ، أو في صنعة ، أو في معاملة ، أو في مودة ، وفي غير ذلك من المناسبات)) [(٢)]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الأخ ورد في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي :

١-الأخ من أمه وأبيه أو من أحدهما .

٢-الأخ في النسب أو القبيلة .

٣-الأخ في الكفر .

٤-الأخ في الإسلام .

٥-الأخ في الحب والمودة .

٦-الأخ في الشبه .

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٦٩ .

(٢) المفردات ص ١٧.

٧-الأخ يعني الصاحب ، بمعنى الأخ في الصحبة [(١)]

أهذه أوجه للأخ أم هي الأخ بعينه ، أم هي الأخ على سبيل الاستعارة ؟!

١٦٢-المودّة : ذكر أهل الوجوه أنَّ المودة جاءت في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : المحبة ، والمودة في الدين ، والصلة ، والنصيحة كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ){الممتحنة : ١}[(٢)]

المودة في الدين هي المودة بعينها ، والمحبة معنى مرادف لها ، والصلة والنصيحة من لوازمها ؛ فمن ودَّ قومًا وصلهم ونصحهم ، والحقيقة أنَّه لو صحت وجوهية هذين المعنيين فإنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ المودة بهما ، وإنَّما سمَّى كُلًّا منهما بالمودة ، أي : القول بهذين الوجهين جاء من الدراسة المعكوسة التي اتبعها أهل الوجوه لاختلاق الوجوه

فقد أريد من المودة في شواهد المواضع الأربعة المودة بعينها ، ولا أوجه .

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٧-٣٠٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٤-١٤٥ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٦ والوجوه والنظائر للعسكري ٦٩-٧٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٤-٨٥ ونزهة الأعين ص ٣٨-٣٩ ومنتخب قرة العيون ص ٥٣-٥٤.

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٦ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٤-٤٢٥ .

١٦٣-الجدل أو الجدال : ((الجدل : امتداد الخصومة ومراجعة الكلام)) [(١)]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الجدال جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : الخصومة ، والمراء ، والسؤال ، والمناظرة ، والدعاء ، بمعنى دعاء الآخرين للحوار [(٢)]

أهذه أوجه للجدال أم معان مرادفة له ؟! وجعل المعاني المرادفة للفظ القرآني، أوجهًا له يعد تحريفًا لدلالته من جهة ، وصرفًا للباحث عن أن يبيِّن الفرق في المعنى بين المترادفات ، وبيان سر استعمال القرآن الكريم لبعضها من دون بعض.

١٦٤-البِرّ : البِرُّ بكسر الباء يعني الصدق والطاعة والصلاح والخير خير الدنيا والآخرة [(٣)] وذكر أهل الوجوه أنَّ البِرَّ ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي : الصلة ، والطاعة ، والتقوى ، كقوله تعالى : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ){آل عمران : ٩٢} [(٤)]وجعل العسكري البر في هذه الآية بمعنى الثواب [(٥)] وجعله ابن الجوزي بمعنى الجنة[(١)]

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٥٨ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٦ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٧-٢١٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٧-١١٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) ينظر : لسان العرب ٢/٥٨-٦٠ .

(٤) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٠-٣١١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٦-١٤٧ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٨-٢١٩ والوجوه والنظائر للعسكري ٩١-٩٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٩-١٣٠ ونزهة الأعين ص ٦٩-٧٠ ومنتخب قرة العيون ٧٢-٧٣ .

(٥) ينظر الوجوه والنظائر ص ٩٣ .

الصلة ، والطاعة ، والتقوى ، والثواب : معان مرادفة للبرِّ وليست أوجهًا له ، أمَّا معنى الجنة فهو من لوازمه ؛ إذ البر يهدي إلى الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام ، وابن الجوزي الذي عيَّن معنى الجنة للبر في قوله تعالى : (لَن تَنَالُواْ الْبِرّ) في نزهته ومنتخبه لم يعيِّن له هذا المعنى في زاده ، بل قال : ((قوله تعالى : (لَن تَنَالُواْ الْبِرّ) في البر أربعة أقوال ، أحدها أنَّه الجنة...والثاني : أنَّه التقوى...والثالث : الطاعة...والرابع : الخير)) [٢] فما ذكره أهل الوجوه ليست أوجهًا للبر ، ومن دلائل ذلك الاختلاف في تحديد المراد من الوجه نفسه بين الوجوهيين أنفسهم وتعدد معانيه ؛ ذلك أنَّ البِر والأوجه المنسوبة إليه هي في الحقيقة معان مترادفة ، فجاز أن يُختَلف فيها لجواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها.

١٦٥-الإثم : ذكر أهل الوجوه أنَّ الإثم ورد في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي : المعصية ، والذنب ، والخمر ، والخطأ ، والحرام ، والشرك ، والزنا [٣]

المعصية ، والذنب ، والخطأ ، والحرام ، معان مرادفة للإثم وليست أوجهًا له ، وقد اتبع أهل الوجوه طريق الترادف ؛ لأنَّ الألفاظ المترادفة يجوز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، أمَّا الشرك ، والزنا ، والخمر، فمعنى كل منها معروف ، وهي ليست مرادفة للإثم ، لكنها تدخل معه في باب الأمور المنهي عنها ، فجاز أن تقع موقعه لشمولهما مثله في هذا

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٠ ومنتخب قرة العيون ص ٧٣.

(٢) زاد المسير ٣٤١/١ .

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٢-٣١٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٧-١٤٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢١٩-٢٢٠ والوجوه والنظائر للعسكري ٧٠-٧٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٧ ، ونزهة الأعين ص ٤٦-٤٧ .

الباب ، وهذا هو الطريق الثاني الذي اتبعه أهل الوجوه هنا لاختلاق الوجوه ، وهو ذكر ما أفاد وإن خالف المعنى المراد

١٦٦–**مستقر ومستودع** : ذكر أهل الوجوه أنَّ المستقر والمستودع جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

١–النطفة في أرحام النساء ، ومستودع في أصلاب الرجال .

٢–المستقر حيث تستقر الدواب بالليل ، والمستودع حين تموت .

٣–المستقر يعني منتهى(١)

أهذه أوجه للمستقر أم معان مرادفة له ؟!

١٦٧–**المقام** : قال العسكري : ((المقام يكون مصدرًا ، يقال : قام الرجل مقامًا حسنًا ، أي : قيامًا ، ويكون موضع القيام ٠٠٠ويقال : مقام ومقامة مثل مكان ومكانة)) (٢)

وذكر أهل الوجوه للمقام في القرآن الكريم أربعة أوجه هي : المساكن ، والمكث والإقامة ، والقيام بين يدي الله يوم القيامة ، والمكان(٣)

هذه الأمور الأربعة كما ترى هي معان مرادفة للقيام بمعناه المصدري والموضعي ، ولا أوجه .

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٠ والوجوه والنظائر للعسكري ٣٠٥–٣٠٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٥–٤٢٦

(٢)الوجوه والنظائر ص٣١٦ .

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٣ –٣١٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٨–١٤٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٠–٢٢٢١ والوجوه والنظائر للعسكري ص٣١٦–٣١٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٦.

وأضاف ابن الجوزي الأوجه الآتية : القيام المعروف ، والإتمام ، والوقوف ، والنهوض بالدعوة والثبوت ، والقوام[١] وهذه الأوجه كما ترى القيام بعينه أو هي من مرادفاته ، وأضاف ((الأمن ومنه قوله تعالى : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ){المائدة : ٩٧} أي : أمانًا ، وقيل : قوامًا لأمرهم))[٢] وأكبر دليل على بطلان وجه الأمن الذي رجَّحه ابن الجوزي في نزهته أنَّه هو نفسه أبطله في زاده ، فقد قال في تفسير القيام في هذه الآية : ((وفي معنى القيام ستة أقوال : أحدها : قيامًا للدين ومعالم الحج ، والثاني : قيامًا لأمر من توجَّه إليها ، والثالث : قيامًا لبقاء الدين ، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّتْ واستُقْبِلَتْ ، والرابع : قوام دنيا وقوام دين ، والخامس : قيامًا للناس ، أي : مما أُمروا أن يقوموا بالفرض فيه ، والسادس : قيامًا لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها))[٣] ذكر ستة أقوال ليس من بينها الوجه الذي ذكره في النزهة ، وأضاف ((القول ومنه ، قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ){النساء : ١٣٥} أي : قوَّالين)) [٤] أين القوَّال للقسط من القوَّام عليه ؟! فما أكثر القوَّالين ، وما أقل القوَّامين !

وأضاف : ((المواظبة ، ومنه قوله تعالى : (إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا){آل عمران : ٧٥}))[٥] ومعنى المواظبة لم يحصل من القيام ، بل هو حاصل من الفعل (مَا دُمْتَ) وهذا ما بينه ابن الجوزي نفسه في الزاد ، فقد

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٣٩.

(٣) زاد المسير ٢/٢٦٠ .

(٤) نزهة الأعين ص ٢٣٩.

(٥) نزهة الأعين ص ٢٣٩.

قال في تفسيره : ((وفي هذا القيام قولان : أحدهما : أنَّه التقاضي٠٠٠قال ابن قتيبة[١]: والمعنى : ما دمت مواظبًا بالاقتضاء له والمطالبة ، وأصل هذا أنَّ المطالب بالشيء يقوم فيه ، ويتصرف ، والتارك له يقعد عنه٠٠٠والثاني : أنَّه القيام حقيقة ، فتقديره : إلاَّ ما دمت قائمًا على رأسه ، فإنَّه يعترف بأمانته ، فإذا ذهبتَ ثم جئتَ جَحَدَك)) [٢]

وأضاف : ((الخلوة ، ومنه قوله تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ {٢١٨} وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ){الشعراء : ٢١٨-٢١٩} حين تخلو))[٣] وهذا المعنى لو صح فهو معنى السياق لا معنى القيام ، كما أن ابن الجوزي نفسه جعله في الزاد من الأوجه المحتملة ، فقد قال في تفسيره : (((الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) فيه ثلاثة أقوال : أحدها : حين تقوم إلى الصلاة ، والثاني : حين تقوم من مقامك ، والثالث : حين تخلو)) [٤]

كيف يصح أن نجعل يقوم بمعنى يخلو؟ فالخلوة ليست من معاني القيام ، ولا من مرادفاته ، والظاهر أنَّ الذين أجازوا هذا المعنى استندوا إلى أنَّ المراد : حين تقوم إلى الصلاة في الخلوة ، أي : في جوف الليل ، فقد اتخذوا من معنى الظرف الذي وقع فيه الفعل وجهًا للفعل ، وهذه طريقة من الطرق الخاصة التي اتبعها أهل الوجوه لاختلاق الوجوه .

---

(١) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١٠٦ وتأويل مشكل القرآنص ١١٥ .

(٢) زاد المسير ١/٣٣٢-٣٣٣.

(٣) نزهة الأعين ص ٢٣٩.

(٤) زاد المسير ٦/٥٦.

١٦٨-**برهان** : قال الخليل : ((البرهان : بيان الحجة وإيضاحها)) [١] وذكر أهل الوجوه أنَّ البرهان جاء في القرآن الكريم على وجهين : الحجة ، والآية[٢]

الحجة والآية معنيان مرادفان للبرهان وليسا وجهين له .

١٦٩-**السيئات** : ذكر أهل الوجوه أنَّ السيئات وردت في القرآن على الوجوه الآتية : الشرك ، والضرر ، والشدة ، والشر ، والعذاب ، وإتيان الفاحشة ، وإتيان الرجال ، والمعاصي ، وصغار الذنوب[٣]

هذه الأوجه جميعها معان مرادفة للسيئات وليست أوجهًا لها ؛ لذلك جاز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، أو لاشتراكها جميعًا في باب المنهيات عنها .

١٧٠-**البغي** : البغي : الفجور ، والظلم ، والبغية : الزانية[٤]((والبغي : جنس من الفساد٠٠٠قولهم : بغى الجرح : إذا ترامى إلى فساد ، ثم يشتق من هذا ما بعده ، فالبغي : الفاجرة)) [٥] وذكر أهل الوجوه

---

(١) العين ص ٦٩ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٤-٣١٥ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٩ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢١-٢٢٢والوجوه والنظائر للعسكري ص ٩٤-٩٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٥-٣١٦ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٩-١٥٠ والوجوه والنظائر لهرون ص٢٢٢والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٨٥-١٨٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٤-٢٦٥ ونزهة الأعين ص ١٦٢ .

(٤) ينظر العين ص ٨٢ .

(٥)مقاييس اللغة ص١٠١ .

أنَّ البغي ورد في القرآن الكريم على أربعة أوجه : الظلم ، والمعصية ، والحسد ، والزنا[1]

وهذه المعاني لا يصح أن تكون أوجهًا للبغي ؛ لأنَّها معان مرادفة له ، ومن علامات الأوجه الحقيقية أن تكون معانيها متباينة .

١٧١-**ذروا** : ذكر مقاتل وهرون أنَّ (ذروا) جاء في القرآن الكريم على وجهين :

١-ذرني : يعني خلِّ بيني وبينه .

٢-ذروا : يعني خلّوا الشيء[2]

تأمَّلْ كيف أنَّ مقاتل وهرون جعلا (خلِّ) و(خلُّوا) وجهين أي : جعلا فعل الأمر المسند إلى ضمير المخاطَب وجهًا ، والمسند إلى ضمير المخاطَبين وجهًا ثانيًا ، كيف يصح هذا؟! ؛ إذ لو جاز أن نجعل من الفعل أوجهًا استنادًا إلى حال الضمير المسند إليه ، لجاز أن نجعل من كل فعل في القرآن الكريم أكثر من عشرين وجهًا ، لكن ما هكذا تورد يا مقاتل ويا هرون الإبل .

١٧٢-**أفلح** : الفلاح : الفوز والبقاء[3] وذكر أهل الوجوه أنَّ **(أفلح)** ورد في القرآن الكريم على وجهين : السعادة ، والفوز[1] وهذان المعنيان مرادفان للفلاح وليسا وجهين له .

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٦-٣١٧وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٠-١٥١ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٣٠-١٣١.

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٧وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥١ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧١٦.

١٧٣-**التصريف** : التصريف : اشتقاق بعض من بعض ، وتصريف الرياح : تصرفها من وجه إلى وجه ، ومن حال إلى حال ، وتصرَّف : ترددَ وتراجع ، وصرف الشيء : صرفه من شيء إلى شيء ، وصرْفُ الكلام ، تزيينه والزيادة فيه[٢] وذكر أهل الوجوه أنَّ التصريف ورد في القرآن الكريم على ثمانية أوجه هي :

١-اصرف عنا بمعنى ارفع عنا.

٢-والتصريف : التلوين والتزيين والتقليب.

٣-وصرَّفناه : قسَّمناه.

٤-وصرَّفنا : وجَّهنا.

٥-وصرَّفنا : بيَّنَّا.

٦-والتصريف : العدول.

٧-والانصراف عن الشيء : الميل عنه.

٨-وصرف الشيء : دفعه وهزمه[٣]

أهذه أوجه للتصريف أم شروح وتفسيرات له ؟!

١٧٤-**التسكين** : قال الخليل : ((سكينة بني إسرائيل ما في التابوت من مواريث الأنبياء...جعله الله لهم سكينة ، لا يفرون منه ، وتطمئنُّ قلوبهم إليه)) [٤] وقال ابن فارس : ((السين والكاف والنون أصل مطرد يدل

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٧-٣١٨وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥١ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٥-٨٦ .

(٢) ينظر : العين ص ٥١٦ ، ومقاييس اللغة ص ٥٠٦.

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٨-٣١٩ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥١-١٥٢ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٤-٢٢٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤) العين ص ٤٣٦ .

على خلاف الاضطراب والحركة٠٠٠والسكن : النار٠٠٠وإنَّما سُميت سكنًا٠٠٠وهو أنّ الناظر إليها يسكن ، ويسكن إليها أهلها ، والسَّكَن : كل ما سكنتَ إليه من محبوب ، ومن الباب السكينة ، وهو الوقار ، وسكان السفينة سُمِّي ؛ لأنَّه يسكِّنها عن الاضطراب)) (١)

وذكر أهل الوجوه أنَّ السكينة وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : القرار ، والنزول يعني النزول إلى المكان الذي يُستَقَرُّ فيه ، والأنس أو الاستناس ، والطمأنينة(٢)

وهذه المعاني كما ترى مرادفة للتسكين أو السكينة ، وليست أوجهًا له .

١٧٥-**الحميم** : قال مقاتل : ((تفسير الحميم على وجهين ، فوجه منهما الحميم ، يعني القريب ذا الرحم ، فذلك قوله في سأل سائل : (وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا){المعارج : ١٠} يعني قريبًا ، وقال في الشعراء : (وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ){الشعراء : ١٠١} يعني قريب ، وقال : (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ){فصلت : ٣٤} يعني القرابة ، والوجه الثاني : حميم الحار ، فذلك قوله في المفصل : (وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ){محمد : ١٥} يعني حارًّا ، وقال : (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ){الحج : ١٩} يعني الحار من الماء ، ونظيرها في الدخان ، وقال أيضًا في الصافات : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ){الصافات : ٦٧} يعني الحار ، وقال في الرحمن : (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ){الرحمن : ٤٤} يعني حارًّا قد انتهى حره)) (٣)

---

(١) مقاييس اللغةص ٤١١ . .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٩-٣٢٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٢-١٥٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٥-٢٢٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٤٤-١٤٥ .

(٣) الأشباه والنظائر ص٣٢٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٣

وما قاله مقاتل قاله هرون بن موسى [١]، والدامغاني [٢]، وابن الجوزي [٣] مستشهدين بالآيات نفسها .

هذا هو اللفظ الخامس والسبعون بعد المئة الذي يُعد بحق من الألفاظ المشتركة ، فهذان الوجهان للفظ الحميم لا شك فيهما ولا اختلاف ، وهما يعدان ، كما ترى ، معنيين حقيقيين متباينين ، لا تربط بينهما صلة ترادف ولا مجاز ولا وصف ، وأي صلة أخرى غير صلة اللفظ المشترك ، وليس لكل منهما لفظ آخر يعبر عنه غير اللفظ المشترك ، حتى إذا فُسِّر ، فُسِّر بأقرب المعاني إليه ، فيقال عن الأول : هو القريب ذو الرحم ، ويقال عن الثاني : هو الماء الحار وكذلك اللفظ المشترك (الحميم) ، ليس له معنى مستقل عن هذين المعنيين .

١٧٦-**التلقي** : ذكر مقاتل وهرون أنَّ التلقي ورد في القرآن الكريم على وجهين :

١-التأتي : كقوله تعالى : (وَلا يُلَقَّاهَا إِلّا الصَّابِرُونَ) يعني ولا يؤتاها إلّا الصابرون .

٢-النزول : كقوله : (أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا){القمر : ٢٥}[٤]

الوجه الأول من لقي الشيء : إذا استقبله أو صادفه ، وكذلك لاقاه وتلقَّاه ، والوجه الثاني من ألقى الشيء : إذا طرحه أو نبذه[٥] وهذان الوجهان معنيان مختلفان ، لكنهما من صيغتين مختلفتين ، والوجوه تكون من نظير

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر ص٢٢٦

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص١٦٧-١٦٨

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٩٤-٩٥ ومنتخب قرة العيون ص ٩١ .

(٤) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٢١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٥) ينظر: العين ص ٨٨٢ ومقاييس اللغة ص ٨٣٨ ولسان العرب ٢٢٦/١٣ .

واحد يتكرر ؛ فإذا اختلفت المعاني لاختلاف الصيغ ، فلا وجوه ولا نظائر ، بل لا وجوه ولا نظائر إذا اختلفت المعاني لاختلاف الحركة ، كالبرِّ بفتح الباء وضمها وكسرها .

١٧٧-**اليد** : ذكر أهل الوجوه أنَّ اليد جاءت في القرآن الكريم على ستة أوجه هي : اليد بعينها ، والكرم ، والنعمة ، والقدرة ، والفعل ، والتوكيد(١)

جعل اليد في الوجه الأول بمعنى اليد بعينها دليل على أنَّ الأوجه المنسوبة إليها لا تعني اليد بعينها ، بل هي شيء آخر ، ودليل على أنَّ اليد ليست من الألفاظ المشتركة وأنَّه لا وجوه لها ، أمَّا جعل اليد في الأوجه الأُخر بمعنى الكرم ، والنعمة ، والقدرة ، والفعل ، فهو على سبيل المجاز لا على الحقيقة ، أمَّا التوكيد فلم يُستَشهد له إلّا بقوله تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ){ص : ٧٥} وكذلك استشهدوا للنعمة أو الكرم بقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء){المائدة : ٦٤} وقد سبق أن قلنا أنَّ الشواهد القرآنية التي تتعلق بصفات الله يجب إبعادها عن وجوه أي لفظ كان ؛ لأنَّ الله سبحانه يقول : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١} وكذلك صفاته ليست كمثلها ، وقد نقل ابن عادل الدمشقي مذهب أهل السنة والجماعة في اليد المضافة إلى الله تعالى فقال : ((إنَّ القرآن لمَّا دلَّ على إثبات اليد لله آمنَّا بالله ، والعقل دلَّ أنَّه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص ،

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٢١-٣٢٢وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٤والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٧-٢٢٨والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٤٧-٣٤٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٨١

وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض ، فأمَّا أنَّ اليد ما هي؟ وما حقيقتها؟ فقد فوَّضنا معرفتها إلى الله تعالى ، وهذه طريقة السلف)) [١]

١٧٨-**أصبحوا** : ((أصبح القوم : دخلوا في الصباح ، كما يقال : أمسوا : دخلوا في المساء٠٠٠وقال سيبويه : أصبحنا وأمسينا ، أي : صرنا٠٠٠وأصبح فلان عالمًا ، أي : صار)) [٢] وذكر أهل الوجوه أنَّ (أصبحوا) وردت في القرآن الكريم على وجهين : أصبحوا يعني أصبحوا من الغد ، وأصبح بمعنى صار [٣]

الوجه الأول يعني الإصباح بعينه ، والوجه الثاني معنى مرادف لـ(أصبح) ولا أوجه .

١٧٩-**الاتباع** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الاتباع جاء في القرآن الكريم على تسعة أوجه هي :

١-الاتباع : الذي يتبع صاحبه على دينه كقوله تعالى : (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ){الشعراء : ١١١} .

٢-الاتباع : الذي يتبع صاحبه فيسير على أثره ذاهبًا كقوله تعالى : (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ){طه : ٧٨}

٣-الاتباع : الاقتداء كقوله تعالى : (اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ){يس : ٢١} أي : اقتدوا به .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٤٢٨/٧ .

(٢) لسان العرب ١٩٠/٨.

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٢-٣٢٣وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٤-١٥٥والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٠٦ ونزهة الأعين ص ١٦-١٧ ومنتخب قرة العيون ص٣١ .

٤–الاتباع : الاستقامة كقوله تعالى : (واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا){النساء : ١٢٥} أي : استقم على ملة إبراهيم

٥–الاتباع : الاختيار كقوله تعالى : (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ){النساء : ١١٥} أي : يختار غير دين المؤمنين .

٦–اتبعوا ، أي : اعملوا كقوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ){البقرة : ١٠٢} أي : وعملوا .

٧–الاتباع : الصلاة إلى الفبلة كقوله تعالى : (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم){البقرة : ١٤٥} أي : صليت إلى قبلتهم .

٨–الاتباع : يعني الطاعة : (لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً){النساء : ٨٣} يعني لأطعتم الشيطان[١]

الاتباع في جميع الشواهد المذكورة يعني الاتباع بعينه ، إلّا أنَّ أهل الوجوه اختلقوا منها ثمانية أوجه عن طريق ذكر ما يرادف الاتباع من الألفاظ التي يصح أن تقع موقعها لتقارب معانيها من معناه ، أو ذكر ما كان من لوازمه ، أوذكر ما أفاد وإن خالف المعنى المراد .

١٨٠–**استكبروا** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (استتكبروا) جاء في القرآن الكريم على وجهين :

١–التكبر عما أمر به كقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ){البقرة : ٣٤}

٢–الكبراء والقادة في الكفر كقوله تعالى : (فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ){إبراهيم : ٢١} [١]

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٣–٣٢٤وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٥والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٨–٢٢٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٢–٦٣ ومنتخب قرة العيون ص ٢٧.

(واسْتَكْبَرَ) في الوجه الأول يعني الاستكبار بعينه ، وكذلك (اسْتَكْبَرُواْ) في الوجه الثاني ، إلّا أنَّ أهل الوجوه سموه باسم فاعله ؛ إذ فاعل(اسْتَكْبَرُواْ) هم القادة والكبراء ، وكان ينبغي أن يسموا الوجه الأول إبليس لأنَّه فاعل (واسْتَكْبَر) وهذهَ طريقة غريبة في اختلاق الوجوه ؛ إذ لو صح أن نسمي وجوه الفعل باسم فاعله ؛ لأمكن أن نجعل لكل فعل في القرآن الكريم ألف وجه ، ولكن ما هكذا تورد يا أهل الوجوه الإبل .

١٨١-**البطش** : قال ابن فارس : ((الباء والطاء والشين : أصل واحد ، وهو أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة)) [٢] وذكر أهل الوجوه أنَّ البطش جاء في القرآن الكريم على وجهين : العقوبة ، والقوة[٣] والبطش عقوبة شديدة ، ولا ينفذه إلّا من ملك القوة ، لذا فالبطش أينما ورد في القرآن الكريم يعني البطش بعينه ولا أوجه .

١٨٢-**الهوى** : الهاء والواو والياء ثلاث صيغ وثلاثة معان هي كالآتي :

١-هَوَى الشيءَ يَهْوِي هَوَىً ، وهُوِيًّا ، وهَوِيًّا ، وهَوَيانًا : سقط من فوق إلى أسفل ، وهَوَت العقاب : إذا انقضت على صيد أو غيره ، وهَوَى : هلك ، وأهوى : ألقاه من فوق ، ومنه قوله تعالى : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى){النجم : ٥٣} اي: أسقطها فَهَوَتْ ، ويهوي إليه يميل ، ومنه قوله تعالى : (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)}إبراهيم : ٣٧}

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٤-٣٢٥وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٥-١٥٦والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٢٩-٢٣٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٨ .

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٥وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٦والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٣٢ ونزهة الأعين ص ٦٨ .

٢-هَوِيَ الشيءَ يَهْوَى هَوَىً : أحبَّه ، أهواه وهَوِيتُه : أحببتُه ، والهَوَى : العشق ، وهو محبة النفس للشيء وغلبته على قلبه ، ومنه قوله تعالى : (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى){النازعات : ٤٠} أي : عن شهواتها وما تدعو إليه من المعاصي ، والهوى مطلقًا لم يكن إلاَّ مذمومًا حتى يُنعَتَ بما يخرجه عن معناه ، كقولهم : هَوَىً حَسَنٌ ، وهَوَىً موافق للصواب .

٣-هَوَى صدرُه يَهْوِي هواءً : إذا خلا ، والهواء : الجو بين السماء والأرض ، وسُمِّي لخلوه ، قالوا : وكل خال : هواء ، والهواء : كل شيء منخرق الأسفل لا يعي شيئًا ، ومنه فُسِّرَ قوله تعالى : (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء){إبراهيم : ٤٣} أي : خالية لا تعي شيئًا[(١)].

وذكر أهل الوجوه أنَّ (هَوَى) ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه ، هي : هوى يعني نزل ، وهوى يعني هلك ، وتهوي يعني تُذهب ، والهوى شهوة النفس ، وهواء يعني الخلوَّ[(٢)]

الأوجه الثلاثة الأولى : النزول ، والهلاك ، والذهاب بالشيء ، تدخل جميعها في معنى السقوط ، من هَوَى يَهْوِي ، والوجه الرابع : شهوة النفس ، من هَوِيَ يَهْوَى ، أمَّا الخلو في الوجه الخامس ، فلم يرد في القرآن الكريم بصيغة الفعل بل ورد بصيغة المصدر في قوله تعالى : (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) الذي يختلف عن مصدر السقوط ؛ فتكون الأوجه الخمسة المذكورة تمثل ثلاثة معان مختلفة لثلاث صيغ مختلفة ، ولا أوجه ولا نظائر.

---

(١) ينظر : العين ص ١٢٠٦ ، ومقاييس اللغة ص ٩٢٤ ، ولسان العرب ١١٤/١٥-١١٥ ، وتاج العروس ١٥١/٤٠-١٥٣ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٥-٣٢٦وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٦-١٥٧والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٠-٢٣١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥٤.

١٨٣-**الحرث** : الحرث : ((الجمع والكسب٠٠٠ومن الباب حرث الزرع ، والمرأة : حرثٌ للزوج ، فهذا تشبيه ، وذلك أنَّها مزدرع ولده قال الله تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ){البقرة : ٢٢٣})) [١] ((والحرث والحراثة : العمل في الأرض زرعًا كان أو غرسًا ، وقد يكون الحرث نفس الزرع٠٠٠والحرث قذفك الحب في الأرض)) [٢]((والحرث : اسم لكل ما ذللته من الأرض لتزرع فيه ، ويقال لأول الغرس والبذر إلى حيث بلغ : حرث))[٣]

وذكر أهل الوجوه أنَ (الحرث) ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي : الحرث بعينه ، والثواب ، وفروج النساء[٤]

تبيَّن من المعنى اللغوي للحرث أنَّه يعني الجمع والكسب ، أي : العمل بغية الحصول على مكاسب دنيوية ، كزرع ، أو مال ، أو أولاد ، أو العمل لكسب الأجر في الآخرة ، والثواب عند الله سبحانه ، أمَّا تسمية الحرث بالنكاح ، او الجماع ، أو المرأة ، أو تسميته بالثواب ، أو فروج النساء ، كما جاء في الوجهين الثاني والثالث ، فهو على سبيل التوسع في الكلام أو التشبيه ، كما قال ابن فارس ، وما كان كذلك لا يصح جعله من أوجه اللفظ المشترك ، والدليل على ذلك عدهم الحرث في الوجه الأول الحرث بعينه ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٠٤.

(٢) تاج العروس ١٢٢/٥.

(٣) نزهة الأعين ص ٩٥ .

(٤) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٦-٣٢٧ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٧-١٥٨والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣١-٢٣٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٦-١٦٧ونزهة الأعين ص ٩٥ ومنتخب قرة العيون ٩١-٩٢

مما يُدل على إقرارهم من حيث لم يشعروا بأنَّ كل ما عداه يُعدُّ وجهًا مختلفًا .

١٨٤–**الظنّ** : أجمع أهل اللغة على أنَّ الظنَّ جاء في القرآن الكريم بمعنى الشك وبمعنى اليقين(١) وهذا الذي أجمعوا عليه مردود عندي بما يأتي :

١–لا يصح مجيء الظن في القرآن الكريم بمعنى الشك في مواضع ، وبمعنى اليقين في مواضع أُخَر ؛ لأنَّ ألفاظ هذه المعاني الثلاثة : الظن والشك واليقين ، قد استعملها القرآن الكريم على حد سواء ، مما يدل قطعًا على أنَّ لكل منها معناه الخاص به ، الذي يميزه من معنى اللفظين الآخرين .

٢–القول بأنَّ الظن جاء بمعنى الشك واليقين يعني الادعاء بأنَّ القرآن الكريم استعمل المعنى بغير لفظه الموضوع له ، واستعمل اللفظ بغير معناه الموضوع له ، وفي ذلك خلط بين الألفاظ والدلالات ، وهذا ما تنزه عنه كتاب الله .

٣– ما أجمع عليه أهل اللغة والوجوه والتفسير ، لا يمكن الأخذ به إلّا إذا استطاعوا الإجابة بجواب مقنع عن السؤال الآتي : لِمَ عبَّر القرآن الكريم عن معنى اليقين ومعنى الشك بلفظ الظن ، مع العلم أنَ القرآن قد استعمل لفظ اليقين ولفظ الشك؟ أي : لِمَ عبَّر عنهما بلفظ الظن ولم يعبِّر عن كل منهما بلفظه؟ إنَّه لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلّا بأحد أمرين : إمَّا الادعاء بأنَّ الله تعالى ذكره ألحن ، فاستعمل الظن موقع اليقين في مواضع ، وموقع الشك في مواضع ، وهذا ما لا يمكن لأحد أن يدعيه ، وإمَّا

---

(١) ينظر : العين ص ٥٨٩ ، والأضداد للأنباري ص ٢٠ والأضداد لأبي الطيب اللغوي ص ٢٩٦، ومقاييس اللغة ص ٥٥١ .

القول بأنَّ القرآن الكريم استعمل الظن في كل مواضع وروده ، ولم يستعمل اليقين والشك ؛ لأنَّ ثمة فرقًا في المعنى وإن دقَّ بينه وبينهما ، وأنَّ القرآن الكريم استعمل الظن من دونهما مراعاة لهذا الفرق المعنوي ، وعندئذ تبطل فكرة الوجوه والأضداد في هذا اللفظ .

٤-لمَّا أجمع المعجميون على أنَّ الظن جاء بمعنى الشك واليقين صرفهم هذا الإجماع عن أن يتطرقوا إلى الظن نفسه ويبحثوا عن معناه ، وهذا يعني أنَّهم أفرغوه من محتواه وألغوا دلالته .

والذي أراه أنَّ الظن لا يجيء بمعنى الشك ولا بمعنى اليقين بل يجيء في كل موضع بين حديهما ، فالعسكري وإن قال في كتابه الوجوه : ((الظن في العربية على وجهين : الشك واليقين ، وقد جاء في القرآن كذلك))[١] فقد ذكر في كتابه الفروق اللغوية : ((الفرق بين الظن والشك أنَّ الشك استواء طرفي التجويز ، والظن رجحان أحد طرفي التجويز٠٠٠ويجوز أن يقال : الظن : قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة ، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر))[٢]

فـ((الشك خلاف اليقين ، وأصله اضطراب النفس ، ثمَّ استعمل في التردد بين الشيئين سواء استوى طرفاه أو ترجح أحدهماعلى الآخر٠٠٠وقال الأصوليون : هو تردد الذهن بين أمرين على سواء ، قالوا : التردد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشك ، وإلاَّ فالراجح ظنٌّ ، والمرجوح وهم))[٣] وقال ابن الجوزي : (الظن في الأصل : قوة أحد الشيئين على نقيضه

---

(١) ص ٢٣٥.

(٢) ص ١١٣ .

(٣) فروق اللغات ، لنور الدين الحسيني ص ١٥٢ .

في النفس ، والفرق بينه وبين الشك أنَّ الشك : التردد في أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر)) [1]

والحقيقة أنَّ الظنُّ لا هو يقين ، ولا هو شك على خلاف ما أجمعوا ، ولا هو حالة بينهما ، بل هو معنى محايد ، وأرى أنَّ أقرب المعاني إليه الاعتقاد ، والجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (اعتقد) وقد يكون استعمل (ظنَّ) بدلا منه ، والله أعلم ، فالظن معنى يقع بين الشك واليقين موقع الحياد ، فهذه هي حقيقة الظن التي ينبغي على أساسها أن تُفَسَّر شواهده في القرآن الكريم في كتب الوجوه وغيرها .

وقد ذكر أهل الوجوه أنَّ الظنَّ جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي :

١-الظن : يعني اليقين كقوله تعالى : (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ){الحاقة : ٢٠} يعني : إني أيقنتُ .

٢-الظن : يعني الشك ، كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ){الجاثية : ٣٢} يعني إن نشك إلاَّ شكًّا .

٣-ظنَّ : يعني حسب كقوله تعالى : (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ){الانشقاق : ١٤} يعني : حسب أن لن يرجع ، وهذا قول الدامغاني وقال العسكري : ((أخبر أنَّه كان شاكًّا في البعث))

٤-الظن : يعني الكذب كقوله تعالى : (إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ){الجاثية : ٢٤} معناه : إن هم إلاَّ يكذبون .

---

(١) نزهة الأعين ص ١٩٦ .

٥-الظن : يعني التهمة كقوله تعالى : (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا){الأحزاب : ١٠} وقوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ){التكوير : ٢٤} يعني : وما هو على الغيب بمتهم [1]

الظن في قوله تعالى : (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ) ليس بمعنى اليقين كما جاء في الوجه الأول ، بل هو بمعنى الاعتقاد ، والمعنى أنَّ هذا ما كنتُ أظنه وأعتقده ، وهو بهذا المعنى في قوله تعالى : (إِن نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) .

وشك وحسب وكذب ، معان مترادفة تمثل وجهًا واحدًا ، لذلك كان شاهد الوجه الثالث بمعنى شك عند العسكري ، وبمعنى حسب عند الدامغاني ، وكذلك شاهد الوجه الرابع ، فإنَّه كما جاز أن يكون : ((معناه : إن هم إلاَّ يكذبون)) جاز أن يكون معناه : إن هم إلاَّ يشكون ، والصواب أن يكون المعنى : إن هم إلاَّ يظنزن ويعتقدون مجرد اعتقاد .

أفعال الظنُّ والتضمين في كتب النحو :

١-**الظنُّ والتهمة** : كان التضمين إحدى الطرق التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه لاختلاق الوجوه ، وإن لم يصرحوا بها ، كما صرَّح بها النحاة ، بيد أنَّ النحاة في باب التضمين لم تكن غايتهم تعدد الأوجه ؛ ليضمنوا الظن عدة مرادفات ، كما فعل أهل الوجوه ؛ لأنَّ التضمين عند النحاة استعمِل لحل إشكال لغوي كالإشكال الحاصل في الفعلين ظنَّ وعلِمَ المتعدي كلٌّ منهما إلى مفعول واحد ، وعندهم أنَّه يتعدى إلى مفعولين ، فحلوا هذا الإشكال بجعل

---

(١) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٧-٣٢٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٨والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٢-٢٣٣ والأضداد لأبي بكر بن االأنباري ص ٢٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٣٥-٢٣٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٣٢ ونزهة الأعين ص ١٩٦ ومنتخب قرة العيون ص ١٧٢-١٧٣ ، وبصائر ذوي التمييز ٥٤٥/٣-٥٤٧ .

ظنَّ بمعنى اتهم ، وجعل عَلِمَ بمعنى عَرَفَ ، هذا هو التضمين وما أدراك ما التضمين؟! ، فقد اتُّخِذ وسيلة لحل ما أشكل على اللغويين من قضايا اللغة ، فهم بدلاً من أن يحلوا إشكالاتها بالدراسة والتحقيق ، حلُّوها بالتضمين ؛ لأنَّه أيسر منالاً ، ولا يكلفهم جهد فكر وعناء بحث ، إنَّه مطية العجزة من أهل اللغة والنحو والتفسير، بل أمسى مهزلة ، وإليك الدليل :

قال ابن مالك : ((أخوات حسب هي الأفعال المقتضية مفعولين هما في الأصل مبتدأ وخبر نحو : علمتُ زيدًا كريمًا))[1]

وقولهم بتعدي هذه الأفعال إلى مفعولين جعلوه هو القاعدة وقرآنًا منزَّلاً ، لذلك لمَّا وردت هذه الأفعال متعدية إلى مفعول واحد في الكلام الفصيح ، لم يعدِّلوا القاعدة في هذه الأفعال ، بل ضمنوها معاني أفعال أخرى ، أي : عمدوا إلى تغيير المعنى من أجل أن لا يعدلوا قاعدة من صنعهم ، فابن مالك بعد أن قال بالقاعدة المذكورة قال : ((متى تنصب هذه الأفعال مفعولاً واحدًا؟ : إن أريد بظننتُ معنى : اتهمتُ ، وبعلمتُ معنى : عرفتُ ، وبرأيتُ معنى : أبصرتُ أو رميتُ ، وبوجدتُ معنى : أصبتُ ، وباتخذتُ معنى : اكتسبتُ ، وبجعلتُ معنى : عملتُ أو ألقيتُ أو أوجبتُ تعدَّتِ إلى مفعول واحد))[2]

وقال ابن عقيل : ((إذا كانت علم بمعنى عرف تعدَّتْ إلى مفعول واحد ، كقولك : علمتُ زيدًا ، أي : عرفته ومنه قوله تعالى : (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا){النحل : ٧٨} وكذلك إذا كانت ظنَّ

(١) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٢٣١ ، وينظر : شرح ابن عقيل ٤١٦/١-٤١٨ .

(٢) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٢٣٤ ، وينظر : شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

بمعنى اتَّهمَ ، تعدَّتْ إلى مفعول واحد ، كقولك : ظننتُ زيدًا ، ومنه قوله : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ){التكوير : ٢٤} أي : بمتهم))[١]

وقال الرضي : ((وقد يجيء ظنَّ بمعنى اتَّهم فينصب مفعولاً واحدًا ، ومعنى الاتَّهام أنّ تجعل شخصًا موضع الظن السيِّئ ، تقول : ظننتُ زيدًا ، أي : ظننتُ به أنَّه فعل سيِّئًا ، وكذا اتهمته))[٢]وقال ابن يعيش : ((فهي لذلك تكتفي بمفعول واحد٠٠٠ومنه قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أي : بمتَّهم وظنين هنا بمعنى مظنون ، وفيه ضمير مرفوع ، كان مفعولاً فأقيم مقام الفاعل)) [٣]

وجعل ظنَّ بمعنى اتَّهم إذا تعدى إلى مفعول واحد مبنيٌّ في البدء على أساس خاطئ ؛ لأنَّ أفعال ظنَّ وأخواتها لا تتعدى إلى مفعولين ، بل إلى مفعول واحد ، أمَّا الثاني فهو في الحقيقة حال ، وهذا ما بحثته تحت عنوان : المنصوب الثاني لـ(ظنَّ) وأخواتها/ إعرابه بين المفعولية والحالية[٤] ؛ ولأنَّ الظن بخلاف التهمة لا يعني الظن بذات الشيء ، بل بصفاته وأحواله فقد لازمه الحال ، وكما تقدَّم فقد استشهد أهل الوجوه في مجيء ظن بمعنى اتَّهم بالشاهد الذي استشهد به النحاة وهو قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ

---

(١) شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب ١٥١/٤ .

(٣) شرح المفصل ٣٢٣/٤.

(٤) ينظر كتابي : من مزاعم النحاة ص ٨٤-١٠٢.

بِظَنِينٍ) وبقوله تعالى : (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا){الأحزاب : ١٠} وقوله تعالى : (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ){الفتح : ١٢}[١]

والحقيقة أنَّ الظن في قوله تعالى : (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) لم يتعدَّ إلى مفعول واحد أو مفعولين ؛ لأنَّ (ظَنَّ السَّوْءِ) مفعول مطلق وليس مفعولاً به فلا مسوغ لجعله بمعنى التهمة من جهة الإعراب ، وكذلك من جهة المعنى ؛ لأنَّه جاز أن يقال في الكلام : وظننتم ظنَّ الخير ، والتهمة تكون في أمور السوء والشر ، لا في أمور الخير ، وكذلك قوله تعالى : (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) لم يتعدَّ الظن فيه إلى مفعول واحد ، أو إلى مفعولين ؛ لأنَّ (الظُّنُونَا) مفعول مطلق وليس مفعولاً به ، فلا مسوغ إذن لجعله بمعنى التهمة من جهة الإعراب ، وكذلك من جهة المعنى ؛ فقد جاء في التفسير : (((وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال الحسن : اختلفت ظنونهم ، فظنَّ المنافقون أنَّ محمدًا وأصحابه يُستأصَلون ، وظنَّ المؤمنون أنَّه يُنصَر))[٢]والمعنى : هذا ما اعتقده المنافقون ، وهذا ما اعتقده المؤمنون . وهذا مما يدل على أنَّ الظن لا علاقة له بمعنى التهمة ، ولا الشك ، ولا اليقين ، بل هو كما قلتُ معنى محايد

وقد ورد قوله تعالى : (يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ){آل عمران : ١٥٤} قال الزمخشري (((غَيْرَ الْحَقِّ) في حكم المصدر ، ومعناه : : يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يُظنَّ به و(ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ) بدل منه ، ويجوز أن يكون المعنى : يظنون بالله ظن الجاهلية

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص ٣٢٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٢-٢٣٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٣٢ ونزهة الأعين ص ١٩٦ .

(٢) زاد المسير ١٩٣/٦ .

و(غَيرَ الْحَقِّ) تأكيد لـ(يَظُنُّونَ)))[1] وهذا يعني أنَّ الزمخشري لم يجعل ظن هنا متعدية إلى ((مفعولين بل تكون الباء ظرفية للظن كقولك : ظننتُ بزيد ، أي : جعلته مكان ظني)) [2] وقال العكبري : ((غير الحق : المفعول الأول ، أي : أمرًا غير الحق ، و(بِاللَّهِ) الثاني))[3] فعلى هذا الإعراب يكون (((يَظُنُّونَ) له مفعولان)) [4] والحقيقة أنَّ الظن لا يعني التهمة في كلا الإعرابين لورود قوله تعالى : (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا){النور : ١٢} لأنَّه إذا جعلنا الظن متعديًا إلى مفعول واحد في آل عمران ، فهو كذلك متعد إلى مفعول واحد في آية النور ، أي : كما جاز أن نقول : ظننتُ بزيد سوءًا ، جاز أن نقول : ظننتُ بزيد خيرًا ، وإذا جعلنا الظن متعديًا إلى مفعول واحد ، في المثال الأول ، فهو كذلك متعد إلى مفعول واحد في المثال الثاني .

وكذلك جُعِلهم الظن في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) بمعنى التهمة ، وهذا الوجه في هذا الشاهد كما أجمع عليه أهل الوجوه ، أجمع عليه أهل اللغة والتفسير والقراءات .

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة (بِضَنِينٍ) بالضاد ، والضن البخل والمعنى : ليس ببخيل عليكم بعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم ، أي : لا يكتمه

---

(١) الكشاف ٤١٩/١-٤٢٠ .

(٢) الدر المصون ٤٤٧/٣-٤٤٨.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٠/١.

(٤) الدر المصون ٤٤٧/٣.

كما يكتم الكاهن ليأخذ الأجر عليه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بِظَنِينٍ) بالظاء ، والمعنى : ما هو بمَتَّهَم على ما يخبر به عن الله[١]

وعلى الرغم من هذا الإجماع فالمراد من الظن في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) الظن بعينه ، فـ((ظنين٠٠٠أصله مظنون وصُرِف عن مفعول إلى فعيل ، كما قالوا : مطبوخ وطبيخ)) [٢] أي : أنَّ الظنين على وزن فعيل بمعنى اسم المفعول ، ولإفادته معنى التهمة قالوا : ((الظنين : الذي تُظَنُّ به التهمة))[٣] والتهمة : نائب فاعل للفعل تُظَنُ المبني للمجهول ، وقالوا : ((الظنين : القليل الخير ، وقيل : هو الذي تسأله وتَظُنُّ به المنع)) [٤]((والظنين : الذي تسأله وتَظُنُّ به المنع ؛ فيكون كما ظننتَ)) [٥] أي : يمكن أن نجعل (بِظَنِينٍ) في الآية بمعنى التهمة على تقدير : الذي تُظَنُّ به التهمةُ ، أو على تقدير : الذي تَظُنُّ به التهمةَ ، فتكون التهمة نائب فاعل على التقدير الأول ، أو مفعولاً به على التقدير الثاني .

إذا جاز أن نسميَ الظنين باسم معنى نائب فاعله ، أو مفعوله ، لأصبح بالإمكان أن نعدد وجوهه بقدر تعدد معاني الاسم المسند إليه ، فجاز

---

(١) ينظر : معاني لقرآن للفراء ١٣١/٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ص ٣٠٦ ، وجامع البيان للطبري ١٠٢/٣٠-١٠٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٧/٥ ، والأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٢٠-٢١ ، ومعاني القراءات للأزهري ص ٥٣١ ، والحجة في علل القراءات لأبي علي النحوي ٥٢٣/٤ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي ٣٦٤/٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٢١٢/٨ .

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٢٠-٢١ .

(٣) لسان العرب ١٩٧/٩.

(٤) لسان العرب ١٩٨/٩.

(٥) تاج العروس ١٨٧/٣٥ .

مثلاً أن نجعل الظنين في الآية بمعنى الساحر ، على تقدير : الذي يُظَنُّ به السحرُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بساحر ، وبمعنى البخيل على تقدير : الذي يُظَنُّ به البخلُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب ببخيل ، وبمعنى الكاذب على تقدير : الذي يُظَنُّ به الكذبُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بكاذب ، وبمعنى الضعيف على تقدير : الذي يُظَنُّ به الضعفُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بضعيف ، وكذلك جاز أن نجعل الظنين بمعنى المُتَّهَم على تقدير : الذي يُظَنُّ به التهمةُ ، وما أنت على الغيب بمُتَّهَم ، جازت هذه المعاني جميعها ، إلّا أنَّ أيًّا منها ليس هو معنى الظن في الظنين ، بل هو معنى الشي الذي يُظَنُّ بوجوده في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لذا فالظنين في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أُريد به الظن بعينه ، وهو كذلك في كل مواضع وروده في القرآن الكريم ، فهو ليس من الأضداد ، ولا من الألفاظ المشتركة .

العلم والمعرفة : إنَّ أهل الوجوه لم يكن همهم بيان بلاغة القرآن بذكر الفرق بين المترادفات التي جعلوها وجوهًا ، وكذلك النحاة في باب التضمين ، فالنحاة عندما ضمنوا عَلِمَ معنى عَرَف هل سألوا أنفسهم ، ما أثر هذا التضمين على الدلالة الحقيقية والمقصودة في اللفظ القرآني؟ فلا أصحاب كتب الوجوه ولا النحاة كان همهم أن يسألوا أنفسهم مثل هذه الأسئلة ، بل كان همهم جميعًا اختلاق الوجوه ، أو حل إشكالات مختلقة ، ولو كان على حساب الحقيقة .

وتبيَّن كما رأيت أنَّ النحاة عمدوا إلى تحريف دلالة أفعال ظنَّ وأخواتها من أجل أن لا يكسروا قاعدة لغوية هي من اختلاقهم ، وهذا التحريف سيشمل القرآن الكريم ؛ لورود هذه الأفعال فيه في مواضع كثيرة ، فقد ضمنوا العلم معنى المعرفة ، مع أنَّ المعرفة ضد الإنكار ، والعلم نقيض

الجهل[1] قال الراغب : ((المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضادُّه الإنكار ، ويقال : فلان يعرف اللهَ ، ولا يقال : يعلم اللهَ ، متعديًا إلى مفعول واحد ؛ لمَّا كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آياته دون إدراك ذاته ، ويقال : اللهُ يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لمَّا كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكُّر ، قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ){البقرة : ٨٩} وقال الله تعالى : (وَلَوْ نَشَاء لأرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ){محمد : ٣٠} وقال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٤٦) ويضاد المعرفة : الإنكار ، والعلم : الجهل ، قال تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ){النحل : ٨٣}))[2] .

وقال الفيروزآبادي : ((المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحواله...أنَّك إذا قلتَ : علمتُ زيدًا ، لم تفد المخاطب شيئًا ، لأنَّه ينتظر أن تخبره على أيِّ حال علمته ، فإذا قلتَ : كريمًا أو شجاعًا حصلت له الفائدة ، وإذا قلتَ : عرفت زيدًا ، استفادَ المخاطَب أنَّك أثبته وميَّزته من غيره ، ولم يبق ينتظر شيئًا آخر)) [3]

وصفوة الكلام في الفرق بين العلم والمعرفة : أنَّ المراد بالعلم علم حقائق الأشياء وصفاتها وأحوالها ، والمراد بالمعرفة معرفة ذوات الأشياء والظاهر منها ، والنحاة كما تبيَّن أجمعوا على أنَّ (عَلِمَ) يكون بمعنى العلم بعينه إذا جاء على أصله متعديًا إلى مفعولين ، ولا يجي متعديًا إلى مفعول

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٩٦ ، ٦٥٨-٦٥٩ .

(٢) المفردات ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩-٥١.

واحد إلّا بتضمينه معنى (عَرَفَ) ، لذلك قال الطبري في قوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ){الأنفال : ٦٠} ((فاكتفى للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع لأنَّه أُريد : لا تعرفونهم)) (١) ولذلك أيضًا قال الأخفش : ((وأمَّا قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ){البقرة : ٦٥} يقول : ولقد عرفتم ، كما تقول : لقد علمتُ زيدًا ولم أكن أعلمه ، وقال : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) أي : لا تعرفهم نحن نعرفهم ، وإذا أردت العلم الآخر ، فلتَ : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ؛ لأنَّك تحدث عن ظرفه ، فلو قلتُ : قد علمتُ زيدًا ، لم يكن كلامًا)) (٢) واستنادًا إلى هذا التضمين أُعرِب مثلاً (مشربهم) في قوله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ){البقرة : ٦٠} بأنَّه ((مفعول لـ(علم) بمعنى عَرَفَ)) (٣)

هذا ما أجمع عليه النحاة ، ولي على هذا الإجماع ملاحظاتي الآتية :

١-أفاد قول الأخفش أنَّ قولنا : قد علمتُ زيدًا ، يكون مفيدًا إذا جعلناعلم بمعنى عرف ؛ لأنَّه يكون بمعنى : عرفتُ زيدًا ؛ لأنَّ المراد من المعرفة معرفة ذات زيد ، وقد تم الكلام بمعرفة هذه الذات ، ولا يكون مفيدًا ، إذا أبقينا علم على معناها ، ولم نضمنها معنى المعرفة ؛ لأنَّ العلم لا يعني معرفة الذات ، بل معرفة ما تتصف به الذات ؛ لذا لا يكون الكلام مفيدًا إلّا بعد ذكر الصفة ، وقولنا مثلاً : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ، كما مثَّل الأخفش ، وليس الأمر كما قال ، فالفرق المذكور بين العلم والمعرفة قائم على كل حال

(١) جامع البيان ٤٠/١٠.

(٢) معاني القرآن ص ٨٢.

(٣) الدر المصون ٣٨٧/١.

، فقولنا : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ، أفاد معرفة صفة معينة من صفات زيد ، لكن إذا أردتُ معرفة كل صفاته وأحواله السرية والعلنية ، ولم أُقيد علمي بصفة معينة من صفاته ، أطلقتُ هذا العلم بحذف هذا القيد ، وقلتُ : علمتُ زيدًا ، بمعنى : أنَّني علمتُ حقيقته التي هو عليها كما هي ، لذا صح أن تقول : كنتُ أعرف زيدًا من قبل ، لكني ما كنتُ أعلمه ، وقد علمتُه الآن ، وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فليس المعنى ، ولقد عرفتم ، قال الدكتور فاضل السامرائي : ((فليس معناه : عرفتم ، لأنَّهم لا يعرفونهم ، وبينهم القرون المتطاولة ، ولكن معناه : أنَّكم علمتم أمرهم وحالهم))[1] وقوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) فالآية ليست بمعنى : لا تعرفونهم الله يعرفهم ؛ لأنَّ المراد في آية الأنفال ونحوها معنى العلم لا معنى المعرفة ، قال ابن كثير : روي ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) قال هم الجنُّ ...وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه ، وقال مقاتل بن حبان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المنافقون ، وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ){التوبة : ١٠١}))[2]

لا يصح إذن هنا أن يكون المقصود من العلم معنى المعرفة ، لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون المنافقين ، بل كانوا يرونهم ويجالسونهم ويتعاملون معهم ، لكنهم ما كانوا يعلمون حقيقتهم ، أنَّهم منافقون

---

(١) معاني النحو ٩/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٨/٤.

، وأنَّهم سرًّا يكيدون لهم وللإسلام ، وهذا هو المعنى المراد من آية الأنفال وآية التوبة ، فجعل العلم فيهما بمعنى المعرفة يُعدُّ تحريفًا صريحًا للتفسير ولدلالة اللفظ القرآني في هاتين الآيتين ونحوهما ، فكيف تسنى لأساطين اللغة والتفسير كالأخفش والطبري السقوط في هذا المأخذ الكبير ، إنَّه القول بالتضمين .

٢-أما سأل النحاة أنفسهم كم مرة ورد (عَلِمَ) متعديًا إلى مفعولين؟! إنَّه لم يرد على هذا الأصل كما زعموا إلّا في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ){الممتحنة : ١٠} لذلك لم أجد النحاة يستشهدون في هذا الباب إلّا بهذه الآية ، أمَّا وروده متعديًا إلى مفعول واحد فهو الشائع في القرآن الكريم ، كقوله تعال : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ){البقرة : ٦٥} وقوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤}

فكيف تسنَى لهم أن يضمنوا ما شاع من العلم معنى المعرفة؟! ألا يعني هذا أنَّهم أشاعوا تحريف دلالة هذا اللفظ القرآني؟!

٣-هناك قضية أخطر مما ذُكر هي أنَّ النحاة والمفسرين نسبوا إلى الله جل وعلا العلم القاصر عندما جعلوا العلم بمعنى المعرفة ؛ لأنَّه كما تقدَّم أنّ ((المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضادُّه الإنكار ، ويقال : فلان يعرف اللهَ ، ولا يقال : يعلم اللهَ ، متعديًا إلى مفعول واحد ؛ لمَّا كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آياته دون إدراك ذاته ، ويقال : اللهُ يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لمَّا كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكُّر))[1] فكيف إذن تستى لأساطين النحو والتفسير أن ينسبوا هذا العلم القاصر إلى الله سبحانه؟! إذ قد شاع في

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٤٢-٣٤٣.

القرآن الكريم إسناد العلم المتعدي إلى مفعول واحد إلى الله عز وجل كقوله تعالى : (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ){البقرة : ١٩٧} وقوله تعالى : (وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ){الأنعام : ٣} وقوله تعالى : (قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٣٠} وقوله تعالى : (لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ){التوبة : ١٠١} وقوله تعالى : (لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ){الأنفال : ٦١} ونحو هذا كثير في القرآن الكريم

٤–أعيد في هذا المقام لبطلان ما سبق ذكره السؤال الآتي : إذا كان العلم المتعدي إلى مفعول واحد في القرآن الكريم هو بمعنى المعرفة ، والظن بمعنى التهمة ، فلماذا إذن لم يستعمل لفظ المعرفة والتهمة للتعبير عن هذين المعنيين ؟ أي : لماذا عبَّر عن المعرفة بلفظ العلم وعن التهمة بلفظ الظن ؟ لا يستطيع أهل اللغة والنحو والتفسير من ألفهم إلى يائهم الإجابة عن هذا السؤال إلّا بأحد أمرين ، فإمَّا أن يجيبوا أنَّ من الأنسب والأبلغ والأفصح والأحق أن يُعَبَّر عن المعنى بلفظه ، إلّا أنَّ القرآن الكريم ألحن فعبَّر عن المعنى بغير لفظه ووضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يدعيه ؛ لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وإمَّا أن يجيبوا أنَّ هناك فرقًا في المعنى بين العلم المتعدي إلى مفعول واحد والمعرفة ، وبين الظن المتعدي إلى مفعول واحد والتهمة ، وأنَّ القرآن استعمل لفظ العلم ؛ لأنَّه أراد معنى العلم ، ولم يستعمل لفظ المعرفة لأنَّه ما أراد معنى المعرفة ، واستعمل لفظ الظن ؛ لأنَّه أراد معنى الظن ، ولم يستعمل لفظ التهمة ؛ لأنَّه ما أراد معنى التهمة ، وعندئذ تبطل فكرة التضمين المذكور في هذين اللفظين وغيرهما .

وهذا هو عين ما حصل في كل تضمين قيل به من دون استثناء في كتب اللغة ، وفي كل وجه ذكره أهل الوجوه إلاَّ ما ندر ، وفي أغلب معاني الحروف التي ذكرها النحاة في كتب حروف المعاني .

١٨٥-**الحرب** : قال مقاتل : ((تفسير الحرب على وجهين ، فوجه منهما ، الحرب يعني الكفر ، فذلك قوله في البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ){البقرة : ٢٧٨-٢٧٩} يعني بالحرب الكفر ، وقال في المائدة : (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ){المائدة : ٣٣}

والثاني : الحرب يعني القتال)) وما قاله مقاتل قاله مقلداه هرون والدامغاني[(١)]

الحرب في الوجه الثاني يعنى الحرب بعينه ، والقتال معنى مرادف له ، أمَّا استعمال لفظ (الحرب) في الوجه الأول ، فهو جائز في الشاهد الثاني على سبيل التشبيه ، جاء في زاد المسير لابن الجوزي : ((إنَّه سماهم محاربين تشبيهًا بالمحاربين حقيقة ؛ لأنَّ المخالف محارب ، وإن لم يحارب)) [(٢)] والمعنى : إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله بمعصية الله ورسوله ؛ لأنَّ حرب من نريد أن نحاربهم لا يكون بالسلاح فحسب ، بل يكون بالكلام ، ومخالفة أوامرهم وغيره ، أمَّا جعل الحرب في الشاهد الأول بمعنى الكفر فهو وجه غريب وشاذ ؛ لذلك لم أجده في كتب التفسير ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ) : ((فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع وإلاَّ ضُرِب)) [(٣)] وقال الواحدي : ((والمعنى : فإن لم تضعوا الربا الذي قد أمر الله بوضعه عن الناس ، فاعلموا بحرب من الله ورسوله ، وهي القتل في

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٨وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٦ .

(٢) ٢/٢٠٤ .

(٣) جامع البيان ٣/١٢٨-١٢٩.

الدنيا ، والنار في الآخرة ، أي : فأيقنوا أنَّكم تستحقون القتل والعقوبة ؛ لمخالفة أمر الله ورسوله)) [١] وقال البيضاوي : ((وتنكير (حرب) للتعظيم ، وذلك يقتضي أن يُقاتَلَ المُرْبي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله ، كالباغي ولا يقضي كفره)) [٢]

فالحرب في شواهد هذين الوجهين وأينما ورد في القرآن الكريم يعني الحرب بعينه ولا أوجه .

١٨٦-**الفسق** : ذكر مقاتل والدامغاني أنَّ الفسق جاء في القرآن الكريم على ستة أوجه هي :

١-الفسق : المعصية ، وهو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٢-الفسق : المعصية لله في الشرك وترك التوحيد .

٣-الفسق : المعصية في الدين من غير شرك ولا كفر .

٤-االفسق : الكذب من غير كفر .

٥-الفسق : الإثم في غير كفر .

٦-الفسق : السيئات ، أو السب [٣]

هذه الأمور الستة تدخل جميعها في معنى الفسق ؛ لأنَّ معني ((الفسق : الخروج عن الطاعة)) [٤]((والدين)) [٥]والفسق اسم جنس وقد

---

(١) الوسيط ٣٩٧/١ .

(٢) أنوار التنزيل ١٦٣/١ .

(٣) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٨-٣٣٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٩-١٦٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٨ ونزهة الأعين ص ٢١٦-٢١٧ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٣٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٠/٨.

تعددت وجوهه لدراسته دراسة مقلوبة ، فالقرآن لم يسم الفسق بهذه الأمور كما فعل أهل الوجوه ، وإنَّما سمَّى كُلًّا منها بالفسق ، فهي جميعًا وجه واحد .

ما أضافه هرون : اشتمل كتاب الوجوه والنظائر لهرون بن موسى على جميع الألفاظ التي اشتمل عليها كتاب الأشباه لمقاتل باستثناء لفظ الفسق ، وقد نقلها منه نقلاً نصًّا أو بتصرف قليل من دون أن ينسبها إليه ، وأضاف إليها الألفاظ الآتية :

١٨٧-**الاعتداء** : الاعتداء : تجاوز الحد ، والميل عن الحق[١]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الاعتداء جاء في القرآن الكريم على وجهين :

١-الاعتداء الذي يتعدى ما أمر الله سبحانه كما قال هرون والدامغاني ، أو التجاوز كما قال العسكري .

٢-الاعتداء بعينه كما قال هرون والدامغاني ، أو الظلم كما قال العسكري [٢]

أهذان وجهان للاعتداء أم هما الاعتداء بعينه ؟

١٨٨-**الإمام** : قال الخليل : ((كل من اقتُدِي به ، وقُدِّم في الأمور، فهو إمام ، والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأمة ، والخليفة إمام الرعية ، والقرآن إمام المسلمين٠٠٠والإمام : الطريق قال تعالى : (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ){الحجر : ٧٩})) [٣]

وقال ابن قتيبة : ((الإمام : أصله ما ائتممتَ به٠٠٠ثم يجعل الكتاب إمامًا ، يؤتمُّ بما أحصاه ، قال الله تعالى : (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

---

(١) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧-٢٨والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٠٩.

(٣) العين ص ٣٩-٤٠.

إِمَامٍ مُبِينٍ){يس : ١٢} يعني كتابًا ، أو يعني اللوح المحفوظ ، وقد يُجعل الطريق إمامًا ؛ لأنَّ المسافر يأتمُّ به ويستدل ، قال الله تعالى : (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) أي : بطريق واضح)) [١]

وقال العسكري : ((الإمام : أصله القصد ، وسُمِّي الإمام إمامًا ؛ لأنَّك تقصد قصده في أفعاله ، وقيل للخليفة إمام ؛ لأنَّه يُقصَد ، ولأنَّه يتقدَّم فتتبع أثره ، والطريق إمام ؛ لأنَّه يُقصَد)) [٢]

وذكر هرون ومقلدوه أنَّ الإمام جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : القائد ، والكتاب ، واللوح المحفوظ ، والتوراة ، والطريق الواضح كقوله تعالى : (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) [٣]

الإمام اسم جنس وقد اختلق هرون ومقلدوه له هذه الأوجه ؛ لدراستهم إياه دراسة معكوسة ؛ إذ القرآن الكريم لم يسمِّ الإمام بالقائد ، والكتاب ، واللوح المحفوظ ، والتوراة ، والطريق ، بل سمَّى كُلًّا منها إمامًا ووصفها به ، فهي جميعًا وجه واحد ، فالمراد من الإمام أينما ورد في القرآن الكريم الإمام بعينه ، ولا وجوه له فيه .

١٨٩–**الأمّة** : قال الخليل : ((الأمة٠٠٠دين واحد وكل من كان على دين واحد مخالفًا لسائر الأديان، وكان إبراهيم عليه السلام أُمَّة ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : يُبعَث يوم القيامة زيد بن عمرو أُمَّة على حدة ، وذلك أنَّه تبرأ من أديان المشركين ، وآمن بالله قبل مبعث النبي

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٤–٢٥٥.

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٧ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٥ والوجوه وانظائر للعسكري ص ١٧–١٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص٩٩–١٠٠ونزهة الأعين ص ٣٥–٣٦ ومنتخب قرة العيون ص ٥٠.

عليه الصلاة والسلام ، وكان لا يدري كيف الدين ، وكان يقول : اللهم إني أعبدك وأبرأ إليك من كل ما عُبِد من دونك ولا أعلم الذي يرضيك عني فأفعله ، حتى مات ، وكل قوم نُسبوا إلى نبي ، وأضيفوا إليه فهم أُمَّة ، وقد يجيء في بعض الكلام أنَّ أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم هم المسلمون خاصة ، وجاء في بعض الحديث أنَّ أُمَّته من أُرسِل إليه ممن آمن به أو كفر به فهم أُمَّته في اسم الأُمَّة لا في الملَّة ، وكل جيل من الناس هم أُمَّة على حدة ، وكل جنس من السباع أُمَّة ، كما جاء في الحديث : لولا أنَّ الكلاب أُمَّة لأمرتُ بقتلها ، فاقتلوا منها كل أسود بهيم)) [١] وقال ابن قتيبة : ((أصل الأُمَّة : الصنف من الناس والجماعة٠٠٠وكل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله ، وطلب الغذاء ، وتوقي المهالك ، والتماس الذَّرء٠٠٠ثم تصير الأُمَّة : الحين ، كقوله تعالى : (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ){يوسف : ٤٥} كأنَّ الأُمَّة من الناس القرن ينقرضون في حين ، فتقام الأُمَّة مقام الحين ، ثم تصير الأُمَّة : الإمام والرباني كقوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ){النحل : ١٢٠} أي : إمامًا يقتدي به الناس ؛ لأنَّه ومن اتبعه أُمَّة ، فسمي أُمَّة ؛ لأنَّه سبب الاجتماع ، وقد يجوز أنَّه سُمِّي أُمَّة ؛ لأنَّه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أُمَّة ، ومن هذا يقال : فلان أُمَّة وحده ، أي : هو يقوم مقام أُمَّة ، وقد تكون الأمَّة جماعة العلماء كقوله تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){آل عمران : ١٠٤} أي : يعلمون ، والأُمَّة : الدين قال تعالى : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ){الزخرف : ٢٢ ، ٢٣} أي : على دين٠٠٠والأصل أنَّه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أُمَّة ، فتقام الأُمَّة مقام الدين ؛ ولهذا قيل للمسلمين

---

(١) العين ص ٣٩ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ١٦ .

أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم لأنَّهم على أمر واحد ، قال تعالى : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ){المؤمنون : ٥٢} وقال الله تعالى : (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً){النحل : ٩٣} أي : مجتمعة على الإسلام)) (١)

وقال العسكري : ((الأُمَّة : راجعة إلى القصد ، وهي الجماعة٠٠٠ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع ، فقيل للرجل أُمَّة ؛ لأنَّه يسد مسدَّ الجماعة ، والإمام إمام لاجتماع القوم عليه ، والأمُّ لجمعها أمر الولد ، والأمَّة : الدهر ؛ لأنَّها جماعة شهور وأعوام ، وهو قوله تعالى : (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ){يوسف : ٤٥}٠٠٠وأمَّه إذا قصد الاجتماع معه ، وفلان حسن الأُمَّة ؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء)) (٢)

وذكر أهل الوجوه أنَّ الأُمَّة وردت في القرآن الكريم على الوجوه الآتية : العصبة ، والملَّة ، وسنين ، والقوم ، والإمام ، والأُمم الخالية ، وأُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، المؤمنون به خاصَّة ، وأمَّته الكفار منهم خاصَّة ، وأمَّة كل رسول ، وأُمم البهائم والطير ، والصنف من الناس ، والجماعة ، والحين ، والرجل العظيم (٣)

أهذه وجوه للأُمَّه أم هي الأُمَّة بعينها؟! قال العسكري : ((وسُمِّيت الملَّة أُمَّة٠٠٠لأنَّها تُقصَد وتُتَّبع٠٠٠وسُمِّي الحين أُمَّة ؛ لأنَّه جماعة أوقات وشهور٠٠٠وقيل الأُمَّة : الرجل العظيم ، وسُمِّي بذلك ؛ لأنَّه يُؤمُّ في الحوائج

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٨-٢٤٩ وينظر : مقاييس اللغة ص ١٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٩-٢٠.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٥-٤٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٩-٢٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٠-١٠١ونزهة الأعين ص ٤٤-٤٥ ومنتخب قرة العيون ص ٥٦.

، أي : يُقصَد)) [1] فتأمَّل قول العسكري : ((وسُمِّيت الملَّة أُمَّة٠٠٠وسُمِّي الحين أُمَّة٠٠٠وسُمِّي بذلك)) أي : سُمّي الرجل العظيم بالأمَّة ، فالعسكري نفسه صرَّح بأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الأُمَّة بالملَّة ، بل سمَّى الملَّة بالأُمَّة ، ولم يُسمِّ الأُمَّة بالحين ، بل سمَّى الحين بالأُمَّة ، ولم يُسمِّ الأُمَّة بالرجل العظيم بل سمَّى الرجل العظيم بالأُمَّة ، وهذا عين ما حصل في باقي الوجوه ، هذه هي الحقيقة ؛ ذلك أنَّ الأُمَّة اسم جنس ، واسم الجنس يكون صفة لما يقع تحت معناه ، وليس ما يقع تحته يكون صفة له ؛ لذا أقول ما قلته في أوجه اللفظ السابق بأنَّ هرون ومقلديه قد اختلقوا للأُمَّة الوجوه المذكورة ؛ لدراستهم إياها دراسة معكوسة ؛ إذ القرآن الكريم لم يسمِّ الأُمَّة بهذه الوجوه ، كما فعلوا ، بل سمَّى كُلًّا منها أُمَّة ووصفها بها ، فهى جميعًا وجه واحد ، فالمراد من الأمَّة اينما جاءت في القرآن الكريم الأُمَّة بعينها ، ولا وجوه لها فيه .

١٩٠-**أنشأ** : قال ابن فارس : ((النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسمو ، ونشأ السحاب ارتفع ، وأنشأه الله رفعه ومنه : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا){المزمل : ٦} يراد بها القيام والانتصاب ، والله أعلم)) [2]

وذكر أهل الوجوه أنَّ النشوء جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الخلق ، والشبُّ ، كما قال هرون والدامغاني ، أو النبات كما قال العسكري ، والقيام كقوله تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)[3]

---

(١)الوجوه والنظائر ص ٢١-٢٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٩٩ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٤والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٢٣-٣٢٤والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٩ .

والخلق والشب والقيام والنبات بمعنى الإنبات معان مرادفة للنشوء ولا أوجه .

١٩١-إن : قال هرون : ((تفسير (إن) على ستة وجوه : فوجه منها (إن) يعني (إذ) قذلك قوله تعالى في البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){البقرة : ٢٧٨} يعني : إذ كنتم مؤمنين : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){آل عمران : ١٣٩} يعني : إذ كنتم مؤمنين٠٠٠

الوجه الثاني : (إن) يعني (ما) فذلك قوله في٠٠٠ الزخرف : (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ){الزخرف : ٨١}

الوجه الثالث : (إن) يعني (لقد) فذلك قوله تعالى في بني إسرائيل : (إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً){الإسراء : ١٠٨}

الوجه الرابع : (إن) يعني (لئلا) فذلك قوله في سورة النساء : (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ){النساء : ١٧٦} يقول : لئلا تضلوا

الوجه الخامس : (أن) يعني (بأن) فذلك قوله تعالى في الزخرف : (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ){الزخرف : ٥} يعني : أن كنتم

الوجه السادس : (إن) بعينه فذلك قوله عز وجل٠٠٠(إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ){التوبة : ١١٦} ونحوه كثير ما كان أوله مشددًا في أول الكلام))(١)

وقال الدامغاني : ((تفسير (إن) على ستة وجوه : فوجه منها (إن) يعني (إذ) قوله تعالى في سورة البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){البقرة : ٢٧٨} يعني : إذ كنتم : وكقوله تعالى

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٦٢-٦٣ .

في سورة آل عمران (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){آل عمران : ١٣٩} يعني : إذ كنتم ٠٠٠

الوجه الثاني : (إن) يعني (ما) قوله تعالى في سورة٠٠٠ الزخرف : (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ){الزخرف : ٨١}

الوجه الثالث : (إن) يعني (لقد) قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً){الإسراء : ١٠٨}

الوجه الرابع : (أن) يعني (لئلا) قوله تعالى في سورة النساء : (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ){النساء : ١٧٦} يعني : لئلا تضلوا

الوجه الخامس : (أن) يعني (بأن) قوله تعالى في سورة الزخرف : (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ){الزخرف : ٥} يعني بأن كنتم

الوجه السادس : (إن) بعينه قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ){التوبة : ١١٦} ونحو هذا ما كان مشددًا ، وكان أول الكلام))[(١)]

هذا نص ما قاله الدامغاني ، وذاك نص ما قاله هرون ، ألا ترى أنَّ الدامغاني نقل قول هرون نقلاً ، حتى إنِّي لما أردت نقل نص ما قاله الدامغاني لم أعد كتابته ، بل أعدتُ استنساخه ، ثم غيَّرتُ بعض الألفاظ التي تُعَدُّ مما تصرف فيها الدامغاني ، وهذا عين ما فعله هرون بأشباه مقاتل ، ثمَّ تأمَّل الأوجه الثلاثة الأخيرة ، فقد جعلا (إن) المكسورة الهمزة الساكنة النون بمعنى من معاني (أن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون في الوجهين الرابع والخامس ، فأين المكسورة من المفتوحة ؟! إذ لكل منهما معانيها واستعمالاتها وأحكامها يكفي لبيان هذا الخلط الكبير بينهما من لدنهما أنِّي

(١) الوجوه والنظائر ص ٩٥-٩٦.

تكلمتُ على معنى واحد من معاني (أن) المفتوحة في أربعين صفحة [١]، وعلى معنى واحد من معاني (إن) المكسورة في سبعين صفحة[٢]

وكذلك يقال الكلام نفسه في الوجه السادس الذي جعلا فيه (إن) المخففة النون بمعنى (إنَّ) المشددة النون ، وبلغت درجة تقليد الدامغاني لهرون إلى حد أن يقلِّده في نسيان معنى مهمٍّ من معاني (إن) ، وهو الشرط .

ولا يصح أن نجعل (إن) بمعنى (ما) كما جاء في الوجه الثاني ؛ لأنَّ (ما) نفسها لها عدة أوجه ، فأي وجه من أوجهها نريد ؟ وكذلك لا يصح أن نجعلها بمعنى (ما) النافية ، وإن كان هذا هو المراد ، لأنَّه يدخل حينئذ في باب التضمين ، ولا تضمين في كتاب الله ، بل الصحيح أن نجعلها بمعنى النفي .

ولم يتطرق العسكري إلى (إن) وتطرق إليها ابن الجوزي ، وجعلها على أربعة أوجه : بمعنى الشرط ، وبمعنى (ما) وبمعنى (لقد) وبمعنى (إذ) مستشهدًا بما استشهد به هرون والدامغاني[٣] و(إن) التي جُعِلَتْ بمعنى لقد في الوجه الثالث كقوله تعالى : (إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) هي في الحقيقة (إن) المخففة من الثقيلة كما سُمِّيتْ عند النحاة ، والغرض من مجيئها التوكيد ، ينظر في ذلك كتابي المذكور : دراسات في النحو القرآني ، أمَّا جعلها بمعنى (إذ) كما جاء في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) وقوله تعالى : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) فغير صحيح ، إذ الحرف لا يطابق معناه إلّا الحرف نفسه ،

---

(١) ينظر كتابي : دراسات في النحو العربي ص ٩٢-١٣٢ .

(٢) ينظر كتابي : دراسات في النحو العربي ص ١٣٣-٢٠٣ .

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٣٧-٣٨ ومنتخب قرة العيون ص ٥٢-٥٣.

وقد قيل به عجزًا وتكاسلاً عن البحث ، وقد سبق أن ذكرت أنَّه إذا بدا إشكال معنوي لحرف وهو في تركيب قرآني أن لا نحل هذا الإشكال بتضمينه معنى حرف آخر ، لأنَّه يكون حتمًا متأتِّيًا من قصور إدراكنا للمعنى المراد ، بل نبقي الحرف على معناه الموضوع له ، والدراسة كفيلة بأن توصلنا إلى حل ، بل إلى معرفة سر من أسرار الإعجاز والبلاغة في كتاب الله ، جاء في كتاب الأزهية للهروي : ((معناه عند بعضهم : إذ كنتم مؤمنين ؛ لأنَّ الخطاب للمؤمنين ، ولو كانت (إن) للجزاء لوجب أنَّ الخطاب لغير المؤمنين ، وقال بعضهم : (إن) فيها للجزاء ، كأنَّه قال : من كان مؤمنًا ترك الرباء ، ومن كان مؤمنًا لم يخش إلّا الله))[1] وقال المرادي : ((ومذهب المحققين أنَّ (إن) في هذه المواضع كلها شرطية ، وأجابوا عن دخولها في هذه المواطن : ولم يثبت في اللغة أنَّ (إن) بمعنى (إذ) ، وأمَّا قوله تعالى : (إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) فقيل : (إن) فيه شرط محض ؛ لأنَّها أُنزلت في ثقيف ، وكان أول دخولهم في الإسلام ، وإن قدرنا الآية فيمن تقرر إيمانه ، فهو شرط مجازي على جهة المبالغة ، كما تقول : إن كنتَ ولدي فأطعني)) [2]

فتكون (إن) من الألفاظ المشتركة ، ولها ثلاثة أوجه هي : الشرطية ، والنفي ، والتوكيد .

١٩٢–أنّى : قال الخليل : ((أنَّى : معناها كيف ومن أين٠٠٠قال :

ومَطْعَم الغُنْمِ يوم الغُنْمِ مَطْعَمُهُ   أنَّى توجَّه والمحروم محروم

أي : أينما توجَّه وكيفما توجَّه))[3]

---

(١) ص ٤٦–٤٧ .

(٢) الجنى الداني ص ٢١٣.

(٣) العين ص ٤٢.

وجاء في لسان العرب : ((أنَّى : كلمة معناها كيف وأين)) [1] وجاء فيه أيضًا : ((قال بعضهم : أنَّى : أداة لها معنيان ، أحدهما أن تكون بمعنى متى ، قال الله تعالى : (قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا){آل عمران : ١٦٥} أي : متى هذا وكيف هذا ؟٠٠٠وتكون أنَّى بمعنى من أين٠٠٠وفي التنزيل العزيز : (قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا) يحتمل وجهين : قلتم من أين هذا ؟ ويكون : قلتم كيف هذا ؟))[2]

وذكر هرون والدامغاني أنَّ أنَّى جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي :

١-أنَّى : بمعنى كيف كقوله تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ){البقرة : ٢٢٣} .

٢-أنَّى : بمعنى من أين كقوله تعالى : (أَنَّى يُؤْفَكُونَ){المائدة ٧٥}

٣-أنَّى آناء يعني الساعات كقوله تعالى : (أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ){آل عمران : ١١٣}[3]

الوجه الثالث الذي جعلاه بمعنى الساعات لا يصح أن يكون وجهًا ؛ لأنَّه كما ترى ليس من أنَّى ، قال الخليل : ((والإنيُ والإنى مقصور : ساعة من ساعات الليل ، والجمع آناء))[4] فهو من صيغة ثانية ، وأضاف ابن الجوزي إلى الوجهين الأول والثاني جعل أنَّى بمعنى متى[5] واقتصر العسكري على الوجهين الأولين ثم قال ما قاله ابن قتيبة : ((والمعنيان متقاربان ، يجوز

---

(١) ١/١٨١.

(٢) ١/١٨٣.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٦٣-٦٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٦-٩٧ .

(٤) العين ص ٤٢.

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٥-٢٦ ومنتخب قرة العيون ٣٨-٣٩.

أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر))[1] وقال ابن الجوزي : ((قال شيخنا علي بن عبيد الله : أنَّى : لفظ زمان يرد في كل مكان ، بحسب ما يقتضيه من زمان وحال ومكان ، فإذا وقع سؤالاً عن زمان كان بمعنى متى ، وإذا كان سؤالاً عن حال ، كان بمعنى كيف ، فإذا كان سؤالاً عن مكان ، كان بمعنى أين)) [2] ولا يصح هذا القول ؛ لأنَّه لو صحَّ لاكتفى بها القرآن الكريم واستغنى بها عن استعمال : متى ، وكيف ، وأين ، والحقيقة أنَّ لـ(أنَّى) دلالة واحدة ، وأنَّها لم تختص لمعنى واحد من معاني هذه المعاني الظروف الثلاثة ، بل هي تجمع بين معانيها في كل موضع ، أو أنَّها تقع عند مفترقها جميعًا ، لذلك جاز أن يكون قوله تعالى : (فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) بمعنى : فأتوا نساءكم في القُبُل كيف شئتم ، ومن أين شئتم ، ومتى شئتم باستثناء الأوقات التي نهى عنها الشرع .

١٩٣-**باؤوا** : أصل البوء : الرجوع ، ومُبَوَّأ الرجل : منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره ، وكثر حتى سُمَّي الإنزال : التبوئة ، والباءة والمَباءة : منزل القوم ، وقد أباءه عليه : ردَّه عليه ، وباء فلان بذنبه : عاد إليه[3]

وذكر أهل الوجوه أن (باؤوا) جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : استوجبوا ، ونزل ، وتوطَّن ، ورجع[4]

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٢.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٥ .

(٣) ينظر : العين ص٩٢ ، ومقاييس اللغة ص ١١٦ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٥.

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٣٨ ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٣ .

وهذه المعاني كما ترى مرادفة لمعنى (باؤوا) وليست أوجهًا لها ، فتدخل في باب التفسير ، فقد جعلوا مثلاً (باؤوا) في الوجه الأول بمعنى استوجبوا ، مستشهدين بقوله تعالى : (فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ){البقرة : ٩٠} وقالوا والمعنى : استوجبوا غضب الله ، ولا يُعدُّ هذا وجهًا ، بل هو تفسير ، لذلك جاز أن تكون بمعنى : استحقوا ، أو رجعوا ، قال الطبري : ((قوله تعالى : (فَبَآؤُواْ) فباؤوا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم)) [١] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : (فَبَآؤُواْ) أي : رجعوا ، وأكثر ما يقال في الشر)) [٢]

١٩٤-**حسنًا** : ((الحسن : ضد القبح ، والمحاسن من الإنسان وغيره : ضد المساوئ)) [٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ (الحسن) جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه : الحق ، والمحتسب ، والجنة ، والعفو ، والبِر [٤]

الحق ، والبِر ، والعفو ، ألفاظ مرادفة للحسن ، وليست أوجهًا له ، والمحتسب : موصوف بالحسن ؛ لأنَّه أريد من يعمل عملاً حسنًا ، وكذلك الجنة ؛ لأنَّ الحسن اسم جنس يوصف به الجنة وغيرها .

١٩٥-**الخزي** : قال الخليل : ((خزي فلان يخزى خِزْيًا ، وهو من السوء))[٥] و((أخزاه الله ، أي : أبعده ومقته ، والاسم : الخزي)) [١]وقال ابن

---

(١) جامع البيان ٤٧٩/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٠٧.

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٣-٤٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٢٦-١٢٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٧٣-١٧٤.

(٥) العين ص ٢٤٤ .

ابن الجوزي : ((روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال : الخزي : الإهانة)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الخزي جاء في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : القتل والجلاء ، والعذاب ، والذل والهوان ، والفضيحة[٣]

الذل والهوان ، والفضيحة ، كما جاءا في الوجهين الثالث والرابع معنيان مرادفان للخزي ، وكذلك الوجهان الأولان لأنَّه ما من قتل وجلاء ، ولا من عذاب لا يصحبه الخزي والذل والهوان ، لذلك قال العسكري عن الوجه الأول : ((ويجوز أن يكون الخزي في هذه الآيات الهوان والذل يلحق العاصين في الدنيا))[٤] وقال عن الوجه الثاني : (((ويجوز أن يكون بمعنى الهوان أيضًا)) [٥]

فالخزي يعني الخزي بعينه أينما ورد في القرآن الكريم ، ولا أوجه له

١٩٦-**الخيانة** : ((الخيانة : التفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه ، ونقيضها : الأمانة)) [٦] وذكر أهل الوجوه أنَّ الخيانة جاءت في القرآن

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٥٥ .

(٢) نزهة الأعين ص ١١٤ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٣٦٠٣٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٥-١٤٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٩٧-١٩٨ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ١٤٥.

(٥) الوجوه والنظائر ص ١٤٥.

(٦) نزهة الأعين ص ١١٨ .

الكريم على خمسة أوجه هي : المعصية في الإسلام أو الذنب في الإسلام ، والخيانة في الأمانة ، ونقض العهد ، والخلاف في الدين ، والزنا[١]

الخيانة في الأمانة هي الخيانة بعينها ، أمَّا باقي الأوجه فقد اختلقها أهل الوجوه للخيانة لدراستهم إياها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الخيانة بالمعصية ، ونقض العهد ، والخلاف في الدين ، والزنا ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، بل سمَّى كلًّا منها بالخيانة ، فهي جميعًا وجه واحد والحقيقة أنَّ المراد من الخيانة أينما وردت في كتاب الله الخيانة بعينها ، ولا وجوه له فيه .

١٩٧-**الخير** : ذكر أهل الوجوه أنَّ لفظ (الخير) ورد في القرآن الكريم على الوجوه الآتية : المنفعة ، والنعمة ، والخير الذي هو ضد الشر ، وخير يعني أفضل ، والمال ، والطعام ، والخيل ، والأجر ، والثواب ، والإيمان ، والإسلام ، والعافية ، والصلاح ، والإصلاح ، والدنيا ، والقوة والقدرة ، والعفة والصيانة ، وحسن الأدب ، والنوافل ، والنصر ، والقرآن ، والطعام ، والهدى ، والبيان[٢]

النعمة ، والمنفعة ، وما كان ضد الشر ، معان مرادفة للخير ، واستشهدوا للخير الذي جعلوه بمعنى أفضل ، بقوله تعالى : (وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ){المؤمنون : ١١٨} وقوله تعالى : (وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ){المائدة : ١١٤} وقوله تعالى : (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ){يوسف : ٨٠}

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٤-٥٥ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٥٥-١٥٦والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٩٩-٢٠٠ ونزهة الأعينص ١١٨ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٢-٥٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٥٣-١٥٥والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٩٦-١٩٧ ونزهة الأعين ص ١٢٠-١٢١ .

وهذا المعنى كما ترى لم يجئ من الخير نفسه ، وإنَّما من مجيئه بمعنى أَخْيَر على وزن (أفعل) ، أي : لمجيئه بمعنى اسم التفضيل ، أمَّا باقي الوجوه فقد اختلقها أهل الوجوه للخير لدراستهم إياها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الخير بهذه الوجوه المذكورة ، كما فعلوا ، بل سمَّى كلًّا منها بالخير ، فهي جميعًا وجه واحد ، والحقيقة أنَّ المراد من الخير أينما وقع في القرآن الكريم الخير بعينه ، ولا وجوه له فيه ، فهو كما عرَّفه العسكري نفسه بقوله : ((الخير : اسم لكل منفعة)) [١] وابن الجوزي بقوله : ((الخير : اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه)) [٢]

١٩٨-**الذكر** : مرَّت دراسة هذا اللفظ في الدراسة النموذجية .

١٩٩-**الرحمة** : قال ابن فارس : ((الراء والحاء والميم : أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة ، يقال من ذلك : رحمه يرحمه : إذا رقَّ له وتعطَّف عليه)) [٣]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الرحمة جاءت في القرآن الكريم على الوجوه الآتية : الرقَّة ، والمغفرة ، والإسلام ، والجنة ، والمطر ، والنبوة ، والعصمة ، والنعمة ، والقرآن ، والنصر، والرزق ، والعافية ، والمودة ، والإيمان ، والمنَّة ، والسعة ، والتوفيق ، وعيسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم [٤]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥٣ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٢٠.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٧٥.

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٣٨-٤٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٦٥-١٦٧والوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٢٤-٢٢٧.

الرقة ، والمغفرة ، مرادفتان للرحمة ، والرحمة اسم جنس كالخير معنيان متقاربان ؛ لذلك جاز أن نجعل وجوه أحدهما مكان الثاني ، فالإسلام ، والإيمان ، والعافية ، والنعمة ، والنصر ، والقرآن ، من وجوه الرحمة هنا ، وقد كانت نفسها من وجوه الخير في اللفظ الأسبق ، وأقول هنا ما قلته في وجوه الألفاظ السابقة ، فقد اختلق أهل الوجوه هذه الوجوه لدراستهم إياها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الرحمة بهذه الوجوه ، كما فعلوا ، بل سمَّى كلًّا منها بالرحمة ، فهي جميعًا وجه واحد ، ولا وجوه لها فيه .

٢٠٠–**الشقاق** : قال ابن فارس : ((الشين والقاف : أصل واحد يدل على انصداع في الشيء ، ثم يُحمل عليه ، ويُشتق منه على معنى الاستعارة٠٠٠ومن الباب : الشقاق : الخلاف)) (١)

وذكر أهل الوجوه أنَّ الشقاق ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الضلال ، والخلاف ، والعداوة(٢)

والضلال ، والخلاف ، والعداوة ، معان مرادفة للشقاق ، وليست أوجهًا له .

٢٠١–**الطهور** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الطهور ورد في القرآن الكريم على الوجوه الآتية : الاغتسال ، والاستنجاء ، والطهور من جميع الأحداث والجنابة ، والطهر من الحيض ، والتنزه عن إتيان الرجال في أدبارهم ، والطهور من الشرك ، والطهور من الذنوب ، والطهارة من الأوثان ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٤٢–٤٤٣ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٧ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢١٧–٢١٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٨٢–٢٨٣ .

والسلامة من سائر المستقذرات ، وطهور القلب من الريبة ، والطهور من الفاحشة والإثم ، والحلال [(١)]

إذا كانت الطهور أو الطهارة ((يدل على نقاء وزوال دنس٠٠٠والتنزه عن الذم وكل قبيح)) [(٢)]كما عرَّفه ابن فارس ، فإنَّ هذه الوجوه جميعها تعني الطهارة بعينها ولا أوجه .

٢٠٢-العدوان : ذكر أهل الوجوه أنَّ العدوان جاء في القرآن الكريم على وجهين هما :

١-السبيل : كقوله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٩٣} والمعنى : فلا سبيل إلاَّ على الظالمين ، وقوله تعالى : (قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ){القصص : ٢٨} أي : فلا سبيل علي .

٢-الظلم الصراح : كقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ){المائدة : ٢}[(٣)]وجعله العسكري على ثلاثة أوجه : العذاب ، والظلم ، والاعتلال والحجة [(٤)]

قال الخليل : ((العُدوان والاعتداء والعداء والعدوى والتعدي : الظلم البراح)) [(١)] وقال ابن فارس : ((العين والراء والحرف المعتل : أصل واحد

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٦٠-٦١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ١٩١-١٩٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣١٨-٣١٩ ونزهة الأعين ص ١٩٣-١٩٤ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٣٩.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٣٦ ونزهة الأعين ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٢٤٤-٢٤٥ .

صحيح ترجع إليه الفروع كلها ، وهو يدل على تجاوز في الشيء ، وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه٠٠٠والعُدوان : الظلم الصراح ، والاعتداء مشتق من العدوان)) [٢] وقال العسكري : ((الاعتداء أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداه جاوزه : إذا جاوز قدره ، وسُمِّي العدو عدوًا ؛ لتجاوزه حد السعي والمشي ، ويجوز أن يكون أصله من الميل٠٠٠وسُمِّي الظلم اعتداءً ؛ لأنَّه ميل عن الحق)) [٣]

فالعُدوان لا يعني الظلم بل ما جاوزه ، ولهذا عرَّفه الخليل بالظلم البراح ، وعرَّفه ابن فارس بالظلم الصراح ، وكذلك لا يعني العذاب بل ما جاوزه ، فهو كما قال ابن فارس : ((يدل على تجاوز في الشيء)) وهذا الشيء يُعرَف من السياق ، فقد جعل العسكري العُدوان بمعنى العذاب في قوله تعالى : (فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) فإذا صح هذا فإنَّه ما أريد به العذاب بل ما جاوزه ، وهذا ما صرَّح به العسكري نفسه فقال : ((ويجوز أن يكون سُمِّي عذاب الآخرة عُدوانًا ؛ لمجاوزته حد العذاب المعهود)) [٤]

وكذلك قوله تعالى : (وَلا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) فليس المراد من العُدوان : الظلم ، كما قال أهل الوجوه : هرون والعسكري والدامغاني وابن الجوزي ، وإنَّما أفاد المجاوزة في الشيء ، وهذا الشيء كما يبدو لي هو الإثم نفسه ، لأنَّ المعنى ، والله أعلم : ولا تعاونوا على الإثم ، ولاعلى ما تعداه وجاوزه أي : الإثم وما أكبر منه .

---

(١) العين ص ٦١١.

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٤٧.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٢٧ .

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٤٤ .

وكذلك قوله تعالى : (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) فليس المراد من العدوان السبيل ، بل المعنى : أنَّه إذا قضيتُ أحد الأجلين ، فلا يُعتدى علَيَّ بأن يُطلَب مني أن أتجاوز مدة أحدهما .

فالعُدوان أُريد به العُدوان بعينه أينما ورد في القرآن الكريم ، ولا وجوه له فيه .

٢٠٣-**العفو** : قال ابن فارس : ((العين والفاء والحرف المعتل : أصلان يدل أحدهما على ترك الشيء ، والآخر على طلبه ، ثم يرجع إليه فروع كثيرة ، لا تتفاوت في المعنى ، فالأول : العفو : عفو الله تعالى عن خلقه ، وذلك تركهم إياهم فلا يعاقبهم فضلًا منه٠٠٠وعفا : درس ، وعفا : كثر٠٠٠فإذا تُرِك ولم يُتعهَّد حتى خفي على مر الدهر فقد عفا ، وإذا تُرِك ولم يُقطَع ، ولم يُجَزّ فقد عفا ، والأصل فيه الترك))[(١)] و((العفو : يقال ويراد به الصفح ، ومنه عفو الله تعالى عن عبده ، ويقال ويراد به زوال الأثر ، يقال : عفت الديار : إذا غطَّى التراب أثرها فخفيت)) [(٢)] فعفا الشيء : يعني دُرِس لتركه ، أو كثُر لتركه أيضًا.

وذكر أهل الوجوه أنَّ العفو ورد في القرآن الكريم على الأوجه الآتية هي : الصفح والمغفرة ، والكثرة ، والفضل من الأموال ، والترك ، والعفو بعينه[(٣)]

جعل العفو يعني العفو بعينه ، يفيد أنَّ باقي الأوجه المنسوبة إليه لا تعني العفو بعينه ، بل هي من مرادفاته .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٠٢ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٩-٦٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٤٥-٢٤٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٣٥-٣٣٦ .

٢٠٤-**الفتنة** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الفتنة جاءت في القرآن الكريم على الوجوه الآتية : التكاليف ، والشرك ، والكفر ، والبلاء ، والعذاب في الدنيا ، والحرق بالنار ، والقتل ، والصد عن دين الله ، والضلال أو الضلالة ، والمعذرة أو الجواب ، والمرض ، والقضاء ، والإثم ، والعقوبة ، والعبرة ، والجنون ، والفتنة بعينها(١)

قال ابن قتيبة : ((الفتنة : الاختبار ، يقال : فتنتُ الذهب في النار : إذا أدخلته إليها لتعلم جودته من رداءته)) (٢) وكذلك يفتتن الله سبحانه وتعالى عباده ويختبرهم ؛ ليعلم مؤمنهم من كافرهم ، وصدقهم من كذبهم بنيران فتن كثيرة منها :

التكاليف التي فرضها الله عليهم ، أيحافظون عليها أم يتهاونون فيها ، وكذلك يفتتنهم بالبلاء ، والعذاب في الدنيا ، والعقوبة ، والجنون ، والمرض ، وما قضاه الله فيهم وقدَّره ، وتعرضهم من لدن الكفرة للقتل ، والحرق بالنار ، ودعوتهم للكفر بالله ، والشرك به ، وصدهم عن دين الله ، فمن تعرَّض لهذه الأمور وصبر ، وبقي ثابتًا على دينه ، فقد نجا ، ومن جزع وارتدَّ فقد افتتن ، ووقع في الفتنة ، فالفتنة : هي الردة التي يقع فيها العبد بعد افتتانه وعدم تجاوزها عند اختباره بها ، كالشرك والكفر والإثم وغضب الله وناره ، لذلك فإنَّ قوله تعالى : (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ){الذاريات : ١٤} معناه ذوقوا نار فتنتكم

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٥-٥٧ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٠-٢٦١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٥-٢٦٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٤-٣٦٥ ونزهة الأعين ص ٢٣٢-٢٢٥ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦٠ وينظر : مقاييس اللغة ص ٧٢٧ ، والوجوه والنظائر للعسكري ٢٦٥ .

وقد اسشهدوا لجعل الفتنة بمعنى المعذرة أو الجواب بقوله تعالى : (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ){الأنعام : ٢٣}

وهذا وجه مختلق كباقي الوجوه ، والدليل على ذلك أن ابن الجوزي الذي عيَّن جعل الفتنة في هذه الآية بمعنى المعذرة في النزهة والمنتخب[١] لم يعيِّنه في الزاد ، بل قال في تفسيره : ((وفي الفتنة : أربعة أقوال : أحدها : أنَّها بمعنى الكلام والقبول٠٠٠والثاني : أنَّها المعذرة٠٠٠والثالث : أنَّها بمعنى البلية٠٠٠والرابع : أنَّها بمعنى الافتتان ، والمعنى : لم تكن عاقبة فتنتهم ، قال الزجاج : ((لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلّا أن تبرَّؤوا منه وانتفوا منه ، ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنسانًا يحب غاويًا ، فإذا وقع في هلكة تبرأ منه ، فتقول له : ما كانت محبتك لفلان إلّا أن انتفيت منه ، وقال : وهذا تأويل لطيف ، لا يعرفه إلّا من عرَف معاني الكلام ، وتصرَّف العرب في ذلك ، وقال ابن الأنباري : والمعنى : أنَّهم افتتنوا بقولهم هذا ؛ إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا))[٢] فليس المراد من الفتنة هنا المعذرة ، بل الفتنة بعينها بالتبرئ منها ، أو الاعتذار عن وقوعهم فيها في الدنيا .

واستشهدوا لجعلها بمعنى العبرة بقوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){يونس : ٨٥} قال ابن الجوزي : ((في قوله تعالى : (لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً) ثلاثة أقوال : أحدها : لا تهلكنا بعذاب على أيدي قوم فرعون ، ولا بعذاب من فبلك ؛ فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حق ما عُذِّبوا ولا سلطنا عليهم ، والثاني : لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، والثالث : لا تسلطهم

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٢٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٩٤.

(٢) زاد المسير ١٤/٣-١٥ وينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٠/٢ .

علينا ؛ فيُفتنون بنا ؛ لظنهم أنَّهم على حق))[١] فالمراد من الفتنة هنا أيضًا الفتنة بعينها.

فالوجوه التي ذكرها أهل الوجوه للفتنة جميعها غير صحيحة ، وهي مع ذلك لو صحت مختلقة عن طريق دراستهم إياها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الفتنة بهذه الوجوه ، كما فعل أهل الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا منها بالفتنة ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ المراد من الفتنة أينما وردت في القرآن الكريم الفتنة بعينها ، ولا وجوه لها فيه .

٢٠٥-فرض : ((الفرض : وجوب الشيء ، ويقال : فرضتُ عليك كذا ، أي : أوجبته)) [٢] ذكر أهل الوجوه أنَّ الفرض ورد في القرآن الكريم على ستة أوجه هي : أوجب أو الإلزام ، وبيَّن أو البيان ، وأنزل أو الإنزال ، وأحلَّ أو الإحلال ، والقسمة ، والفريضة بعينها[٣]

اتفق أهل الوجوه : هرون والعسكري والدامغاني وابن الجوزي على جعل الفرض في الوجه الرابع يعني الفرض بعينه ، مما يُعدَّ تصريحًا منهم على أنَّ باقي الأوجه المنسوبة إليه لا تعني الفرض بعينه ، مما يعني أيضًا أنَّ الفرض ليس من الألفاظ المشتركة .

فأوجب ، مرادف لـ(فرض) وأنزل ، وأحلّ ، من لوازمه ، لأنَّ الفرائض منزلة من عند الله ، والله سبحانه لا يفرض علينا إلاَّ ما أحلَّه لنا ، أمَّا جعل فرض في الوجه الثاني بمعنى بيَّن ، فهو مختلق على قاعدة ذكر

---

(١) زاد المسير ٤/٤١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦١.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥٨-٥٩ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٥٦-٢٥٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٦ ونزهة الأعين ص ٢١٨-٢١٩ ومنتخب قرة العيون ١٨٧-١٨٨ .

ما أفاد وإن خالف المراد ، وقد استشهد أهل الوجوه لهذا الوجه بقوله تعالى : (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا){النور : ١} قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وَفَرَّضْناها) بتشديد الراء ، وقرأ الباقون بتخفيفها ، ((قال أبوعلي : والتثقيل لكثرة ما فيها من فرائض ، والتخفيف يصلح للقليل والكثير)) [١]

والدليل على اختلاق هذا الوجه أنَّ ابن الجوزي الذي قال به وعيَّنه في النزهة والمنتخب[٢] تقليدًا لهرون وأهل الوجوه ، لم يعيِّنه في الزاد بل قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَفَرَضْنَاهَا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد وقرأ٠٠٠نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر٠٠٠بالتخفيف ، قال الزجاج : من قرأ بالتشديد فعلى وجهين ، أحدهما : على معنى التكثير ، أي : إننا فرضنا فيها فروضًا ، والثاني على معنى بيَّنَّا وفصَّلنا ما فيها من الحلال والحرام ، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمناكم العمل بما فُرِض فيها ، وقال غيره : من شدد أراد فصلنا فرائضها ، ومن خفف فمعناه فرضنا ما فيها)) [٣]

ومعنى البيان وإن قيل به في التفسير لا يصح ؛ لأنَّه يحل محل معنى الفرض الظاهر في الآية لفظًا ومعنى ، كما أنَّه معنى محتمل وقول من أقوال ، فكيف يصح أن نجعله وجهًا؟! لأنَّ الوجه يتطلَّب تعيين معناه ، أي : جعله وجهًا يقتضي إلغاء باقي الأقوال.

فأنت ترى أنَّ أهل الوجوه لم يُعنوا بقراءات الآية المتواترة ، ولا بذكر الفرق في المعنى بين قراءة وقراءة ، بل همهم الوحيد اختلاق الوجه من دون الالتفات إلى صحة معناه .

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع ٤/٤٢.

(٢) نزهة الأعين ص ٢١٩ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٨.

(٣) زاد المسير ٥/٣٦٢.

٢٠٦-**الفرقان** : قال العسسكري : ((الفرقان مصدر مثل السكران والكفران والعدوان ، ثم جُعِل اسمًا للقرآن ؛ لأنَّه يفرِّق بين الحق والباطل٠٠٠وبين الحسن والقبيح))[١] فـ((الفرقان : فُعلان من التفريق)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الفرقان جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي :

١-الفرقان : يعني النصر بالتفريق بين الحق والباطل

٢-الفرقان : يعني المخرج في الدين من الشبهة ، وهذا أيضًا يكون بالتفريق بين الحق والباطل .

٣-الفرقان : اسم للقرآن[٣]

الفرقان اسم جنس واسم الجنس يؤتى بلفظه للتعبير عن معناه العام ، وهذا هو الغالب ، إلّا أنَّه قد يجيء أحيانًا صفة لمعنى من المعاني الخاصة ، كوصف القرآن بالفرقان في قوله تعالى : (وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {٣} مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ){آل عمران : ٣٠٤} وقوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا){الفرقان : ١} والفرقان هنا صفة لموصوف محذوف هو القرآن ، فالفرقان ليس اسمًا له ، بل هو صفة له ، والدليل على ذلك وصف غير القرآن به ، فقد وُصِف به التوراة في قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){البقرة : ٥٣} والدليل

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٥٥.

(٢) نزهة الأعين ص ٢١٤ ومنخب قرة العيون ص ١٨٥

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤١ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٦٠والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٠ ونزهة الأعين ص ٢١٤ ومنتخب قرة العيون١٨٥ .

على ذلك أيضًا إظهار القرآن موصوفًا به في قوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ){البقرة : ١٨٥}

فأهل الوجوه أنفسهم أكَّدوا أنَّ الوجهين الأول والثاني : النصر ، والمخرج من الضلال جاءا من التفريق بين الحق والباطل ، وقد أوضح العسكري سبب تسمية القرآن بالفرقان في الوجه الثالث ؛ لأنَّه يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعني أنَّه أُريد من الفرقان في القرآن الكريم الفرقان بعينه ، ولا وجوه له فيه .

٢٠٧-**قانتون** : قال ابن قتيبة : ((القنوت : القيام ، وسئل صلى الله عليه وسلم : أيُّ الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت[(١)] أي : طول القيام٠٠٠فسميت الصلاة قنوتًا ؛ لأنَّها بالقيام تكون٠٠٠ثم قيل للدعاء قنوت ، لأنَّه إنَّما يدعو به قائمًا في الصلاة قبل الركوع ، أو بعده ، وقيل الإمساك عن الكلام في الصلاة قنوت ، لأنَّ الإمساك عن الكلام يكون في القيام ، لا يجوز لأحد أن يأتي فيه بشيء غير القرآن ، قال زيد بن أرقم : كنَّا نتكلم في الصلاة حتى نزلت : (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ){البقرة : ٢٣٨} فنهيناعن الكلام ، وأُمرنا بالسكوت[(٢)]ويقال : إنَّ قانتين في هذا الموضع : مطيعين ، والقنوت : الإقرار في العبودبة كقوله تعالى : (وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ){الروم : ٢٦} أي : مقرون بعبوديته ، والقنوت : الطاعة ، كقوله تعالى : (وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ){الأحزاب : ٣٥} أي : المطيعين والمطيعات ، وقوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ){النحل : أي : مطيعًا له ، ولا أرى أصل هذا الحرف إلّا الطاعة ؛ لأنَّ جميع هذه الخلال : من الصلاة والقيام فيها ،

---

(١) أخرجه مسلم وابن ماجة والنسائي وأحمد والبيبهقي والطبراني .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

والدعاء وغير ذلك ، يكون عنها))[١] وقال ابن فارس : ((القاف والنون والتاء : أصل صحيح يدل على طاعة وخير في دين))[٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ القنوت ورد في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : المقرون بالعبودية ، والصلاة ، والطاعة ، والسكوت[٣]

والسكوت هو الوجه الذي قال به العسكري في قوله تعالى : (وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ){البقرة : ٢٣٨} إلّا أنَّه نبَّه على أنَّ هذا المعنى هو قول مجاهد ، وقال غيره أنَّ المراد من القنوت هنا الطاعة ، وقال آخرون : طول القيام ، قال بن الجوزي : (((وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ) المراد بالقيام ها هنا القيام في الصلاة ، فأمَّا الفنوت٠٠٠وفي المراد به ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّه الطاعة٠٠٠والثاني : أنَّه طول القيام في الصلاة٠٠٠والثالث : أنَّه الإمساك عن الكلام في الصلاة)) [٤]

ولا تصح هذه الأوجه ؛ لأنَّ الطاعة ، والعبودية ، معنيان مرادفان للقنوت ، وكذلك الصلاة ، والسكوت ، الذي يعني الإمساك عن الكلام فيها ، فقد اختلقاعن طريق دراستهما دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ القنوت بهما كما فعل أهل الوجوه ، بل سمَّى كلًّا منهما بالقنوت ، فالقنوت أينما ورد في القرآن الكريم يعني القنوت بعينه الذي يعني الطاعة ، كما قال ابن قتيبة .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٥٢-٧٥٣.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٤ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٧٠-٢٧١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨٨ .

(٤) زاد المسير ٢٣٦/١ .

٢٠٨-**كتب** : قال ابن قتيبة : ((أصل الكتاب : ما كتبه الله في اللوح المحفوظ مما هو كائن ، ثم تتفرع منه معان ترجع إلى هذا الأصل)) [١] وذكر أهل الوجوه أنَّ (كَتَبَ) ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي : فَرَضَ ، وقضى ، وجعلَ ، وأمر ، وحَفِظَ ، وكتب بعينها [٢]

يعد (كَتَبَ) كاسم جنس للوجوه المذكورة ؛ إذ كل ما فرضه الله ، وقضاه ، وأمر به ، وجعله حكمًا وشرعًا ، وما أريد حفظه مكتوب في اللوح المحفوظ ، فهذه الوجوه غير صحيحة ، ولو صحت فهي مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يعبِّر عن (كَتَبَ) بـ(فرض) و(قضى) و(جعل) و(أمر) و(حفظ) ، بل عبَّر عن كل منها بـ(كَتَبَ) فهي جميعًا وجه واحد ، والحقيقة أنَّ المراد ب(كَتَبَ) أينما ورد في القرآن الكريم (كَتَبَ) بعينه ، ولا وجوه له فيه ، وكما قال ابن قتيبة : ترجع جميعها إلى الأصل المذكور

٢٠٩-**لما** : قال هرون ومقلده الدامغاني : ((تفسير (لَما) على ستة وجوه :

فوجه منها لَما (بفتح اللام وتخفيف الميم) : يعني (ما) واللام هنا صلة فذلك قوله عز وجل : (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ){البقرة : ٧٤} يعني (ما) .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٦.

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٥١-٥٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٨٠-٢٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٩٢ ومنتخب قرة العيون ص ٢٠٥-٢٠٦ .

الوجه الثاني : لَمَّا يعني لم ، والألف هنا صلة فذلك قوله عز وجل في آل عمران : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ){آل عمران : ١٤٢} يعني ولم ير الله .

الوجه الثالث : لَمَّا يعني إلاَّ ، والميم هنا صلة ، فذلك قوله عز وجل في يس : (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ){يس : ٣٢} يعني إلاَّ جميع .

الوجه الرابع : لَمَّا يعني حين .

الوجه الخامس : لّمَّا يعني شديدًا ، فذلك قوله في الفجر : (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا){الفجر : ١٩} يعني شديدًا

الوجه السادس : لِما يعني الذي ، فذلك قوله عز وجل في البقرة : (مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ){البقرة : ٩٧} يعني الذي بين يديه ، وقوله...في البروج : (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ){البروج : ١٦} يعني للذي يريد)) [١]

ذكر هرون في الوجه الأول أنَّ لّما بمعنى ما ، فأيّ معنى من معانيها أراد؟ لأنَّ (ما) لها عدة معان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّ لما ليست كلمة واحدة ، بل هي مركبة من كلمتين ((لام الابتداء دخلت على اسم (إنَّ) لتقدم الخبر وهو (من الحجارة) و(ما) بمعنى الذي)) [٢] لذا يجب إلحاق هذه الوجه بأوجه (ما) التي تقدم ذكرها ، وهو اللفظ الثامن بعد المئة .

---

(١) الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٢-٤٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) الدر المصون ١/٤٣٧-٤٣٨.

وذكر في الوجه الثاني أنَّ لَمَّا يعني لم ، إلّا أنَّ بينهما فروقًا عديدة من حيث الاستعمال والدلالة المعنوية والزمانية بيَّنته كتب النحو[1] مما يؤكد الحقيقة التي طال ما نبَّهتُ عليها أنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فالأصح والأدق أن نقول : إنَّ لَمَّا يعني النفي الجازم .

وذكر في الوجه الثالث أنَّ لمَّا بمعنى إلاَّ ، وهذا الوجه لا يصح الأخذ به لأنَّه مختَلَف فيه ، وفيه عدة أقوال هي :

((**الأول:** قول الفراء وجماعة من نحاة البصرة والكوفة، أن الأصل(لَمِنْ ما) بكسر الميم على أنَّها(مِنِ) الجارة، دخلت على(ما) الموصولة، أو النكرة الموصوفة والتقدير: لَمِنَ الذين ليوفينهم، أو لَمِنْ خلقٍ ليوفينهم، فلمَّا اجتمعت النون ساكنة قبل ميم(ما) وجب إدغامها فيها فقلبت ميمًا وأُدغمت فصار في اللغة ثلاثة أمثال، فخففت الكلمة بحذف إحداها، وهي الميم المكسورة.

وهذا هو الوجه الذي أميل إليه ؛ لآنَّ (لما) مشددة كانت أم مخففة لا تخلو من أنْ تكون مركبة من لام التوكيد ، و(ما) الموصولة التي تفيد معنى العموم .

الثاني: وهو أن يكون الأصل(لمَنْ ما) بفتح ميم (من) على أنَّها موصولة أو نكرة موصوفة، و(ما) بعدها مزيدة، فقُلبت النون ميمًا وأُدغمت في الميم بعدها، فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت الوسط منهن وهي المبدلة من النون، فقيل (لمَّا).

الثالث: أن أصلها (لما) بالتخفيف ثم شُددت.

الرابع: أن أصلها (لمًّا) بالتنوين، ثم بني منه اسم على وزن(فعلى)، فإنْ جعلت ألفه للتأنيث لم تصرفه، وإن جعلتها للإلحاق صرفتها وذلك كما

---

(١) ينظر على سبيل المثال : مغني اللبيب ١/٢٧٨-٢٨٠.

قالوا: تترى، بالتنوين وعدمه، وهو مأخوذ من قولك: لممته، أي: جمعته، والتقدير: وانْ كلًّا جميعا ليوفينهم ، ويدل على ذلك قراءة مَن قرأ (لمًّا) بالتنوين.

الخامس: أن أصلها(لمًّا) بالتنوين أيضًا ، ثم أبدل التنوين ألفًا وقفًا، ثم جرى الوصل مجرى الوقف.

السادس: أن (لمَّا) زائدة.

وذكر أن الذين ذهبوا إلى أن (لمَّا) بمعنى (إلاَّ) استندوا إلى نص الخليل وسيبويه من أنَّ العرب قد يقولون: سألتك بالله لمَّا فعلتَ، أي: إلاَّ فعلتَ. وقد أنكر الفراء وأبو عبيد[1] ورود (لمَّا) بمعنى(إلاَّ): فقد ((قال أبو عبيد: أمَّا من شدد(لمَّا) بتأويل (إلاَّ) فلم نجد هذا في كلام العرب ، ومن قال هذا لزمه أن يقول: قام القوم لمَّا أخاك، يريد: إلاَّ أخاك، وهذا غير موجود، وقال الفراء: وأمَّا من جعل(لمَّا) بمنزلة (إلاَّ) فهو وجه لا نعرفه ، وقد قالت العرب في اليمين : بالله لمَّا قمتَ عنَّا، وإلاَّ قمتَ عنا، فأمَّا في الاستثناء فلم تقله في شعر ولا في غيره، ألا ترى أنَّ ذلك لو جاز لسمعت في الكلام: ذهب الناس لمَّا زيدًا. فأبو عبيد أنكر مجئ (لمَّا) ، والفرَّاء جوَّز ذلك في القسم ، وتبعه الفارسي ، ونسب إليه قوله : وإنَّمَّا ساغ : نشدتكَ الله إلاَّ فعلتَ ولمَّا فعلتَ ؛ لأن معناه الطلب، فكأنَّه قال: ما أطلب منك إلاَّ فعلكَ، وليس في الآية معنى الطلب)) [2]، وماجاء في الدر المصون جاء بنصه في اللباب[3].

([1]) أبو عبيد: هو القاسم بن سلاَّم، بتشديد اللام ، أخذ عن الكسائي وأخذ عنه البغوي، له غريب الحديث وكتاب الأمثال، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، تُوفِّي سنة ٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ ، ينظر : بغية الوعاة ٢/٢١١-٢١٢ ، والأعلام للزركلي:٥ / ١٧٦.

([2]) الدر المصون: ٦ / ٤٠١-٤٠٧.

([3]) ينظر اللباب: ١٠ / ٥٧٨-٥٨٢.

وذكر في الوجه الخامس أنَّ لّمَّا يعني شديدًا ، فذلك قوله في الفجر : (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا){الفجر : ١٩} يعني شديدًا ، والقول بهذا الوجه يعبِّر عن شدة غفلة منهما ؛ لأنَّ ألف (لَمًّا) هنا ليست من أصل الكلمة ، بل هي ((بدل من تنوين النصب ، نحو : رأيتُ زيدًا))[1]والأصل (لمُّ) يعني الجمع ، جاء في التفسير : (((أَكْلًا لَّمًّا) ذا لَمٍّ ، أي : جمع بين حلال وحرام)) [2]

وذكر في الوجه السادس : لِما يعني الذي ، فذلك قوله (مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وقوله (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) يعني للذي يريد ، و(لِما) هنا أيضًا ليست كلمة واحدة ، بل هي مركبة من كلمتين من حرف الجر اللام ، و(ما) الموصولة ، وهي كالوجه الأول ، لذا يجب إلحاق هذا الوجه أيضًا بأوجه (ما) التي تقدم ذكرها ، وهو اللفظ الثامن بعد المئة .

والحقيقة أنَّ ما ذكره هرون لا يستحق الدراسة ، وتأمَّل تقليد الدامغاني له الذي بلغ درجة تقليده في هذا الخلط الكبير بين (لما) بتشديد الميم و(لما) بتخفيف الميم ، وبين (لما) الكلمة الواحدة ، والمركبة من كلمتين ، وبين الحرف الذي من أصل الكلمة ، وبين الحرف الذي ليس من أصلها ، والأوجه الستة التي ذكراها تعود إلى أربعة نظائر ، ولم يصح من هذه الأوجه الستة إلّا وجهان : (لَمَّا) التي بمعنى النفي الجازم ، و(لَمَّا) التي بمعنى الظرفية الزمانية .

٢١٠ -**فلولا** : ذكر هرون وابن قتيبة والدامغاني أنَّ فلولا جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي :

([1]) الجنى الداني ص ١٧٧ وينظر : مغني اللبيب ٣٧٢/٢.

([2]) أنوار التنزيل تفسير البضاوي ٣١١/٥ .

١–فلولا بمعنى فَلَمْ ، كقوله عز وجل : (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ){يونس : ٩٨} والمعنى : فلم تكن نفعها الإيمان عند نزول العذاب .

٢–فلولا بمعنى فهلاَّ ، وهو كثير في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ){الأنعام : ٤٣}

٣–فلولا بمعنى فلولا بعينه ، كقوله تعالى : (فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ){البقرة : ٦٤}[١]

قال ابن هشام في شاهد الوجه الثاني : ((والظاهر أنَّ المعنى على التوبيخ ، أي : فهلاَّ كانت قرية واحدة من القرى المهلَكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب ، فنفعها ذلك ، وهذا تفسير الأخفش والكسائي والفراء وعلي بن عيسى والنحاس)) [٢]

فلـ(لولا) وجهان ، هما : الشرطية ، حرف امتناع لوجود غيره .

والثاني : معنى التحضيض ونحوه .

٢١١–وجهه : قال ابن فارس : ((الواو والجيم والهاء : أصل واحد يدل على مقابلة لشيء ، والوجه : مستقبِلُ لكل شيء٠٠٠وواجهتُ فلانًا جعلتُ وجهي تلقاء وجهه٠٠٠والوِجهة : كل موضع استقبلته قال تعالى : (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا){البقرة : ١٤٨} ووجَّهتُ الشيء : جعلته على جهة ، وأصل جهته وجهته)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((الوجه في الأصل : اسم للعضو٠٠٠وسمي وجهًا ؛ لأنَّ المواجهة تقع به في غالب الحال ، ثم

---

(١) الوجوه والنظائر لهرون ص ٤١–٤٢ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٨٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٦٢ ونزهة الأعين ص ٢٥٤–٢٥٥ .

(٢) مغني اللبيب ٢٧٥/١ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٤٨ .

يستعار ذلك في كل ما يراد تقديمه على ما سواه٠٠٠ومستقبل كل شيء وجهه ، ووجه النهار أوله)) [1]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الوجه جاء في القرآن الكريم على سبعة أوجه هي :

١-الوِجهة : يعني الملة ، كقوله تعالى : (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا){البقرة : ١٤٨}

٢-الوجه : يعني الدين كقوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله){النساء : ١٢٥}

٣-الوجه : يعني ذات الله تبارك وتعالى ، كقوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ){القصص : ٨٨}

٤-الوجه : يعني الأول كقوله تعالى : (وَجْهَ النَّهَارِ){آل عمران : ٧٢}

٥-الوجه : يعني العلم كقوله تعالى : (وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ){البقرة : ١١٥}

٦-الوجه : الحقيقة كقوله تعالى : (ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا)}المائدة : ١٠٨}

٧-الوجه : العضو المعروف أو الوجه بعينه[2]

الملة في الوجه الأول وجه للوجهة وليس للوجه .

---

(١) نزهة الأعين ص ٣٠٠ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٤٧-٤٨ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣٨-٣٣٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٨-٤٦٩ ونزهة الأعين ص ٣٠٠-٣٠١ ومنتخب قرة العيون ص ٢٣٤-٢٣٥.

وجعل وجه الله بمعنى ذاته ، كما جاء في الوجه الثالث ، وبمعنى العلم كما جاء في الوجه الخامس يدخلان في صفات الله ، وقد سبق أن نوَّهتُ بأنَّ ما يتعلق بالصفات لا يصح إقحامها بين الوجوه ، فنخوض مع الخائضين ؛ لأنَّ الله سبحانه قال عن نفسه : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١} وكذلك صفاته جل وعلا ليست كمثلها شيء ؛ لذا يجب إبعاد الصفات الإلهية عن وجوه أي لفظ كان .

وجعل الوجه بمعنى الأول كما جاء في الوجه الرابع ، وبمعنى الدين كما جاء في الوجه الثاني ، وبمعنى الحقيقة كما جاء في الوجه السادس تدخل في باب المجاز.

والدليل على أنَّ هذه الأوجه المذكورة لا تعني الوجه على الحقيقة جعلهم إياه في الوجه السابع بمعنى العضو المعروف ، أو الوجه بعينه ، بل العضو المعروف سُمِّي وجهًا استنادًا إلى ما يعنيه الوجه .

الخاتمة والنتائج

تبيَّن من دراسة الألفاظ التي اشتمل عليها كتاب الأشباه لمقاتل وما أضافه هرون ما يأتي :

١–لم أجد من الألفاظ البالغة (٢١١) لفظًا التي صحت نسبة الأوجه إليها إلّا لفظين هما : (ما) ، والحميم ، أمَّا التي صح بعضها فهي خمسة ألفاظ : النجم ، واللام ، و(إن) ، و(لمَّا) ، ولولا .

٢–أصحاب كتب الوجوه بعضهم ينقل من بعض ، وقد نقلوا جميعًا من كتاب الأشباه لمقاتل ، واتبعوا طريقته ومنهجه ، وكان أشدهم له تقليدًا هرون بن موسى ، حتى يكاد أن يكون كتابه الوجوه والنظائر نسخة ثانية لأشباه مقاتل ، ويأتي من بعده بالدرجة الثانية الدامغاني .

٣–اختلق مقاتل ومقلدوه الوجوه بالطرق الآتية :

ا–الترادف ، وهذه الطريقة اتبعَت في أغلب الألفاظ ، وتأتي بعدها بالدرجة الثانية .

ب–الدراسة المعكوسة فيما يتعلق بالأسماء الموصوفة باسم الجنس .

ت–جعل المعاني المختلفة لاختلاف الصيغة من الوجوه .

ث–جعل المعاني المجازية من الوجوه .

ج–جعل ما أفاد من الوجوه ، وإن خالف المعنى المراد .

ح– جعل اللفظ ، ولا سيما الحرف بمعنى السياق .

خ–جعل ما جاز إضافته للشيء أوجهًا له .

د–جعل معنى الصيغة التي جاء عليها اللفظ وجهًا لِلَّفظ .

٤–كان لمقاتل كتابٌ في الوجوه وكتابٌ في التفسير : وكذلك ابن الجوزي ، وقد لحظتُ أنَّ الميزة التي امتاز بها مقاتل من ابن الجوزي أنَّ ما قاله مقاتل في الأشباه مطابق لما قاله في تفسيره ، بخلاف ابن الجوزي ، وهذا أمر بديهي ؛ لأنَّ مقاتلاً كان مقلدًا لما قاله في تفسيره ، أمَّا ابن الجوزي فقد كان في النزهة والمنتخب مقلدًا لمقاتل في الأشباه ، وكان في الزاد مقلدًا للمفسرين.

٥–قد تجيء حروف وقد تقاربت معانيها في الفائدة مع معاني حروف أخرى في تراكيب ، فيظن الضعيف في اللغة أنَّ معانيها واحدة ، وهي مختلفة بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى وهذا ما نبَّه عليه الزجاج والمبرد ، فإذا جعلنا هذه الحروف بعضها بمعنى بعض بطلت المعاني وضاعت أنسابها ، كما قال النحاس .

فالحرف إذن يجب أن نبقيه على معناه الذي وُضِع له في أي تركيب كان ، وإن بدا أنَّه بمعنى حرف آخر ؛ لأنَّه لا بد من أن يكون استعماله في هذا التركيب لدلالة معينة ، قد لا ندركها أول وهلة لدقتها أوخفائها .

فإذا جعلنا الحرف بمعنى حرف آخر أبطلنا معناه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فوَّتنا على أنفسنا فرصة التعرف إلى سر استعماله من دون الحرف الآخر ، وهذا هو الذي أوقع أهل اللغة والنحو بوجود الوجوه والمعاني المتعددة للحرف الواحد .

٦-كتب الوجوه لا تستحق أن تُسمَّى كتبًا ، ولو جازت لها هذه التسمية ، فإني أعدها كتبًا هدَّامة ؛ لأنَّها هدمت ما بنته كتب متشابه القرآن ، وكتبًا صبيانية ؛ إذ إني واثق كل الثقة من أني أستطيع أن أجعل طالبًا في الثالث المتوسط أن يصنِّف كتابًا في الوجوه ، بعد أن أعلِّمه الطريقة التي اتبعها أهل الوجوه في تأليف كتب الوجوه .

ثَبَتُ المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-الأُزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي (ت : ٤١٥هـ) تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

-أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت : ٥٣٨) قراءة وضبط وشرح د-محمد نبيل طريفي ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

-أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت : ٤٦٨هـ) الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .

-الأشباه والنظائر ، لمقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود شحاتة

- الأصول في النحو: لابن السراج (ت٣١٦هـ)، أبي بكر محمد بن السري ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، ج١، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ج٢ مطبعة الأعظمي، بغداد، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

-الأضداد ، لمحمد بن القاسم الأنباري (ت : ٣٢٨هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت : ٣٥١هـ) بتحقيق الدكتور عزة حسن ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت : ٣٠٦هـ) ضبط نصه وعلق عليه أبو محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-الأفعال ، لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي المعروف بابن القوطية (ت : ٣٦٧هـ) قدم له وضبطه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الإنصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن كمال الدين ،أبي البركات بن الأنباري (ت:٥٧٧هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن

حمد بإشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٨هـ= ١٩٩٨ م

–أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د–ت) .

–الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدكتور عبد الحميد الهنداوي ، الطبعة الأولى ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

–الأعلام لخير الدين الزِرِكْلي (بكسرالزاي والراء) ،الطبعة السادسة عشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٥م.

–الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلَّة في أُصول النحو ، لأبي البركات عبدالرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري ، (ت : ٥٧٧هـ) قدَّم له وعني بتحقيقهما ، سعيد الأفغاني ، الجامعة السورية ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.

–البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله، الدكتور عبد الرزاق المهيدي، ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

– البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد، تحقيق: محمد أبي الفضل، الطبعة الثالثة، بيروت .

–البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن اللادقي ، ومحمد غازي بيضون ، الطبعة العاشرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

-تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت : ٢٧٦هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

-تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى بن محمد الحيني الزَّبيدي (ت :١٢٠٥هـ) اعتنى به ووضع حواشيه الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م .

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان بن قيماز الذهبي (ت : ٧٨٤هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

-التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م

-الترغيب والترهيب ، للإمام الحافظ المنذري ، حققه أبو عبد الرحمن المكي ، الطبعة الأول ، مكة المكرمة ، الرياض ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محممد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت : ٨١٦هـ) العراق بغداد (د-ت) .
-تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت : ٢٧٦) تحقيق السيد أحمد صفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧ .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د-ت) .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .
-تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق د-رياض زكي قاسم ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .
- جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ =١٩٩٢م
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

-حاشية الصبان (ت : ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت : نحو ٩٠٠هـ) على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، الطبعة الأُولى، القاهرة، ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م،

-الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-الحروف لأبي الحسين المزني (ت: ق٣هـ) تحقيق الدكتور محمود حسني محمود، والدكتور محمد حسن عواد، الطبعة الأولى ، جمعية عمال المطابع التعاونية، دار الفرقان للنشر، عمان، الأردن ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

-الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنى (ت: ٣٩٢ه) ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-الخوارج / تاريخهم وفرقهم وعقائدهم ، للدكتور أحمد عوض الشباب ، أستاذ الدراسات الإسلامية والتاريخ الأسلامي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٥م .

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦ه) ، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الثالثة ، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ،

ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

–زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، وضع حواشيه، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

–الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، للشيخ أبي حاتم بن حمدان الرازي (ت : ٣٢٢هـ) عارضه بأصوله وعلَّق عليه حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازى ، مطبعة الرسالة ١٣٠٥هـ .

–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت : ٧٦٩هـ) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ، الطبعة الرابعة عشرة ، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

–شرح التسهيل للمرادي (ت : ٧٤٩هـ) تحقيق ودراسة محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

–شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي (ت : ٦٦٩هـ) علي بن مؤمن تحقيق وضبط أنس بديوي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

–شرح الرضي على الكافية للرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) محمد بن الحسن، تحقيق يوسف حسن عمر بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

–شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك (ت٦٧١هـ) جمال الدين أأبي عبد الله محمد، تحقيق عبد الرحمن عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

-شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ) علَّق عليه ووضع حوشيه أحمد حسن بسج ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣هـ أو حوالي ٤٠٠هـ) اعتنى به خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-صحيح البخاري ، للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-صحيح فقه السنة ، أعده أبو مالك كمال بن السيد سالم ، المكتبة التوفيقية (د-ت) .

- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيري النَّيسابوري (ت : ٢٦١هـ) الطبعة الثانية ، دار الفيحاء ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

-عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لجمال الدين محمد بن مالك (ت : ٦٧١هـ) تحقيق أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المُغينيِّ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م .

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د-ت)

-علل النحو ، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الورَّاق ، (ت : ٣٨١هـ) تحقيق محمود محمد محمود نصَّار ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-غيث النفع في القراءات السبع ، للشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي (ت : ١١١٨هـ) تحقيق محمد بن عبد السميع الشافعي الحفيان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

-الفتنة بين الصحابة-الفتنة بين الصحابة ، للشيخ محمد حسان ، الطبعة الأولى ، المنصورة ، مصر ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د-ت).

-فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، لنورالدين بن نعمة الله الجزائري ، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت :٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة ، للدكتور محمد بكر إسماعيل ، الطبعة الثانية ، دار المنار القاهرة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م .

الكتاب ، أو كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦م.

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القَريميّ الكفويّ (ت : ١٠٩٤هـ) تحقيق د-عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ=٢٠١١م .

– اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

–لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

مجاز القرآن ، لابي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

–المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت :٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م .

–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

–مدارك التنزيل وحقائق التاويل لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

–المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي حققه محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت (د–ت) .

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلميو ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-معاني القراءات ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدَّم له ، وقرَّظه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي ، كلية اللغة العربة ، جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة .

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ،

الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

–المفصل في علم العربية ،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

–مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

–المقتضب ، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب، بيروت (د–ت) .

–المقتضب ، لأبي العباس محمد بن بزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ) تحقيق حسن حمد ،وماجعة الدكتور إميل يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ=١٩٩م .

الملخص في إعراب القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت : ٥٠٢) تحقيق د–يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

–منتخب قرَّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، الإسكندرية (د–ت)

–موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة د–رفيق العجم ، ود–عبد الله الخالدي ، ود–جورج زيناتي ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٩٩٦م .

–النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت : ٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م .

-نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ، للإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) وضع حواشيه خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

-نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ، للإمام أبي بكر بن عزيز السجستاني (ت : ٣٣٠هـ)تحقيق الدكتوريوسف عبد الرحمن المرعشلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : بعد ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد السيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهرون بن موسى القارئ (ت : ١٧٠هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ، الطبعة الأولى ، عمّان ٢٠٠٢م .

-الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) تحقيق عربي عبد الحميد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

- الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

فهرس

لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر

التمهيد

فهرس المواد مرتبة حسبما رتبها مقاتل ، فقد بدأ بلفظ الهدى برقم ١ وانتهى بلفظ الفسق برقم ١٨٦

مواضيع متفرقة

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١-الله والتقدم المادي عند الإنسان رقم الإيداع في المكتبة الوطنية

ببغداد لسنة ١٩٧٧م .

٢-اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣-فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤-إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥-مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦-دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧-بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأُمَّتي السَّبيَّة في ثماني قصائد إسلامية

٨-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب

والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتتاب في الكتاب السابق .

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

ملاحظة : هناك خطأ شائع جدًّا ، يتعلّق برسم الكلمة ، وهو وضع تنوين الفتح والنصب على الألف ، والصحيح وضعها على الحرف قبلها ،

فمـن ذلـك مـثلًا رسـم الكلمـات : مـثلاً–سـميعاً–كتابـاً ، والصـحيح : مـثلًا–سميعًا–كتابًا ، ومن الخطأ الشائع أيضًا وضـع رسم الشدة على الألف نحو : إلاّ–ألاّ–كلاّ والصحيح إلّا–ألّا–كلّا ، وقد استدركتُ في مؤلفاتي هذا الخطأ الذي يتعلّق بالرسم في كثير من المواضع ، وفاتتني مواضع كثيرة أخرى